نصيحة الملوك

المنسوب لأبى الحسن الماوردى

تحقيق ودراسة

د. فؤاد عبد المنعم أحمد

كلية الشريعة - جامعة أم القرى

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

ت: ٤٨٣٩٤٧٢ اسكندرية

(١١٣٤)
١٢٧٤٦

نصيحة الملوك

المنسوب لأبي الحسن الماوردي

٢٩٦.١٤
م ٥٢
٨

تحقيق ودراسة وتعليق
دكتور فؤاد عبد المنعم أحمد
كلية الشريعة - جامعة أم القرى

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف 297.272
رقم التسجيل

Bibliotheca Alexandrina
١٩٨٨
General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــــديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث بالدين الأقوم والشرع الأحكم رحمـــة للعـــالمين ، وعلى آله وأصـــحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين •

أمـــا بعـــد

فمن نعم الله وفضله علينا أن وفقنا منذ وقت مبكر فى حياتنا بمعايشة الامام الماوردى فقدمنا عنه دراسة متكاملة تضمنت معالم حياتـــه وعصره وتأثره به وتأثيره فيه كما عرضنا لأهم آثاره ومصنفاته وآرائه وأفكاره[١] •

كما قمنا بتحقيق كتاب قوانين الوزارة ، وقد طبع أكثر من طبعة[٢] • كما حققنا كتاب الأمثال والحكم[٣] ، وقمنا بدراسة لكتاب (التحفة الملوكية فى الآداب السياسية) انتهينا فيها الى أن هذا الكتاب ليس للماوردى[٤] •

وقد وقفنا على مخطوط نصيحة الملوك منذ عام ١٩٧٥ م ، وشرعنا فى تحقيقه وفقا للمنهج الذى نتبعه فى تحقيقنا ، وهو تحقيق الكتاب بمؤلفات الكاتب نفسه ، وقد استغرق تحقيقه من جهدنا وقتا طويـــلا علـــى فترات متقطعة بقدر ما سمحت به ظروفنا ومشاغلنا وأعباؤنا بين القضاء والتدريس

---

(١) من اعلام الاسلام (ابو الحسن الماوردى) دراســـة مشـــتركة مع الاستاذ الدكتور محمد سليمان داود ، طبعـــة مؤسسة شـــباب الجامعـــة ، الاسكندرية ١٩٧٨ م •

(٢) الطبعة الثانية عام ١٩٧٨ م مؤسسة شباب الجامعة ــ الاسكندرية •

(٣) الطبعة الثانية عام ١٩٨٥م ، مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية •

(٤) مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية عام ١٩٧٧ م •

بالجامعات وقد ألقى المخطوط الضوء على كثير من الأمور التى نطمئن اليها — إلى حد ما — إلى هذا أن المخطوط نسب الى الماوردى فى وقت متأخر ونعد بمشيئة الله — ان جعل الله فى العمر بقية — بافراد دراسة فى كتاب خاص يتجاوز حجمه حجم هذا الكتاب المحقق نوضح فيه على أن هذا المخطوط قد نسب الى الماوردى وأنه ليس له •

وقد حصلنا على نسخة موضوع التحقيق من المكتبة الوطنية بباريس وتضمنها المجموع رقم ٢٤٤٧ ، وتقع فى ٩٦ ورقة وتم نسخها عام ١٠٠٧هـ •

وقد بذلنا جهدنا — قدر الطاقة — للحصول على نسخة أخرى للمخطوط فلم نوفق •

ونسأل الله أن يكون عملنا خالصا لوجه الله فى سبيل العلم واعلاء الحق •

د• فؤاد عبد المنعم

الاسكندرية فى ٢ من ذى القعدة ١٤٠٦هـ
الموافق ٨ من يوليو ١٩٨٦ ميلادية •

بسم الله الرحمـــن الرحيم

مقدمـــة التحقيق والدراسة

حرصا على عدم التكرار فى مؤلفاتنا وتحقيقاتنا نحيـــل فى ترجمـــة الماوردى الى الدراسة التى كتبناها عنـــه والى الكتب التى حققنـــاها له — السابق الاشارة اليها — فضلا عن أن المخطوط ورد فى نهايته تعـــريف بالمـــاوردى •

ونركز فى هذه المقدمة على تقديم الدليل المقنع على أن كتاب نصيحة الملوك ليس للماوردى •

— وهناك أدلة كثيرة[1] وأقواها فى نظرى الفحص الموضوعى للاحكام الفقهية الواردة فى كتاب « نصيحة الملوك » بالمقـــارنة لمـــا هـــو ثابت عن الماوردى فى كتبه الفقهية : الاقناع ، الاحكام السلطانية ، الحاوى[2] •

وحرى بنا أن نقدم لهذا البحث ببيان له لاهميته • مع عرض لكتب المـــاوردى الفقهية التى سنعتمد عليها •

أهميـــة البحث :

يعد من الاخطاء العلمية نسبة الرأى الى غير قائلة • وقد اعتمد على كتاب

---

(١) نسأل الله ان ييسر فى اخراجها فى مؤلف مستقل •

(٢) سنشير الى تفسير الماوردى عند عرضه للاحكام الفقهية محل الدراسة وان كان الملاحظ على الماوردى انه لا يعرض لاراء ائمة المذاهب وانما يعرض لاراء الصحابة والتابعين ، وفى بعض الاحيان يحيل الى أن المسألة خلافية وأن كتب الفقه أولى بها . انظر تفسير الماوردى ١ : ٤٦٤ فى شروط وجوب القطع مع ارتفاع الشبهـــة •

« نصيحة الملوك » فى استخلاص بعض الآراء والاحكام وأسندت الى الماوردى حال كونها ليست له .

ففى رسالة « الفكر السياسى عند الماوردى »[٣] أعتمد على كتاب نصيحة الملوك فى أكثر من عشرين موضعا .

وذهب البعض فى تحقيق بعض مؤلفات الماوردى الى توثيقه بكتاب « نصيحة الملوك » ، ففى تحقيق كتاب « تسهيل النظر وتعجيل الظفر » احالات للتوثيق الى عدة مواضع من كتاب نصيحة الملوك على الرغم من اختلاف الصياغة للشاهد فى الكتابين[٤] .

وكل من ترجم للماوردى من المحدثين أسند مخطوط باريس « نصيحة الملوك » للماوردى مثل بروكلمان ، وجورجى زيدان وخير الدين الزركلى ، ومصطفى السقا وعمر فروخ[٥] .

كما أن كل الرسائل العلمية التى تمت مناقشتها فى تحقيق ودراسة

---

(٣) للدكتور صلاح الدين بسيونى ، دار الثقافة ، مصر ، ١٩٨٣م،ص٣٦، ٨٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٥٠ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٤) حققه الدكتور محيى هلال السرحان ، طبعة دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨١ أنظر صفحات ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨، ٢٨٩ .

(٥) بروكلمان ١:٣٣٦ والملحق ١:٦٦٣ ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢:٣٣٥ ، والاعلام ٥:١٤٦ ، ومقدمة أدب الدنيا والدين،الطبعة الرابعة، ١٠ ، وتاريخ الادب العربى لفروخ ٣:١٤١

أجزاء من كتاب الحاوى للماوردى ، عدت كتاب « نصيحة الملوك » ضمن كتبه[٦] .

حاجى خليفة ونصيحة الملوك :

لم نقف فيما اطلعنا عليه من كتب الماوردى أنه أشار الى كتاب نصيحة الملوك أو أستند اليه .

كما أن المصادر القديمة فى ترجمة الماوردى لم تشر الى هذا الكتاب ضمن كتبه .

ويبدو لنا أن أول من أشار اليه هو حاجى خليفة فقد قال : ان «نصيحة الملوك للماوردى فى معيد النعم ، ونقله بعضهم من الفارسية الى العربية وسماه « الدر المسبوك فى نقل نصيحة الملوك » أوله : « الحمد لله على أنعامه وأفضاله »[٧] .

وقد رجعت الى كتاب « معيد النعم ومبيد النقم » للسبكى فلم أجد فيه اشارة الى كتاب النصيحة .

وتبين لى أن الافتتاحية التى أوردها حاجى خليفة تخالف الافتتاحية الواردة فى نصيحة الملوك .

---

(٦) انظر مثلا تحقيق كتاب الحدود من الحاوى الكبير ، نال به ابراهيم صندقجى ، درجة الدكتوراة فى الشريعة من جامعة ام القرى سنة ١٤٠٢هـ جـ ١:٥٢ ، ورسالة عامر بن سعد نورى فى تحقيق كتاب الرضاع وكتاب النفقات من الحاوى ، حصل به على درجة الدكتوراة فى الشريعة من جامعة ام القرى ١٤٠٤هـ — ١٤٠٥هـ جا ص ٤٧ .

(٧) كشف الظنون ٢:١٩٥٨ .

فقد ذكر حاجى خليفة أن أوله « الحمد لله على أ نعامه وأفضاله » بينما الثابت فى نصيحة الملوك « بحمد الله نفتتح وعليه نتوكل وبه نستعين على كل مقصـــود » •

كما تبين أن الافتتاحية التى أوردها حاجى خليفة هى افتتاحية التبر المسبوك فى نصيحة الملوك (٨) للامام الغزالى (المتوفى ٥٠٥هـ) •

ويبدو لنا أن حاجى خليفة رأى مخطوط باريس « نصيحة الملوك »مع مخطوط « معيد النعم ومبيد النقم » ولكنه لم يفحصه موضوعيا وأنه أخطأ والتبس فى الافتتاحية بذكر افتتاحية الملوك للغزالى •

كتب المـــاوردى الفقهية :

من أهم كتب الماوردى الفقهية : الاقناع ، والاحكام السلطانية ، والحاوى الكبير ، وهذه الكتب نسبتها الى الماوردى ثابتة وقد اشـــارت مصادر التراجم وطبقات الشافعية اليها •

وتمثل هذه الكتب آراء الماوردى واجتهاداته الفقهية ونعرف بهـــده الكتـــب بايجـــاز :

الاقنـــــاع :

قام الماوردى بتأليف كتاب «الاقناع» بناء على طلب الخليفة القادر بالله (المتوفى ٤٢٢هـ) حيث طلب من كبار علماء المذاهب الاربعة أن يؤلف كل منهم مختصرا فى مذهبه • فألف الماوردى الاقناع فى أربعين ورقـــــة

---

(٨) أنظر ص ٥ ، طبعة الكليات الازهرية ، ١٣٨٧هـ ـــ ١٩٦٨م •

مختصرا فيه الفقه الشافعى ، واثنى عليه الخليفة القادر بقوله : « حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا » (٩) .

والاقناع يشتمل على الاحكام الفقهية مجردة من الدليل وكان موضع ثقة العلماء وتقديرهم (١٠) .

وحفظ الله لنا نسخة مخطوطة منه بمكتبة الاوقاف بحلب (ضمت لمكتبة الاسلا حاليا) وقد تبين لنا وجود سقوط فى بعض الجزاء منها (١١) .

الاحكـــام السلطانيـــــة

ألف الماوردى كتاب « الاحكام السلطانية والولايات الدينية » بنـــاء على طلب خليفة عصره ، ويبدو لنا انه هو الخليفة القادر بالله . وقد كانت هذه الاحكام ـــ على حد تعبير الماوردى ـــ ممتزجة بالاحكام وكان يقطعهم عن تصفحها تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، فافرد لها الماوردى هذا الكتاب ممتثلا أمر من لزمت طاعته (١٢) والكتاب يتضمن أصول التنظيم السياسى والادارى والمالى والحربى للدولة الاسلامية فى عصر الماوردى وقد اعتمد فيه الماوردى على الادلة من الكتاب والسنة وبين مذاهب الائمة كأبو حنيفة ومالك ، ولم يعرض للمذهب الحنبلى ، فكأنه يرى أن الامام أحمد بن حنبل

---

(٩) المنتظم لابن الجوزى ٨:١٩٩ ، معجم الادباء ١٥:٥٤ ، ٥٥

(١٠) انظر : المجموع شرح المهذب للنووى ، مطبعة الامام ١:٣٩٤ ، ٤٩٩ ، ٢:٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٤٨ ، ٣:٤١ وفتاوى الرملى على هامش الفتاوى الكبرى طبعة ١٣٥٧ جـ ١ ص ٥١ .

(١١) المخطوط يحمل رقم ٦٧٥ وقام بنشره الشيخ خضر محمد خضر عن مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م .

(١٢) الاحكام السلطانية ، طبعة بيروت ، ١٤٠٢هـ ، ص ٣ .

محدثا لا فقيها (١٣) ، ولعل هذا هو أحد الاسباب القوية التى دفعت بالفقيه الحنبلى أبا يعلى الفراء (المتوفى ٤٥٨هـ) الى كتابة كتاب الاحكام السلطانية مبينا رأى الامام أحمد ليكن تحت بصر خليفة عصره ليتسنى للامام معرفة ماله منها فيستوفيه وما عليه فيوفيه وصولا الى العدل فى القضاء والتنفيذ وتحريا للنصفة فى أخذه وعطائه .

الحـــاوى (١٤) :

الحاوى ، وهو شرح مختصر المزنى ، قال الماوردى فى مقدمته ، « لما كان أصحاب الشافعى — رضى الله عنه — قد اقتصروا على مختصر

---

(١٣) لم يعرض الماوردى للمذهب الحنبلى فى أى من مؤلفاته الفقهية بما فيه الحاوى الكبير ، والواقع أن الماوردى لم يكن موفقا لان المذهب الحنبلى له أصوله التى يعتمد عليها وتميزه عن غيره من المذاهب وهى :

١ — الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة ، فمتى وجد نصا فى المسألة أفتى بمقتضاه دون الالتفات الى ما خالفه ولو كان المخالف من كبار الصحابة .

٢ — فتوى الصحابى عند عدم النص ، فاذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف لها مخالفا منهم ، لم يتجاوزها الى رأى آخر ،دون أن يدعى أن ذلك اجماعا بل يقول تورعا : ما يفيد أنه لا يعلم شيئا يعارض هذه الفتوى .

٣ — اذا تعددت الاراء من الصحابة فى الامر الواحد ، كان يلجأ الى اختيار أقربها من الكتاب والسنة ، بمعنى أنه لا يخرج عن رأى من هذه الاراء ، وكان يتوقف أحيانا عن الفتوى اذا لم يجد مرجحا لاحد تلك الاراء .

٤ — الاخذ بالحديث المرسل أو الضعيف مرجحا على القياس ، ما دام ليس هناك اثر آخر يدفعه ، ولا قول صاحب ولا اجماع على خلافه .

٥ — اذا لم يجد شيئا مما تقدم من الاصول الاربعة السابقة لجأ الى القياس فاستعمله للضرورة .

اعلام الموقعين لابن القيم ١:٢٣ .

(١٤) قال السبكى بعد أن أورد الرواية القائلة بأنه لم يظهر شيئا من مصنفات الماوردى فى حياته : « لعل هذا بالنسبة الى « الحاوى » والا فقد رأيت من مصنفاته غيره كثيرا وعليه خطه ، ومنه ما أكملت قراءته عليه فى حياته » . طبقات الشافعية الكبرى ٥:٢٦٩ .

أبى ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى — رحمه الله — لانتشار الكتب المبسوطة عن فهم المتعلم واستطالة مراجعتها على العالم حتى جعلوا المختصر أصلا يمكن تقريبه على المبتدى واستفاؤه للمنتهى ، وجب صرف العناية اليه ، وايقاع الاهتمام به • ولما صار مختصر المزنى بهذه الحال من مذهب الشافعى لزم استيعاب المذهب فى شرحه واستيفاء اختلاف الفقهاء المتعلق به ، وان كان ذلك خروجا عن مقتضى الشروح التى تقتضى الاقتصار على ابانة المشروح ليصح الاكتفاء به والاستغناء عن غيره •

وقد اعتمدت بكتابى هذا شرحه على أعدل شروحه ، وترجمته (بالحاوى) رجاء أن يكون حاويا لما أوجبه بقدر الحال من الاستيفاء والاستيعاب فى أوضح تقسيم وأصح ترتيب وأسهل مأخذ » (١٥) •

ويقع الكتاب على حد قول الماوردى فى أربعة آلاف ورقة (١٦) وقد بسط الماوردى فيه الفقه الشافعى عارضا فيه فقه الصحابة والتابعين وفقه أئمة المذاهب — عدا المذهب الحنبلى — مع بيان الادلة ونقضها وترجيح المذهب الشافعى •

والكتاب مخطوط يقع فى عشرين جزءا (١٧) ويتضمن الفقه الاسلامى

---

(١٥) الجزء الاول من الحاوى ، مخطوط رقم ٨٣ فقه شافعى ، دار الكتب المصرية ق ١ •

(١٦) المنتظم لابن الجوزى ٨:١٩٩ ، ومعجم الادباء تحقيق مرجليوث ٥:٤٠٨ •

(١٧) يكاد الكتاب انجز تحقيقه ودراسته فى رسالات علمية للدكتوراة والماجستير فى كلية الشريعة جامعة الازهر ، ولجامعة ام القرى ، تحقيق كتاب الزكاة للشيخ ياسين محمود الخطيب ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م وتحقيق كتاب (الحج) الشيخ غازى طه (دكتوراه) ، ومن كتاب النكاح الى =

كله بداية بكتاب الطهارة وانتهاء بكتاب العتق وقد قال عنه ابن خلكـــان :
« لم يطالعه أحد الا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة فى المذهب » •

الكافى شرح مختصر المزنـــى

وحرى بالاشارة أن كتاب الحاوى غير كتاب الكافـــى شرح مختصر المزنى الذى أشار اليه السبكى فى طبقاته عندما ترجم لشبيب بن عثمـــان بن صالح الرحبى فقال : « ورأيت لشبيب فوائد عامتها من كتاب الكافـــى فى شرح مختصر المزنى لابى الحسن الماوردى صاحب الحاوى » (١٨) وهذه العبارة تفيد أن الكافى غير الحاوى ، والكافى من الكتب الفقهيـــة المفقودة التى لم تصل الينـــا •

= كتاب الصداق الشيخ عبد الرحمن اليمانن « دكتوراه » ومن كتاب البيوع الى كتاب الرهن الشيخ محمد فضل مصلح الدين « دكتوراه » ، وقد اشرنا من قبل الى كتاب الحدود حققه ابراهيم صندقجى دكتوراه ، وكتاب القراض من الحاوى عبد الوهاب السيد باخى « ماجستير » أكتوبر ١٩٧٩ ، المساواة والمزارعـــة يوسف حسين حسن ، وكتاب التفليس عبد الفتاح محمـــود ادريس ، وكتاب الصيد والذبائح مصطفى بن حاج اسماعيـــل ، عام ١٩٨٠ ، وكتاب الحـــوالة والضمان عبد العزيز الرشيد محمد ، وكتاب الوكالة لزين ابراهيم .

(١٨) طبقات الشافعية الكبرى ٥:٨ .

بحث مقارن
بين الاحكام الفقهية الواردة فى كتاب النصيحة
وكتب الماوردى الفقهية

نخصص هذا المبحث لبعض الاحكام المالية والجنائية الواردة فى كتاب نصيحة الملوك مع مقارنتها بما هو ثابت عن الماوردى فى كتبه الفقهية الاخرى •

وسنقتصر على المسائل الاتية :

١ — سهم المؤلفة قلوبهم كمصرف من مصارف الزكاة •

٢ — مقدار ما يعطى للعاملين على الزكاة •

٣ — مدى تخميس الفىء •

٤ — حد السكر •

٥ — قدر نصاب القطع فى السرقة •

ونعرض لكل منها فى مطلب

المطلـــب الاول

سهم المؤلفـــة قلوبهـــم

يرى صاحب كتاب النصيحة أسقاط سهم المؤلفة قلوبهم كمصرف من مصارف الزكاة فقال : « والسنة فى صدقة السوائم والعشور والاخماس وكل ما فى باب الصدقات أن تقسم هذه السهام المذكورة الا سهم المؤلفة قلوبهم لان الله أغنى عنهم ورفعهم بعز الاسلام وظهور الحق .. » (١)

وهذا القول يناقض ويخالف ما هو ثابت عن الماوردى فى كتبه الفقهية جميعا اذ يرى أن سهم المؤلفة قلوبهم باق •

فقال فى الاقناع (٢) : « أن من مصارف الزكاة سهم المؤلفة قلوبهم ، وهم الذين فى تآلفهم قوة للمسلمين وأضعاف للمشركين ، فيدفع اليهم من سهمهم ما يكون به تآلفهم » •

وأوضح فى الاحكام السلطانية أن سهم المؤلفة قلوبهم لاربعة أصناف :

أ ــ صنف يتألفهم لمعونة المسلميـــن •

ب ــ صنف يتألفهم للكف عن المسلميـــن •

جـ ــ وصنف يتألفهم لرغبتهم فى الاســـلام •

ء ــ وصنف لترغيب قومهم وعشائرهم فى الاســـلام •

فمن كان من هذه الاصناف الاربعة مسلما جاز أن يعطى من سهـــم المؤلفة من الزكاة ، ومن كان مشركا عدل به عن مال الزكاة الى سهم المصالح من الفىء والغنائم (٣) •

---

(١) ق ٧٤ / أ من المخطوط وانظر النص المحقق ص ٣١٧ •

(٢) ص ٧١ •

(٣) الاحكام السلطانية ص ١٢٣ •

وبسط المسألة فى الحاوى وبين أن القائلين باسقاط سهم المؤلفة قلوبهم هما من الائمة : أو حنيفة ومالك ثم أفصح عن رأيه وفصله فقال : « وجملة ذلك أن مالكا وأبا حنيفة أسقط سهم المؤلفة قلوبهم بقوة الاسلام واستعلاء أهلـــه •

وسهم المؤلفة قلوبهم باق أهله الله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وتألف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، مسلمين ومشركين •• وفى جواز تألف المشركين بعد وفاته قولان :

أحدهما : يجوز اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم مع قولـه تعالى (والمؤلفة قلوبهـم) •

والقول الثانى : لا يجوز لان الله تعالى قد أعز الاسلام وأهله بمـا اعطاهم من قوة وزادهم من قدرة عن أن يتألفوا بأموالهم مشركا •• فاذا قيل : لا يجوز أن يتألفوا بمال لما جعل الله نقل أموالهم للمسلمين ولـم يجعل لهم فى أموال المسلمين حقا منعوا ذلك من أموال الصدقات وغيرها •

واذا قيل بجواز تألفهم جاز اذا قصد فيه نفع أن يعطوا مع الغنـاء والفقر لا من أموال الصدقات التى جعلها الله نقلا للمسلمين ولكن من سهم المصالح العامة وهـو خمس الخمس من الفىء والغنيمة المعـدة لمصالـح المسلمين عامـــة •••

وأما الضرب الثانى من المسلمين الـذى لم يختلف قول الشافعـى فى جواز تألفهم فهم أربعـة أصنـاف :

أحدهما : أن يكون من أعراب أو غيرهم من المسلمين فى طرف بـلاد الاسلام بإزاء مشركين لا يقاتلونهم على الاسلام الا بمال يعطونه امـا

لفقرهم أو لضعف نينهم ، وفى مسير المجاهدين اليه مشقة عظيمة والتزام مـــال جزيـــلة •

والصنف الثانى : أن يجوز من ذكرنا أزاء قوم مرتدين لا يقاتلونهم على الردة الا بمال اما لفقر واما لضعف نية وفى تجهيز الجيش اليهم مؤونة ثقيلـــــة •

والصنف الثالث : أن يكونوا بازاء قوم بغاة وهذه حالهم معهم •

والصنف الرابع : أن يكونوا بازاء قوم مانعى الزكاة ولا يقاتلونهم على بذلها الا بمـــــال •

فهؤلاء الاصناف الاربعة يجوز تألفهم بالمال لما فى تألفهم من معونـــة المســـلمين ونفعهم والذب عنهم (٤) •

ويتضح لنا من هذا العرض لمؤلفات الماوردى أنه يرى أن سهم المؤلفة قلوبهم باق على خلاف الوارد فى نصيحة الملوك •

---

(٤) الحاوى جـ ١١ ق ١/٢٧٣ — ١/٢٧٦ مخطوط رقم ٨٣ فقه شافعى دار الكتب المصرية ، وفى نفس المعنى مع ايجاز تفسير الماوردى جـ ٢ ص ١٤٧ .

المطلـــب الثانـــى

مقـــدار مـــا يعطـــى العامليـــن علـــى الزكـــاة

قال صاحب النصيحة « ويعطى العاملون — على الزكاة — مقـــدار الكفاية ، ولا يحل من الصدقات لال الرسول ﷺ ولا لغنى موسر ، ولا ملك مقتـــدر » (١) .

فصاحب النصيحة يرى أن يعطى العاملون على الزكاة أجرة مساوية لعملهم فهى ليست صدقة ، ولذا يعطى العامل الغنى حال كون الصدقـــة لا تحل لغنى مـــوسر .

ويرى الماوردى فى كتبه الفقهية أن العاملين على الزكاة يعطون أجور أمثالهم صدقـــــة .

فقال فى الاقناع « والعاملين عليها — كمصرف من مصارف الصدقات — وهم المتولـــون جبايتهـــا وتفرقتهـــا ، فيدفع اليهم منها قـــدر أجـــور امثالهـــم » (٢) .

وأوضح فى الاحكام السلطانية « سهم العاملين عليها فقال : هم صنفان أحدهما ، المقيمون بأخذها وجبايتها .

والثانى : المقيمون بقسمتها وتفريقها من أمين ومباشر ، ومتبـــوع وتابع ، وجعل الله أجورهم فى مال الزكاة لئلا يؤخذ من أرباب الامـــوال

---

(١) نصيحة الملوك ق ٧٤ / أ ، والكفاية لغة هى كل شىء ساوى شيئاحتى صار مثله . وكفى الشىء « يكفى » كفاية فهو كاف اذا حصل به الاستغناء عن غيره . المصباح المنير ص ٥٣٧ .

(٢) الاقناع ص ٧١ .

سواها ، فيدفع اليهم من سهمهم قدر اجور امثالهم ، فان كان سهمهم منها أكثر رد الفضل على باقى السهام ، وان كان أقل تممت أجورهم من مـــال الزكاة فى أحد الوجهين ، ومن مال المصالح فى الوجه الاخـــر » (٣) •

وبسط المسألة فى الحاوى وعرض لوجهة نظر الاحناف ورد عليهم •

فقال « أول سهم يبدأ بقسمه سهم العاملين عليها لامرين أحدهمـــا أنه يستحق على عمل فصارت كالمعاوضة وغيره مواساة •

والثانى : أنه مقدر بأجورهم من غير زيادة ولا نقصان فهـــو قـــدر حقهم ، أو يكون أكثر من أجورهم فيعطوا منه قدر أجورهم ويرد الباقى على سهام أهل السهمان بالسوية أو يكون أقل من أجورهم فيجب أن يتـــم لهم أجـــورهـــم ••••

قال : العاملون على الزكاة هم صنف من أهل السهمـــان يعطـــون أجورهم منها صدقـــــة •

وقال أبو حنيفة : هو أجرة وليس بصدقة لانهم يأخذون مع الغنـــى ولو كانت صدقة حرمت عنده على الاغنياء •

وهذا خطأ لان الله تبارك وتعالى قال « انمـــا الصدقـــات للفقـــراء والمساكين والعاملين عليهـــا ••• » فلم يجز أن يزال عن الصدقة حكمها باختلاف المتلكيـــن •

ولان النبى ﷺ منع ذوى القرى من العمل عليها لتحريم الصدقـــات عليهم ، ولو خرجت عن حكم الصدقة الى الاجرة ما منعهم منهـــــا •

---

(٣) الاحكام السلطانية ص ١٢٣ •

وليس ينكر أن تكون الاجرة صدقة اذا كانت مأخوذة من مال الصدقة فاذا ثبت هذا فان كان العاملون عليها مستأجرين بعقد اجارة لـــم يجز أن يكون المسمى فيه من الاجرة أكثر من أجور أمثالهم ، كما لا يجوز فى المستأجر على أموال الايتـــام •

وان لم يسم فليس له أكثر من أجرة المثل ، وان لم يكونوا مستأجرين بعقد كان لهم أجرة المثل لمن استهلك عمله بغير عقد وذلك يختلف بقـرب المسافة وبعدها وقلة العمل وكثرته (٤) •

يتضح لنا من هذا العرض أختـلاف رأى صاحب النصيحة عن رأى الماوردى ، فصاحب النصيحة يرى أن يعطى العاملون على الزكاة أجـرة مساوية لعملهم ولا تعد صدقة بينما الماوردى يرى أنهم يعطون أجور أمثالهم صـــدقة •

---

(٤) الحاوى الكبير ج ١١ ق ٢٨٧ / ب ، ق ٢٩٢/ب •

المطلب الثالث

مـــدى تخميـــس الفـــىء

يرى صاحب النصيحة أن الغنيمة والفىء كان فى عهد النبى ﷺ فيئان ويرى أن الفىء لا يخمس على حين أن الماوردى يفرق فى الاسم بين الفىء والغنيمة ويرى أن فى الفىء والغنيمة الخمس •

قال صاحب النصيحة : « وأما الغنيمة والفىء فقد كان فى عهد النبى ﷺ فيئان :

أحدهما ، للنبى ﷺ خاصة ، ولم يوجف المسلمون عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من بنى النضير وأهل فدك ، فكان ذلك للرسول ﷺ خاصة الا أن النبى عليه السلام لم يبن به دارا ولم وقوت عياله ويجعل الباقى منها فى نوائب المسلمين وحوادث أمر الديـــن يشتر به عقارا ، ولم يتمتع به فى الدنيا فضل تمتع ، بل كان يأخذ منه قوته والاخر ، هو ما يفىء من أموال الكفار على المسلمين من غنيمة أو جزيـــة أو خراج بنى تغلب ، فهو يعطى منه ذوى القربى وهو عندنا قرابة النبى ﷺ مقدار كفايتهم ، ويصرف الباقى فى نوائب المسلمين من السلاح والكراع وأعطيات الجيوش التى تغزو أرض العدو ، ويعطون مقدار كفايتهم ، فان فضل شىء من ذلك صرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيل ••• » (١)

والماوردى ينتقد القول بأن الغنيمة فىء فى عهد النبى ﷺ ويقـــول : الغنيمة من الغنم ، والغنم المستفاد بغير بدل ، فكل ما أخذ من المشركين قهر القتال بايجاف خيل أو ركاب سمى غنيمة لاستفادته بغير بدل •

---

(١) نصيحة الملوك ق ٧٤ / أ ، انظر النص المحقق ص ٣١٨ •

والفيء : هو الرجوع ، ومنه قوله تعالى (حتى تفيء الى أمر الله)[٢]

أى ترجع ...

والفيء : كل ما أخذ من المشركين عفوا بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب وسمى فيئا لرجوعه الى أولياء الله تعالى وأهل طاعته بعد خروجه عنهم الى أهل أعدائه وأهل معصيته ويقول الاصل فى الغنيمة قوله الله تعالى : (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)[٣] .

والاصل فى الفيء قوله تعالى : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى)[٤] .

وقال : ان أوجه الافتراق بين الفيء والغنيمة أن لكل واحد منهما اسم يختص به[٥] .

والفيء عند الماوردى يخمس بينما صاحب النصيحة يرى أن الفيء للرسول ﷺ خاصة وما بقى منه بعد قوته وقوت عياله جعله فى نوائب المسلمين أى أن الفيء لا يخمس فى حياته أو بعد وفاته .

قال الماوردى فى الاقناع : كل ما أفذ من المشركين بغير ايجاف خيل ولا ركاب من خراج أرض أو جزية رقبة أو مال صلح أو عشور تجارة أو تركة ميت لم يخلف وارثا فجميعه فيء ويصرف خمسة فى أهل الخمس كالغنيمة[٦] .

---

(٢) الحجرات : مدنية من الاية ٩ .
(٣) ٨ الانفال : مدنية : الاية ٤١ .
(٤) ٥٩ الحشر : مدنية : الآية ٧
(٥) الحاوى جـ ١١ ق ١٧٩ ، ١/١٨٤ .
(٦) الاقناع ص ١٧٩ .

وأكد هذا فى الاحكام السلطانية وانتقد رأى أبى حنيفة : القائل : لا خمس فى الفىء • فقال : ونص الكتاب يمنع مخالفته [٧] لقول الله تعالى : (ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) •

وبسط الماوردى المسألة فى الحاوى — كتاب تفريق الخمس فعرض للاراء المختلفة — وناقش رأى أبى حنيفة وانتهى الى تأييد رأى الشافعى [٨] •

فقال : « وخمس الفىء والغنيمة مقسوم على مذهب الشافعى على خمسة أسهم كان لرسول الله ﷺ فى حياته سهم يصرف بعده فى مصالح المسلمين •

وسهم لذوى القربى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب باق لهم ما بقوا وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لبنى السبيل •••

وقال أبو حنيفة — يقسم الخمس (فى الغنيمة) على ثلاثة اسهم سهم اليتامى ، وسهم المساكين ، وسهم بنى السبيل وأسقط منها سهم رسول الله ﷺ وسهم ذى القربى •

وقال مالك : يصرف الخمس مع أربعة أخماس الفىء فى وجوه المصالح •

ويبين الماوردى وجهة نظره ورد على أبى حنيفة فقال :

والدليل على أن سهم رسول الله ﷺ ثابت فى رواية محمد بن جبير

---

(٧) الاحكام السلطانية ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٨) الحاوى جـ ١١ ق ٢١٥ — ١/٢١٧

ابن مطعم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « مالى مما أفاء الله عليكم الا الخمس ، والخمس مردود فيكـــم » •

فدل رده على ثبوته — وأن تغير حكمه — لا على سقوطه •

والدليل على أن سهم ذى القربى ثابت يستحق مع الغنى والفقر لقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى) فأضاف الخمس الى خمسة أصناف بلام التمليك وجمع بينهم بواو التشريك فاقتضى الظاهر تساويهم فى جميع الاوصاف التزاما بأمـــر الله تبارك وتعالى ، وهو حينما وصفهم بذى القربى دل على استحقاقهم باسم القرابة لا الفقر قال تعالى (فآت ذى القربى حقه والمسكيـــن وابن السبيـــل) (سورة الاسراء : من الاية ٢٦) •

ويختار صاحب نصيحة الملوك التفضيل فى العطاء من الفىء فقال : وسن رسول الله ﷺ التفضيل فى العطاء والتسوية تارة ، على ما أوجبته الحال وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسويـــة •

وكان عمر وعثمان يفضلان على مقدار البلاء فى الاسلام والغناء عنه ومواجب الاحوال ثم كان على يرى التسوية •

والتفضيل عندنا هو الاختيار وهو أشبه بكتاب الله عز وجل [٩] لان الله يقول : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه) (الايتان ٩٥ ، ٩٦ من سنـــورة النســـاء) •

وقال : (قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون) (الايـــة ٩ مـــن ســـورة الزمـــر) •

---

(٩) نصيحة الملوك ق ٤ / ب ، انظر النص المحقق ص ٣٢١ •

بينما يرى الماوردى التسوية فى العطاء •

قال فى الاقناع : « ويسوى بين المقاتلة فى العطاء ، وان تفاضلوا فى الغنـــاء » (١٠) •

وفى الاحكام السلطانية يبين لنا الماوردى أن القائلين بالتفضيل هم : ابو حنيفة وفقهاء العراق ، وأن القائلين بالتسوية هم : الشافعية ومالك فقال : « ولما أستقر ترتيب الناس فى الداووين على قدر النسب المتصـــل برسول الله ﷺ فضل بينهم فى العطاء على قدر السابقة فى الاسلام والقربى من رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضى الله عنه يرى التسوية بينهم فى العطاء ولا يرى التفضيل بالسابقة ، كذلك كان رأى على رضى الله عنه فى خلافته وبه أخذ الشافعى ومالك •

وكان رأى عمر رضى الله عنه التفضيل بالسابقة فى الاسلام ، وكذلك كان رأى عثمان رضى الله عنه من بعده ، وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق •

ولما ناظر عمر أبا بكر حين سوى بين الناس : فقال : أتسوى بيـــن دنها جر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وبين من أسلم عام الفتح خـــوف السيـــف •

فقال أبو بكر رضى الله عنه « انما عملوا لله ، وانما أجورهم علـــى الله ، وانما الدنيا بلاغ » (١١) •

يتضح لنا من هذا العرض أن رأى صاحب النصيحة أن الفـــىء لا يخمس ، كما يرى التفضيل فى الاعطاء ، وهو يخالف رأى الماوردى بـــأن الفىء يخمس وأن الاعطاء بالتسويـــة •

---

(١٠) الاقنـــاع ١٧٩ •

(١١) الاحـــكام التســـلطانية ٢٠٠ ، ٢٠١ •

المطلب الرابع

حد السكر

يرى صاحب كتاب النصيحة أن حد السكر هو ثمانين جلدة فقال :

« وأجمعت الامة على جلد السكران بثمانين » (١) .

وهذا يناقض ما هو ثابت عن الماوردى .

قال فى الاقناع « ومن شرب خمرا أو نبيذا مسكراً حد أربعين بالثياب والايدى ، وحثى على رأسه التراب وبكت .

فان رأى الامام أن يبلغ بحده ثمانين اذا تهافت فيه فعل » (٢) .

فرأى الماوردى أن الحد هو أربعين وان للامام ان يصل به تعريزا الى ثمانين .

وأكد ذلك فى الاحكام السلطانية فقال : (والحد أن يجلد أربعين بالايدى وأطراف الثياب ويبكت بالقول الممض والكلام المراد للخبر المأثور فيه .. ويجوز أن يتجاوز الأربعين اذا لم يرتدع بها الى ثمانين جلدة فان عمر رضى الله عنه حد شارب الخمر أربعين الى أن رأى تهافت الناس فشاور الصحابة فيه ، وقال : أرى الناس قد تهافتوا فى شرب الخمر فماذا ترون ؟ فقال على ــ رضى الله عنه ــ أرى أن تحده ثمانين لانه اذا شرب الخمر سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى فحده ثمانين حد الفرية ، فجلد فيه عمر بقية أيامه والائمة من بعده ثمانين فقال على ــ رضى الله عنه ــ ما أحد أقيم عليه الحد فيموت فأجد

---

(١) ق ٧٧ / ١ ، النص المحقق ص ٣٢١ .

(٢) الاقناع ص ٧٠ .

فى نفسى منه شيئا ألحق قتله الا شارب الخمر فانه شىء رأيناه بعـــد رسول الله ﷺ فان حد شارب الخمر أربعين فمات منها كانت نفسه هدرا ، وان حد ثمانين فمات ضمنت نفســه » (٣) •

ويتضح من هذا القول أن حد السكر عند الماوردى أربعين جلـــدة ويجوز زيادته الى ثمانين من باب السياسة الشرعية •

وفى كتاب الحاوى بيان كاف وشاف ووافٍ لهذه المسألة ، فهو يعرض للاراء المختلفة ثم ينتصر لرأى الشافعى قال : « قد أختلف الفقهـــاء فى مقدار حد الخمر :

فذهب الشافعى الى أن حد الخمر أربعين لا يجوز أن ينقص منهـــا ، وما زاد عليها الى ثمانين تعزير يقف على اجتهاد الامام لا يزيد عليهـــا ويجوز أن ينقص عنهـــا •

وقال مالك وأبو حنيفة وسفيان الثورى : حد الخمر ثمانون كالقذف لا تجوز الزيادة عليها ولا النقصان منها استدلالا برواية شعبة عن قتادة أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحـــو الاربعين وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر استشار الناس ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : أخف الحدود ثمانون فأخذ بها عمر فصار اجتهاد الصحابة موافقا لفعل الرسول لان الاربعين بالجريدتين ثمانون » •

ورد الماوردى هـذا الرأى وقـــال :

دليلنا قول الشافعى أخبرنا الثقة عن معمر عن الزهرى عـــن عبـــد الرحمن بن أزهر قال : (أتى النبى ﷺ بشارب • فقال : أضربوه ، فضربوه

---

(٣) الاحكام السلطانية ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ •

بالايدى والنعال وأطراف الثياب وحثوا عليه التراب ثم قال : بكتوه ،ثـــم أرسلـــه) •

وما رواه حصين بن المنذر ، أبو ساسان ، أن الرقاشى قال : (شهدت عثمان بن عفان وقد أتى بالوليد بن عقبة ، فشهد عليه حمران بن أبـــان (مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه) ورجل آخر ، شهد أحدهما أنه شرب الخمر ، وشهد الاخر : أنه تقيأها فقال للعلى : أقم عليه الحد فقال « على » للحسن : أقم عليه الحد فقال الحسن : ول حارها من تولى قارها (أى ولى صعبها من تولى سهلها) فقال « على » لعبد الله بن جعفر أقم عليه الحد ، فجلد عبد الله بالسوط وعلى يعد ، فلما بلغ الاربعين قال عثمان حسبك :

جلد رسول الله ﷺ أربعين جلدة ، وجلد أبو بكر أربعين جلدة ، وجلد عمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب الـــى » •

قال الماوردى : هذا نص من وجهتين :

أحدهما : ما أخبر عن رسول الله ﷺ من اقتصاره على الاربعيـــن

والثانى : أخبار بأن كل من العددين سنة يعمل بها ويصح التخيير فيهـــا •

وقال فى أدلة الحنفية ومن تابعهم :

لو كان فى حد الخمر نص ما أجتهد فيه ولعملوا فيه على النقل وتحمل الرواية بجريدتين ونعلين ، على أن أحدهما بعد الاخرى لان الأولـــى تقطعت فأخذ بالثانيـــة •

وأن قياسهم على القذف مردود ، لان السبب يوجب الحد ، فوجب أن يختص بعدد لا يشاركه فيه ، كالزنا والقذف فان قيل : وجب أن لا يقدر بأربعين كالزنا والقذف فالرد : الحدود موضوعة على الاختلاف فى المقدار

لاختلافها فى الاسباب فجاز لنا اعتبار بعضها ببعض فى التفاضل ولم يجز لهم اعتبار بعضها ببعض فى التماثـــل •

ولان الحدود تترتب بحسب إختلاف الإجرام ، فما كان جرمه أغلظ كان الحد فيه أكثر ، لان الزنا لما غلظ جرمه بالاشتراك فيـــه غلظ حـــده ، والقذف لما أختص بالتعدى الى واحد كان أخف من الزنا ، والخمـــر لما اختص بواحد لم يتعد عنه ، ووجب أن يكون أخف من القذف (٤) •

ويتبين لنا من هذا العرض أن رأى صاحب النصيحة فى حد السكـــر يخالف رأى الماوردى فى كتبه الفقهية ، اذ يرى صاحب النصيحة أن الحـــد ثمانين باجماع الامة بينما يرى الماوردى أن الحد أربعين ويجوز زيادتـــه الى ثمانين تعزيـــرا •

---

(٤) كتاب الحدود من الحـــاوى تحقيـــق ودراســـة ابراهيم صـــندقجى جـ ٣ : ١١٣٠ــ١١٣٦ •

المطلب الخامس

قدر نصاب القطع فى السرقة

يرى صاحب النصيحة : أن السرقة لا يقطع فيها حتى يشهدوا أنه سرق ما تبلغ قيمته عشرة دراهم من حرز [١] .

فقدر النصاب لديه عشرة دراهم ، وهذا يخالف ما هو ثابت عند الماوردى فى كتبه الفقهية جميعا .

قال فى الاقناع : « ومن سرف ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار من غالب النقود الجيدة من حرز مثله ولم يكن له شبهة فى الحرز ولا فى المال ولا فى المالك قطعت يده اليمنى من الزند وحسمت بالدهن الحار » [٢] .

فنصاب السرقة الموجب للقطع لدى الماوردى هو ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار .

وقد أكد الماوردى ذلك مع بيان اختلاف الفقهاء فى كتابه الاحكام السلطانية فقال : « واختلف الفقهاء فى قدر النصاب الذى تقطع فيه اليد .

فذهب الشافعى الى أنه مقدر بما تبلغ قيمته ربع دينار فصاعدا من غالب الدنانير الجيدة .

وقال أبو حنيفة : وهو مقدر بعشرة دراهم أو دينار ولا يقطع فى أقل منه ...

وقدره مالك بثلاثة دراهم ... » [٣]

---

(١) نصيحة الملوك ق ٢/٧٧ وانظر النص الملحق ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٢) الاقناع ص ٦٧ .

(٣) احكام السلطانية ص ٦٠ .

ويتضح من ذلك أن القائلين بان قدر نصاب القطع فى السرقة عشرة دراهم هو رأى فقهاء الحنفيـــة •

وقد عرض الماوردى ــ فى الحاوى ــ رأى أبى حنيفة مبينا وجـــه الخلاف مع الشافعى ثم رد رأى الاحناف فقال : قال أبو حنيفة وأصحابه : يقطع فى عشرة دراهم فصاعدا وان سرق من غيرها قـــوم بهـــا • فصار مخالفا للشافعى من وجهين :

أحدهما : فى القـــدر

والثانى : فى جنس ما يقـــع بـــه التقويم •

استدلالا برواية زفر بن الهذيل عن الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « لا قطـــع الا فى عشرة دراهـــم » •

وروى مجاهد وعطاء عن أيمن عن النبى ﷺ أنه قال « ادنى ما يقطع فيه السارق ثمن المجن ــ وكان يقوم دينـــارا » •

ورد الماوردى على ذلـــك فقـــال :

ودليلنا عموم قول الله سبحانه وتعالى (والســـارق والســـارقة فاقطعوا أيديهما) (المائدة : من الاية ٣٨) • الا ما خصه الدليل والاجماع

وروى عن الشافعى ، وعن سفيان ، وعن الزهرى ، وعن عائشـــة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « القطع فى ربع دينار فصاعـــدا » •

وروى عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعـــدا » وهذا أوكد ، لانها اضافـــة الـــى سماعهـــا •

وروى عن الشعبى عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ انه قـــال :

« قطع فى مجن قيمته خمسة دراهم » .

وروى ابن عمر ان النبى ﷺ قطع سارقا سرق من صفة النساء (أى الموضع المختص بهن فى المسجد) ترسا قيمته ثلاثة دراهم (٣) .

يتضح لنا من هذا العرض أن رأى الماوردى فى قدر نصاب السرقـــة الواجب فيه القطع هو ربع دينار أو ما قيمته ربع دينار فصاعدا بينما رأى صاحب « نصيحة الملوك » أن قدر النصاب فى السرقة هو عشرة دراهم أى دينار ، وهو رأى أبى حنيفة وأصحابـــــه .

---

(٣) كتاب الحدود من الحاوى جـ٢ ص ٤٥٥ وما بعدها .

لمن نصيحة الملوك ؟

لا نستطيع أن نجزم باسم صاحب كتاب « نصيحة الملوك » ويبدو لنا من دراسة وتحقيق الكتاب أنه من وراة الحديث ،فقد ذكر أكثر من خمسة أحاديث بلفظ روينا [١] .

كما أن صاحبه يحاول الجمع بين الشريعة والفلسفة ومن أقواله « الاقتداء بالله فى أفعاله ... وهو مع ذلك حد من حدود الفلسفة ومعنى من معانى الحكمة » [٢] .

ويبجل علماء الكلام ويراهم الذابين عن أصول الدين [٣] ويستند الى علماء المعتزلة كعمرو بن عبيد ، والجاحظ [٤] . كما أن صاحب النصيحة حنفى المذهب — فى الغالب — كما هو ثابت من الاحكام الفقهية التى أوردها فى كتابه .

وان الاحداث والوقائع التاريخية الواردة فى الكتاب تقف تقريبا عند منتصف القرن الرابع الهجرى .

كما أن صاحب النصيحة قد عرض للدولة السامانية فى خراسان ووصف الامير الماضى وصف معاصر له بأن قال « كان من ابناء الدنيا » [٥]

فصاحب « نصيحة الملوك » من رواة الحديث ، يقول الشعر ويميل الى المتكلمين ، ومن المنتمين الى المذهب الحنفى غالبا ، عاصر الدولة السامانية أو كان قريبا منها .

---

(١) انظر ق ٢/أ ، ٥٩/أ ، ٩١/أ ، وانظر النص المحقق ص ٤٣، ٢٦٢ .
(٢) انظر نصيحة الملوك ق ٣٥/ب ، وانظر ص ١٧٠ .
(٣) النصيحة ق ١٥/ب ، وانظر ص ٩٣ .
(٤) النصيحة ق ٤٢/ب ، وانظر ص ١٩٩ .
(٥) نفس المصدر ق ١٩/ب ، وانظر ص ١٠٧ .

وبتتبع كتب التراث السياسى فى القرن الرابع والخامس وبتطبيـــق هذه المعالم عليها يبدو لنا أن « نصيحة الملوك » لاحمد بن سهل ، وكنيته أبو زيد البلخى ، لانه من أهل بلخ فيها ولد ، وبها مات ســـنة ٣٢٢ هـ عن سبع وثمانين سنة ، وكان بارزا فى كل فن وان كان قليل الشعر ، وله كتاب « السياسة الكبير » « والسياسة الصغير » وأدب السـلطان والرعيـــة ، وسلك فى مصنفاته طريقة الفلاسفة الا أنه كان بأهل الادب أشبه ، وكان على صلة بوزير نصر بن أحمد السامانى ، وكان أبو زيد البلخى محـــدثا ، وذكر فى مجلس البزار (محدث بلخ ومفتيها فى عصره) فأثنى على عقيدته، وقرر أن كتبه على كثرتها لا تتضمن خروجا على العقيدة على الرغـــم أنه معدود من الفلاسفة[٦] ، ويذكر فى طبقات فقهاء الحنفية[٧] •

منهـــــج التحقيـــق

قمنا بتخريج الايات القرآنية والاحاديث النبوية وتوضيح الغامض والغريب من الالفاظ اللغوية كما حاولنا أن نبرز أوجه الاختـــلاف مـــــع الماوردى مـــن خلال شواهد الكتـــاب •

وقمنا بوضع عناوين فى كل باب وفصل تعاون على جمع أفكار الكتاب•

كما قمنا باعداد فهارس شاملة للكتاب تيسيرا للرجوع اليه والانتفاع الكامل به •

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يكون علما نافعا وعملا متقبلا •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العـــالمين •

---

(٦) معجم الادباء ١٤١:١ ــ ١٥٢ ، والوافى بالوفيات ٤٠٩:٦ــ٤١٣ •

(٧) الطبقات السنية فى تراجم الحنفية ، لعبـــد القـــادر التيمى المصرى (المتوفى ١٠٠٥ هـ) تحقيق د . عبد لفتاح الحلو ، دار الرفاعـــى ، الرياض ١ : ٣٥٩ •

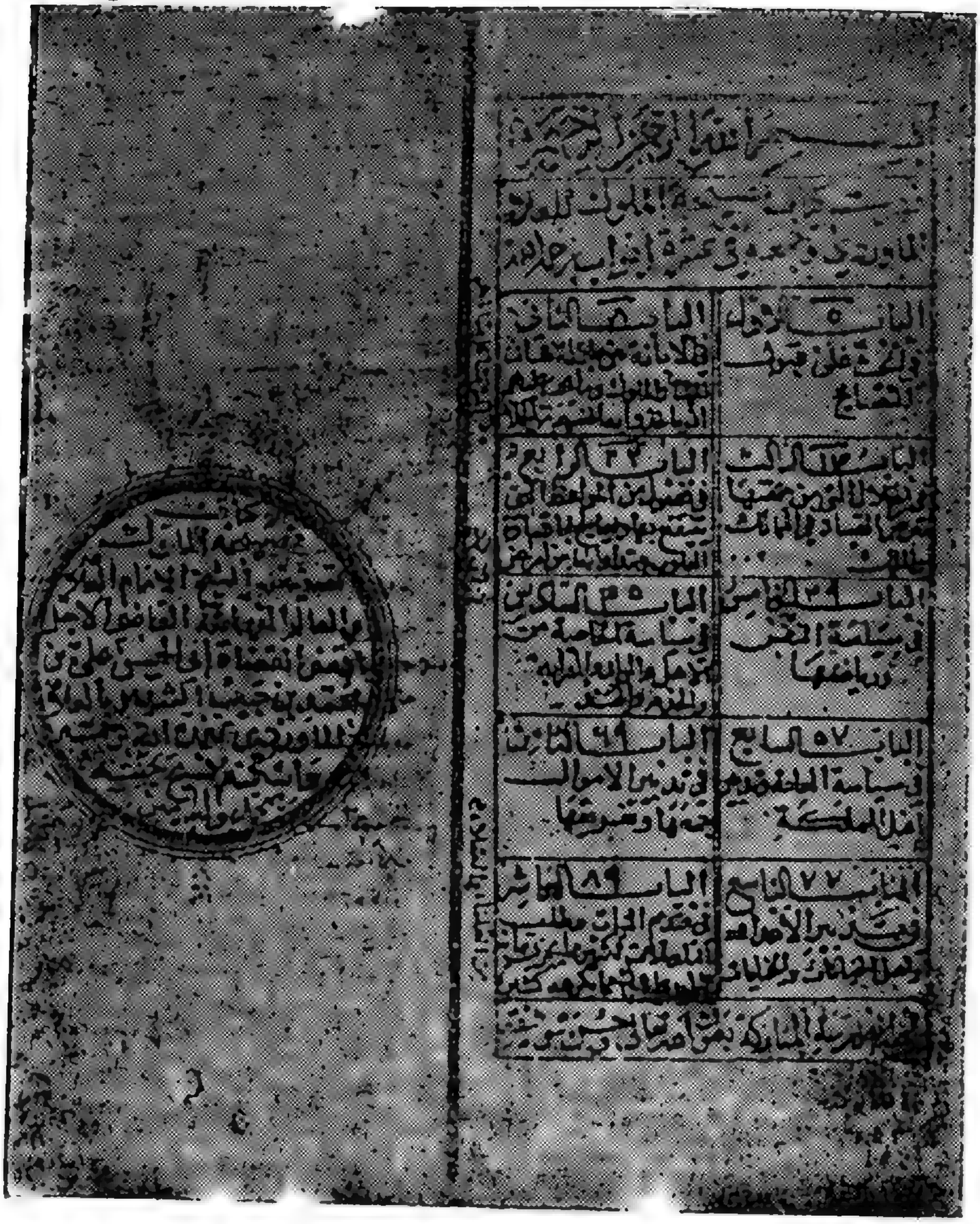

نصيحة الملوك

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بحمد الله نفتتح ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين على كل مقصود ، وإياه نسأل التوفيق والتسديد .

ونقول : إن مما حملنا على تأليف هذا الكتاب بعد ما علمنا من حث الله — جل ذكره — العقلاء من عباده على طلب الأجر ، وركب فى طبائع الفضلاء من المحبة لبقاء الذكر ، قول الله — جل وعز — : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)[1] . وقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) [2] .

ثم ما روينا عن نبينا ﷺ أنه قال : « من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » [3] .

ثم ما روينا عنه أنه قال : « إنما الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولائمة المسلمين وجماعتهم » [4] .

---

(١) ٣/ آل عمران : مدنية / ١٨٧ .
(٢) ٢ / البقرة : مدنية / ١٥٩ .
(٣) المستدرك على الصحيحين ١٠١:١ ، سنن ابى داود ٣٢١:٣ ، سنن الترمذى ٣٢٤:٤ ، سنن ابن ماجه ٩٨:١ ، مسند الامام أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاكر ٥:١٤ رقم ٧٥٦١ .
(٤) المعجم الكبير للطبرانى ٥٣:٢ .

وروى عن جرير بن عبد الله (٥) ، قال : « بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم » (٦) .

فالملوك أولى الناس بأن تهدى اليهم النصائح ، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ إذ كان فى صلاحهم صلاح الرعية وفى فسادهم فساد البرية ولذلك ما كان الملوك الاولون يقولون : صلاح الوالى خير من خصب الزمان (٧) .

وقالوا : من غش الإمام فقد غش العامة وإن ظن أنه للعامة مناصح (٨) وكانوا يقولون : لم ينصح عملا من غش عامله (٩) .

وقال جليل من الحكماء : يجب من حق الله تبارك وتعالى على المرء : التوحيد والطاعة ، ومن حق السلطان : الود والنصيحة .

وكان يقال : من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه ، فقد خان (٢ / ب) نفسه (١٠) .

---

(٥) هو جرير بن عبد الله بن جابر ، صحابى جليل ، أسلم فى السنة التى قبض فيها النبى ﷺ ، وقد وجهه النبى الى ذى الخلصة (بيت فيه صنم لخثعم) ليهدمها ، ومات جرير سنة احدى وخمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين . الطبقات الكبرى ٢٢:٦ ، الاستيعاب ٣٣٧:١ ، أسد الغابة ٣٣٤:١ ، تهذيب التهذيب ٧٤:٢ .

(٦) سنن النسائى ١٤٧:٧ .

(٧) عهد أردشير تحقيق الدكتور احسان عباس ٥٣ .

(٨) نفس المصدر ٧٥ .

(٩) نفس المرجع ٧٥ .

(١٠) العقد الفريد ٧:١ ، نهاية الارب ١٠:٦ ، كليلة ودمنه ٧٥ .

قالوا : وكان كسرى أبرويز[١١] يقول : من لم يصلح لملكه مع تعلــق ضره ونفعه به لم يصلح لنفسه ، ومن لم يصلح لنفسه فلا خير فيه[١٢] .

ففي نصيحة السلطان نصيحة الكافة ، وفى نصيحة الكافة هداية الى مصلحة العالم بأسره ، ونظام أمور الكل بجملته ، وعلى حسب ذلك يرجــو باذلها من ثواب العاجل والآجل وجزاء المحيا والممات . ولهذا ما جرت العادة فى الأنبياء أن يبعثهم الله الى ملوك الأمم أو الى جماعتهم دون الواحد بعد الواحد من أفراد رعاياهم ، لان شخص الملك وحده يفي بجميع من فى ضمن مملكته وتحت سياسته ، ولأن الراعى اذا مال الى مذهب مالت اليه الرعية، والملك اذا زهد فى سيرة زهدت فيها العامة ، وعلى هذا جرى أمــر أكثــر المتنبئين[١٣] الذين راموا فساد الدنيا والدين فكتبنا كتابنا هذا نصيحــة للملوك واظهارا لمحبتهم ، وإشفاقا على أنفسهم ورعاياهم ، ورجونا أن من وقع اليه كتابنا هذا بما فيه من صادق النصيحة وبليغ الموعظة ، وأعطاه من عنايته حظه بالنظر فيه ، والتدبر له ، والاصغاء اليه ، علم أنا من أعظــم أوليائه له نصيحة ، وأبلغ خدمه وأعوانه له معونة ، لأنها نصيحة من قبلها وعمل بها من الملوك والساسة وصل الله ملكه الأمدى بالأبدى فى دار القرار ومحل الابرار فى ملك لا يبلى ونعيم لا يفنى ، ولذة لا يشوبها ألم ، وسرور

---

(١١) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، عامــل رعيته بالعنف ، وقتل قتلة أبيه ، وأمسك عن الانفاق ، وغزا الشام وبلغ مصر ، وحاصر ملك الروم بقسطنطينية ، وطالت مدته حتى ضجر الناس فخلعوه بعــد ثمــان وثلاثين سنة من ملكه ، وسمات عيناه ، وقتله ابنه شيرويه . المعــارف لابن قتيبة ٦٦٥ .

(١٢) أخلاق الملوك للجاحظ تحقيق العطوى ١٠٠ .

(١٣) المتنبئون : أدعياء النبوة . تاج العروس ١ : ١٢٢ .

لا يكدره غم ، وفرح لا يخالطه حزن ، وغنى لا يغشى بعده فقرا ، وصحة لا يخاف معها سقما ، ينال فيه غاية المنن [١٤] . وكنة المشتهى ، ثم كفاه كثيرا من الجنود والاعوان والقواد والفرسان ، ووقاه كثيرا من معـــرات [١٥] الاعداء ، ومكائد أهل البغضاء ، وكثر له من الاولياء ، وأطلق فيه ، ولـــه ، ألسنة الثناء والدعاء المحروض عليه[١٦] والمرغوب فيه .

ثم جعل مملكته عامرة ، وأيامه غضـــة ناضرة ، وخواصه راضيـــة ، ورعياه منقادة ساكنة ، وبلاده هادئة ، وسبلها آمنة ، وأمواله داره ، وأعداؤه مقهورة مقموعة ، وعزه فى حياته ناميا ، وذكره بعده باقيا ، ثم أزاح (٣/أ) عنه فضول الاشغال ، وطرح عنه فوادح الاثقال ، فان أخطأه فى دنياه حظ يتمناه ، وفاته بعض ما يهواه ، عوضه الله عنه ما هو أجل قدرا ، وأعظـــم خطرا ، وأوفى وأهنى وأكثر وأسنى ، وعدا من الله حقا ، وقولا صدقـــا ، والله لا يخلف الميعاد .

على أن لا ننفرد فى كتابنا بآرائنا ، ولا نعتمد فى شىء نقوله على هوانا دون أن نحتج لما نقوله فيه ونذكره بقول الله ــ جل وعز ــ المنزل فى كتابه وأقاويل رسوله ﷺ المروية فى سننه وآثاره ، ثم سير الملوك الاولين والائمة الماضين والخلفاء الراشدين ، والحكماء المتقدمين فى الامم الخالية والايام الماضية ، اذ كان هؤلاء أولى بالتقليد فيما قالوا ، والاتباع فيما نسبـــوا والاقتداء بهم فيما مثلوا .

---

(١٤) هكذا فى الاصل ، والاصوب : غاية المنى .
(١٥) المعرات : ما يصيب الانسان من مكايد الاعداء .
(١٦) هكذا فى الاصل ، والاصوب : المحرض عليه .

ورأينا أن نجمع ما قصدنا جمعه من ذلك فى عشرة أبواب :

الباب الاول : فى الحث على قبول النصائح .

الباب الثانى : فى الإبانة عن جلالة شأن الملك والملوك ، وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من الخلال التى تشاكل منازلهم وتضاهى مراتبهم .

الباب الثالث : فى الخلال التى من جهتها يعرض الفساد فى الممالك والملك .

الباب الرابع : فى فصول من المواعظ التى ينتفع بها ، ويعالج بها قساوة القلوب ويتداوى بها من أمراض الأهواء وأسقام الشهوات .

الباب الخامس : فى سياسة النفس ورياضتها .

الباب السادس : فى سياسة الخاصة من الاهل والولد والقرابة والخدم والجند .

الباب السابع : (٣ / ب) فى سياسة العامة وتدبير أهل المملكة .

الباب الثامن : فى تدبير الاموال ، جمعها وتفريقها .

الباب التاسع : فى تدبير الاعداء .

الباب العاشر : فى تقديم النيات وطلب التأويلات لكثير مما يجرى بيانه على أيدى الملوك ، مما يكرهه كثير من العلماء والعقلاء .

البـــاب الاول

الحـــث على قبول النصائـــح

واذ قد ذكرنا ما يجب على أهل العلم ، والعقل ، والديانة ، والفضل ، الذين يوصون على أنفسهم ، وأمر الله ، وفرائضه ، وأحكامه ، ومواجبـــه من نصيحة الملوك والائمة وبينا أن ذلك مما يجمع نصيحة الكافة ، ويستصلح بها (١) الخاصة والعامـــة ، وأوضحنـــا أن اللـــه بعث أنبيـــاءه ، وأمـــر بها (٢) أولياءه ، وحث عليه علماء بريته ، وحكماء خليفتـــه فائتمروا بـــه ، وانتهوا اليه ، وقدمنا أن أحق من يهدى اليه النصائح ، ويتخول بالمـــواعظ الملوك ، بأن به أنهم أحق الناس بقبول النصيحة ، وسماع الموعظة لخـــلال عـــدة :

[علل نصـــح الملوك] :

أولها : أن يترفعوا به عـــن مشاكلة أهـــل الغباوة والجهالة ، وسوء النشوء والعادة ، الذين لا يميزون بين منافعهم ومضارهم ، ولا يفرقـــون بين محامدهم ومذامهم ، وعن مرتبة من يستحوذ عليه شهواته ، ويغلـــب عليه هواه حتى يرين (٣) على قلبه (٤ / أ) ويكون من الذيـــن لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، وان ذلك مما يجب على ذوى الهمم البعيدة ، والانفس الابية أن يترفع ويسمو بهمته عنه .

(١ ، ٢) هكذا بالاصل والاصح (به) فتنبه .

(٣) يرين : اي يصير كصدأ على جلاء قلوبهم فيعمى عليهم معرفة الخير من الشر . تاج العروس ج ٩ ص ٢٢٣ .

والثانية : أن يرغبوا فى نتائج النصائح ، فان النصيحة هداية الى سبل الرشاد ، وتبليغ الى نيل السداد ، وذلك مما يحمد عاجلته وآجلته ، وأولاه وآخرتـــه •

والثالثة : أنهم أكثر الناس أشغالا ، وأعظمهم أثقالا ، وأبعدهم عـــن ممارسة أمورهم بأنفسهم ، ومشاهدة أقاصى أعمالهم بأعينهم ، وليس كل مستعان به يعين ، ولا كل وال يستقل بما يلى •

والرابعة : أنهم أبعد الناس من مجالسة العلماء ، وحضـــور مجالس الزهاد والواعظين والفقهاء ، الذين بهم تشحذ العقول ، وتبصر العيون ، ويذكر بالغبن،(٤) فهم عنه محجوبون،وعن مفاوضتهم ممنوعون مشغولون•

والخامسة : أنهم أبعد الناس من الاتعاظ بالموعظة ، والانقياد للتذكرة والقبول للنصيحة اذا خالف أهواءهم ، لأنهم أو عامتهم يغزوهم(٥) العـــز والثروة ، والامن ، والمقدرة ، والجرأة ، والمتعة ، والسرور ، واللذة • وهذه كلها خلال تؤدى الى قساوة القلوب والانفة من تعلم العلوم ، وان كان فيها نجاحهم ، والاستنكاف من الاتعاظ ، وان كان فيه صلاحهم •

والسادسة : أنهم أقل الناس حظا من النصحـــاء المحضين ، والأوداء المشفقين ، لأن أكثر من يحتوشهم(٦) من وزرائهم وأعـــوانهم وندمائهم لا يكلمونهم إلا بما يوافق أهواءهم ، ولا يستقبلونهم إلا بما يطابق آراءهم

---

(٤) فى الاصل بالغين ولا يستقيم بها المعنى .
(٥) يغزوهم : يدخلهم ويتغلغل فيهم .
(٦) يحتوشهم : بمعنى من يحيطون بهم ويجعلونهم وســـطهم . المعجم الوسيط جـ١ ص ٢٠٦ .

مخافة على مهجهم ، وتحصـــينا لدمائهم ، واستدرارا لمطامعهم ، وضـــنا بمراتبهم ، ولان أكثر من يلزم سددهم ، ويحضر أبوابهـــم ، ويتصرف فى خدمتهم طلاب الدنيا ، وبائعو حطامها ، يميلون معها اذا مالت ، ويزلون بها اذا زالت ، وليس من حق النصيحة متابعة الهوى ، ولا من خاصة الحـــق موافقة الشهوات،وكيف يكون كذلك والله ــ جل وعز ــ يقول:(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) (٧) ويقول الرسول ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل » (٨) • وكانوا يقولـــون : « آفة الرأى الهوى » (٤ / ب) وقالوا : « انما سمى الهوى هوى لانـــه يهوى بصاحبه فى المهالك » (٩) • وقال بعض العلماء المتقدمين : « وعلـــى العاقل أن يعلم أن الرأى والهوى متعاديان ، وأن من شأن الناس تسويف الرأى وانسياق الهوى ، فيخالف ذلك ، ويلتمس أن لا يزال(١٠) هواه مسوفا ورأيه مسعفا » • ولهذه العلل ما لا يعدم الملوك من ينصحها ، ويستقصى لها فى أبواب الدخل والخرج ، والتفريق والجبايات والنفقات ومن يدلهـــا على عاجل مرافقها ، وينصح لها فى مكايدة أعدائها ، ومنابذة مخالفيها ، وقل من يجد من ينصحها فى دينها ، ويبصرها مذام أمورها ومحامدها ، ويذكرها بعاقبتها ، وينهى اليها أخبار ضعاف الرعية ، وسوء أدب الخاصة والحاشية، وظلم ذوى الجاه والمقدرة لذى الخمول والضعة ، ولهذه العلة ما وضـــع

---

(٧) ٢٣ المؤمنون : مكية الآية ٧١ .

(٨) حديث ضعيف جدا ، أخرجه ابن عدى فى الكامل عن جابر . ضعيف الجامع الصغير جـ١ ص ١١٥ .

(٩) النص لدى الماوردى : أدب الدنيا والدين وينسب الى الشعبى ص٩٣

(١٠) هكذا بالاصل ، والاصح : الا يزال ، بحذف النون .

كثير من غش الوزراء فى أمر الملك ، أن الملك لا ينبغى أن يكون كاتبا لأن الكتابة صناعة ، ولا أن يكون حاسبا لان الحساب مهنة . حتى قالوا : لا يجب أن ينظر فى العلم والفقه ، ويبحث عن اختلافات الناس ليعرف الخطأ من الصواب من مذاهب الملة ، فان ذلك مما ينفرعنه العامة ، ويفرق عليه قلوب الرعية ، وحتى قالوا : لا يجب أن يكون الملك بطلا مقاتلا ، فإن ذلك من أعمال الاساورة (١١) ، وان الملك اذا ألجىء الى القتال بنفسه فقد هلك وأنه ما دام له جند فليس له أن يخاطر بنفسه ، ولانه ما دام باقيا لا يعوزه من يقاتل عنه ، ويبذل مهجته دونه ، واذا ذهبت نفسه لا يغنى عنه جمعه ولا ينفع بجيشه ، فى أمور كثيرة من مثل هذا ، اذا فكر فيها العاقل ، ونظر فيها المميز ، علم أنها من وضع الغاشين من الوزراء والاعوان الذين لسم يألوا أن يخلو الملك من كل فضيلة ، ويعرى عن كل منقبة ومعرفة حتى يكون كالاسير المكبول ، والذليل المقهور فى أيديهم ، يفعلون بأملاكه وأملاك رعيته ما شاءوا ، ويديرون فى المملكة ما أرادوا ، ويبدعون فى الملة من الاهواء المضلة والاحكام الجائرة ما رأوا ، ولم يتبعلوا سير الملوك الحزمة ، والسياسة الكملة ، كانوا على وجه الزمان ثم نظروا الى من برز منهم بالفضل وحاز (٥ / أ) قصب السبق ، علم أنهم لم يبلغوا غاياتهم ، ولم يدركوا نهاياتهم ، (ولم يدركوا) (١٢) الا بفضل العقل والتمييز والحكمة والتدبير ثم باليقظة الدائمة ، والعناية الشديدة ، والرياضة الكثيرة ، حتى فاقوا

---

(١١) الاساورة : للرماة الحاذقين والاصل اساورة الفرس : قوادها وكانوا رماة الحدق . أساس البلاغة ص ٤٦١ .

(١٢) كذا في الاصل والمعنى يستقيم بدونها .

أقرانهم وراقوا[١٣] أكفـــاءهم فى الملك ، ومضت أيامهم حميدة ، وبقيت آثارهم عتيدة . وسنذكر فى مواضعه من الكتاب ما يحضر من بالغ حكمهم ، ومحاسن آثارهم ، ونافع مواعظهم ، ما يكون على ما ذكرناه شاهدا ، وعلى ما سطرناه دليلا ، بعون الله وحوله .

[تقـــريب الملوك لنصحائهم] :

وقد كان من الملوك الحزمة والخلفاء والائمة كثير ممن خالـــف هذه السيرة ، وتنكب هذه الطريقة ، فكان أحب الناس اليهم أصدقهم عن عيوبهم وأقربهم منهم أنصحهم لهـــم ، وأجلهم عندهم من نبههم علـــى عيوبهم ، وبصرهم بذنوبهم ، يتواصون باجتنـــاء النصائح ، وقبـــول المواعـــظ ، ويشترطون فى عهودهم معرفة النصح من الغش ، والناصح مـــن الغاش ، وممن يجب أن يقبل ، وكيف يجب فيها أن يعمل .

وقد كان من آثار ملوك العجم وما أحيى من آرائهم ، ووصفوه فى كتب لبنيهم[١٤] أن قالوا : « أخلق الناس بالتورط والندم أعطاهم للنصحاء » وقالوا : « اتخذ من علمائك ونصحائك مرآة لطباعك وفعالك ، كما تتخـــذ للصورة وجهك الحديد المجلو ، فانك الى صلاح طباعك وأفعالك أحوج منك الى تحسين صورتك ، والعالم الناصح أصدق وأعوز من الحديد المجلو »[١٥]

وجمع ذلك النبى ﷺ فى قوله : « المؤمن مرآة أخيه المؤمن »[١٦] .

---

(١٣) راق عليه : اى زاد عليه فضلا ـــ تاج العروس ج٦ ص ٣٦٣ .

(١٤) غير واضحة فى الاصـــل .

(١٥) مختار الحكم ٣٣٥ ، سراج الملوك ٧٣ ، ومـــع اختـــلاف يسير فى المصباح ١:٢٥٧ .

(١٦) صحيح ، أخرجه البخارى فى الادب المفـــرد ٢٣٩ ، والطبرانى فى مكارم الاخلاق ٩٢ ، والقضاعى فى مسند الشهاب ١:١٠٥ ، ١٠٦ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى ٢:٦٣٢ .

[من نصائح الحكام والحكماء]

وقد قال أردشير (١٧) فى عهده الجليل الخطر ، العظيم القدر ، الذى جعله دستور الملك : « وفى الرعية ضرب أتوا الملوك من أبواب النصائح ، والتمسوا اصلاح منازلهم بافساد منازل الناس ، فأولئك اعداء الناس واعداء الملوك ومن عادى الملك وجميع الرعية فقد عادى نفسه »(١٨) .

وقال فى فصل آخر : « وفى الرعية ضرب آخر تركوا الملوك من قبل أبوابهم وأتوهم من قبل وزرائهم ، فليعلم الملك أنه من أتاه من قبل بابه فقد آثره بنصيحته إن كانت عنده ، ومن أتاه من قبل وزرائه فهو مؤثر للوزير على الملك كل ذلك ضنا بالنصيحة وحثا للناس عليها »(١٩) .

وقال سابور بن أردشير (٢٠) فى عهده لابنه : (٥/ب) « واحذر أن تكون معروفا عند وزرائك بالسرور بالمتابعة لك على هواك أو أن يظهر لك إيثار لمن فعل ذلك منهم ، وتفضيل له على من سواه ، فيلتمسوا الحظوة لموافقتك على ما فيه ضياع عملك وهلاك رعيتك ، فان ذلك من أشد الأمور مخوفا لنصائح الاعوان ، وأكثرها ضررا على الملوك ، وانما جل حاجة الملك الى وزرائه ليبصروهم ما عسى أن يخفى عليهم ، والاستماع بمشوراتهم

---

(١٧) هواردشير بن بابك ، أول ملوك الفرس الساسانية ، وازال ملوك الطوائف ، وكان ملكه أربع عشرة سنة وستة اشهر . المعارف ٦٥٣ ، العبر ١ : ٢٥٣ .

(١٨) عهد اردشير ٧٧ .

(١٩) نفس المصدر ٧٥ .

(٢٠) هو ثانى ملوك الفرس الساسانية ، ودام ملكه احدى وثلاثين سنة وستة اشهر . المعارف ٦٥٤ .

وآرائهم ، فاذا كان الرأى معطلا مرفوضا ، وهوى الملك مقتدى به متبوعا فأهون بمنفعتهم ، وأقلل بغنائهم » .

قال : « وقد كان بلغنا ممن مضى من الملوك أشد التوقى لذلك ، وأبلغ النهى عنه حتى لربما أظهر بعضهم لوزرائه الهوى فى الامر الذى يعرف خطأه وصوره ارادة امتحانهم ، وتكشيف نصحائهم فمن وافقه منهم اجتنى[٢١] ذلك فيه ، وعاقبه عليه بالتجهم والجبة [٢٢] ، ومن أبى الا لزوم الصواب حفظ ذلك له وأثابه عليه » .

قال بعض الحكماء : لا يمنعنك صغر شأن أمرىء من اجتباء [٢٣] ما رأيت من رأيه صوابا والاصطفاء لما رأيت من أخلاقه كريما ، ولا تحقرن الرأى الجليل ان أتاك به الرجل الحقير ، فان اللؤلؤة النفيسة لا يستهان بها لهوان غائصها الذى استخرجها .

وقال أرسطاطاليس [٢٤] : استعن بمن نصح لمن يقدمك .

وكان أمير المؤمنين عمر يقول : رحم الله امرأ اهدى الينا مساوئنا .

وقال النبى ﷺ : « من غشنا فليس منا » [٢٥] .

---

(٢١) اجتنى : عرف .

(٢٢) الجبة : المقابلة بما يكره . المعجم الوسيط ١٠٦:١ .

(٢٣) اجتباء : اختيار وتفضيل .

(٢٤) هو ارسطوطاليس بن نيقوماخس ، صاحب كتب « السياسة » و « المنطق » وغيرها ويعرف لدى المفكرين العرب (بالمعلم الاول) لانه أول مؤسس لعلم المنطق ، وتتلمذ على يد أفلاطون ، وكان يقول : الحق أولى بالمحبة من أفلاطون ، وكان مستشار الاسكندر ، ومات بعده . طبقات الامم ٢٦، ٢٧ ، طبقات الاطباء ٨٤ — ١٠٧ ، نزهة الارواح ١٨٨ — ٢٠٥ .

(٢٥) صحيح ، سنن الترمذى ٦٠٦:٣ ، المستدرك ٩:٢ ، مسند الشهاب ١ : ٢٢٨ .

ولجلال شأن النصيحة ما كانت حكماء العرب تقول:أخوك من نصحك، وقالوا : انصح أخاك فان قبل والا فغشه ، فقيل وكيف أغشه ؟ قال : اسكت عن نصيحته . فجعلوا السكوت عن النصح عقوبة للمنصوح على ترك قبوله وكذلك ما قال الشاعر :

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتى ... والنصح أرخص ما يباع ويوهب
فهذا هـــذا !

ثم ان كل ما نزل الله فى الكتاب وأجرى على لسان رسوله وأمر بأخذه واتباعه ، ثم ما تواصى به الحكماء سلفهم لخلفهم ، وأولهم لآخـــرهم من حكمة بالغة أو كلمة نافعة ، أو موعظة شافية أو هداية مرشدة ، فانما هى نصيحة ، ولذلك ما كانت الرسل عليهم السلام تقول لاقوامهم وتكرر عليهم (٤/٦) (نصحت لكم) ، (وانصح لكـــم) (وأنا لكم ناصح أمين) (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم) فكان أهل الدين والعقـــل والعلم والفضل يقبلونها بالشكر بقلوبهم ، ويجرونها على ألسنتهم ،ويخلدون رسومها فى دواوينهم وكتبهم ، ويمدحون قائل النصيحة على مر الايام ،وقد كان كثير من الخلفاء اذا أحسوا من أنفسهم بعجب أو قطاظـــة أو تيـــه أو قساوة سألوا العلماء أن ينصحوهم ويعظوهم ، فقد بلغنا عن أبى جعفـــر المنصور (٢٦) أنه قال لسفيان الثورى (٢٧) عظنى وأوجز ، فقال : يـــا أمير

---

(٢٦) هو عبد الله بن محمد العباسى ، ولد سنة ٩٥هـ ، وبويع بالخـــلافة ١٣٦ ، كان له فقه وخبرة بأمور التدبير والسياسة ، وكان يضرب به المثل فى البخل . الفخرى فى الاداب السلطانية ١٤١ ، ١٤٦ ، دول الاســـلام ١:٩٣ ، وتاريخ الخلفاء ٢٥٩ .

(٢٧) يلقب بامير المؤمنين فى الحديث ، نشأ فى الكوفة وتعلم وله مصنفات منها : الجامع الكبير والجامع الصغير فى الحديث ، مات سنة ١٦١ هـ . فهرست ابن النديم ٣٢٨ ، حلية الاولياء ٦:٣٥٦ ، دول الاسلام ١:١٠٩ ، ولشـــيخ الاسلام الدكتور عبد الحليم محمود ترجمة وافية عنه .

المؤمنين أرأيت إن احتبس عليك بولك فلم ينفتح دون أن تفتديه بجميع ملكك ؟ قال : كنت أفتديه بجميع ملكى . قال : فما تصنع بملك هذا قدره ؟ ! (٢٨)

ولقد دخل عمرو بن عبيد (٢٩) على أبى جعفر فقال له : عظنى ، فوعظه بكلام طويل افتتحه بأن قال : ان هذا الامر لو كان يدوم لمن كان قبلك لم يصل اليك ، فان الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها . واعلم أنه واقفك ومسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر ، وأن أمة محمد خصماؤك يوم القيامة ، فان الله لا يرضى منك الا بما ترضى لنفسك ، وأنك لن ترضى لنفسك الا بأن يعدل عليك ، وأنه لا يرضى منك الا بالعدل على الرعية ، وان وراء بابك نيرانا تأجج من الجور (٣٠) فى كلام له طويل ، وعتاب بينهما كثير .

وقال هارون الرشيد (٣١) لابن السماك (٣٢) : أعظنى . فقال : اعلم أنك

---

(٢٨) تنسب هذه المقالة لابن السماك فى موعظته للرشيد ، الكامل فى التاريخ ٥ : ١٣٣ .

(٢٩) يكنى أبا عثمان ، زاهد متكلم ، ولد سنة ٨٠هـ ومات ١٤٤هـ . المعارف ٤٨٣ .

(٣٠) ورد النص فى فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، المحاسن والمساوىء ٢ : ٢٨ .

(٣١) ولد عام ١٤٩ هـ بالرى ، وهو خامس خلفاء الدولة العباسية فى العراق ، وكان عالما بالادب والحديث والفقه ، مات سنة ١٩٣ هـ ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة . دول الاسلام ١ : ١٢١ ، تاريخ الخلفاء ٢٨٣–٢٩٧

(٣٢) هو محمد بن صبيح السماك ، يكنى أبا العباس ، من متقدمى الزهاد ، توفى بالكوفة ١٨٣هـ . حلية الاولياء ٨ : ٢٠٣ ، الطبقات الكبرى الشعرانى ١ : ٥٢

لست[٣٣] أول خليفة يموت ، فقال : زدنى ، فقال : لو لم يمت من كان قبلك لم يصل اليك ما أنت فيه ، فقال : زدنى فأنشأ يقول :

أتطمع أن تخلد لا أبالك ... أمنت يد المنية أن تنالك
أما والله إن لها رسولا ... به لو قد أتاك لما أقالك
كأنى بالتراب عليك يحثى ... وبالباكين يقتسمون مالك
ألا فاخرج من الدنيا سليما ... ورج من المعاش بما رجا لك
فلست مخلفا فى الناس شيئا ... ولست مزودا إلا فعالك[٣٤]

وكذلك كان الملوك الاولون ، فكان الاسكندر [٣٥] كثيرا ما يسأل الحكماء أن يزودوه فى سفره ما يستعين به على ملكه ، ودائما ما يكتب الى أرسطا طاليس (٦ / ب) أستاذه ، فيكتب اليه بالمواعظ ، ويهدى اليه النصائح وسنذكر فى مواضعها من كتابنا من مواعظه له ، ونصائحه إياه . فكان مما كتب مما يقربه الى خالقه وينفعه فى معاده : « يا اسكندر ، لا تمل الى ما يبيد ،ويكون بقاؤه قليلا ، أطلب الغنى الذى لا يفنى ، والحياة التى

---

(٣٣) لست : ساقطة من الاصل .

(٣٤) هذه الابيات من شعر أبى العتاهية . ديوانه ١٨٩ ، ١٩٠ ووردت فى بهجة المجالس ٢:٣٣٧ .

(٣٥) الاسكندر المقدونى ، وهو ابن فيليب ، أشهر قائد حربى فى العالم القديم ، ولد بمدينة « بلا » سنة ٣٥٦ق.م ، وتعلم على يد أرسطو ، ويعرف لدى المسلمين « ذو القرنين » لانه بلغ قطرى الارض : مشرقها ومغربها ، وملك خمس عشرة سنة ، وافضى الملك اليه وله ست وثلاثون سنة . التنبيه والاشراف ٩٨ ، دائرة المعارف القرن العشرين ١:٣١١ — ٣٢٥ و ٧:٧٧١ ، الكامل فى التاريخ ١:١٥٩ ، ١٦٢ .

لا تتغير ، والملك الذى لا يزول ، والبقاء الذى لا يضمحل » [٣٦] وقـــال : « عجبت ممن استقر قلبه فى الدنيا وهى دائمة النصرم[٣٧] ، لا يعتبر بالملوك الذين شرفوا وفازوا وتأكد فخرهم ، وكم غساك تعيش يا اسكندر» وقال، « اجعل العقاب بين ناظريك ، وفكر فيما وهب الله لك من النعم ، لا فخـــر فيما يزول ولا غنى بعد أن لا يلبث ، أقنع تستغن ، لا تظلم [٣٨] على الدنيا فانك قليل البقاء فيها » ، مما لو تتبعناه فى أخبار الملوك والائمة فى هـــذا الباب لطال به الكتاب ، وانما أردنا مما أردناه أنه لما كان غرضنا فى كتابنـــا هذا امحاض [٣٩] النصيحة • والصدق فى الموعظة لم تأمن أن يكون فيه بعض ما يخالف رأى المائلين الى الشهوات والمستهترين باللذات من ذوى الممالك والولايات فتمجه أسماعهم ، وتنبو عنه قلوبهم ، وليس يجوز لمن رغب فى النصيحة أن يعرضها على هواه ، بل يجب أن يعرضها وهواه جميعا علـــى الحق ، وما يوجبه العقل ، فما قبلاه قبله ، وما رداه رده ، فربمـــا يكـــون الثقيل[٤٠] على الطبع المكروه فى القلب أحمد عاقبة ، وأروح آخرة ، وأوفر

---

(٣٦) السياسة فى تدبير الرئاسة تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٧٩ بلفظ « فازهد فى قليل تظفر بكثير ، ولا تمل الى ما يسر وفقده قريب ، واطلب الغنى الذى لا يفنى ، والحياة التى لا تضمحل ، والملك الذى لا يزول ، والبقاء الذى لا يتغير » وبنصه فى طبقات الاطباء جـ١ ص ٩٨ ، نزهة الارواح جـ١ص٢٠٠

(٣٧) التصرم فعلها « صرم » بمعنى قطع . المعجم الوسيط ١:٥١١ .

(٣٨) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا أنها : لا تقبل .

(٣٩) امحاض : اسداء النصح الصادق .

(٤٠) هكذا فى الأصل ، ونرى الاصح أن تكون (الاقبال) .

أجرا ، وأحسن ذكرا ، يقول الله جل ذكره (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)[٤١] .

ويقول : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)[٤٢] .

---

(٤١) النساء : مدنية ١٩ ، وفى الاصل « عسي » .
(٤٢) ٢ / البقرة : مدنية ٢١٦ .

البـــــاب الثـــانى

فى فضائل الملوك فى علو مراتبهم وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من اجتـــلاب الفضـــائل واجتناب الرذائل

آما تفضيل الله عز وجل الانسان على سائـــر الحيوان ، وتفضيـــل الحيوان على النوامى[1] والجماد ، وتسخير الله جل ذكره للانسان جميع ما فى العالم من سمائه وأرضه ، وما بينهما من عظام خليقتـــه ، وأجناس بريته ، فشىء لا ينبغـــى أن يعرض فيه بين أهل العقول شك ، ولا تنازع ، ولا مرية ، ولا تدافع لمشاهدة (٧/ أ) الجميع إياه ، ومعاينة الجمهور له ، واتفاق العقلاء عليه ، لقول الله جل ذكره : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه)[2] . وقوله : (وسخر لكم الشمس والقمـــر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعـــدوا نعمة الله لا تحصوها)[3] . وقوله : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[4] ثم فضل الله جل ذكره الملوك على طبقات البشر تفضيل البشر على سائـــر أنواع الخلق وأجناسه ، لجهات كثيرة ، ودلائل موجودة ، وشواهد فى العقل والسمع جميعا حاضرة معلومة ، منها :

---

(١) النوامى : النباتات . أساس البلاغة ص٦٩٢ .
(٢) ٤٥ الجاثية : مكية ١٣ .
(٣) ١٤ ابراهيم : مكية ٣٣ ، ٣٤ .
(٤) ١٧ الاسراء : مكية ٧٠ .

[عــلو مرتبــة المــلوك]

ان الله جل وعز اكرمهم بالصفة التى وصف بها نفسه فسماهم ملوكا وسمى نفسه ملكا ، فقال : (ملك يوم الدين) (٥) وقال : (فتعالى الله الملك الحق)(٦) وقال فيما وصف به ملوكَ البشر : (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا)(٧) وقال : (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا)(٨)• وقال فى المعنى أثناء الذىيستحق الانسان أن يسمى ملكا إياهم،واصطفائه لنفسهوامتداحه به : (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)(٩)• وقال : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)(١٠) وقال : (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) (١١) وقال : (وآتيناهم ملكا عظيما) (١٢) • فآتاه الله من هذه الصفة مثل ما آتاه من الاسم الذى رضيه لنفسه ، وامتدح به الى خلقه ثم من عليهم به ، وأبان فضلهم فيه فقال : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) (١٣) • فليس أحد فى حكم هذا اللفظ أولى بالفضـــل ، ولا أجزل قسما ولا أرفع درجة من الملوك ، اذ كان البشر مسخرين لهم وممتهنين

---

(٥) ١ الفاتحة : مكية ٤
(٦) ٢٣ المؤمنون : مكية ١١٦ و ٢٠ طه : مكية ١١٤ .
(٧) ٢ البقرة : مدنية ٢٤٧ .
(٨) ٥ المـــائدة : مدنية ٢٠ .
(٩) ٤٠ غافر : مكية ١٦ .
(١٠) ٣ آل عمران : مدنية ٢٦ .
(١١) ٢ البقرة : مدنية ٢٥١ .
(١٢) ٤ النساء : مدنية ٥٤ .
(١٣) ٤٣ الزخرف : مكية ٣٢ .

لخدمتهم ، ومتصرفين[١٤] فى أمرهم ونهيهم •

ومنها : أن الله جعل الملـــوك خلفاءه فى بلاده ، وأمناءه على عبـــاده ، ومنفذى أحكامه فى خليقته ، وحدوده فى بريته ، وكذلك ما قيل : (السلطان ظل الله فى الارض)[١٥] لأن من حقه أن يحتذى مثاله فيها ، ويحيى رسومه فى سكانها ، هذا مع أنه جعلهم عمار بلاده ، وسماهم رعاة عباده ، تشبيها لهم بالرعاة الذين يرعـــون السوائم والبهائم ، تمثيـــلا (٧ / ب) لرعاياهـــم بالاضافة اليهم بها ، ولهذا المعنى سماهم الحكماء « ساسة » اذ كان محلهم من مسوسيهم محل السائس مما يسوسه من البهائم والدواب الناقصـــة الحال ، من القيام بأمـــور أنفسها ، والعلم بمصالحها ومفاسدها ، وسموا أفعالهم الخاصة بهم سياسة ، ولذلك ما كانت الامـــم الماضية فى الايـــام الخالية ، والعرب الخاصة تسميهم « أرباب الارض » ، والارباب : مطلقا ومقيدا ، لانهم كانوا يتوقعون منهم ، ويرجون من قبلهم أن يقوموا لهم ، وفيهم من تنفيذ أحكام الله ، وامضاء حدوده ، واقامة فرائضه وسننه ، وفى النظر فى مصالحهم ، وحوائجهم ، ومضارهم ، ومنافعهم ، فى الشاهد مقام الرب الذى لا سبيل الى ادراكه ومشاهدته تبارك وتعالى ، وبهذا الاسم ما

---

(١٤) فى الاصل مسخرون ، وممتهنون ، ومتصرفون •

(١٥) مطلع حديث ضعيف بلفظ « السلطان ظل الله فى الارض ، يأوى اليه الضعيف ، وبه ينتصر المظلوم ، ومن اكرم سلطان الله فى الدنيا اكرمه الله يوم القيامة » رواه ابن النجار عن أبى هريرة . ضعيف الجامع الصغير ٣:٢٣٩ ، وقد أخرجه القضاعى عن عبد الله ابن عمر بلفظ « السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مسلم » مسند الشهاب ٢:٢٠١ رقم ٣٠٤ وقال فيـــه الالباني : موضوع . سلسلة الاحاديث الضعيفة ٢:٦٩ رقم ٦٠٤ •

خاطب النابغة(١٦) النعمان بن المنذر(١٧) حيث يقول :

ستبلغ عذرا أو نجاحا من امرىء الى ربه رب البرية راكع(١٨)

وقال عدى بن زيد :(١٩)

وتفكر رب الخورنق اذ أشرف يوما وللهدى تفكير(٢٠)

ولجلالة حال الملوك ما سمى أهل اللغة الملك « رأسا » اذ جعلوا محله

---

(١٦) النابغة الذبيانى : زياد بن عمرو ، وينتهى نسبه الى سعد بن ذبيان بن بغيض ، ويكنى ابا امامه ، شاعر جاهلى من الطبقة الاولى من اهل الحجاز ، توفى نحو ١٨ قبل الهجرة . الاغانى ٣:١١ ، نهاية الارب ٦٢:٣ ، خزانة الادب ١٣٥:٢ ، والاعلام ٩٢:٣ .

(١٧) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس اللخمى ، وكنيته ابو قابوس ، من اشهر ملوك الحيرة فى الجاهلية ، توفى نحو ١٥ قبل الهجرة . الكامل ٢٨٦:١ ، ٢٨٩ .

(١٨) اورده ابن السكيت المتوفى ٢٤٤ هبلفظه عدا كلمة(ستبلغ) فقد وردت بلفظ (سيبلغ) . ديوان النابغة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٢٣٧

(١٩) عدى بن زيد بن حماد بن زيد العبادى التميمى : شاعر ، من دهاة الجاهليين ، كان ترويا ، من اهل الحيرة ، فصيحا ، يحسن العربية والفارسية والرمى بالنشاب ، وهو اول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، تزوج هند بنت النعمان بن المنذر ، وقتله النعمان فى سجنه بالحيرة نحو ٣٥ قبل الهجرة . الشعر والشعراء جا ص١١٢ ، الاغانى ٩٧:٢ ، وخزانة الادب ٣٨١:١ ، والاعلام ٩:٥

(٢٠) ورد البيت لدى الطرطوشى فى سراج الملوك .

وتبين رب الخورنق اذ فكر يوما وللهوى تذكير

وقارن الاغانى ١٣٩:٢ ، واللسان ٣٦٦:١١ ، ومعاهد التنصيص ١٤٢:١ والشعر والشعراء ص١١٢ والخورنق : بنية بناها النعمان لبعض اولاده الاكاسرة ، وهى معربة من « الخرنكاه » وهو موضع الشرب ، المعرب ١٧٤ ، وشفاء الغليل ٧٧ .

من رعيته محـــل الرأس مـــن البـــدن ، وكل الاعضـــــاء مســـخرة له ، ومهيـــأة لحمـــله ، ولأنه لا بقاء للجســـد الا به ، ولا قـــوام له الا معه ، ولأنه العضـــو الذى يتجمـــع فيـــه الحـــواس الذى لا بقـــاء للحيوان إلا به ، ولا فـــرق بينـــه وبين المـــوت والجمـــاد إلا من جهتهـــا ، وهـــو معدن العقل والتمييز الذى فضل الله الانسان به على جميع الحيوان • فقال فيه الشاعر(٢١) وهو يمدح حميد بن عبد الحميد (٢٢) :

والناس جسم وامام الهدى رأس وأنت العين فى الراس

وقال آخـــر :

لو صلح الرأس واستقام اذن قام على العدل كل أساس

وقال بعض الفضلاء من ملوك الهند فى عهد له إلى ابنه:« اعلم يا بنى أن وصيتى هذه اياك ، وعهدى هذا اليك بمثال رجل حـــى قائم (٨ / أ) فرأسه أنت أيها الوالى ، وقلبه وزيرك ، ويـــداه أعوانك ، ورجـــلاه (٢٣) رعيتك ، والروح الذى تقوم به عدالتك ، فصن هذا الرجل صيانتك نفسك ، فاستصلح أوصاله كاستصلاحك أعضاء جسدك » •

ولجلالة شأن الملك ما سمى فى الدين واللغة سلطانا ، والسلطـــان فى اللغة : هو الحجة ، قال الله عز وجل : (أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين)(٢٤) • وقال : (لأعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنـــه أو

---

(٢١) الشاعر هو على بن جبلة ، الملقب بالعكوك ، كان ضريراً ، مات سنة ٢١٣هـ . انظر فى ترجمته : الشعر والشعراء ٨٦٨ ، الاغانى ١٨:١٠٠ — ١١٤ تاريخ بغداد ١١:٣٥٩،والبيت من ديوانه ٧٤ كما ورد فى الشعر والشعراء ٨٦٨ ، والاغانى ١٨:١١٣ .

(٢٢) هو حميد بن عبد الحميد الطوسى ، من كبار قواد المأمون كان جبارا فيه قوة وبطش وكان المأمون ينتدبه للمهمات ، مات ســـنة ٢١٠ هـ . النجـــوم الزاهرة ٢:١٩٠ .

(٢٣) فى الاصل (يده ورجلاه) والصواب ما ذكرناه .

(٢٤) ٣٧ الصافات : مكية ١٥٦ ، ١٥٧ .

ليأتينى بسلطان مبين)[٢٥] . فجعل الله تبارك وتعالى العادلين من الملوك حجة على خلقه ، وكذلك ما صرفت الامامية[٢٦] ما روى عن النبى ﷺ « أن الارض لا تخلو من حجة »[٢٧] . الى الامام المعصوم الذى يدعونه ويلهجون بذكره ولجلالة حال الملوك ما سمى المسلمون السلطان الاجل فى الاسلام إماما ، لانه ممن يجب أن يؤتم به ، ويقتدى به فى فعله ، ويؤتمر له بأمره .

فهذه المعانى الجليلة ما تدل عليه الاسامى الشريفة التى خصت بها الملوك وان كنا أخبرنا أن نعبر فى كتابنا هذا من هذه الاسامى كلها بالملك ، اذ هو الاسم الاشهر الاعم ، والاجزل الامحض .

ومن جلالة شأن الملوك وفضائلهم على الرعايا وطبقات الناس أن كل من تحت يدى الملك من رعاياه ، وان كانوا مناوعيه فى الصورة ، ومشابهيه فى الخلقة ولم يتكلف هو اقتناءهم ولا شراءهم — فان محلهم منه فى كثير من الجهات محل المملوكين ، ولذلك ما قال الله جل وعز فى قصة سبأ:(إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم)[٢٨] . لان (ملك يملك) فى أصل اللغة من الملك لا من الملك ، ولانهم بأجمعهم ينقسمون قسمين : بين من محله منه محل المادة ، وبين من محله منه محل الآلة،فهو يستعملها

---

(٢٥) ٢٧ النمل : مكية ٢١ .

(٢٦) الامامية هم الذين قالوا بالنص الجلى على امامة على رضى الله عنه وكفروا الصحابة . الجرجانى : التعريفات ص ٣١ .

(٢٧) هذا القول (لعلى بن أبى طالب) رضى الله عنه بلفظ (اللهم لا تخلو الارض من قائم لله بحجة) . حلية الاولياء ج١ ص ٨٠ .

(٢٨) ٢٧ النمل : مكية ٢٣ .

فى مادته على ما يريده ويهواه ، ويحبه ويراه ، ثم يخرج له صورة عمله على مقدار حذقه بالصناعة ، واصابته فى الغرض والنية .

[طاعة الرعية للملوك]

هذا ما أخذ الله على كافة الخلق من حسن الطاعة للامام العادل ، والملك الفاضل ، وصدق المؤازرة والتعظيم له ، وترك الخلاف عليه ما أطاع الله ولزم فرائضه وحدوده (٨/ب) فقال : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم)[٢٩] . وقال النبى ﷺ « أطيعوا الامام ولو كان عبدا حبشيا ما أطاع الله فيكم)[٣٠] ، وقال : « من سعى الى سلطان ليذله أذله الله »[٣١] . فهذا قليل من كثير مما أبان الله به من فضائل الملوك ، وعلو منازلهم ، وارتفاع مراتبهم ، وجلالة أقدارهم،وبعد أخطارهم ، وجليل نعم الله عليهم ، وفنون أياديه لهم ، فالواجب فى جميع أبواب القضايا ألا يكون أحد أشكر لله ، وأحسن قياما بأداء فرائضه ، وأوامره ، ورعاية لما استرعى ، وحفظا لما استحفظ منهم ، إذ كان هذا هو

---

(٢٩) ٤ النساء : مدنية ٥٩ .

(٣٠) أخرجه البخارى عن انس بلفظ « اسمعوا واطيعوا ، وان أستعمل عليكم عبد حبشى كان راسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى » والزبيبة : مثلا فى سواد رأس الاسود ، وجعودة شعره . تيسير الاصول الى جامع الاصول ٣٦:٣ ، صحيح البخارى ٧٨:٩ كما أخرجه الامام أحمد وابن ماجه . صحيح الجامع الصغير ٣٣٠:١ ، سنن ابن ماجة ٩٥٥:٢ .

(٣١) أخرجه البزار عن حذيفة بلفظ « ما من قوم مشوا الى السلطان ليذلوه الا اذلهم الله قبل يوم القيامة » . ورجاله رجال الصحيح خلا كثير بن أبى كثير التيمى وهو ثقة . مجمع الزوائد للهيثمى ٢١٦:٥ وأخرجه الترمذى رقم٢٣٢٥ عن أبى بكره بنص « من أهان سلطان الله فى الارض أهانه الله تعالى » وأبو داود الطيالسى ٢٦٢٠ ، ورواه أحمد فى مسنده ٤٢:٥ و ٤٨—٤٩ ، ومسند الشهاب ٢٥٩:١ . وقال الالبانى : حديث حسن صحيح الجامع الصغير ٢٦١:١

المعهود من أفعالهم بمن ملكهم الله أمورهم من عبيدهم وخدمهم ، ولانهم اذا ذكروا نعم الله — عز وجل — على أضعف خلقه ، واحسانه على أقل خطرا ، ولا بالاضافة اليه قدرا ، مع أنهم اذا أعطوهم ، أعطوهم مال غيرهم عبيده نعمة لم يجدوا لاحسان خلق بعضهم الى بعض فى جنبه وديعة عندهم أو أشركوهم فى سلطان من سواهم عارية فى أيديهم ، بل أعطوهم سريع الزوال قريب الاضمحلال ، والذى ربما ضرهم ولم ينفعهم ، ربما يكون هلاكهم دنيا ودينا ، وآخرة وأولى ، ثم لم يرضوا مع ذلك منهم الا أن يكون كل ما كانت نعمهم عليه اكثر وأياديهم لديه أظهر ولهم أشكر ، والى طاعاتهم أسرع ، ثم يكون أعظم عندهم بلاء ، وأحسن بحقوقهم قياما ، وعلى أوامرهم ونواهيهم محافظة ، ورأوا مع ذلك أن من قصر فى شىء منه أو غير أو بدل أو كفر نعمة أو غمط[٣٢] صنيعه كان قد استحق منهم المقت والحرمان والعقوبة والخذلان ، ولا سيما من أصر ، على ذلك اصرارا ، وأتى المعصية جهارا ، وهذا ميزان يجب على العاقل أن يزن كثيرا مما يقع بينه وبين خالقه به ، ومثال ينبغى أن يحتذى عليه ، واذا كان هذا فى الشاهد على ما ذكرنا ، ومعاملتهم من تحت أيديهم على ما بينا .

[طاعة الملوك لله سبحانه]

وجب عليهم اذا ذكروا نعم الله عليهم ، وآلاءه لديهم فى تفخيم شأنهم ، واعزاز سلطانهم ، وتفويضه اليهم سياسة (٩ / أ) عباده ، وعمارة بلاده ، وندبه اياهم الى ملك الابد ، والنعيم السرمد مع عامة نعمه التى لا تحصى عددا ، وخاصتها التى لا توصف عظما ، أن يخافوا

---

(٣٢) غمط : احتقر ، واستصغر . اللسان مجلد ٢ ص ١٠١٨ .

عاقبة الكفران وجزاء العصيان • هذا ومن الواجب على من يرغب فى الزيادة ويطمع فى الاهمال والمدة ، ويتمنى حسن التوفيق والمعونة فى العاجـــل ، وحسن المثوبة فى الآجل ، أن يدأب ويجتهد فى الشكر والطاعـــة ، ويجتنب الكفور والمعصية ، فان جزاء الشكور الاحسان والمزيد ، وجزاء الكفـــور العقاب والتنكير ، والخذلان والتعيير • هذا الذى يلزم العارفين بالله ، ويجب على المقربين به والذاكرين لآلائه ، والمعترفين بحق كتابه وآياته ، فان الله ـــ جل وعز ـــ يقول : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد)[٣٣] • ويقـــول : (إن الله لا يغـــــير ما بقـــوم حتى يغـــيروا ما بأنفسهم)[٣٤] • ويقول : (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمـــط وأثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهـــل نجـــازى الا الكفور)[٣٥] •

[واجب الملك حيـــال نفســـه]

ثم ما يجب على الملك من غير هذا الطريق أن يكون أشد الناس ترفعا عن الدناءة ، وتنزها عن الخساسة ، وتعاليا عما يشين العرض ، ويفسـد المروءة ، ويؤذن بخراب المملكة ، ويبقى قبح الأحدوثة ، وما يخل بجلالة[٣٦] المكانة ، ورفع المنزلة ، وأن يختـــار من السنن أشرفهـــا ، وأعـــلاها ،

---

(٣٣) ١٤ ابراهيم : مكية ٧ .
(٣٤) ١٣ الرعد : مدنية ١١ .
(٣٥) ٣٤ سبأ : مكية ١٦،١٧ ـــ والخمط : شجر لا شوك له ص ١٥٩ ـــ والاثل : شجر ثابت الاصل ص ١٠ ـــ والسدر : شجر قليل الغناء عند الاكل ص ٢٢٧ من المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى .
(٣٦) فى الاصـــل بخلالة .

ويرتاض[٣٧] من الافعال بأرفعها ، وأسناها ، ثم يرتكب كثيرا من المؤلم المكروه[٣٨] ، ويجتنب كثيرا من الملذ المحبوب ، لينال السيرة التي تتشاكل رتبته ، وتضاهي منزلته • وقد قال أردشير : « اعلموا أن دولتكم تؤتى من مكانين : أحدهما ، غلبة بعض الامم المخالفة لكم • والاخر ، فساد أدبكم »[٣٩] ، ثم من الواجب على الملك الفاضل ، والسائس العادل ألا يكون على أحد من رعيته ولا ممن فى ضمن مملكته وجملة حاشيته ، فى تحسين أدبه ، وقمع شهواته المفسدة الضارة ، أقدر منه على نفسه ، فان من عجز عن سياسة نفسه ، وتقويم أخلاقها ، كان خليقا أن يكون عن تقويم غيره أعجز ، ولا يكون الانسان قادرا على نفسه ما لم يقدر على تغليب العقل على الطبع ، والرأى على الهوى ، بل يحكم العقل على (٩ / ب) الطبع ليختار ما يدل عليه العقل على ما يميل اليه الطبع ، ويؤثر ما يشير اليه الرأى على ما يصبو اليه الهوى ، ثم يقابل بمحاسنه مساوئه ، وبمحامده مذامه ، حتى يعود نفسه الامور الفاضلة ، ويروضها الرياضة المحمودة ، ويكتسب الخلال التى تتشاكل حاله ، والافعال التى تتشاكل [٤٠] مرتبته ، ولان يثقل هذا عليه فى جنب ما يرومه من فضلة العاجل والآجل ، ويقصد من تقديم الاجر وتخليد الذكر ، فان من المتقرر فى العقول والمتمكن عن النفوس الا ينال المعالى الا بتجرع المكاره ، ولا يدرك أطراف الفضائل الا بتحمل المشاق •

---

(٣٧) يرتاض : يتعود .

(٣٨) ارتكاب المؤلم المكروه يقصد به الافعال المؤلمة التى تكرهها النفس ولكن يتقرب بها الانسان الى ربه .

(٣٩) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٥٨ .

(٤٠) تشاكل : تشابه وتناسب .

قال الله ــ جل وعز ــ : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (٣٨)

وقال : (ان الله اشترى مــن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بــأن لهم الجنــة) (٣٩) .

وقال الرسول ﷺ : « حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات » (٤٠) .

وقال عمرو بن عبيد (٤١) : لقد رضت نفسى رياضة لو اردتها علــى ترك الماء لتركته .

وقد كان غلب على المأمون (٤٢) أمير المؤمنين شهوة « الطوين » (٤٣) فكان يأكله كثيرا ، واجتمع الاطباء يعالجونه بكل علاج ، ويحتالون له بكل حيلة ، فلم يصبر عنه ، فدخل عليه ثمامــة بن اشرس (٤٤) ورآهم عنــده يتشاورون فى أمره ، ويتوامرون (٤٥) فى علاجه . فقال : يا أمير المؤمنين ، فأين عزمة من عزمات الخلافة ؟

فقال المأمون : قوموا فقد كفيتم العلاج ، ولم يعد الى ذلك .

---

(٣٨) ٣ آل عمران : مدنية ٩٢ .

(٣٩) ٩ التوبة : مدنية ١١١ .

(٤٠) صحيح ، اخرجه مسلم عن أنس بن مالك وأبى هريرة . صحيــح مسلم ٤:٢١٧٤ حديث رقم ٢٨٢٢ سنن الترمذى ٤: ٦٩٣ رقم ٢٥٥٩ .

(٤١) فى الاصل (عبيد الله) والصواب ما ذكرناه ، وسبق ترجمته ص ٢٧

(٤٢) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن أبى جعفر المنصــور ، وكنيته أبو العباس ، ولد سنة سبعين ومائة ، وتولى الخلافة ١٩٨هـ ، كان ذكيا محبا للعلم فيه دهاء وسياسة مات فى رجب ٢١٨ هـ . تاريــخ الامــم والملوك ٦٤٦:٨ ، الكامل ٢٢٧:٥ ، دول الاسلام ١٣٢:١ .

(٤٣) غير واضحة فى الاصل ، ولعلها نوع من الطعام .

(٤٤) وكنيته أبو معن ، من كبار المعتزلة ، كان له اتصال بالرشــيد ثم المأمون ، وكان ذا نوادر وملح ، مات سنة ٢١٣هـ . تاريخ بغداد ١٤٥:٧ ، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٧٣ ، ٢٧٢ .

(٤٥) يتوامرون أى يصدرون الاوامر فى علاجه .

ولا شىء أغلب على قول الناقصى العقول والحزم من افراط الحـــب عشقا ، وقد قال فيه أحد من جربه ، وأكثر القول فيه ، والوصف له :

الحب ظهـر أنت راكبـه فاذا صرفت عنانه انصرفا(٤٦)

وقال آخـر :

قـد عذب الحب هذا القلب ما صـلحا

فـلا تعـدن ذنبـا أى يقـال صـحا

بقيـــة فى لتقـــوى الله باقيـــة

ولو لم أكن كحـريص لم يدع مرجا(٤٧)

وقال آخـر :

لعمـرى لقد أوفيت همى من الهـوى

عـلى الشيب الا أن مـــركبه صعب

(١٠ / أ)

تقـاربت حتى قيل لى هكذا الهـوى

وباعـدت حتى قيـل ما هـكذا الصب

وانى لســـلم للهـوى غـير أنـنى

لنفسى فيما لا يحـل لهـــا حرب(٤٨)

وقال الآخـر فى المعنى الاول :

---

(٤٦) المعنى المراد أن ذا الارادة يتحكم فى مواطفه وحبه .

(٤٧) المعنى المراد أنه يترك لقلبه العنان فى الحب طاهرا ثم يكبح بالتقوى جمـاحه .

(٤٨) المعنى المراد أنه يمارس حبه حلالا ، ثم يقاوم نفسه ويحـاربها فى غير الحـلال .

فان عليـــات الامـــور مشـــوبة

بمســـتودعات فى بطـــون الاساود(٤٩)

وقال آخـــر :

لن يبلـــغ المجـــد أقـــوام وان كـــرموا

حتى يذلوا — وان عـــزوا — لاقـــوام

ويشتموا فـــترى الاكـــوان مشرقـــة

لا عفـــو ذل ولكن عفـــو أحـــــلام(٥٠)

وقال أحد الملوك : طلاب العلى بركوب الغرر(٥١) .

وقال أبو تمـــام(٥٢) فى المعتصم يذكر مساعيه فى غزو الروم وتحمله ما تحمل من المشـــاق فى فتح عمورية(٥٣) .

خليفـــة الله كافا الله ســـيفك عـــن

جرثومة (٥٤) الدين والاســـلام والحسب

---

(٤٩) نسبه الثعالبى الى كلثوم بن عمرو (العتابى) فى التمثيل والمحاضرة ٨٣ وفى الايجاز والاعجاز ١٦٩ . والاساود : جمع أسود ، وهو أخبث الحيات. والمراد من البيت : أن المعالى مقترنة بالمخاطر .

(٥٠) نسبهما القالى لابن عائشة . ذيل الامالى ٤٧ ، وجمهرة الامثـــال ١ : ٢٣٠ ونهاية الارب ٦ : ٥٤ ، وأدب الدنيا والدين تحقيق السقا ٢٤٥ دون نسبة وفى هذه المصادر « الالوان مسفرة » بدلا من « الاكوان مشرقة » . والمعـــنى المراد أن المجد لن يصل لقوم حتى يصبروا على أذى من دونهم حلما وعفوا .

(٥١) الغرر : الخطر . اللسان المحيط ٢ : ٩٧٢ .

(٥٢) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائى ، ولد بسوريا ١٨٨هـ ، وكان أبوه نصرانيا فأسلم هو ، ورحل الى مصر ، واستقدمه المعتصم الى بغـــداد ، وقدمه شعراء وقته ، مات ٢٣١هـ . نزهة الالباء ١٢٣ ، ١٢٤ ، وفيات الاعيـــان ١ : ٣٣٢ — ٣٤١ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦١ ، والوحشيات لابى تمام ١٧٠ .

(٥٣) عمورية : بلد من بلاد الروم ، غزاه المعتصم سنة ٢٢٣ هـ بسبب أسر العلوية واستصراخها) معجم البلدان ٣ : ٧٣ ، مراصد الاطلاع ٢ : ٣٨٢ .

(٥٤) جرثومة الشىء : أصله . تاج العروس ٨ : ٢٢٦ .

بصرت بالراحـــة الكبرى فـــلم ترهـــا

تنـــــال الا عـــــلى جسر من التعـــب

فبان بهذه الاخبار المأثورة ، والايات المسطورة ، والابيات السائرة المشهورة ، أن الفضائل لا تدرك الا بمجاهدة الطبع ، والحمل على البـــدن والنفس فى قمع الشهوات الموبقة ، والاهواء المخلقـــة(٥٥) للاعـــراض أو الاديان ، وان أكثر ما يشق على الانسان تركه وفراقه من الافعال المذمومة لحاجات وشهوات ومنشؤها سوء العادات ، مستولد من امراج(٥٦) النفس واهمال الطبع ، وأن من اراد الانتقال من مـــذموها الى محمـــودها ، ومن مستقبحها الى مستحسنها كان منه ممكنا وعليه قادرا ، ومن تعـــود الخير سهل عليه اتيانه ، ومن تعود الشر صعب عليه الانتزاع منه ، وما أحسن ما مدح به العطوى(٥٧) آل برمك(٥٨) حيث يقول فيهم :

ان البرامـــكة الكـــرام تعـــودوا

فعـــل الجميـــل فعـــودوه الناســـا

كانوا اذا غـــرســـوا سقوا واذا بنوا

لم يوهنـــوا لبنـــاهم أســـاســـا

---

(٥٥) المخلقة من أخلق بمعنى أبلى وأهلك . أساس البلاغة ٢٤٨ .

(٥٦) امراج النفس : ترك النفس على غير ضبط .

(٥٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية ، من شعراء الدولة العباسية كان مولده ومنشأه بالبصرة ، وكان معتزليا ، مات نحو ٢٥٠هـ . لسان الميزان ٢٤٧:٥ ، ٢٨٥ ، والاعلام ٦١:٧ .

(٥٨) أسرة أصلها من مجوس بلخ ، تولت الوزارة فى العصر العباسى ، واشتهرت بالسياسة والتدبير والعلم والكرم ، وأول من وزر من آل برمك«خالد» وزر للسفاح ثم لابى جعفـــر المنصـــور ، وولده يحيى بن خالد للرشيد ، وكان معلمه وقد ســـجنه ومات ١٩٠هـ . الوزراء والـــكتاب ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٧ ودول الاســـلام ١٢١:١ .

واذ هم صـــنعوا الصنائـــع فى الورى

جعـــلوا لهـــا طـــول البقاء لباسا[٥٩]

وقال آخـــــر :

(١٠/ب)

تعـــودت مس الضر حـــتى ألفتـــــه

وأســـلمنى مـــر الليـــالى الى الصبر

ووســـع صـــــدرى للاذى كثرة الاذى

وقـــد كنت أحيانا يضيق به صدرى[٦٠]

وكانت العرب تقول : « الخير عادة والشر لجاجة »[٦١] • وتقـــول : « العادة أملك بالارب »[٦٢] وقال كثير من الحـــكماء : « العـــادة طبيعة خامسة »[٦٣] •

واذا كان هذا على ما بينا ، فلا أحد أحق باختيار المحامد وتعودها من الملوك ، لانه لا يكون مؤديا حق جلالته ، وعارفا بفضل منزلته ، حتى يترك كثيرا من شهوات النفس ، ولذات البدن ، فى جنب الفضائل التى يجب عليه حيازتها ، فيختار الشكر على الكفر ، والتدين على التهتك ، والعلم عـــلى

---

(٥٩) شعر العطوى جمع وتحقيق محمد جبار المعبيد ، مجلة المـــورد ، المجلد الاول ، العدد الاول والثانى وقـــد أورد الزوزنى فى حمـــاسة الظـــرفاء ١٩٩:٢ ، ٢٠٠ البيت الاول والثالث .

(٦٠) البيتان لابى العتاهية . ديوانه تحقيق شكرى فيصل ١٧٥ .

(٦١) أورده ابن ماجة عن معاوية عن رسول الله ﷺ سنن ابن ماجة ٨٠:١ رقم ٢٢١ والطبرانى فى الكبير ٩٠٤:١٩ ، الحلية ٢٥٢:٥ ، ومسند الشـهاب ٤٧:١ وقال الالبانى : حديث حسن . صحيح الجامع الصغير ١٣٧:٣ رقـــم ٣٣٤٣ واللجاجة : اللزوم والمواظبة . مختار الصحاح ١٥٤ .

(٦٢) مروج الذهب ٢٧:٢ .

(٦٣) ذكره المسعودى بلفظ العادة هى الطبيعة الثانية جـ٢ : ٢٨ ، وورد بلفظه كحكمة للاطباء لدى الثعالبى . التمثيل والمحاضرة ١٧٩ .

الجهل ، والعقل على الحمق ، والشجاعة على الجبن ، والجود على البخل والصبر على الجزع ، والحمد عى الذم ، والحلم على الطيش ، والرزانة على الخفة ، والصدق على الكذب ، والتواضع على التكبر ، والعـــدل على الجور ، والصواب على الخطأ ، والحزم على التهور وأمثالها • فان لـــكل شيء من المذام ثمرة مذمومة ، ولكل شيء من المحامد عاقبة محمودة •

فيجب على من أحب الخير ، أن لا يفعل الا الخير ، ومن كـــره الشر أن يتجنب الشر ، مع أن من ارتكب المخازى من الامراء والمذام من الملوك كان فى ملكه كالمزوق المفتعل وكالمستعار المموه ، وحق للملك الفاضـــل أن يترفع عن هذه الدنية ، ويتنكب هذه الرذيلة ، ولا يرضى أن يكون حظه من جلالته أن يسمى بالاسم الحسن الشريف ، ويشتهر بالفعل السيء القبيح فانه اذا فعل ذلك ، كان كالمتشبع بما لا يملك • وكلابس ثوبى زور ، فمـــا أبلغ فى هذا المعنى قول القائل حيث يقـــول :

اذا ركبـــوا الاعواد[٦٤] قالوا فأحسنوا

وما خـــير قـــــول لا يصـــدقه فعـــل

ولقد بلغنا : أن عبد الملك بن مروان[٦٥] خطب يوما بمكة ، فلما صار الى موضع العظة ، قام اليه رجل من الصوجان[٦٦] فقال : مهلا ! مهـــلا !

---

(٦٤) ركبوا الاعواد : يقصد اعتلوا المنابر .

(٦٥) عبد الملك بن مروان : أحد خلفاء بنى أمية ، كان عالمـــا عاقلا قوى الهيبة شديد السياسة حسن التدابير للدنيا ، توفى عن ستين عاما فى ســـنة ٨٦هـ . دول الاسلام ١:٦٠ ، ٦١ الفخرى فى الاداب السلطانية ١١٠ ، ١١٤ وتاريخ الخلفاء ٢١٤ ــ ٢٢٢ .

(٦٦) الصوجان (بالضم) اليابس الصلب. التكملة والذيل والصلة للصغانى جـ٢ ص ٦٦ والمراد رجل من البادية .

انكم تأمرون ، ولا تأتمرون ، وتنهون ولا تنتهون ، أفنقتدى بسيرتكم فى أنفسكم ؟ أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟ فان قلتم اقتدوا بسيرتنا فأين وكيف، وما الحجة ؟ (١١/ أ) ومن النصير من الله فى الاقتـــداء بسيرة الظلمـــة الجورة الذين أكلوا أموال الله دولا[٦٧] ، وجعلوا عباد الله خولا[٦٨] ، وان قلتم أطيعوا أمرنا ، واقبلوا نصيحتنا ، فكيف ينصح غيره من يغش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عدالته ؟ وان قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، واقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فعلام قـــلدناكم أزمـــة[٦٩] أمورنا ؟ وحكمناكم فى دمائنا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أفصـــح بفنون العظات ، وأعرف بوجوه اللغات منـــكم ؟ فتلحلحوا[٧٠] عنها لهم ، والا فاطلقوا عقالها ، وخلوا سبيلها ، يبتدر اليهـــا الذين شردتمـــوهم فى البلاد ، ونقلتموهم فى كل واد ، أما لئن بقيت فى أيديكم لانقضـــاء المـــدة وبلوغ الغاية ، فان لكل قائم يوما لا يعدوه ، وكتابا بعده يتلوه[٧١] (لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) [٧٢] (وسيعلم الذين ظلمـــوا أى منقلـــب ينقلبون) [٧٣] ، ومما وجد فى كتاب (اسهامة) [٧٤] الملوك : « ليكن عملـــك

---

(٦٧) دولا : الدولة اسم الشىء الذى يتداول بعينه . مفردات غـــريب القرآن للاصفهانى ١٧٤ .

(٦٨) خولا : خدما . مختار الصحاح ٢٥١ .

(٦٩) أزمة أمورنا : أى قياد أمورنا .

(٧٠) تلحلحوا عنها : أى اتركوها .

(٧١) النص مع اختلاف يسير فى المصـــباح المضىء ٤٧٠٢ ، ومحـــاضرة الابرار ١:١١٤ ، ١١٥ .

(٧٢) ١٨ الكهف : مكية ٤٩ .

(٧٣) ٢٦ الشعراء : مدنية ٢٢٧ .

(٧٤) (اسهامة) هكذا في الاصل ، ويبدو لنا أنها (بسياسة) .

أحسن من قولك ، فان حسن القول مفردا أغرى به ، وحسن العمل افـــراد البغية » (٧٥) •

ولقد قرأنا فى عهد لبعض ملوك الهند الى ابن له : « لا يريبك رأيك ، أنك اذا أحسنت القول دون الفعل ، فقد أبلغت الى السامعين منك دون أن يصدق قولك فعلك ، ويحقق سرك علانيتك » (٧٦) •

وقال زعيم الهند الذى يدعى (البد) : لن يبلغ ألف رجل من اصلاح رجل واحد ـــ بحسن القول دون الفعل ـــ ما يبلغ رجل واحد مـــن اصلاح ألف رجل بحسن الفعل •

وقد كان أمير المؤمنين علـــى رضى الله عنه يتعوذ من ألسنـــة تصف وقلوب تعزف (٧٧) وأعمال تخالف •

ولقد أفتتح بهذه المعانى أو عامتها سابور بـــن أردشير الملـــك عهده الجليل الخطر العظيم القدر فى بابه الى ابنه حيث قال : « أما بعد فانك قد وليت أمرا لا يفوقه أمر شىء من أمور الدنيا » ، وبلغت غاية ليس وراءها مجاز (٧٨) لاحد من الناس ، فاسم بنفسك الى ما يلائم الخطر الذى أصبحت عليه ، من خصال الفضل ، وتمسك من العدل بعصمة ، يصل لك ما أنت فيه من غضارة العيش ، وزهـــرته (١١/ب) بالنعيم الذى لا زوال له ، ولا انقلاب ، وتبقى لك حسن الاحدوثة ، اذ ودعت ما أنت بسبيله ، فانك موروث

---

(٧٥) قوانين الوزارة ٥٤ مع اختلاف .

(٧٦) فى وصية أرسطاطاليس للاسكندر (ضمن أثر أن لارسطو الفيلسوف فى العربية) ٣٦ ورد ما نصه « ولا يرينك رأيك أنك اذا أحسنت القول دون الفعل فقد أبلغت السامعين منك دون أن يصدق قولك فعلك وتحقق سريرتك علانيتك»

(٧٧) تعزف : عزف عن الشىء مله وزهد فيه . والمـــراد قلوب تزهـــد فى الخير .

(٧٨) مجـــاز : مكان .

ولا انقلاب ، وتبقى لك حسن الاحدوثة اذا أودعت ما أنت بسبيله فانك مورث ما أنت فيه ، ومسلو به ، وخارج منه الى ثواب ما تقدم لنفسك أو عقابه »

ووجدنا لبعض الحكماء من ملوك الهند فى عهده الى ابنه : « يا بنى ، انى قد وليتك من الامر جسيما ، وعصبته بك ، فخذ له سبله[٧٩] واقبله بقبوله ، ولا تكونن مسرورا ان كان منك لعاجل يقع ولا لنيل شهوة ، فان ذلك أوخم ما أنت نائل منه ، أو بذل ما أنت مصيب به ، فان نازعتك شهوتك الى تلك الامور فاتهمها أشد الاتهام ، وغالبها أشد المغالبة ، فان أظفرك الله بها دفع عنك شرها ، فليكن فرحك بذلك أشد بفرحك بمن ظفرت به من اعدائك فان فضل ما أنت تاركه لله من هواك على ما أنت مصيب من لذته وسروره كفضل ثواب الله أهل الجنة على ما تقسم للناس من معايشهم فى الدنيا .

ولقد أوجز عمرو بن عبيد حيث قال لأبى جعفر المنصور : « إن الله لم يرض أن يكون أحد من الناس فوقك ، فلا ترض أن يكون أحد أشكر له منك »[٨٠] .

ومما يجب على الملك أن يكون ما فيه من الفضل والشرف فى أفعاله وخصاله وعقله وكماله ، موازيا لكل نقصان فى رعيته ، لانه انما استرعيها ليرعاها ، واستحفظها ليحفظها ، وليسد خلتها ، ويجبر فاقتها ، ويدفع نقصان منقوصها ، ويستر عيب معيبها ، ويقيم متأودها[٨١] ، ويذب عن

---

(٧٩) غير واضحة فى الاصل .

(٨٠) ورد النص فى عيون الاخبار ١:١٠٦ منسوبا لشبيب بن شيبة فى قوله للمهدى وبلفظ (ان الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحدمن خلقه ، فلا ترضى بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام) ويشبهه فى البيان والتبين ٢:١٠٠ .

(٨١) تأود : مال وانحنى .

حريمها ، وينصف مظلومها من ظالمها ، ويحملها على شرائع دينها ، وفرائض ملتها ، وحدودها ، وأحكامها ، واذا كـان هذا هكذا فكيف يكـون سائسها الناقص الجاهل ، والظالم الغاشم أو المتهتك المضيع ، ومن يكون فى رعيته من هو أجمع لخصال الخير ، وأحرز لاسباب الفضل منه ؟ فكيف ينقاد لـه الفاضل المتدين ، والعدل المتثبت الا قسرا وأضطهادا وجبرا واضطـرارا ، يتوقع زوال المحنة عنه بزواله ، ودفع الظلم عنه بارتفاعه ، واذا كان هـذا هكذا كان ذوو الفضل من رعيته أعداءه ، وذو الفضائل من أهل ولايته أعوانا عليه ، وأخلق بمثل هـذا الملك أن يكون سريع الـزوال (١٢ / أ) وشيك الاضمحلال .

وقد قال أردشير الملك فى عهده : « اعلموا أن قتالكم الاعداء من الامم قبل قتالكم سوء الادب مـن النفس رعيتكم ليس بحفظ ، ولكنه اضاعـة ، وكيف يجاهد العدو بقلوب مختلفـة وأيده تعادية [٨٢] ونـال فى فصـل آخر : « اعلموا أنه ليس للملك أن يبخل ، لانه لا يقدر أحد على استكراهه ، وليس له أن يغضب ، لان الغضب (والقدرة) لقاح (السرف) والندامة ، وليس له أن يلعب ، ولا يعبث ، لان اللعب والعبث من عمل الفراغ ، وليس له أن يفرغ ، لان الفراغ من أدر السوقة ، وليس له أن يحسد الا مـلوك الامم على حسن التدبير ، وليس له أن يخاف لأن الخوف من المعوز ، وليس له أن يتسلط ان هو أعوز » [٨٣] .

---

(٨٢) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٦٠ .

(٨٣) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ص ٦٩ باسـتبدال لفظة (القدرة) بـ العداوة ، ولفظة (السرف) بـ الشر .

وقال الاسكندر الحكيم : « من عجز عن تقويم نفسه فلا يؤمن (من) لا يستقيم له »(٨٤) .

قال : « ودخل أسقف نجران على مصعب بن الزبير(٨٥) فكلمه بشيء فغضب فضرب وجهه بالقضيب وأدماه ، فقال له الاسقف : ان شاء الامير أخبرته بما أنزل الله على لسان عيسى ، ولا يغضب ، ، قال ، قل . قال : نجد فى التوراة لا ينبغى للامام أن يكون سفيها ومنه يلتمس الحكم ، ولا جائرا ومنه يلتمس العدل »(٨٦) .

وفيما كتب به أرسطاطاليس الى الاسكندر : « وقد يجب على الملك أن يختص بأحسن الخواص ، وذلك أنه علم مشار اليه ، وغرض يقصد نحوه ، والآفة الصغرى فى الملك مقدارها غير صغير ، وكذلك الفضيلة فى الملك أضوأ وأطرى وأكثر مقدارا » .

وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

لا بد للشـــاة مــن راع يــدبرهــا
فكيــف بالناس ان كانــوا بــلا وال

وان أضيــف الى الاذنــاب أمــرهم
دون الرؤوس فهم فى حــال اهمــال(٨٧)

وقال آخــر :

---

(٨٤) اثران لارسطو فى العربية ٣٦ مع تغيير طفيــف ، ولفظــة (من) ساقطة من الاصل .

(٨٥) هو مصعب بن الزبير بن العوام ، ولد سنة ٢٦هـ ، وولاه اخــوه عبد الله بن الزبير البصرة سنة ٦٧ ثم ولاه الكوفة ٦٨ ، وقتل سنة ٧١ . طبقات ابن سعد ٥:١٨٢ ، الكامل ٤:٩ ، تاريخ الطبرى ٦:١٦٠ نهاية الارب ٢١:٨٠ .

(٨٦) لباب الاداب ٧١ ، بهجة المجالس ١:٩٣٩ .

(٨٧) أوردهما المــاوردى ونسبهما الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهــر . تسهيل النظر ١٩٦ .

لا يصـــلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهـالهم ســـــادوا(٨٨)

وكذلك ما قال بعض الشعراء فى بعض الملوك ورآه ركيكا متخلفا :

خنازيـــر نـــامـــوا عـــن المكرمـــات

فأنبههم قـــــــدر لـــــم ينـــــم

فيـــا قبحهـــم فى الـــــذى خـــولـــوا

ويـــــا حســـنهم فى زوال النعـــم(٨٩)

(١٢ / ب) وقال آخـــر :

اذا لم يكـــن صدر المجـــالـــس سيـــد

فـــلا خيـــر فيمـــن صدرتـــه المجالـــس

وكم قائـــل مالـــى رأيتـــك راحـــــلا

فقلت له مـــن أجـــل أنـــك فارس(٩٠)

---

(٨٨) البيت لصلاءه بن عمر بن مالك ، لقب بالافـــوه الاودى ، لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الاسنان ، وهو شاعر يمانى جاهـــلى . وورد البيت فى العقد الفريد ٦:١ ، المعمرون والوصايا ١٣١ ، روضة العقلاء ١٣١ ، الاحكام السلطانية ٥ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، البهجة ٣٥٢:١ ، المصـــباح ٤٧٢:١ ، تهذيب الرياسة ٩٧ ، بدائع السلك ١٠٧ .

(٨٩) البيتان لـــ (محمد بن محمد بن عـــروس) شيرازى نزيل سمراء . كاتب وشاعر ، توفى ٢٨٠ هـ والبيتان (ينسبان الى محمـــود الوراق فى ديوانه ١٢٠) نقلا عن حماسة الظرفاء تحقيق محمد حبار المعيبد ١٤٥:٢ .

(٩٠) ورد فى التذكرة السعيدية ٣٤٦ دون نسبة .

وروى الاعمش[٩١] عن شقيق بن سلمة[٩٢] أنه قال له : يا سليمان والله ما عند هؤلاء واحدة من ثنين : ما عندهم تقوى أهل الاسلام ، ولا أحلام أهل الجاهلية • فكيف يعظم العلماء والحكماء من كان محله عندهم هذه المحال الموصوفة الا ضرورة واقتارا[٩٣] •

واذا قد وفينا هذا الباب حقه من الخطاب ، ودلنا على ما ذكرناه وأخبرنا به من كتاب الله وسنة رسوله وشواهد العقول وآثار الحكماء ، فنحن خاتموها وصائرون الى الباب الذى يتلوه فى ترتيب أبواب الكتاب ، لنقول فيه ما يحضرنا بعون الله وتوفيقه •

---

(٩١) هو سليمان بن مهران الاعمش وكنيته أبو محمد الاسدى مولى بنى كاهل كوفى أصله من بلاد الرى ولد سنة ٦٠هـ وتوفى سنة ١٤٨هـ الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٦ ص ٣٤٢ ــ٣٤٤ المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٩٢) هو شقيق بن سلمة الاسدى ويكنى أبا وائل أمه نصرانية ومات فى زمن الحجاج ــ المعارف ص ٤٤٩ . الاستيعاب جـ٢ ص ٧١٠ .

(٩٣) اقتارا : من قتر : ضاق عيشه . المعجم الوسيط ٧٢١ .

البـــاب الثـــالث

الابانة عن الاسباب التى من جهتها يعرض الاختلال والفساد فى الممـالك وفى أحـوال الملوك

نقول ان أحوال الامم المعروفة أخبارها ، والممالك المشهورة آثارها ، والملوك المنقولة الينا وأوائل أيامها وأواخرها ، متقاربة متشابهة ، ولذلك ما روى عن نبينا ﷺ فيما وصف به حال أمته « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل حتى لو كان فيهم من دخل جحر ضب لدخلتموه »[1] ، وان كان الله قد خص هذه الامة بوجود الحـق فيها الى يوم القيامة ، وجعل اجماعها حجة على مواضع اختلافها ما بقيت ، ووعدها النصر والتأييد الى آخر الزمان ، وتصرم[2] مدة الدنيا .

الدين القـويم أسـاس الملك

وكان مما جرت عليه أمور العالم ، واستمرت عليه عادات الامم ، أنه لم تكن مملكة الا كان أسها ديانة من الديانات ، وأصلها مـلة من الملل ، عليها بنيت شرائطها وفروعها ، وجرت أحكامها ، وحدودها ، ولم يكن ديانة قديمة ولا حديثة الا كان أولها الدعاء الى معرفة الله جل وعز وتوحيده ،

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى بلفظ « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه » اللؤلؤ والمرجان ٧٢٤ وهداية البارى ١:١٣١ ومختصر صحيح مسلم ٢:٢٩١ واخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة باختلاف يسير . سنن ابن ماجة ٢:١٣٢٢ .
والقذة : الريشة المقذوذة أى المحذوفة أطرافها . أساس البلاغة ٧٥٠ .
والمراد كالسهام المتساوية .

(٢) انقطاع وانتهـاء .

والترغيب فيما عنده للمطيعين المتدينين (١٣ / أ) من جزيل الثواب وكريم المآب ، والحث على التزود الى دار القرار والبقاء ، والتزهد فى دار النقلة والقناء ، حتى اذا خرج الآتى بشريعتها والواضع لاركان ملتها حقا كان ذلك أو باطلا من بينها ، وقع الاختلاف فيما بين أمته ، والتنازع فى أهل ملتـــه ، فربما كان ذلك منافسه فى الرياسة ، وربما كان مخالفه فى الدين ، ثم لا يزال اختلافهم يحملهم على التعصب ، ويؤديهم الى التحزب ، ولا تزال الايام تتابع ، والامد يطول ، حتى يبعد بأصل الدين عهودهم ، وينسوا كثيرا مما ذكروا به ، وربما فتحت عليهم خزائن الدنيا فمالـــوا اليها ، حتى صـــارت مملكتهم على مر الايام دنيا تيه[٣] ، تتداولها أيدى أبنائها ، وســـباستهم شهوانية ، تشح عليها أنفس طلابها ، ويتعادى عليها أربابها ، كما قد روى ذلك عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه لمـــا أتى بغنائم القادسية جعل يتصفحها ، وينظر اليها ، ويبكى . فقال له عبد الرحمن بن عوف : [٤] يا أمير المؤمنين هذا يوم فرح وسرور . فقال : أجل ولكن ما أوتى هذا قوم قـــط الا أورثهم العداوة والبغضاء .

أسبـــاب فســـاد الملك :

ثم ربما جعل الملوك ممالكها وراثة منهم يرثها الاخلاف الاســـلاف ، والابناء الآباء والاصاغر الاكابر ، يعهد بعضهم الى ولده [٥] من غير أمتحان

---

(٣) دنيا تيه : دنيا ضياع وضلال . المعجم الوسيط ٩٢ .

(٤) عبد الرحمن بن عوف الزهرى القرشى ويكنى ابا محمد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين جعل عمر الخلافة فيهم توفى فى المدينة سنة ٣٢هـ . المعارف ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ٨٤ — ٨٥ .

(٥) فى الاصـــل : والده .

له فى عقله ، ولا معرفة منه بفضله ، ولا وقوف على علمه بأمور الديانة التى هى أصل المملكة وأسها ، ولا استقلال بأسباب الملك التى هى فروعها وحراسها ، فاذا وقع فيها الغر الممتحن بسكر الشباب والثروة ، وسكر العز والمملكة والفراغ والقدرة ، ورأى أن ليس فوقه يد قابضة ، ولا عين راقبة ولا قوة قاهرة ، أمن حوادث الزمان ، واغتر بمساعدة الايام ، ولم يذكره الامن الخوف ، ولا الدولة الزوال ، ولا السلامة والصحة المرض والزمانة ولا العز الذل ، ولا الغنى الفقر ، ولا الظفر الخيبة ، فخال [٦] الدنيا كلها سرورا بحتا ، ولذة صرفا فاتبع فيها اللذات وآثر فيها الشهوات ، ونسى ما صنع الله بمن كان قبله من أمثاله ممن هو أشد (١٣/ب) منه قوة وأكبر جمعا ، وعمى عما يشاهده فى أيامه وساعاته من حوادث الزمان ، ونوائب الليالى والايام ، ولم يذكر ما قاله الملوك الاولون : « من تاه فى ولايته ذل فى عزه » . واذا صار لذلك صارت همته من الملك التمتع حلالا كان أو حراما ، وبغيته من المقدرة التسلط والتطاول حقا أم باطلا ، وأعرض عن أحكام الدنيا جانبا ، وضرب عن حدود السياسة صفحا ، وصارت سياسته عبثا ، ورعايته لهوا ، ثم خلف ذلك فى عقبه ميراثا ، وفى أتباعه سنة ، وعند ذلك يكثر فى رعيته الظالم والمظلوم ، والغاشم والمغشوم واقتدوا بملوكهم فى امراج [٧] النفس فى لذاتها ، واتيانها هواها من الشهوات الحيوانية الصادة عن مواجب العقول . وتفرقت عنه الاهواء ، واختلفت فيه الاراء ، فأما أبناء الدنيا والمؤثرون لها والحرصاء عليها فتقربوا الى الملوك بالنصائح التى

---

(٦) فخال : فظن .
(٧) امراج النفس : تركها وتخليتها .

لهم شطرها ، والمشورات التى لهم ثمرتها ، فكثر عند ذلك وزراء السـوء ، أعوان الظلمة ، فجرعوهم الغش فى طعم النصح ، وأروهم الضلال فى صورة الهدى ، وعرضوا عليهم الغى فى معارض الرشد ، وحجبوهم عن النصحاء الحكماء ، وحالوا بينهم وبين العلماء الفضلاء ، فضلوا وأضلوا ، وهلكـوا وأهلكوا ، فاذا كانوا كذلك صار الحكماء ، والعلماء والبصراء ، بالعيوب فى صورها ، والمذام بأعيانها ، بين ذليل مقموع ، ومطرود محجوب ، ومن بين متحرج تمنعه ديانته عن اتيانـه ، وحكيم يترفع عن صحبته ، وخائف يرى أنه أن واجهه فيما فيه صلاحه ونصحـه ، رقابله بما فيه نجاته ورشده ، عاقبه عليه أشد العقاب ، وعذبه آلام [٨] العذاب ، لان الحق مر ، ونصح من ينهى عن الهوى ثقيل الا على العاقل الكامل ، والحازم الفاضل ، وكثير من هذه الابواب قد نال ملوك زماننا هذا من أهل ملتنا ، وولاة أهل قبلتنا .

فهذه كلها أبواب الفساد التى تعرض من جهة حب الرياسات والشهوات والتشاح [٩] عليهـا .

وأما الباب الذى طريقه طريق الدين خاصة : فهو أن كلام كل كتاب ، وأخبار كل نبى لا تخلو من احتمال تأويـلات مختلفة ، لان ذلك موجود فى الكلام بنفس (١٤ / أ) طباعه ، ومعلوم أن الكلام كلما كان أفصح وأعرب وأحسن نظما وأبعد مخرجا ، كان أشد احتمالا لفنون التأويلات ، وضروب التفاسير ، ولا كلام أولى بهذه الصفات من كلام الله جل ذكره ، اذ كـان أفصح الكلام ، وأوجزه ، وأكثره رموزا ، وأجمعه للمعانى الكثيرة والاحرف

---

(٨) هكذا فى الاصل نرى الاصح : أذاقه آلام العذاب .
(٩) التشاح : التدافع والتزاحم .

اليسيرة ، وكان كتابنا الذى هو القرآن أولى الكتب وأخصها بهذه المعانى ، اذ كانت اللغة التى أنزل الله بها أفصح اللغات ، وكان كتابا جعل نظمه حجة على قومه ، وعلما لنبيه ﷺ ، ولابد فى الدين من وقوع الحوادث التى يحتاج الى النظر فيها ، والنوازل التى لا يستغنى العلماء عن استخراجها ،وعن خبر يشكل معناه ، وأثر تختلف التأويلات فى فحواه على مر الايام ، فاذا دفعوا اليه اختلفت الآراء فى المسائل ، وتفرقت الاهواء فى النوازل،وصار لكل رأى تبع ، ومشرعون وأئمة ومؤتمون ، ثم مع طول الزمان ازدادت لها أنصار ومتعصبون ، وأعوان ومحامون ، فكان سببا لاختلاف الاممواانشقاق عصاها ولا يخلو دين من الاديان ، ولا ملة من الملل من منافقين فيها ، ومعادين لها ، فاذا وجدوها مختلفة متباينة متعادية ، أظهروا مكائدهم المضمرة ، ومطاعنهم المكنونة ، فدسوها فى مذاهبهم ، واخترعوا اختراعات كاذبة ، فوضعوها فى أخبارهم ، فافتتنت بذلك أعوانهم ، وفسدت أغمارهم [١٠] ، ثم قصدوا الملوك وهم أخلاء [١١] من علم الدنيا ، أعراض عن أصول الشريعة ، مترفون منغمون ، أهواؤهم التمتع باللذات ، وآمالهم مصروفة الى نيل الشهوات ، وهمهم الحرية والخلاعة ، والمروق عن الطاعة فزينوا عندهم الملاهى والملاعب ، وحرضوهم على أستعمال المزامير والمعازف والقوا اليهم ما يشين العرض ويخلق المروءة [١٢] ويفسد المملكة ، ويميت الديانة ، ويخالف بين أهواء الرعية ويغير أمارات الشريعة ، فقبلوها منهم لما وافق أهواءهم من الاستخفاف بالدين ، وطرح ثقله ، فاذا صار أمر الملوك

---

(١٠) الاغمار : غير المجربين . أساس البلاغة ٦٨٦ .
(١١) والصحيح : خلو .
(١٢) يخلق المروءة : يبليها ويهلكها . المعجم الوسيط ٢٥١ .

وهم من يقتدى بأفعالهم ، وتقتفى آثارهم فى سيرهم ، كذلك جرى عليه خواصهم (١٤ / ب) وخدمهم ، ولكل خاص خاص ، ولكل مقتد مقتدى به ، فعند ذلك تختلف السيوف (١٣) لان أهل الاديان يعتقدون الخروج على الملك واتباعه ، والسلطان وأشياعه ، ويستحلون ازالة يده ، وأهل الدنيا لا يرعون له حقا ، ولا يعرفون فيه منقبة لا يبلغونها بالتقدير فى أنفسهم ، ولا يوجبون له طاعة تلزمهم ، بل يرون أن الملك قد صار من عز بز أو من غلب سلب فيكثر لذلك الخوارج ، وتخرب الممالك ، وتفسد الرعايا ، وتشيع المعاصى والفواحش ، وتكثر المؤن (١٤) ، واحتجج الملك العدد الكثير ، والعدة الوافرة ، ثم ربما ضاقت أموال المملكة عن مؤن الاعوان والحاشية ، فأدى ذلك الى شغب الجند ، وتحزب آراء الاعوان ، ولا يبالى الملك أن يجحف بالرعية ، ويحمل عليها ، ولا تبالى الرعية أن تعين عليه ، فان أطاعت طاعت مشسورة مقهورة ، وان اضطربت وغلبت كانت عند الله وعند أهل الدين ، والعقل ، والرأى ، والفضل معذورة ، وعند أنفسها مشكورة مغفورة ، واذا زال ما يطمع فى الملك اعداؤه ، ويرغب فى أبطال الدين مخالفوه .

الراشدون وحماية الدين :

وعلى هذا جرت أحوال أمتنا مع نبينا ﷺ وبعده ، فان خلفاءه الراشدين كانوا لا يرون الخلافة الا لاحياء الدين ، ولا الامارة الا لصلاح المسلمين ، وكانوا أهل رأفة بالمؤمنين ، سيرتهم العدل ، وقولهم الفضل ،

---

(١٣) تختلف السيوف : تقع الاضطرابات الداخلية .
(١٤) تكثر المؤن : يزداد الطلب على الاقوات . بتصرف من المعجم الوسيط ٢ : ٨٥٨ .

وقضاؤهم الحق ، وكلامهم الصدق ، وقد لبسوا المسوح والصوف ، وجردوا السيوف يضربون بها وجوه الكفار ، وأخذوا السياط يقمعون بها رؤوس الفجار ، حتى فتحوا الفتوح وهزموا الجيوش ، وقهروا الجبابرة ، وقتلوا الفراعنة ، وأظهروا نور الحق فى الغرب والشرق [١٥] ، ظاهرهم الخشوع وباطنهم الخضوع لله ، وبغيتهم الاخرة والاستخفاف بالدنيا جعلوها تحت أقدامهم ، اذ عرفوها حق معرفتها ، ووضعوها فى منزلتها ، كقول النبى ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة »[١٦] وقوله حين مر بمزبلة فقال: «ومن سره أن ينظر الى الدنيا بحذافيرها فلينظر الى هذه » ومر بشاة ميتة (١٥/أ) ملقاة فى مزبلة فقال: « ما ترون هذه هانت على أهلها حتى رموا بها ، للدنيا على الله أهون من هذه على أهلها [١٧] .

وكان عمر بن الخطاب يقول لعماله : « انا لا نوليكم على أشعار المسلمين . ولا على أبشارهم ، وانما نوليكم لتقيموا فيهم الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن »[١٩] . وقال النبى ﷺ لعامل وقد رجع من ولايته بشىء طفيف ، فقال ، هذا أهدى الى : « ما بال أحدكم اذا وليناه أمرا من أمور

---

(١٥) هكذا بالاصل : والاصح بالمغرب والمشرق .

(١٦) اخرجه الترمذى عن سهل بن سعد . سنن الترمذى ٤:٥٦٠ كما اخرجه الطبرانى وابو نعيم . كشف الخفاء ٢:٢٢٥ ، كما رواه البزار . مجمع الزوائد ١٠:٢٨٨ .

(١٧) اخرجه احمد بن حنبل عن ابن عباس ، واسناده صحيح . المسند ٥:١٩ كما رواه أبو يعلى والبزار . مجمع الزوائد ١٠:٢٨٧ .

(١٨) اشعار : ممتلكات المسلمين من الزروع والارض . المعجم الوسيط ١:٤٨٧ .

(١٩) النص فى الطبقات الكبرى لابن سعد ٣:٢٨١ مع اختلاف لفظى يسير وتاريخ الطبرى ج٤ ص ٢٠٤ .

المسلمين أن يقول هذا لكم ، وهذا أهدى الى ؟ ألا جلس فى حفش أمه فينظر هـل يهـدى اليه »[٢٠] .

حتى خلف من بعدهم خلف رغبوا فى الدنيـا ، وآثروها ، وسعوا لهـا وقدموها ، وتنعموا فيها ، واتخذوا مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، وتركوا رعاياهم هملا ، الا من عصم الله منهم .

فهذه الخلال التى ذكرناها فى هذا الباب هى التى تخرب الممـالك ، وتفسد الاديان ، وتطمع الاعداء فى الملوك ، وتخالف بين السيوف ، قـد عددناها وذكرناها ، ولكل داء من هذه الادواء دواء يستشفى به ، ولـكل فساد وجه صلاح يؤتى به ، وباب تحرز لمن أراد التحرز والاحتياط لمن مال الى التوفيق .

الملوك وسـير السـابقين :

أما ما ذكرنا من بعد عهد النبى ﷺ ، وأصحابه والصالحين فى صدر أمته ، حتى تأدى ذلك الى قساوة القلوب ، والاغترار بالدنيا ، والانخداع لها ، فان أخبارهم غضـة طرية ، وان بليت أجسـادهم فآثارهم حاضرة عتيدة ، وان غابت أعيانهم ، فينبغى للملك الحازم ، والسائس الصارم ،

---

(٢٠) صحيح ، أخرجه البخارى عن ابى حميد الساعدى : ان رسول الله ﷺ استعمل عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله ، فقال يا رسول الله هذا لكم وهذا اهدى لى ، فقال له : « أفلا قعدت فى بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى لك أم لا » صحيح البخارى ١٦٢:٨ كما أخرجه مسلم بلفظ قريب ، مختصر صحيح مسلم ٩٠:٢ وأخرجه أبو داود أيضا جامع الأصول ١٢٤:٢ والحفش : البيت الصغير من بيوت الاعراب . المجرد للغة الحديث لعبـد اللطيف البغـدادى ٣٨٥:١ ، والمعجم الوسيط ١٨٤:١ .

أن يتعهد قلبه بسماع آثارهم ، وقراءة سيرهم وأخبارهم ، وهـديهم ، ويتفكر فيما أقام الله جل وعز من دلائله الواعظة ، وأعلامه الشاهـدة فى أرضه وسمائه ، وفيمن كان قبله من الملوك الماضية ، ليعـرف بذلك حاله ، ويرى نفسه ، فانها قائمة نصب عينه ، تخاطبه وان لم تنطق ، وتعظه وان لم تسمع[٢١] ، وسنفرد للمواعظ بابا على أثر هذا ، ونذكر فيـه ما نظنه نافعا كافيا ان شاء الله .

الملك وأصحاب الأهـواء :

وأما دفع مضرة أصحاب الأهواء ، والطاعنين فى الدين ، والخادعين عنها بالحيل الغارة والأباطيل الخادعة ، فان التحرز منه النظـر فى كلام المتكلمين الذابين[٢٢] عن أصول الدين ، المتدربين بمناظـرة الملحـدين والمخالفين (١٥/ب) ، والجمـع بينهم ، والسماع منهـم ، والاستماع لتأويل الآثار ، وتفسير الأخبار ، ومعانى الآى ، فان من نظـر فى هـذه المعانى عرف فضل علوم الإسلام على سائر العلوم ، وقوة هذا الدين على سائر الأديان ، وفضل هذه الشريعة فى الحسن والقوة ، على كل شريعة ومـلة أنتسبت إليها أمة واعتزت[٢٣] إليها فرقة ، فان لم يحضر المتكلم الحاذق ، والعالم الصارم ، فقرأ كتبهم المؤلفة فى تأييد الدين ، وإظهار محاسنه ،

---

(٢١) فى الاصل : يخاطبه .. ينطق .. يعظـه .. يسمع ، والسـياق يقتضى ما ورد فى النص المحقق .

(٢٢) الذابين : المدافعين .

(٢٣) في الاصل : اعتزى ، والمعني : انتسب .

والتأويلات ، وعلل الاخبار ، وصرف بعض أوقات الفراغ ، والخلوة إليه، فان ذلك لا يعوز[٢٤] الملك إن أراده ، ولا يفوته إذا طلبه •

وأما غلبة وزراء السوء ، وطلاب الدنيا على الملك ، ونفور الحكماء والعقلاء منه ، فان وجه التحرز منهم ، إظهار الأمانة والعفة ، والعدل فى الرعية ، والشفقة عليها ، والرأفة بها ، وفتح أبواب النصائح فيها ، فانه إذا فعل ذلك أظهر كل منهم ما يوافق ميل ملكه ، ويقارب رأى رئيسه ، مؤمنا كان أو منافقا ، مخلصا كان أو مرائيا ، وأقبل عليه أهل الدين ، والحكمة ، والأمانة ، والخشية ، والصدق فى النية أقبالا ، وأتوه أجفالا[٢٥] ، فأشاروا عليه بالحق ، وهدوه إلى الرشاد ، ونهوه عن الفساد ، وأهدوا له النصائح ، وثنوه عن القبائح ، « فان السلطان سوق وانما يجلب الى كل سوق ما ينفق فيه »[٢٦] •

الملك ووحدة أمته :

وأما التحرز من اختلاف قلوب الرعية وتفرق أهواء العامة من جهة الدين ، فان وجهة التدبير فيه والترتيب على منازل مختلفة منها :

أن يحمل الناس على ترك الخوض فيما يؤديهم إلى التفرق ، ويدعوهم الى التحزب ، فان ذلك هو أمر الله الذى أمر به عباده ، وسنة رسوله التى أكدها عليهم ، وسياسة الملوك الحزمة من قبله •

---

(٢٤) فى الاصل : يعون .

(٢٥) المراد : سراعا . المعجم الوسيط ١ : ١٢٨ .

(٢٦) قاله ابو حازم لسليمان عبد الملك . عيون الاخبار ١:٢ ، العقد الفريد ١:٢٣ وينسب الى عمرو بن عبيد .فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ٢٤٩،واورده الثعالبي قولا لابى الحسن اخى سيف الدولة . الايجاز والاعجاز ٢٣ .

قال الله جل وعز : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـداء فألف بيـن قـلوبكم فأصبحتم بنعمتـه إخـوانا)[٢٧] .

وقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفـوا من بعـد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم)[٢٨] .

(١٦/ أ) وقال : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[٢٩] .

وفى آى كثيرة ينهاهم فيها عن التفرق والتحزب .

وقال النبى ﷺ : « رحم الله من ترك المراء ، وان كان محقا »[٣٠] .

وقال : « لا تختلفوا فى الصفوف فتختلف قلوبكم »[٣١] .

وقال أبو بكر الصديق[٣٢] — رحمة الله عليه — لسلمان الفارسى[٣٣] . فى كلام — وهو محق فيه — دع الكلام فانى أخاف أن يختلف أصحاب رسول

---

(٢٧) ٣ آل عمران : مدنية ١٠٣ .
(٢٨) ٣ آل عمران : مدنية ١٠٥ .
(٢٩) ٦ الانعام : مدنية ١٥٣ .
(٣٠) اخرجه الترمذى وابن ماجة عن انس بلفظ«من ترك الكذب وهوباطل بنى له قصر فى ربض الجنه ، من ترك المراء وهو محق ، بنى له وسطها » سنن الترمذى ٤:٣٥٨ رقم ١٩٩٣ وسنن ابن ماجه ١:٢٠ رقم ٥١ . وقـد ضعفـه الالبانى . ضعيف الجامع الصغير ٥:١٨٤ رقم ٥٥٣١ .
(٣١) صحيح ، اخرجه النسـائى ٢:٨٩ ، ٩٠ ، مختصر سنن أبى داود للمنذرى ١:٣٣٢ رقم ٦٣٤ .
(٣٢) هو عبد الله بن أبى قحـافة عثمان بن عامر التميمى القـرشى أول خلفاء الراشدين ، مات فى ١٣ هـ . صفوة الصفوة ١:٢٣٥ ، تاريخ الخلفاء ٢٧ — ٨١ .
(٣٣) صحابى أصله من مجوس أصبهان ، وهو الذى دل على حفر الخندق ونوفى سنة ٣٦هـ . طبقات ابن سعد ٤:٧٥—٩٤ . وحلية الاولياء ١:١٨٥و٢٠٨

الله ﷺ . فى أمثال كثيرة من أمثالها هذا . هو التدبير المحكم فى قطع سبب الاختلاف والحيلة فيه — أولا — أن يتلو فيهم الايات والاثار التى أمرفيها بالائتلاف ، ونهى عن التفرق والاختلاف ، ثم يؤدب نفسه ، ويؤنب ويعزر ، ويعاقب من أحدث بدعة أو ألحد فى سنة ، فان لم يتهيىء ذلك[٣٤] وكان الإختلاف والتفرق عم وقد سبق عمر بعض الملوك وتقدم أيامه ، فالوجه أن لا يدع محدثا يحدث فى أيامه ، ولا سيما إذا كانت مخالفة لظاهر الشريعة وأصل الملة ، ويدبر فيه التدبير الأول ، فان لم يتهيىء ذلك إذ هو متعذر عسير قد تكلفه من كان قبلنا من الملوك الحزمة المعنيين[٣٥] بأمور الدين والملك ، واجتهدوا فيه فلم يتهيىء لهم ما أرادوا ، وتعذر عليهم من ذلك ما راموا ، فان فيه وجهين : أحدهما ، الرغبة فى الآخرة محضا ، وصرف الهمة إليها صرفا ، وطلب ما عند الله للمخلصين فى دينه ، والمجتهدين فى إدراك حقه ، فاذا اختار ذلك بالنظر العدل وسماع الأقاويل حتى يصح عنده الحق فيما أختلفت فيه الامة ، ثم دعوة الناس والتلطف لبثه ونشره بالتقريب على مذهب الحق ، واعانة الدعاة إليه ، والناظرين فيه ، والحسبة فى كل ما يجرى على يده من ذلك ، فان فيه الأجر العظيم والثواب الجزيل الكريم ، وهو طريق الأنبياء ﷺ ، وسبيل الأولياء والصالحين والأئمة الراشدين من أهل دعوتنا ، ومن كان قبلنا ، ولا ييأس فاعل ذلك ، ومقدم النية فيه ، من توفيق الله ومتابعة عصمته إليه ، ونصرته على مخالفيه ، فيجتمع له الدين والدنيا .

---

(٣٤) فى يتهيىء ذلك : بمعنى يهتد لذلك .

(٣٥) فى الاصل : المعينون .

والثانى ، أن يعتقد الحق ، ويظهر جملة ما اجتمع إليه أهل ملتـــه ، واتفق عليه ألسن أهل دعوته ويجتهد فى معرفة ذلك (١٦/ب) على اليقين والصحة ، ثم قام بالشرائع ، وأنفذ الأحكام ، وبسط العدل والإحسان ، ونفى الجور والعدوان ، ولا يتعرض بشىء مما اختلف الناس فيه بعد معرفة الجملة ، إذ لا مطمع فى جمع أهواء الناس على رأى واحد ، سيما بعد ماتقدم المدد الطويلة ، وتتابع الازمنة المتراخية[٣٦] ، وسبق وقوع الاختلاف •

حسم أطماع العـــدو :

وأما الحيلة فى حسم أطمـــاع العدو منه ، فمن جهات :

أولها وأقربها هو الذى قدمنا من إئتلاف قلوب الرعية ، وجمع كلمتهم بالعدل والانصاف والفضل والاحسان ، وعمارة المملكة بهذه الأســـباب ، واستيفاء الخراج والغلات من هذه الوجوه •

والثانية : التنظف[٣٧] عن المطامع الدنية ، والاخلاق الذميمة ، واتباع الشهوات والاستهتار باللذات ، ولا سيما فيما حرم الله ونهى عنه ، والسمو إلى نيل الفضائل ، ودرك المناقب من العلم والدين والعدل والرفق وسائر خصال الفضل ، فان هذه مراتب من نظر فيها وفكر فى مغبتها ورأى نفسه عن سمتها غفلا وعن حليها عطلا لم تطمع نفسه ، وخاف الدنومنها ، ثم حسن التدبير فى الأمور ، واستشار ذوى الألباب والرأى والتجارب ، فقد قيل : « كايد عدوك باصلاح عيوبك » • ولهذا كتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر:

---

(٣٦) المتراخية : المتوالية .
(٣٧) التنظف : الترفـــع .

« أصلح من نفسك (ما)[٣٨] يرد الرعية إلى إيجاب الحـق لك ، واظهـر العظايا والأدب فى رعيتك فانها تنمى رعيتك وتذل أعداءك ومن ناوأك » .

وقال : « أصلح نفسك لنفسك تكن الناس تبعا لك »[٣٩] .

ثم جمع الجنود المختارين ، والحاشية المنتخبين المتدربين بالوقائع والحروب ، والاحتيال لاستجماع آرائهم وقلوبهم بالعدل بينهم ، وإثابة المحسن على إحسانه ، وإجزاء المسىء على إساءته ، وإدرار أرزاقهم على ما سنذكره فى باب سياسة الخاصة إن شاء الله .

وجوه التحرز من الفساد :

فأما التحرز من الوقوع — فيما يرى فيه ملوك زمانه — عند ظهـور الفساد وتغير الأمور واستئثار[٤٠] الملوك بأموال الرعية ، وإظهار الحيف والميل إلى الدنيا ، وما فى هذا الباب فمن وجوه :

أولها ، مراقبة الله عز وجل (١٧ / أ) ، والعلم بأن الله أولى بأن يتبع ، والرسل أحق من يقتدى بهم ، وأن يعلم أن الله عز وجل يجزى كل نفس بما كسبت ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى »[٤١] .

ثم يسمو بهمته إلى أن يكون أفضل عند الله وعند العقلاء ، وأرفـع منزلة لدى الحكماء منهم ، فان أخص الناس بهذه الصفة وأولاهم بهـذه الهمة الملوك ، لأنهم لم يرضوا إلا أن يكونوا فوق أشكالهم ونظرائهم من

---

(٣٨) فى الأصل (مـن) .

(٣٩) ورد النص به فى لباب الآداب (لابن منقذ) : ٥٨ ، تسهيل النظر : ١٣٥ ، وفى أدب الدنيا والدين : ٣٢٨ (نقلا عن تسهيل النظر) ، نزهة الارواح ١:٢٠١ ، وطبقات الاطباء ١:٩٨ .

(٤٠) أى انفـراد .

(٤١) ٣٥ سـورة فاطر : مكية ١٨ .

أهل نوعهم درجة ، وأعلى منهم منقبة ، وأظهر منهم فضيلة ، فان لم يكن كذلك — بأن يلحق بالفضلاء من الملوك — فان الملوك يتفاضلون فيما بينهم فى الخصال الشريفة ، فيجب على الملك الفاضل أن يقتدى بأفاضلهم دون أراذلهم ، ويقتفى آثارهم فى فضائلهم دون رذائلهم ، فاذا لم تكن أمة من الامم إلا كان فى ملوكها حزمة وساسة وحكماء ومتدينون ، بل كانوا لا يرون من أهل الدين إلا من كانت هذه سبيله ، فمن خالفها أو عدل عنها ، وتنكب كان ملكه ملك المتغلب المبتز والدخيل المحتل ، ثم قد يتفاوت اختلاف الملك الواحد فى أفعاله ، فى الحسن والقبح ، والفضائل والرذائل ، فيجب على الملك البعيد الهمة الذى يرى الاقتداء أن يقتدى به ، ويتبع سنته ، ويحتذى سيرته فى محاسنها لا فى مساوئها ، وفى أفاضلها لا فى أراذلها ، فقد روينا عن النبى ﷺ أنه قال : (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن أساءوا أسأنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا)[٤٢] وقال بعض الحكماء : « إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم فى الهلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم»[٤٣] . وقال الله جل ذكره : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)[٤٤] . وقالوا : وشكا رجل الى حكيم من الحكماء فساد الزمان فقال : « أنت الزمان فان صلحت صلح ، وإن فسدت »[٤٥] .

---

(٤٢) ورد الحديث بلفظه عن أبى حذيفة — رواه الترمذى فى سننه ج ٤ ص ٣٦٤ رقم ٢١١٧ — وقال الالبانى بضعفه ج ٦ ص ٧٧ الحديث رقم ٦٢٨٥ وشرح السنة للبغوى ١٣ : ٣٢ برقم ٣٤٤٤ .

(٤٣) من حكم الحسن البصرى : حلية الاولياء ٢ : ١٥٧ .

(٤٤) ٥ المائدة : مدنية ١٠٥ .

(٤٥) من أقوال الحكيم : أحنف بن قيس لمعاوية ورد النص فى المصباح ١ : ١٨٣ وورد بأسلوب مطول فى التبر المسبوك ٧٧ ومجمع الامثال ٢ : ٤٢٥ .

ثم ليس شيء مما نودعه كتابنا هذا إلا ولو أردنا أن نستشهد عليه بقول ملك من الملوك أو خليفة من الخلفاء أو أمير من الأمراء ، ونكثر من أقاويلهم ، لوجدناه مسطرا لهم مكتوبا ، ومدونا عنهم محفوظا ، ووجدنا (١٧/ب) من الملوك من كان إليه مائلا ، وبه قائلا ، وله مؤثرا وفاعلا ، ومهما شككنا فى شيء فلا شك أنه كان لله أنبياء ومرسلون ، وأولياء ملكوا الدنيا ، وقادوا العساكر والجيوش ، ودوخوا البلدان بالجنود ، فما منعهم جلالة حالهم ، وعظم ملكهم ، وكثرة جيوشهم ، وكثافة جنودهم وسواد جموعهم من إيثار طاعة الله ، والعدل فى خليقته وبريته ، فعاشوا ملوكا وماتوا ملوكا ، وبقيت آثارهم ، ولسان الصدق عنهم كأنهم أحياء وإن ماتوا ، وشهود وإن غابوا ، وقد كان سليمان بن داود(٤٦) الذى قص الله علينا نبأه ، وأخبر أنه ألان له الحديد ، وأذل له الشديد ، وسخر له الجن والإنس ، والسباع والبهائم والوحوش ، وأنواع الحيوان والرياح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، وكان من قبله أبوه داود(٤٧) عليهما السلام،جعله الله خليفة فى الارض ، وأمينا على الخلق .

وقد كان منهم يوسف(٤٨) النبى ﷺ ، ومنهم ذو القرنين الذىأثنى الله

---

(٤٦) سليمان بن داود : هو نبى من أنبياء بنى أسرائيل ، خلف أباه داود على ملك بنى اسرائيل ، وهو الذى بنى بيت المقدس على ما أسسه أبوه ، وتوفى سنة ٩٢٦ قبل الميلاد . تاريخ الامم والملوك ١:٢٥٢ ، ٢٦٢ والكامل فى التاريخ ١:١٢٨ ، ١٣٦ وتاريخ ابن الوردى ١:٣١ والانس الجليل ١:١١٧ — ١٤٥ .

(٤٧) داود عليه السلام من انبياء بنى اسرائيل ، انزل اليه الزبور ، وقد تولى ملك بنى اسرائيل ، وأسس بيت المقدس فى القرن العاشر قبل الميلاد ،ودام ملكه أربعين سنة ، وكان عمره لما توفى مائة سنة . الكامل فى التاريخ ١:١٢٨ وتاريخ ابن الوردى : ١:٣٠ .

(٤٨) يوسف بن يعقوب عليهما السلام نبى من بنى اسرائيل ، مكنه الله فى أرض مصر ، وتوفى عن مائة وعشرين عاما . ابن كثير : قصص الانبياء ١:٣٠٦ — ٣٥٩ .

عليه ، ثم موسى بن عمـــران[٤٩] ، ويوشع بن نون[٥٠] وذووهم • ثم كان خاتم النبيين وسيد المرسلين نبينا ﷺ ، ملكه الله كثيرا من بـــلاده فى أيام حياته ، وقاد الجيوش ، وساق الخيول ، وفتح الفتوح ، ودبر الأمور ، فلم يمنعه ذلك من طاعة الله والائتمار بأمره ، والاجتناب عن نهيه ، والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ، ثم كان خلفاؤه الراشدون،وأصحابه المهتدون الذين فتحوا البلاد ، وقهروا أهل العناد ، وكانت سيرتهم ما قد ذكرنا ثم كان من بعدهم عمر بن عبد العزيز[٥١] وهو من بنى مروان الذين[٥٢] عاثوا فى الارض ، وغيروا السنن ، وأظهروا البدع ، فلم يكن قبله منهم مثله،أمر ببيع الخزائن ، ورد المظالم ، وأزال اللعن عن آل الرسول ، ورغب فى العلم، ونشر الفضل ، وقرب أهل العلم ، والزهد ، فلم يمنعه فساد أهـــل زمانه وأقربائه ونظرائه ، من صلاحه وتدينه وتحريه الحق •

وكذلك كان يزيد بن الوليد[٥٣] ، فانه أظهر الدين ، وتعصب له وبسط

---

(٤٩) موسى بن عمران ، نبى من انبياء بنى اسرائيل ، نزلت عليه التوراة ومات وعمره مائة وعشرين سنة . تاريخ ابن الوردى ١ : ٢٤ .

(٥٠) يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقـــوب بن اسحق بـــن ابراهيم عليهم السلام ، وأهل الكتاب يقولون : يوشع ابن عم هود ، نبى مـــن انبياء الله الى بنى اسرائيل ، وكان يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى وفاتـــه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة . ابن كثير : قصص الانبياء ٢ : ٢١٣ .

(٥١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ويكنى أبا حفص ، ولـــى الخلافة سنة ٩٩هـ ، وساد حكمه عدل الخلفاء الراشدين ، ولقب بخامس الخلفاء الراشـــدين ، وتوفى وله تسعة وثلاثون ســـنة عام ١٠١هـ وأنظر فى ترجمتـــه سيرة عمر بن العزيز لابن الجوزى ، وصفة الصفوة ٢ : ١١٣ــ١٢٧ وتاريـــخ الخلفاء ٢٢٧ : ٢٤٦ وملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن العزيز .

(٥٢) عاثوا : أفسدوا . أساس البلاغة ٦٦٥ .

(٥٣) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ويكنى أبا خالد ، ولقـــب بالناقص لكونه نقص الجند من أعطياتهم ، ووثب على الخلافة ، وقتل ابن عمه الوليد ، وتملك ، كانت خلافته ستة أشهر ناقصه ، ومات وعمره خمسا وثلاثين سنة فى عام ١٢٦ هـ . دول الاسلام ١ : ٨٦ وتاريخ الخلفاء ٢٥٢ .

العدل ، وقتل ابن عمه على الظلم والجور والإلحاد والكفر (١٨/ أ) ثم قام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام ثم قال : « والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ، ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة فى الملك ، وما بى إطراء نفسى ، وإنى لظلوم لها ، ولكنى خرجت غضبا لله ولدينه ، وداعيا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، لمـا هدمت معالم الهـدى ، وأطفىء نور أهل التقى ، وظهر العنيد المستحل لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ، وإنه لابن عمى فى الحسب وكفؤى فى النسب ، فلما أن رأيت ذلك استخرت الله فى أمرى وسألته ألا يكلنى إلى نفسى ، واستعنت بمن أطاعنى من أهل ولايتى ، إلى أن أراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى •

أيها الناس إن لكم على أن لا أضـع حجرا على حجر ، ولا أجـرى نهرا ، ولا اكتنز مالا ، ولا أعطينه زوجة ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذاك البلد وخصاصة أهله فيما يغنيهم ، فان فضلت فضله ، نقلتها إلى البلد الذى يليه ممن هو أحـوج إليه منهم ، وعلى أن لا أجمركم(٥٤) فى ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهاليكم ، ولا أغلق بابى دونكم، فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جـزيتكم ما أجليهـم به عن بلادهم وينقطع معه نسلهم ، ولكن لكم أعطياتكم فى كل سنة ، وأرزاقكم فى كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم ، فان أنا وفيت لكم بهذا فعليكم السمع والطاعة ، وحسن المؤازرة والمكاتفة،

---

(٥٤) أجمركم : من جمر الامير الغزاة حبسهم فى الثغر وفى نحر الغزاة ولا يرجعهم • وفى الاصل أجهزكم ولا يصح بها المعنى .

وإن آنا لم أف لـــكم به فلكم أن تخلعونى ، إلا أن تستتيبونى ، فان تبت قبلتم منى وإن رأيتم أحدا أو عرفتموه يعرف بالفضل والصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من أبايعـــه وأدخل فى طاعته • أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق • أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم »(٥٥) •

فأما خلفاء بنى العباس فنقل من خلا منهم أو من أفاضلهم من خصال حميدة لو اقتدى به فيها وأخذت عنه لكان لذلك أهـــلا ، فقـــد كان منهم أبو العباس(٥٦) أول الخلفاء ، ظاهر الزهد كثير الفضل والعلم •

وكان أبو جعفر (١٨/ب) المنصور(٥٧) أخوه كثير العـــلم شـــديد الاعتقاد فى الدين ، وكان قد صحب عمرو بن عبيد قبل توليه الخلافـــة ، وأخذ عنه العلم والدين ، وكان أحرص الناس على الاستكثار منه فى حال الخلافة ، وله معه آثار معروفة وأخبار مشهورة •

ثم كان ابنه(٥٨) على مذهبه ، وكان هارون الرشيد متـــدينا شـــديد

---

(٥٥) النص فى تاريخ الامم والملوك ٩:٢٦ ، ٢٧ وباختلاف لفظى يسير فى تاريخ الخلفاء ٢٥٣ والكامل فى التاريخ ٤:٢٦٩ ، ٢٧٠ •

(٥٦) هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن المطلب بـــن هاشم ، ويكنى أبا العباس ، ويلقب (السفاح) لسرعة سفكه الدماء ، فأتبعه فى ذلك عماله فى المشرق والمغرب ، ومات سنة ست وثلاثيـــن ومائة عـــن اثنتين وثلاثين سنة . تاريخ الامم والملوك ٩ : ١٥٤ ودول الاسلام ١:٩٣ وتاريخ الخلفاء ٢٥٨ •

(٥٧) هو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ولد سنة ٩٥هـ وبويع بالخلافة سنة ١٣٦ هـ وكان صارما مهيبا ذا جبروت وسطوة ، وعلم وفقه وخبرة بأمور التدبير والسياسة ، وكان يضرب به المثل فى البخل ، وتوفى سنة ١٥٨ هـ . تاريخ الامم والملوك ٩:١٥٥—٣٢٢ سير أعلام النبـــلاء ٧:٨٣—٨٩ ودول الاسلام ١:٩٣ ، ١٠٧ والفخرى فى الاداب السلطانية ١٤١ ، ١٦٠ •

(٥٨) المهدى : محمد بن عبد الله العباسى : ولد سنة ١٢٦هـ ، وبويـــع بالخلافة بعهد من أبيه ، وكان محببا الى الرعية حسن الخلق والخلق ، وتوفى سنة ١٦٩ هـ دول الاسلام ١:١٠٧ ، ١١٢ وتاريخ الخلفاء ٢٧١ ، ٢٧٣ وتاريخ الامم ٩:٣٢٣ و ١٠:١٢ •

التعصب للاسلام والديانة ، ظاهر الشهامة جلدا فى السياسة والحماية ذابا عن أركان الملة منكمشا(٥٩) فى الدعوة ، غزا الروم غير مرة بنفسه • وكتب إلى عظماء الكفرة بتهديده ووعيده ، وحج إلى بيت الله ماشيا وراكبا ، وقل ما كان يخلو من غزوة أو حجة فى كل عام ، ولذلك ما قال فيه مادحه :

فى كل عام غزوة ووفادة ... ثنيت بين نواهما الأقران
غزو وحج مات بينهما الكرى ... باليعملات شعارها الوخدان
يصل الهجير بعزة مهديه ... لو شاء صان أديمها الأكنان
لكنه فى الله مبتذل لها ... إن التقى مسدد ومعان(٦٠)

وكان مولعا بالفقهاء ، مقربا للعلماء ، مهتما بأمر دينه ، حتى كان يوصف بالتقوى والخشية فقال فيه أبو نواس(٦١) :

إمام يخاف الله حتى كأنه ... يراه من التقوى صباح مساء(٦٢)

وفى كثرة غزوه وإخافته أهل الكفر والشرك يقول :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التى لم تخلق(٦٣)

---

(٥٩) منكمشا : من انكمش فى سعيه أى أسرع . اساس البلاغة ص ٨٣٣

(٦٠) والشاعر يمدح الرشيد بأنه يغزو ويحج فى كل عام ويواجه صعابا لا يطيقها الاقوياء ويضحى براحته ونومه ، ويركب الابل السريعة فى ترحاله ويقاتل فى الحر الشديد بوجه مشرق لو شاء صانه فى القصور ، لكنه يتحمل التضحية فى سبيل الله .

اليعملات ، اليعملة من الابل النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل .

الوخدان : الاسراع وتوسيع الخطو .

(٦١) هو الحسن بن هانىء ولد فى سنة ١٤٦ بالبصرة ، شاعر العراق فى عصره ، نظم فى جميع أنواع الشعر ، وأجود شعره خمرياته ، وتوفى سنة ١٩٨هـ الشعر والشعراء ٢:٨٠٠ — ٨٣٠ ، وفيات الاعيان ١:٣٧٣—٣٧٥ ، وخزانة الادب ١:٣٤٧ — ٣٤٨ .

(٦٢) الديوان ص ٢١ — طبعة بيروت ١٩٨٢ .

(٦٣) الديوان : ٤٥٢ والشعر والشعراء ٢:٨٠٥ ، العقد الفريد ١:٢٩ .

ثم كان من بعده المأمون ، وهو لو باهت به هذه الامة سائر الامم فى ملوكها لكان ذلك أهلا ، ولوجد لها عليهم به فضلا ، علما ، وعقلا ، وأدبا • وحزما ، وأربا ، ورأيا ، وفهما ، وشهامـــة ، وعـــزما ، ونظـــرا فى أبواب السياسة ، وجدلا فى العلم • واجتهادا فى اختيار المذاهب ، وشغفا بالعلم وأهله • وتعصبا للتوحيد ، وتوفيرا على سائر أبواب الملك حقها ، وأعطاها قسطها ، وله آثار موجودة ، وأخبار مأثورة ، وفى الكتب مشهورة مسطورة•

وكذلك المعتصم(٦٤) فان أخباره فى كثرة (١٩ / أ) غزواته مذكورة ، ووقائعه مشهورة ، وكان متدينا جلدا باسلا شهما ، ذابا عن الدين ، حاميا عن عـــورة المسلمين •

قالوا : وبلغ من حمايته لهم أنه ذكر بين يديه وفى مجلسه أن امـــرأة مسلمة أسرت فى الروم فى وقعة جرت بين المسلمين وبينهم ، فجعلت تنادى وتندب وتقول : « وامعتصماه » ! •

فقال على فوره : « لبيك ، لبيك وقام فركب مركوبه ، وخرج علـــى وجهه من ساعته وهو يقول : « لبيك ، لبيك » وتقدم الى خاصته وحاشيته ، أن يلحقوا به ، وجعل الجيش والخدم يتلاحقون به أولا فأولا ، فمـــا نزل

---

(٦٤) هو أبو اسحق محمد بن هارون الرشيد بن المهـــدى بن المنصور • الثامن من خلفاء بنى العباس ، وكان مولده سنة ١٧٨ هـ ، وولى الخلافة سنة ٢١٨ هـ وملك ثمانى سنين وثمانية أشهر ، وثمانية أيام ولذلك يسمى بالخليفة (المثمن) ، وتوفى سنة ٢٢٧ هـ وله ست وأربعون سنة •

التنبيه والاشراف ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ والكامل فى التاريـــخ ٥ : ٢٣١ ـــ ٢٦٦ وتاريخ الامم والملوك ١١ : ٦ وتاريخ الخلفاء ٣٣٣ ـــ ٣٤٠ والمعارف ٣٩٢ والمصباح ١ : ٢٠٥ •

الا على مرحلة ، وما أقلع عن وجهه[٦٥] حتى دخل أرض الروم ، وتعرف، أمر تلك المرأة ، واستدل عليها ، فانقذها ، وخلصها وأنكى فى الروم نكاية لم يكن بمثلها له عهد ، كل ذلك إظهارا للحق ، واعتدادا لما يجب عليه ويلزمه من صيانة الدين وحماية أهله ، وفى ذلك يقول أبو تمام فيه :

خليفـــة الله كافا الله ســـــعيك عـــن جرثومة الدين والإسلام والحسب
لو كان بين صروف الدهر من رحـــم موصـــولة أو ذمام غير مقتضب
فبين أيامـــك الـــلاتى نصـــرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب[٦٦]

ثم كان الواثق[٦٧] مذكورا بشدة رغبته فى الدين ، وولوعه بالعـــلم ، وأهله ، وتعظيمهم ومجالستهم ، والاستكثار منهم ، وتحريه[٦٨] التوحيد والعدل ، وامتحانه المخالفين ومناظراتهم وحملهم على قبول الحق ودونهم من خلفاء بنى العباس .

ثم كان الامراء من ولاة خراسان من الطاهرية[٦٩] ، لهم آثار عجيبة، وسياسات سديدة ، من إعزاز الدين ، وحياطة الملك ، والرغبة فى العـــلم

---

(٦٥) النص لدى ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٥:٢٤٧ .

(٦٦) الديوان وشرحه ٣٢ ، ٣٣ وفى البيت الاول (جازى) بدلا (كافـــا) وفى البيت الثانى (ان) بدلا من (لـــو) .

(٦٧) الواثق بالله ، هارون بن محمد بن المعتصم العباسى ، ويكنى أبـــا جعفر وأبا القاسم ، ولد سنة ست وتسعين مائة ، وبويع بالخلافة سنة سبع وعشرين ومائتين . ومات سنة مائتين واثنين وثلاثين . التنبيه والاشراف ٣١٢ ودول الاسلام ١:١٣٩ ، تاريخ بغداد ١٤:١٥ والمصباح ١:٥١٠ وتاريخ الخلفاء ٣٤٠ — ٣٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٣٠٦ — ٣١٤ .

(٦٨) فى الاصل : وتجريده ، وهو تصحيف .

(٦٩) فى الاصل : الظاهرية ، والطاهرية نسبة الى عبد الله بن طاهر بن الحسين ، حاكم خراسان وما وراء النهر ، مات سنة ثلاثين ومئتين ، وله ثمان واربعون سنة . تاريخ بغداد ٩:٤٨٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٠:٦٨٤ .

والادب ، وإجلال أهله ، وتجميـــل أثوابهم[٧٠] بهم ، وتتبع أفاضلهم فى البلدان ، وحملهم من الآفاق ، وعنايتهم بكتبة الكتب وتصحيحها وصحبة أهل الآداب والفضل وهمة فى اصطناع المعروف ، وبث الخير ، ونظـر فى أمور الرعية ، وحماية عن الحوزة ، حتى إذا فتر فى هذه الأسباب آخرهم كان ذلك سببا لزوال مملكتهم وانقضاء دولتهم وتصرم مدتهم •

وكذلك كانت أحوال ملوك سامان المحدثين (١٩/ب) ، فكان نصر بن أحمد[٧١] ، من عباد الأمراء وزهادهم بالاضافة إلى من كان قبله وبعده •

وكان الأمير : المـــاضى أبو ابراهيم[٧٢] كثير الغزو ، حسن التواضع، ثقل الهمة ناصرا لظاهر الشريعة ، رحيما بالرعية ، شديد الرغبة فى الخشية، واظهار فرائض الملة ، يتحرى العدل ، ويظهر الحـــق وإن كان من أبنـــاء الدنيـــا •

وكان إسحاق بن أحمد[٧٣] مذكورا بالعلم والأدب والمحبة لأهـــله ، وكثرة مجالسهم والاستئناس بهم •

---

(٧٠) (اثوابهم) يبدو لنا انها (مجالسهم) •

(٧١) نصر بن احمد السامانى ، صاحب خراسان ، توفى ٢٧٩ هـ . تاريخ الطبرى ١٠ : ٣٠ •

(٧٢) هو : اسماعيل بن احمد السامانى ، أمير خراسان وما وراء النهر ، ومات ٢٩٥هـ ولقب بعد وفاته بالامير (الماضى) . الكامل فى التاريـــخ ٦:١٧٧ سير أعلام النبلاء ١٤:١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٣:١٦٣ ، وشذرات الذهب٢:٢١٩

(٧٣) هو اسحاق بن احمد بن اسد السامانى ، وقد خرج وابنه الياس على (السعيد نصر بن احمد السامانى) وقد اقتتلا اكثر من مرة حتى اختفى اسحاق ثم طلب الامان فأمن عام ٣٠١هـ وبقى فى بخارى الى أن مات . الكامـــل ٦:٣٤٦ .

وكان الشهيد(٧٤) موصوفا بالعدل فى الأحكام ، والتسوية بين القريب والبعيد والشريف والوضيع فيها ، والنظر فى أمور الرعية والرحمة بهـا ، ويتحرى التخفيف عنها والرفق بها •

وكذلك كان حال أفاضل الملوك من آل ساسان من قبل ، على ما دلت عليه آثارهم ، فقد قال أردشير — فى عهده الذى جعـله دستورا للملك : « واعلموا أن الدين والملك أخوان توأمان ، لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن الدين أس الملك ، ثم صار الملك بعده حارس الدين ، فلابد للملك من أسه ، ولابد للدين من حارسه ، فان مالا حارس له ضـائع ، وما لا أس له مهـدوم »(٧٥) •

وقال : « اعلموا أنه لم يجتمع رئيسى فى الدين مسر ورئيس فى الملك معلن فى مملكة واحدة قط إلا انتزع الرئيس فى الدين ما فى يدى الرئيس فى الملك ، لأن الدين أس ، والملك عماده ، وصـاحب الاس أولى بجمـع البنيان من صاحب العمران » (٧٦) •

وكذلك قرأنا فى عهد أنو شروان ، وسابور من تعظيم الدين والذب عنه والاجتهاد فى حمايته وصيانته وروينا فى آثارهم وأخبارهم ، وقـرأنا فى رسالة أرسطاطاليس إلى الاسكندر :

---

(٧٤) هو أحمد بن اسماعيل بن نصر السامانى ، يكنى ابا النصر ، ولـى الامارة للمكتفى العباسى ، ولقب بالشهيد لانه قتله بعض غلمانه سـنة ٣٠١ . الكامل ٦:١٤٤ تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء لحمـزة الاصفهانى ١٧٢ ؛ الاعلام ١:٩٣ .

(٧٥) عهد أردشير ٥٣ ، المصباح ١:٢١٤ ، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ٢٠ .

(٧٦) عهد أردشير : ٥٤ بنصه تحقيق د. احسان عباس .

« آى ملك أخدم ملكه دينه فهو مستحق للرياسة ، وآى ملك أخدم دينه ملكه فالملك له آفة »(٧٧) .

وقال : « من يتمسك بالسنة فحرام عليك دمه وإدخال المذلة عليه »(٧٨) .

وقال : « دافع عن دينك تصلح عاقبتك » .

وقال : « صير دنياك وقاية لآخرتك ولا تصير آخرتك وقاية لدنياك »(٧٩) ، فى أمثال لها كثيرة وأشباه عدة من أخبار (٢٠/ أ) الملوك المخصوصين بالفضائل ، والمتجنبين للرذائل ، وكفى بما ذكرناه دليلا على ما قصدناه ، ولله الحمد والمنة على توفيقه وتسديده ، انه وليه ومستحقه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(٧٧) السياسة فى تدبير الرئاسة : ٧٧ بلفظ « يا اسكندر ! أى ملك أخدم ملكه دينه فهو مستحق الرئاسة ، وأى ملك جعل دينه خادما لملكه فهو مستحق بناموسه ، ومن استخف بالناموس قتله الناموس » .

(٧٨) عيون الانباء فى طبقا تالاطباء ج ١:٩٩ .

(٧٩) نزهة الارواح وروضة الافراح ١:٢٠٢ ، وعيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ١:٩٨ .

البـــاب الرابع

فى المواعظ التى تبصر غرور[١] الدنيا وتذكر بالآخرة وتنفع من نظر فيها واستمع لها وتهديه الى العدل فى ملكه

الوعظ فريضـــة :

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)[٢] .

وقال : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[٣] وقال له: (وذكرهم بأيام الله) [٤] وقال : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا)[٥] .

وكان النبى ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة[٦] .

فالوعظ والتذكير فريضتان واجبتان ، وســنتان ماضــيتان على[٧] أهلهما بكتاب الله جل وعز ــ وسنة رسول الله ﷺ .

وقد أمر الله الموعوظين بالاستماع لها ، والاصغاء إليها ، فليس أحد وإن جل خطره ، وعظم قدره ، ممن يجب أن يترفع عن استماع الموعظة ، وقبول النصيحة ، لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجــزل ، واستحق من الله البشرى فى العاجل ، والثواب فى الآجل ، ومن عقلاء خلقه الثناء والمدح والإكرام والدعاء ، فان الله ــ عز ذكره ــ يقول : (فبشرعباد

---

(١) هكذا فى الاصل ، ونرى الاصوب (بغرورى) .
(٢) ٥١ الذاريات : مكية ٥٥ .
(٣) ١٦ النحل : مكية ١٢٥ .
(٤) ١٤ ابراهيم : مكية ٥ .
(٥) ٢٤ النور : مدنية ١٧ ــ ولفظ الله ليست موجودة فى الاصل .
(٦) راجع ما تقدم ص ٤٣،٤٤ أحاديث النصيحة .
(٧) فى الاصل : على من ، والمعنى يستقيم بدون (من) .

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[٨] ثم قال : (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)[٩] .

فيجب على الملك الفاضل،والسائس الكامل ، الذى ربما أنفق الأموال، وعمل الأعمال ، ليمدحه بها[١٠] مخلوق جاهل ، أو شاعر كاذب ، أو ماجن مترخص ، أن رغب فى هذه المنزلة التى يمدحه بها رب العالمين ثم فضلاء المسلمين ، وإن الله ــ جل ذكره ــ جعل الخير فى الاعتبار ، والاعتبار بالتفكر ، وحث عليه فى غير موضع من كتابه ، فقال : (أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)[١١] . وقال : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[١٢] .

فمن قريب ما يجب أن يفكر فيه ويتدبره ، أن يتذكر أحوال القرون الماضين ، والملوك الأولين (٢٠/ب) الذين كانوا أشد منه قوة ، وأكثر جمعا ، وأبين آثارا،وأطول أعمارا ، الذين بنوا المدائن ، وجمعوا الخزائن، وحفروا الأنهار ، وعمروا الديار ، وشيدوا القصور ، ودبروا الأمور ، وجمعوا الجموع ، وقادوا الجيوش ، وساقوا الخيول ، ودوخوا البلاد ،

---

(٨) ٣٩ الزمر : مكية ١٧ ، ١٨ ، وفى الاصل : « عبادى » .
(٩) ٣٩ الزمر : ١٨ .
(١٠) فى الأصل : به .
(١١) ٣٠ الروم : مكية ٨ .
(١٢) ٣ آل عمران : مدنية ١٩١ .

وأذلوا العباد ، ومشوا فى الارض مرحا ، واختالوا بما أوتوا فرحا ، فأخذهم الله بما كانوا يكسبون ، فأصبحوا بعد العز والمنعـــة ، والملك والرفعـــة ، والصوت والسطوة ، والذكر والصولة ، عظاما رميما ، ورفاتا هشـــيما ، وأصبحت منازلهم خاوية ، وقصورهم خالية ، وأجسادهم بالية ، وأصواتهم هادئة تنبئك اثارهم معاينة وتقرع أسماعـــك أخبارهم مجاهـــرة ، فـــلم يصحبهم من الدنيا ما جمعوا ، ولم يدفع عنهم الردى ما كسبوا ، ولعلهم ندموا حيث لم تنفعهم الندامة ، وتلهفوا حيث لا يغنى عنهم التلهف ، وإن الباقى عما قليل كالفانى ، والغابر عن قريب كالماضى ، وما بينهما الا أنفاس معلومة ، وأيام معدودة ، سريعة الانقضاء قريبة الانتهاء ، فليحذر المغتر بملكه ، والممتنع بعزه ، هذه الصرعة ، وليستعد لهذه الوجهة ، ولينتبه لهذه الموعظة ، فان الله جعلها فى أوائل مواعظه وكررها فى مواضع من كتابه حيث يقول : (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيـــف كان عاقبة الذيـــن مـــن قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثارا فى الارض) [١٣] وقال : (وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [١٤] . وعـــد كثيرا منهم فى كتابه ووصفهم وسماهم فى خطابه حيث يقول : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد) [١٥] . وقال : (وعادا وثمودا وأصحاب

---

(١٣) ٤٠ غافـــر : مكية ٨٢ .
(١٤) ٣٠ الروم : مكية ٩ .
(١٥) ٨٩ الفجر : مكية من ٦ — ١٤ .

الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ، وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا)[١٦] هذا خبر صدق ، وقول حق ، وقد جعل الله بكل ما شوهد فى أيامه ، وعوين فى زمانه ، ممن رفعهم الدهر ثم وضعهم ، وأعلاهم ثم صرعهم ، ودارت عليهم دوائره ، ونابتهم نوائبه ما فى بعضه مقنع لمعتبر ، وبلاغ لمذكـــر . (٢١/ أ) .

قالوا : وأشرف أبو الدرداء[١٧] صاحب رســـول الله ﷺ على أهـــل حمص[١٨] ، فقال : « يا أهل حمص ، أتبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ، وتجمعون مالا تأكلون ، إن من كان قبلكم بنوا شديدا ، وأملوا بعيدا ، وجمعوا كثيرا فأصبحت اليوم مساكنهم قبورا ، وأملهم غرورا ، وجمعهم بورا »[١٩] .

وقد قال بعض فصحاء الملوك فى خطبته : « ألم تروا مصارع من كان قبلكم ، كيف استدرجتهم بزخرفها ، ونعمتهم ، ثم تركتهم ، وقد تخلت عنهم فهم فى حيرة مطلخمة [٢٠] وظلمة مدلهمة ، تركوا الأهلين والأموال والأولاد والعيال فمساكنهم القبور ، وقد خلت منهم الدور ، وتقطعت منهم

---

(١٦) ٢٥ الفرقان : مكية ٣٨ ، ٣٩ ــ أصحاب الرس قوم قتلوا نبيهم ــ تبرناه تتبيرا : دمرناه تدميرا . زاد المسير جـ٦ : ٦٠ ، ٩١ .

(١٧) هو عويمر بن زيد وقيل ابن عامر ، الصحابى ، الحكيم ، الزاهد ، وقد أبلى يوم أحد بلاء عظيما ، وهو مقرىء أهل دمشق وقاضيهم ، وكان يهابه معاوية ويتأدب معه ، توفى سنة ٣٢هـ . دول الاسلام ١:٢٥ ، والمعارف ٢٦٨ ، وصفة الصفوة ١ : ٦٢٧ ــ ٦٤٣ .

(١٨) حمص : مدنية بدمشق .

(١٩)النص فى حلية الاولياء ١ : ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ مع اختلاف لفظى يسير ولفظ املهم غير واضح فى الاصل .

(٢٠) مطلخمة : أى شديدة . المجلد ٤٨٧ .

الأوصال والصدور ، وصاروا ترابا باليا ، وكان لهم الله ناهيا ، (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)[٢١] .

ولقد أحسن فى هذا المعنى لبيد[٢٢] فى قصيدته الحكمية حيث يقول :

فقـــولا له ، إن كان يعقـــل[٢٣] أمـــره

ألمـــا يعظـــك الدهـــر ؟ أمـــك هابـــلُ

فان أنت لم تصـــدقك نفســـك فانتسب

لعـــلك تهـــديك القـــرون الأوائـــلُ

فان لم تجـــد من دون عدنان باقيا[٢٤]

ودون معـــــد فلترعـــك العـــواذل[٢٥]

---

(٢١) ٣٥ فاطـــر : مكية ٥ ، ٦ .

(٢٢) لبيد بن ربيعة بن مالـــك العامرى ، ويكنى ابا عقيل ، مـــن شعراء الجاهلية وفرسانهم ،قدم على رسوله فى وفد بنى كلاب ، فاسلموا ورجعوا الى بلادهم ، ومات وهو ابن مائة وسبعة وخمسين سنة ، فى سنة أحدى وأربعين للهجرة الشعر والشعـــراء ١:٢٨٠ ، ٢٨١ ، وخزانـــة الادب ٢:٢٤٦ ، ٢٤٧ والاستيعاب ١٣٣٥ — ١٣٣٨ ، والاعلام ٦:١٠٤ .

(٢٣) الديوان ص ١٤١ القصيدة ٤٤ البيتان ٥ ، ٦ وفى الشعر والشعراء ١:٢٨٥ « يقسم » بدلا من « يعقل » .

(٢٤) نفس المصدر : « والدا » بدلا من « باقيا » .

(٢٥) الابيات فى الشعر والشعراء ١:٢٨٥ ، والمتع ٣٧٤ ، ٣٧٥ والبيتان الثاني والثالث في مجمع الامثال — مع تغيير طفيف ص ١٢٧ .

وقال فى هـذا المعـنى الذى تضمنه هـذا الباب صـالح بن عبـد القدوس[٢٦] :

كـم رأينـا من أبلج ذى عتـو ... لم تهبـه المنـون وهـو مهيب
بينما يبتنى المـدائن والاوطـان ... إذ باكـرته الخطـوب
فـتردى ولم تجبـه جنـود ... أحصروا حصر لأمـر ينـوب
بل حثت فـوقه الـتراب ولم تصر ... ف رداه إذ يهتـف المكـروب
وينـادونه وقـد صـم عنهـم ... ثـم قالـوا وللنسـاء نحيب
ما الذى عاق أن تحـير جـوابا ... أيهـا المقـول الأديب الأريب
أن تكن لا تطيـق رجع جـواب ... فلقـد ما تـرى وأنـت خطيب
ذو عظـات وما وعظت بقـول ... مثـل وعـظ بالصمت إذ لا تجيب

وقـال :

فان أملـت أن تبـقى فسـائل ... بمـا أفـنى القـرون الخاليات
(٢١/ب)وأين ذوو المعالى والمساعى ... بنـو الأحـرار أهـل المـأثرات
وأين ثوت مـلوك الروم واسـأل ... بحمير فى الدهور المـاضـيات
وأين مـلوك بـنى عبـد شمـس ... ولاة منـابر وبنـو ولات
وأيـن الراتقـون لـكل فتـق ... وأين الموسعون ذوو الجدات[٢٧]

---

(٢٦) صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الجذامى،ويكنى أبا الفضل،شاعر حكيم ، وكان متكلما يعظ الناس فى البصرة ، اتهم عند المهدى العباسى بالزندقة فقتله ببغداد نحو ١٦٠هـ . فوات الوفيات ٣٩١:١ ، طبقات الشعراء ٨٩–٩٢ معجم الادباء ٢٦٨:٤ و ٢٦٩ ، الاعلام ٢٧٧:٣ ، وتاريخ بغداد ٣٠٣:٩ .

(٢٧) الجدات : الحظ والغني والرزق . لسان العرب المحيط ٤١٣:١ .

وكتب أرسطاطاليس إلى الاســكندر : « اعتبر بمــن مضى قبلك ، ولا تكن عبرة لمن بعدك ، لا تمد أملك إلى ما ينفد ، فبذلك الطمع الكاذب ، وانظر إلى حال نظرائك ممن ســلف فى الملك ، واعــلم أن حــكمك فيــه كحكمهم »(٢٨) .

(٢٨) النص فى المصباح ٢ : ٢٤٤ .

فصـــل آخـــر فى المـــواعظ

عدم الأمان للأيـــام :

ثم لا ينبغى للملك الممتع بطول المدة فى ملكه ، والمنفس له فى عمره، والسالم من نوائب زمانه ، والمظفر على أعدائه فى أيامه ، والمدرك منها كثيرا من أمانيه وآماله ، أن يغتر بمساعدة الدولة له ، ومواتاة الدهر إياه،وينسى لطول الإملاء والامهال حوادث الأزمان ، وبغتات تغير الأيام ، حتى يغمض عينه عن ملاحظة الغير ، ويغفل عن مراقبة الغير ، فان ذلك ربما يكون من أعظم حجج الله عليه ، وأبلغ محنة له،وقد ذكر الله ذلك كلـــه فى كتابـــه اذ يقول : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير)[٢٩] •ويقول فى قوم الكفار : (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرا لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)[٣٠] •

وقال النبى ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع يقيمها الريح مرة هكذا ومرة هكذا،ومثل الكافر مثل الأرزة حتىيكون انجعافهامرة)»[٣١] وليعلم أن البقاء منها إلى فناء ، والظعن[٣٢] منها إلى ارتحال والصحة إلى

---

(٢٩) ٣٥ فاطـــر : مكية ٣٧ .

(٣٠) ٣ آل عمران : مدنية ١٧٨ .

(٣١) أخرجه البخارى ومسلم عن كعب بن مالك بلفظ « مثل المؤمن كالخامة من الزرع ، تفيئها الريح مرة ، وتعدلها مرة ، ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة » صحيح البخارى ١٤٩:٧ مسلم ٢١٦٣:٤ برقم ٢٨١٥ واللؤلؤ والمرجان ٧٩١ ، الخامة : اللين من الزرع ، الارزة : جنـــس من أثمن الاشجار ، وانجعافها : الانقلاع .

(٣٢) الظعن : الارتحال ، ولا يستقيم بها المعنى ، والاصوب الاقامة .

سقم والسلامة والعافية إلى بلاء ومرض ، والسرور مشـــوب بالحـــزن ، والصفو مما زج للكدر ، وإن كان كثير من الناس لعشقه بما يهواه ، وولوعه بما يتمناه منها ، يرى صفوها ولا يرى كدرها ، ويبصر سرورها ، ويعمى عن شرورها ، ويجد طعم ملاذها ولا يحس بآلامها ، كالمسموم الذى يجد حلاوة العسل فلا يشعر بمرارة السم فيكون فى حلاوته هلاكه ، وقديما ما قيـــل : (حبك الشىء يعمى ويصم)[٣٣] ثم ليعلم أن بلوغ الامانى،وادراك أطراف الامال واستقامة الأحوال (٢٢ / أ) التى هى غاية طلبتـــه ونهاية أمنيته ، سم قاتل ، وسيف مستأصل ، وإيذان بالادبار ، وقرب بالبوار ، وقد بين الله ذلك فى كتابه حيث يقول : (حتى إذا أخـــذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)[٣٤] . وقال فى قصة قارون : (وآتيناه من الكنوز مـــا إن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيـــا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض إن اللـــه لا يحـــب المفسدين)[٣٥] . ثم حكى — عز وجل — أنه قال:(إنما أوتيته على علم‌عندى

---

(٣٣) ذكره الماوردى فى الامثال والحكم : حديث ص ٦٥ رواية بلال عـــن أبى بردة عن أبيه وايضا فى قوانين الوزارة ٩٧ ، كما رواه الامام أحمد فى مسنده وأبى داود فى سننه والبخارى فى تاريخه عن أبى الدرداء الخرائطى ، وهو حديث حسن كما ذكر السيوطى : الجامع الصغير ١٣٤ ويشير العجلونى فى كشـــف الخفاء ١:٤١١ الى أن العراقى وابن‌حجر قررا : أنه يكفى سكوت أبى‌داوو عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف .

(٣٤) ١٠ يونس : مكية ٢٤ .

(٣٥) ٢٨ القصص : مكية ٧٦ ، ٧٧ .

أو لم تعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) (٣٦) ثم قال جل وعز : (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصريـــن) (٣٧) • وقال : (حتـــى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغته)(٣٨) • وقال أمير المؤمنين على (٣٩) رضى الله عنه : « كم من مستدرج بالاحسان ، وكم مغرور بالستر عليه ، وكـــم مفتون بحسن القول فيه ، ما ابتلى الله أحدا بمثل الاملاء له ، لأن اللهيقول: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم) (٤٠) • وقدعرفذلك الحكماء ، وذكره الشعراء ، فقال بعضهم ، وسئل عن حاله • كيف حال مـــن يفنى ببقائه ؟ ويسقم بسلامته ! ويؤتى من مأمنه ؟ •

وقالت العرب : « من مأمنه يؤتى الحذر »(٤١) ، وقديماما قالوا :«ما استجمع لاحد أمله الا اسرع فى تفريقه أجله » • وقيل : « يا ابن آدم لـــو رأيت الاجل ومسيره بغضت الامل وغروره » • وقد ذكـــر كثيرا من هـــذه المعانى أردشير فى أول فصل من عهده حيث قال : « إن صيـــغ الملوك غيـــر صيغ الرعية ، فالملك بطبعه العز والامن والسرور والقدرة على طباع الانفة

---

(٣٦) ٢٨ القصص : مكية ٧٨ .
(٣٧) ٢٨ القصص : مكية ٨١ .
(٣٨) ٦ الانعام : مكية ٤٤ .
(٣٩) على بن أبى طالب ، يكنى أبا الحسن رضى الله عنه ، ولد سنة ٣٢ قبل الهجرة ، وهورابع الخلفاء الراشدين ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ،وابن عم النبى وصهره ، واستشهد فى سنة ٤٠ هـ وله اثنان وستون سنة . مشاهير علماء الامصار ٦،٧ ، الاستيعاب ١٠٨٩ ، دول الاسلام ١:٢٣ ، وصفة الصفوة ١ : ٣٠٨ — ٣٢٥ .
(٤٠) ٣ آل عمران : مدنية ١٧٨ .
(٤١) قاله أكثم بن الصيفى الفاخر : ٢٦٥ ، مجمع الامثال ٢:١٧٧ ، نهاية الارب ٣ : ٥٣ .

والجرأة والبطر ، والعبث ، ثم إنه كلما ازداد فى العمر تنفسا ، وفى الملك سلامة زاده فى هذه الطبائع الأربع حتى يسلمه الى سكر السلطان الذى هو أشد من سكر الشراب ، فينسى النكبات والعثرات والغيـــر والدوائـــر ، وفحش تسلط سلطان الأيام ولؤم غلبته الدهر فيرسل يده ولسانه بالقول والفعل » (٤٢) .

قال : « وقد قال الأولون منا عند حسن (٢٢ / ب) الظن بالأيـــام تحـــدث الغير » .

قال : « وقد كان من أولئك القـــوم من يذكره عـــزه الذل ، وأمنـــه الخوف ، وسروره الكآبة ، وقدرته العجز ، فاذا هو جمع بهجة الملك وفكرة السوقة ولا حزم إلا فى جمعها » (٤٣) .

وقد قال بعض الشعراء :

إذا تم أمر بدا نقصه ... توقع زوالا إذا قيل تم (٤٤)
حياتك بالهم ممزوجة ... فلا تقطع العيش إلا بهـــم
أطايب دنياك مسمومة ... فلا تأكل الشهد إلا بسم (٤٥)

---

(٤٢) عهد أردشير تحقيق د. احسان عباس ٤٩ .

(٤٣) نفس المصدر ص ٥٠ .

(٤٤) بنصه لدى الماوردى فى قوانين الوزارة ١٥٦ ، وفى عيـــون الاخبار ٣٣٢:٢ ، وكتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ٢٩:١ وبدلا من كلمة (بـــدا) كلمة (دنـــا) .

(٤٥) أوردها الماوردى فى أدب الدنيا والدين تحقيق مصطفى السقا ص ٢٣٩ على الترتيب التالى :

همـــومك بالعيش مقـــــرونة ... فمـــا تقطع العيش الا بهـــم
اذا تـــم أمـــرا بدا نقصـــــه ... تـــرقب زوالا اذا قيـــل تم
اذا كنت فى نعمـــــة فارعهـــا ... فان المعـــاصى تزيـــل النعم
وحام عليهـــا بشـــكر الاله ... فان الاله سريـــع النقـــم
حـــلاوة دنيـــاك مسمومـــة ... فمـــا تأكل الشهـــد الا بسم
فـــكم قـــدر دب فى مهـــلة ... فلم يعلم الناس حتى هجـــم

وتنسب هذه الابيات لسيدنا على بن أبى طالب ، وتوجد فى ديوانه ص٥٣

وقـــال آخـــر :

أرى بصرى قـــد رابنى بعـــد كبرة وحسبك داء أن تصح وتسقما(٤٦)

وقال آخـــر :

أرى صاحب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعمـــا
كبان بنـــى بنيانـــه فأتمـــه فلما استوى مـــا قدبنـــاه تهدمـــا

قال : وكتب الاسكندر الى أرسطاطاليس بعدما نفذت يده فى الشرق والغرب،وبلغ من الملك ما لم يبلغه قبله أحد:أكتب الى بموعظة موجزةتردع وتنفع ، فكتب إليه : « إذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطـــب ، وإذا هنتك العافية فحدث نفسك البلاء ، وإذا اطمأن بك الأمر فاستشعر الخوف فإذا بلغت نهاية الأمل فاذكر الموت ، وإن أحببت نفسك فلا تجعلن لهـــا فى الإساءة نصيبـــا » (٤٧) .

قال : ووعظ بعض الحكماء ملكا فقال : « أيها الملك إن الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ، ومن لم يقدم لم يجد ، فمر نفسك حلاوة عيشها بترك الاثارة اليها ، وأعلم أن زمام العافية بيد البلاء ، ورأس السلامة تحـــت جناح العطب ، وباب الأمن مستور بالخوف ، فلا تكونن فى حال من هـــذه النكت غير متوقع لأضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام الهلكة ، فـــإن

---

(٤٦) قائله حميد بن ثور الهلالى . ديوانه ص ٧ ، الايجاز والاعجاز : ٤٠ وبدلا من (كبره) (صحة) وبدلا من (تسقما) (تسلما) وكذا فى عيون الاخبار ٥:١٩١ ، ونهاية الارب ٣:٦٥ كما أورده الماوردى فى الامثال والحكم ص ١٦١ وفيه (بعد صحة) بدلا من (بعد كبرة) .

(٤٧) سلوك المالك فى تدبير الممالك : ١٤٩ ، وسراج الملوك للطرطوشى : ٣٥٥ .

الزمان عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بعناية الاستعداد ، فإذا فعلت ذلك استغنيت عن الوعـــظ » .

وقالوا : وكتب سليمان بن داود عليهما الســـلام على كرسيه : « إذا صحت السلامة نزل البلاء ، وإذا تمت العافية نجـــم العطب ، وإذا ظهـــر الأمن علا الخوف » (٤٨) .

وقال (٢٣ / أ) بعض من عرف هذه الدار :

ما أعجـــب الدهـــر فى تصرفـــه ... ونقـــل سلطانـــه ودولتـــــه

من كان يدرى أن النعيم الـــى ... بؤس رأى الهـــم فى مسرتـــه

وقال آخـــر :

يريد الفتى طول السلامة جاهدا ... فكيف يرى طول السلامة يفعل (٤٩)

وقال آخـــر : (٥٠)

كانت قناتى لا تليـــن لغامـــز ... فألانهـــا الاصباح والامســـاء

ودعوت ربى بالسلامـــة جاهدا ... ليصحنى فاذا السلامـــة داء

---

(٤٨) ورد فى قوانين الوزارة للماوردى : ٨٤ ، الخوارزمى فى مفيد العلوم ومبيد الهموم : ٢٠٤ ، والطرطوشى فى سراج الملوك : ٣٥٦ .

(٤٩) فى الامثال والحكم ـــ تحقيقنا ـــ ص ١٤١ فيه (يود) بدلا من (يريد)، و (جاهدا) بدلا من (البقا) .

والبيت لـــ (نمر بن تولب) وهو من امثاله السائرة ، شعره القصيدة ٣١ البيت ٢٢ ، الايجاز والاعجاز : ١٤٥ ، نهاية الارب ٣:٦٧ ، جمهرة أشعار العرب : ٢١٩ ، المتع : ١٧٦ ، الحيوان للجاحظ ٦:٥٠٣ ، بهجـــة المجالس ٢:٢٣٧ ، وعيون الاخبار مجلد ٢:٣٢١ .

(٥٠) هو الشاعر عمرو بن قميئة توفى نحو ٨٥ قبل الهجرة . زهر الآداب ٢:٣٢٢ ، المتع : ١٧٦ الكامل ١:٢١٨ ، عيون الاخبار ٢:٣٢٢ ، العقد الفريد ١:٣٢٥ ، الايجاز والاعجاز : ٤٠ ينسبه الى النابغة الجعدى ، وفى ذيل ديوان لبيد : ٢٢١ ، ديوان عمر بن قميئة ص ٧٧ من المنسوب اليه ، وللنمر بن تولب فى ديوانه : ١٢٩ .

فصـــل آخـــر

الوقت وصالح العمل :

وليلعم المنهمك فى لذاته ، والحريص علـــى نيل شهواته ، والمفتـــون بآماله وامنياته ، أنه لا ينال منها شيئا إلا بثلاثة أشياء :

(الاول : أنه) [٥١] يفنى فيه أيامه المعدودة ، التى هى أعظم الاشياء عنده خطرا ، وأجلها لديـــه قدرا ، وأعزها فقـــدا ، والذى كل فائت سواه مستخلف ، وكل ذاهب بعده مرتجع •

والثانى : أنه يقرب به من أجله ، ووقت وفاته (وهو) [٥٢] هادم لذاته ومنغص شهواته ، وقاطع أمنياته •

والثالث : أنه يشغل ويعقل [٥٣] بطلبه إياه وسعيه له حظا من الآخرة التى هى دار قراره ومجتنى ثمرات أعماله ، فإذا فكر فى قدر ما يناله فى حيث ما يفوته ، لم يزده قدرا ، ولم يتبين له خطـــرا ، وعلى حسب ذلك يجب أن تكون رغبته فيه وميله إليه ، وكلفه به •

وفى بعض ذلك ما يقول الشاعر :

ما نلت شيئا من الدنيا تسربه إلا وأنت به تدنو من الأجل

وقال الحسن البصرى : [٥٤] « إنما أنت أيام ، فإذا ذهب يوم ذهـــب

---

(٥١) ما بين القوسين ، ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه •
(٥٢) هو : ســـاقط من الاصل •
(٥٣) يعقل : يحبس ويعطل •
(٥٤) هو الحسن بن أبى الحسن ، ويكنى أبا سعيد ، من علماء التابعين جمع بين العلم والعمل والعبادة ، وكان أحد كبار أئمة عصره ، وامام البصرة ، وتتلمذ عليه كبار الفقهاء والمتكلمين المسلمين ، توفى سنة ١١٠هـ . ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٥٦:٧ ، أحمـــد بن حنبـــل : الزهـــد ٢٨٩:٢٥٨ ، أبو نعيم الاصبهانى : حلية الاولياء ١٣١:٢ ، ابن الجـــوزى : الحسن البصرى نشرها الخانجى ١٩٣١ ، والدكتور احسان عباس ترجمة مطولة عن الحسن البصرى طبعة دار الفكر العـــربى .

بعضك » (٥٥) « يا ابن آدم انك لم تزل فى هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمـــك » (٥٦) .

وقد قال رسول الله ﷺ : « ما من ساعة تمر على ابن آدم لا يذكـــر الله فيها إلا كانت حسرة عليـــه يوم القيـــامة » (٥٧) . واســـتحسن مـــن الحجاج (٥٨) كلامه على المنبر : « إن امرأ ذهب من عمره ساعة فى غير مـــا خلق له لخليق أن تتطاول عليه حسرته » .

وقال آخر : فى الضن بالأيام والساعات .

شاع فى الفنـــــاء ســـفلا وعـــلوا وأرانى أموت عضوا فعضوا (٥٩)

(٢٣ / ب)

ليس من ساعة مضت بـــى إلا نقصتنى بمرها بى جـــروا (٦٠)

---

(٥٥) حلية الاولياء ٢:١٤٨ ، ١٥٥ .

(٥٦) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبـــد الســـلام محمـــد هارون ج٣ ص ١٣٣ .

(٥٧) رواه الطبرانى فى الاوسط ، وفيه عمرو ابن الحصـــين العقيلى ، وهو متروك . مجمع الزوائد ١٠:٨٠ .

(٥٨) الحجاج بن يوسف الثقفى ، ويكنى أبا محمد ، أمير العراق ، كان جبارا عنيدا ، ومخازيه كثيرة بيد أنه كان عالمـــا فصيحا مفوها مجودا للقرآن، يقال أنه قتل أكثر من مائة ألف نفس صبرا ، وسمعوه يقول عند الموت : رب اغفر لى فان الناس يزعمون أنك لا تغفر لى . ومات فى سنة ٩٥هـ عن ثـــلاث وخمسين سنة من العمر . تاريخ الامم والملوك ٨:٩٦ ، وفيـــات الاعيـــان : ١:٢٤ — ٣٤٨ ، دول الاسلام للذهبى ١:٦٥ ، وتهذيب التهذيب ::١٠:٢١ ، الكامل فى التاريخ ٤:١٣٢ .

(٥٩) بهجة المجالس ٢:٣٣٨ وينسبه لمحمود الوراق .

(٦٠) هكذا في الاصل . والجرو : هو الصغير من كل شيء .

وقال آخر فى هذا المعنى :

ما هى إلا ليلــة ثــم يومهـــا وحول إلى حول وشهر إلى شهــر

مطايا يقربن الصحيح مــن البلا ويدنين أشلاء الكريم من القبــر

ويتركــن أزواج الغيــور لغيــره ويقسمن ما يحوى الشحيح من الوفر

فصـــل آخـــر

غرور الانسان وضعفـــه :

وليعلم المتكبر المختال : بما ينال فيها من الغرور والمقدرة ، والاموال والبسطة والملك والرفعة ، المعجب بما أوتى من العدد والعدة ، والمنعة والقوة أنه وإن كان عزيزا بالاضافة الى غيره فمن تحت يـــده ، وغنيا بعـــوارى القيمات [٦١] عند فقراء رعيته قادرا بالاضافة إلى ضعف حاشيته ، فإنه فى نفسه وبالاضافة الى القادر عليه ذليل فقير ضعيف مهين ، وكيف لا يكون كذلك ؟ وهو ممن يؤذيه البراغيث والذباب والبعوض والديدان وكثير مـــن الهوام [٦٢] فلا يمتنع بقوته عنها ، ولا ينتصف[٦٣] عن كثير منها . ثم انه ان [٦٤] نظر إلى كبار خلق الله فى سمواتـــه وأرضيه ، وجباله ، وبحاره ، ومائه ، وناره ، لم ير لجسمه الصغير الضعيف فى جنبه مقـــدارا ، ورأى صغره عنها عيانا جهارا ، وإذا ذكر حالته فى بدئه وانقضائه ، وأوله وآخره وجد أوله [٦٥] نطفة قذرة ، وآخره تربة مذرة [٦٦] ، وهو فيمابين الحالتين وعاء لأنتن الأنتان ، وأقذر الأقذار ، ثم إن فكر فى عاقبة أمره ، ومرجع شأنه ، وجد جسمه الذى ربه [٦٧] طعاما لأضعف الحيوان ، وأوهن الدواب من الخشرة والديدان ، ثم إن فكر فى ضعف جسمه ، وقلة حيلته ، وصغر قدره إذا وجعه

---

(٦١) بعوارى القيمات : بما أعطى من الاشياء القيمة .
(٦٢) الهـــوام : الحشرات .
(٦٣) يتنصف : يقـــدر .
(٦٤) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا الاصح : اذا .
(٦٥) فى الاصل : وجدوا له .
(٦٦) مذرة : قـــذرة .
(٦٧) ربه : زاده ونمـــاه .

بعض اعضائه ، وضرب عليه بعض أجزائه الدالة بضعف تركيبها على سرعة الأنحلال ، ورأى أنه لا يدفع عنه جنوده ، ولا تغنى خيوله وحصونه ، فكيف إذ جاء مالا بد منه ، وقد تفاقم داؤه وعز دواؤه ، واشتد قلقه ، وضاق نفسه ، وعرق جبينه ، واشتد أنينه ، وغارت عيناه ، وتقلصت شفتاه ، وارتعدت فرائصه ، وكلت (٦٨) جوارحه ، وعاين سكرات الموت ، وحسرات الفوت ، وأيقن بترك ما جمع ، وأوعى ، والخروج مما شيد وبنى ، وبفراق من عشق وأحب ، وعاين آثار ما عمل واكتسب وود أنه (٢٤ / أ) كان أضعف خلق الله ، وأفقرهم ، وأقلهم ، وأخملهم ، ثم عمل بطاعة الله واجتنب معصيته . فمن لم يشاهد ذلك من نفسه ، فقد شاهده من غيره ، وعلم أنه لا محالة إليه مصيره ، ومنقلبه ، وما بعد أمره أمر وأدهى ، وأشد وأبقى ، ثم ليذكر مقدار الأرض التى هو يملك بعضها فى خلق الله من أفلاكه ونجومه وسماواته ، ثم مقدار مملكته ورعيته من الأرض ومن فيها ، ثم مقداره من رعيته ، فإنه إذا فكر فيه بانت له قلته ، وعلم أنها من صغار الهمم والأقدار (أقل البلغ) (٦٩) ، حيث لم تسم همته إلا إلى إدراك مملكته القليلة المقدار الضيقة الرقعة فى جنب الملك الكلى والعز الأبدى .

فإذا عرف ذلك من نفسه فعلى حسبه أن يكون تكبره وتجبره وخيلاؤه وتخونه ، وليعلم أنه لا يتكبر أحد ولا يختال بسلطان(٧٠) يناله إلا جاهل بمقداره ، قليل المعرفة بنفسه ، قصير الهمة صغيرها ، إذ كان يرى أن

---

(٦٨) كلت : تعبت وضعفت .
(٦٩) غير واضحة فى الاصل .
(٧٠) بسلطان : وفى الاصل السلطان .

سلطانه فوق قـــدره ونفسه دون ملكه • ثم لو بعدت همته وأرتقـــت [٧١] معرفته لما رضى بالفانى عن الباقى بدلا ، وبالدنيا عن الآخرة عوضا •

وقد قال بعض الحكماء : لم يتكبر أحد إلا لصغر قدره ، ودناءةنفسه، وقد قال ذلك عمرو بن عبيد حين قيل له : أقنعت من الدنيا بخبز وشعير؟ فقال : أقنع منى من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة • وقيل للعتابى : [٧٢] فلان بعيد الهمة قال : اذن لا غاية له إلا الجنـــة • وقال أرســـطاطاليس للاسكندر : إياك والعجب فإنه يفسد كبير الفضل •

---

(٧١) وارتقت ، غير واضحة بالاصل .

(٧٢) العتابى هو كلثوم بن عمرو ، ويكنى أبا عمرو ، وكان شاعرا محسنا، وكاتبا فى الرسائل مجيدا ، مات سنة ٢٢٠هـ . الشعر والشعراء تحقيق أحمد شاكر جـ٢ ص ٨٦٧ ، تاريخ بغداد ٤٨٨:١٣ ، معجم الادباء تحقيق مرجليوث جـ٦ ص ٢١٢ — ٢١٥ .

فصـــل آخـــر

التخلى عـــن الشهـــوات :

وليذكر الملك الفاضل : إذا انبسط أمله ، وازدحمت أمانيه ؛ أن عمره فى هذه الدار وإن طالت أيامه ، وتتابعت أعوامه ، ثلاثة أيام : فيوم منقض بما فيه لا يعود إليه أبدا ، ويوم منتظر ليس فى يده منه إلا آماله وأمانيه ، ويوم هو فيه قد آذنه بالرحيل عنه سريعا ، لا يبقى عليه بؤسه ولا يلبث له نعيمه ، حتى يصير يومه أمسه ، وغده يومه ، وإن شاء جعله ساعات ، فإنه يجتهد على هذه السبيل فلا يطولن عليه الامد ، ولا يهولنه الصبر عن شهوة مخلقة للعرض مفسدة للمروءة ، مكسبة (٢٤ / ب) للمذمة ، موجبة للعقوبة فإنما هو صبر يوم واحد من عمره أو ساعة من يومه ، إن صبر فيها عن شهوة فاحشة أصلح بها حياته الأبدية الدائمة ، وإن أرتكب فيها محرما أفسدها ، فلينظر فى مقدار يومه وساعته من مقدار الأبد والحياة السرمد ، وفى الشهوة المنقضية فى نيل الشهوات الدائمة ، فرب شهوة ساعة قد أورثت حزنا طويلا قال الله جل وعز فى هذا المعنى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هـــو أقرب) [٧٣] وقال : (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) [٧٤] وقال الرســـول ﷺ « انما مثلى ومثل الدنيا كراكب سار فى يوم صائف فقال تحت شجـــرة ساعة ثم سار وتركها »[٧٥] ، وقال « ما الدنيا فى الآخرة إلا كرجل أدخل

---

(٧٣) ١٦ النحل : مكية ٧٧ .
(٧٤) ٧٠ المعـــارج : مكية ٧٦ .
(٧٥) أخرجه الترمذى عن عبد الله بن مسعود بلفظ قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء ، فقال : « مالى وما للدنيا ، ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها »وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . الجامع الصحيح ٤:٥٨٩ ، تيسير الوصول ٢:١٠٤ ، وقال أى نام وقت الظهيرة .

أصبعه فى اليمفلينظر بماذا ترجع اليه »(٧٦) .

وقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبـــور »(٧٧) .

وقال فيه بعض الشعراء :

هو السبيل فمن يوم إلى يوم　　كأنه ما تريك العين فى النوم

لا تعجلن رويـــدا إنها دول　　دنيا تنقل من قوم إلى قوم

وقال لبيـــد :

فأضحى كأحلام النيام نعيمهم　　وأى نعيم خلته لا يزايل

وفى التزهيد عن الشهوات ما قال بعض الحكماء : العبيد ثلاثة : عبـــد الرق ، وعبد البدر (٧٨) ، وعبد الشهوة ، وهو شرهم حالة ، وأذمهم عاقبة، وقد قال بعض حكماء الفرس لبعض ملوكها : أما استحسنت من العقل أن تبدل اسم الكريم (٧٩) لئيما واسم الحر عبدا ؟ ألست تعلم أن اسم العبودية واللؤم انما يقع على الشهوات لان صاحبها مستعبد أبدا مجرور مسحوب،

---

(٧٦) أخرجه الترمذى عن قيس بن أبى حازم ، وقال : ان الحديث حسن صحيح . الجامع الصحيح ٥٦١:٤ ، كما أخرجه الحاكم فى مستدركه عن قيس ابن أبى حازم عن المستورد رضى الله عنه ج ١٩:٤الـ .

(٧٧) أخرجه الترمذى عن ابن عمر قال : أخذ رســـول الله ﷺ ببعـــض جسدى فقال : « وكن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفســـك فى أهل القبور » فقال ـــ لى ـــ ابن عمر : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك لا تدرى يا عبد الله ما اسمك غدا » الجامع الصحيح ٥٦٨:٤ ، وقد أورد الماوردى الحديث فى قوانين الوزارة ص ٨٣ .

(٧٨) البدر : جمع بدرة ، وهى المـــال الكثير . تاج العروس ٣٤:٣ .

(٧٩) فى الاصـــل : الكرم .

والعقل كريم . أو ما رضيت حتى جعلت الكريم للئيم مركبا ، والحر للعبد عبدا ، وسميت حرا كريما ، وسميت عاقلا لبيبا ، جعلت عقلك لشهواتك عبدا ورأيك لهواك مركبا ؟ .

وقال بعض الزهاد : إن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا ، والحرص والشهوة صير الملوك عبيدا .

وقال بعض الشعراء :

(هواك ــ فلا تكذب ــ عليــك أمــير
وأنت رهـــين فى يــديه أســـير)

(٢٥ / أ)

يسومكعصيانا وأنتتطيعه وطاعته عار عليك كبيــر

وقــال آخــر :

كم أسير لشهوة وقتيــل اف للمشتهى خلاف الجميل
شهوات الإنسانتكسبهالذل وتلقيه فى البــلاء الطويل

فصـــل آخـــر

الدنيا عدو فى ثياب صديـــق :

وليذكر المنهمك فى شهواته ، والمشتهر بلذاته ، أنه لا يعشق شيئا من الدنيا ويهواه ، ويشتهيه ويتمناه إلا وهو إذا ناله وظفر به مله وسئمـــه ، وكرهه عن قريب قربه ، حتى يلفظه لفظ المرار ، ويمجه مج الأجاج ، ويمله ملال المبغيض ، ثم إنه لا ينال شيئا يشتهيه إلا بكثير مما لا يشتهيه • فـــلا ينال الملك إلا بالخدمة الطويلة ، والرياضة الصعبـــة الشديدة ، والمخاطرة العظيمة ، والأشغال الكثيرة ، والآمال البعيدة ؛ التى ربما أتت دونها المنية، وإذا كان هذا هكذا فترك الطلب لشهوات الدنيا بما يفوت به الدين أولـــى بالملك العاقل ، وأشبه بأفعال الحازم الكامل سيما إذا كان فيها مرتكبا إثما وعارا ، يدحض الدين ، ويبقى قبـــح الأحدوثة أو راغبا فى لـــذة حيوانية يشاركه فيها البهائم المبهمة والسباع الضارية ، والكلاب العاوية ، وضعاف الحيوان من الهوام والحرشة (٨٠) ، لأن الصبر عن المحبوب والنجاة مـــن المكروه كالكفر بالمحبوب والوقوع فى المكروه سواء لا تفاوت بينهما • هذا وربما كانت المكاره فيما يظنه محابا ، والفساد فيما يحسبه صلاحا والهلاك فيما يتوهمه نجاة • فقد يجمع الملك والجنـــود ليكونوا له عدة على أعدائه وجنة عند لقائه ، فيكون فيهم هلاكه •

---

(٨٠) الحرشة جمع حريش دويبة صغيرة وهى اكبر من الذود على قدر الاصبع . لسان العرب المحيط ١:٦٠٨ •

ويكسب الحريص مالا ليريحه من تعب الفقر ونصب الحاجة فتكثر به حاجاته ويزداد تعبه ، ويربى الولد ليكون له عضدا وعلى اعدائه يدا ، وربما كان أعدى اعدائه له وشر منابذيه عليه ، فحقيق بالملك إذا أبصر بالدنيا على هذه الصورة ، وعلم أن داءه فيها من دوائه ، ومكروهه فى محبوبه ، وعدوه من صديقه ، أن يجعل سعيه فيها تزودا إلى غيرها ، وقصدا لما سواها ، وقد عرف ذلك من قال فيها :

(٢٥ /ب)

إذا امتحن الدنيا لبيب تكتشف له عن عـدو فى ثياب صـــديق[٨١]

وقد قال الحسن البصرى فى صفة الدنيا : « فأصـبحت كالعـروس المجلوة ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب لها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قاتلة »[٨٢] .

وقد كتب الحكيم إلى الاسكندر : « ما رغبتك فى شىء لو كان محمودا لمـا كان فى الدواب منه أكثر مما فيك ، وهو أقوى عليك ، فما الفخر فيـه والدواب أكثر فيه منك ، وهو يهتك العمر ، وينقص البدن ، ويفسد السنة» قال : « وقد تنازع النفس منازع شديد المؤنة وهو النهمة ، والنهمة تنتج الندامة ، والندامة تنتج الدناءة ، والدناءة تنتج سقوط النفس ، وسقوط النفس تنتج الميل إلى المحقرات ، والميل إلى المحقرات هتك لكل فضيلة » . ومن هذه الآفة تحدث الاوجاع العجيبة والامـور المفسـدة والفجـور ، وما أشبه ذلك .

---

(٨١) قاله أبو نواس . ديوانه ص ١٢٩ ، عيون الاخبار ٢:٣٣٢ ، الشعر والشعراء ٢:٨١٩ ، والايجاز والاعجاز الثعالبى ٤٧ ، المحاسن والمساوىء ٢:٤٨ ، والمضنون به على غير أهله ٨٧ ص ٤٣ ، التمثيل والمحاضرة ص ٨٩ ، وبهجة المجالس ج٢ ص ٢٩٥ ، التذكرة السعيدية ص ٤١٩ .

(٨٢) هى جزء من كتابه الى عمر بن عبد العزيز . والنص فى الحلية ٢:١٣٥

فصـــل آخـــر

محاســبة الله للمــلوك :

وليعلم الملك المتدين بدين الحق والمعتز بملة الاسلام ، أن الله انمــا استرعاه عباده ، واستعمره بلاده ، ومن بأنواع نعمه عليه ، وصنوف أياديه لديه ، محنة له وابتلاء ، وقد بين الله ذلك فى كتابه المنزل على لســان نبيه المرسل حيث قال : (الذى[٨٣] خلق الموت والحياة ليبلوكم أيــكم أحسن عمــلا)[٨٤] • وقال : (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصــابرين ونبلو أخبــاركم)[٨٥] • وقال (ونبــلوكم بالشر والخير فتنــة والينــا ترجعون) [٨٦] • وقــال النبى ﷺ « إن الدنيــا حــلوة خضرة ، وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف، تعملون »[٨٧] وأنه ســائله عمــا استرعاه ، ومحاسبه فيما استحفظه وآتاه على مثاقيل الذر ، وموازين الخردل ، كما بين ذلك فى كتابه حيث يقول : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فــلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبــة من خــردل أتينا بهــا وكفى بنــا حاسبين)[٨٨] وقال : (لتسألن عما كنتم تعملون)[٨٩] • ســؤال مفــرد

---

(٨٣) فى الاصل : هو الذى .
(٨٤) ٦٧ الملك : مكية ٢ .
(٨٥) ٤٧ محمد : مدنية ٣١ .
(٨٦) ٢١ الانبياء : مكية ٣٥ .
(٨٧) اخرجه مسلم ٤:٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢ فى كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء .
(٨٨) ٢١ الانبياء : مكية ٤٧ .
(٨٩) ١٦ النحل : مكية ٩٣ .

ومحاسبة مفزع ، لا سؤال مستفهم يحتمل التغيير ولا محاسبة مستعلم يجوز عليه التلبيس ، ثم هو محتج عليه بما اتاه من صنوف نعمه وقسم له من جزيل قسمة ، وما سخر له من عباده ، ومهد له فى بلاده ، وملكه من أمواله وخزائنه ، ثم هو محتج عليه (٢٦/ أ) بما أقام فى خلقه من الدلائل على حكمته ، وانه لم يخلق الخلق عبثا ، ولم يتركهم سدى ، ثم هو محتج عليه بكتابه الذى أنزل ، وأمره باتباعه فى فرائضه وأحكامه ، وبرسوله الذى ارسل وأمره بالاقتداء به فى سيره وآثاره ، ثم هو سائله عن كل ما أمره به من إصلاح نفسه واقامتها على طاعته ، وأوامره وفرائضه ، ثم سائله عن خاصته الذين أمره [٩٠] بتأديبهم وتقويمهم ، والاستعانة بهم على تنفيذ أموره ، وإمضاء أحكامه ، وإقامة حدوده وأعلامه ، ثم عن عباده الذين استرعاه إياهم ، حتى عن آخر عبد وأمة فى أقصى مملكته وأدناها ، وأسفلها وأعلاها ، وأنه لا ينجيه منها إلا الصدق ، ولا يرضيه إلا الحق ، ومن وراء الحساب والسؤال فوز عظيم ، أو عذاب أليم ، فوز لمن بطاعته عمل فى نفسه ، والعدل فى عباده ، والحق فى بلاده ، وأداء الامانة فى أمواله ، وعذاب على من عمل بمعاصيه ، وارتكب مناهية ، خبر من الله — جل ذكره — حق ، وقول صدق ، حيث يقول (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت[٩١] وهم لا يظلمون) [٩٢] وقال : (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)[٩٣] وقال : (رسلا

---

(٩٠) فى الاصل : امرهم .
(٩١) فى الاصل : ما كسبت .
(٩٢) ١٦ النحل : مكية ١١١ .
(٩٣) ٢ ! التكاثر : مكية ٨ .

مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٩٤] وقال : (بل الانسان على نفسه بصيرة) [٩٥] .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من وال يلى [٩٦] ولاية إلا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان أنجاه عدله وأهلكه جوره » [٩٧] ، ثم قال اللـــه فى تقسيم العاصين والمطيعين : (فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هـــى المأوى) [٩٨] وقال (يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها مادامت السموات والأرض) [٩٩] ، فهم فى عذاب دائم ، وألم غير منصرم ، إن بكوا لم يرحموا وإن صبروا لم يؤجروا ، وإن استغاثوا لم يغاثـــوا ، (لا يقضى عليهـــم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها) [١٠٠] وإن سألوا الرجعة ليعملـــوا صالحا قيل لهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) [١٠١] ، ثم يقول اللـــه محتجا عليهم:(أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) [١٠٢] وان افتدوا

---

(٩٤) ٤ النسـاء : مدنية ١٦٥ .
(٩٥) ٧٥ القيامة : مكية ١٤ .
(٩٦) فى الاصل (والى) والصحيح ما ذكرنا .
(٩٧) اخرجه الامام أحمد بن حنبل والطبرانى عن أبى امامة بلفظ « ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك الا أتى الله يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فكه عدله أو أوبقه اثمه » ومن رجاله يزيد بن أبى ملك وثقة ابن حبان وبقيـــة رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ والمسند ٥:٢٦٧ .
(٩٨) ٧٩ النازعات : مكية ٣٧ الى ٤٠ .
(٩٩) ١١ هـــود : مكية ١٠٥ : ١٠٧ .
(١٠٠) ٣٥ فاطر : من الاية ٣٦ .
(١٠١) ٢٣ المؤمنون : مكية ١٠٨ .
(١٠٢) ٣٥ فاطر : مكية ٣٧ .

لم يقبل منهم (٢٦ / ب) •يقول الله عز وجل :(يود المجرم لـــو يفتـــدى منعذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيـــه ، وفصيلته التى تؤويه ، ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه ، كلا ••) (١٠٣) •

ويقول : (لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به مـــن عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ، ولهم عذاب أليم) (١٠٤) •

(واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامـــت السمـــوات والارض الا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ) (١٠٥) وقد وصف الله نعيمهم مجملا فقال (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)(١٠٦) ، وقال : (وفيهـــا ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) (١٠٧) ، وقال : (لهم فيها ما يشاؤون) (١٠٨) ، وقال : (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريراً ، ودانيـــة عليهم ظلالها ، وذللت قطوفها تذليلا) (١٠٩) ، وقال : (حور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون) (١١٠) ، وقال : (ويطـــوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) (١١١) ، وقال : (إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (١١٢) ، وقال : (ولا يمسنـــا

---

(١٠٣) ٧٠ المعارج : مكية ١١:١٥ .
(١٠٤) ٥ المـــائدة : مدنية ٣٦ .
(١٠٥) مجذوذ : مقطوع ، والآية من سورة هود ١٠٨ .
(١٠٦) ٥٠ ق : مكية ٣٥ .
(١٠٧) ٤٣ الزخرف : مكية ٧١ .
(١٠٨) ١٦ النحل : مكية ٣١ .
(١٠٩) ٧٦ الانسان : مدنية ١٤ .
(١١٠) ٥٦ الواقعة : مكية ٢٢ الى ٢٤ .
(١١١) ٥٢ الطور : مكية ٢٤ .
(١١٢) ١٥ الحجر : مكية ٤٧ ، ٤٨ .

فيها لغوب) [١١٣] ، وقال : (يا عباد (١١٤) لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) [١١٥] .

وقال الرسول ﷺ « قال الله : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » [١١٦] . فى آى وآثار مثلها كثيرة . ثم قسم الله الأئمة قسمين : فقال فى بعضهم : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) [١١٧] وقال فى آخرين : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [١١٨] .

فلينظر الملك المتدين أى الإمامين هو ؟ ومن أى الفريقين يعد نفسه ؟ فقد قال النبى ﷺ « حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا » [١١٩] ، وقال : « الكيس من دان نفسه وعمل بما يرضى الله » [١٢٠] ، فان الله جل وعز — أبى أن يجعل العاصين له كالمطيعين ، والمصلحين كالمفسدين عقلا وخبرا ،

---

(١١٣) ٣٥ فاطر : مكية ٣٥ .
(١١٤) فى الاصل : يا عبادى .
(١١٥) ٤٣ الزخرف : مكية ٦٨ .
(١١٦) متفق عليه بين أئمة الحديث عن أبى هريرة : رياض الصالحين ٦٦٧ .
(١١٧) ٢٨ القصص : مكية ٤١ ، ٤٢ .
(١١٨) ٣٢ السجدة : مكية ٢٤ .
(١١٩) من أقوال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انظر الجامع الصحيح للترمذى جـ٤ ص ٦٣٨ ، المصباح جـ١ ص ٣٥٣ ، والحلية جـ١ : ٥٢ ، صفة الصفوة جـ١ : ١٠٩ ، سيرة عمر ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
(١٢٠) أخرجه الحاكم فى مستدركه عن شداد بن أوس رضى الله عنه بلفظ « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع هواها وتمنى على الله عز وجل » جـ٤ : ٢٥١ .

فقال فى محكم كتابه : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) [١٢١] ، وقال : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) [١٢٢] ، ثم قال : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) [١٢٣] ، وقال : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) [١٢٤] ، (٢٧ / أ) فليأتمر عبد بأمر الله فى تدبر هذه الآيات ،و ليصدق بها إذا عرف حقها ، ولا يقول العبد:إنى أصر على المعاصى وأتمنى على الله الأمانى ، وأرجو رحمة الله فإن الله جعل رحمته للمؤمنين المحسنين ، فقال : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) [١٢٥] ، وأعد مغفرته للأوابين التوابين فقال حاكيا عن ملائكته وحملة عرشه (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) [١٢٦] ، وقال (فإنه كان للأوابين غفورا) (١٢٧) وقال : (وهو الذى يقبل التوبة عنعباده ويعفوا عن السيئات) [١٢٨] ، وقال : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم

---

(١٢١) ٤٥ الجاثية : الاية ٢١ .
(١٢٢) ٣٨ ص : مكية ٢٨ .
(١٢٣) ٣٨ ص : مكية ٢٩ .
(١٢٤) ٦٨ القلم : مكية ٣٥ ، ٣٦ .
(١٢٥) ٧ الاعراف : مكية ٥٦ .
(١٢٦) ٤٠ غافر : مكية ٧ .
(١٢٧) ١٧ الاسراء : مكية ٢٥ .
(١٢٨) ٤٢ الشورى : مدنية ٢٥ .

مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار) [١٢٩] ، وقال : (يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) [١٣٠] ، ثم قال : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) [١٣١] .

أو يقول العبد أرجو رحمة مع المعصية ، والمغفرة بلا توبة ، قال الله جل وعز : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) [١٣٢] .

وقد شاهد الملك خلاف ما أمله فى سياسته ، وصده فى معاملته ممن تحت يده ، فإن الرجاء من توابع الإحسان ، والخوف من توابع الإساءة ، فمن أساء فى فعله كان الخوف أولى به من الرجاء ، فلا يطلبن شيئا من غير وجهه فيحرمه ، ولا يضعنه فى غير موضعه فيضيع ، وليعلم الملك المتدين أنه لابد له من المصير الى حالة يتمنى أن لو جاز له التمنى أن يعتاض [١٣٣] يوما واحدا يعمل فيه بطاعة الله بجميع الدنيا ، ولو كانت بحذافيرها ، وعسى أن يكون قريبا ، فليغتنم هبة الله الجليلة فى أيامه فانما هى رأس ماله ، وطلب الربح مع ضياع رأس المال متعذر عسير .

فكفى بما قدمناه من هذه المواعظ موعظة لمتعظ ، وتذكرة لمن وفقه الله لطاعته وعصمه من معصيته .

---

(١٢٩) ٣ آل عمران : مدنية ١٣٥ ، ١٣٦ .
(١٣٠) ٣٩ الزمر : مدنية ٥٣ .
(١٣١) ٣٩ الزمر : مدنية ٥٤ .
(١٣٢) ٢٨ القصص : مكية ٨٣ .
(١٣٣) يعتاض : يستبدل .

الباب الخـــامس

فى سياســـة النفس ورياضتهـــا

الملوك وتقوى اللـــــه :

ومما يجب أن يقدم فى هذا الباب ، أنا لم نقصد فى كتابنا هذا ما يعده كثير منهم أدباء فى الجلسة،واللبسة ، والركبة (٢٧/ب) والطعمة ،والانيات التى يتجملون بها فيما بينهم ، والزى الذى يتزيون به ، لانهم بذلك أعلـــم منا ، وأنهم قد أخذوا منها فوق ما يمكننا وصفه وشرحه ، ثم قد ألـــف لهم أتباعهم وأبناء الدنيا منهم كتبا كثيرة قديمة وحديثة فى دونها كفاية فى هذه الأبواب ، ومندوحة عما يتكلفه متكلف من أهل هذا الزمان ، ولعل كثيرا مما فعلوه من ذلك ليست فيه فائدة فى باب السياسة ، ولا جدوى على الراعـــى والرعية •

ولكنا أردنا أن نجعل كتابنا هذا كتابا دينيا : نريهم فيه مصالح معادهم ومعاشهم ، ونظام ممالكهم وأحوالهم ، بكتاب الله رب العالمين ، وسنـــن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والملوك الأولين ، ونحذرهم سوء المصرع ولؤم الميته وقبح الأحدوثة ، واستحقاق العقوبة عاجلا وآجلا •

فنقول : ان أول ما يجب على الملك المعنى بأمور رعيته ، المهتم بحماية حوزته ، وعمارة بيضته ، تقوى الله ، فإنها أفضل ما تواصى به الفضـــلاء والعلماء ، وانها عصمة لمن أعتصم بها ، وحرز لمن تمسك بها ، وملجأ لمن لجأ اليها ، وامن لمن استشعرها ، وجمال لمن لبسها ، وعز لمن اعتز بها ، ومهابة

لمن استقبلها وسلاح لمن قاتل بها ، وذخر لمن اكتسبها ، وفضيلة لمن اقتناها وهى مع ذلك وصيته جل وعز الى خلقه ، وأمره الملقى اليهم ، ووصية الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، والفضلاء من الملوك الماضين ، والحكماء المتقدمين ، من أهل كل جيل وملة ودين ونحلة ، وقد تكفل الله لمتقيه بالفرج والمخرج ، واليسر والنصر والرزق فقال : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (١) ، وقال : (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (٢) ، وقال : (واعلموا أن الله مع المتقين) (٣) ، وقال : (ثم ننجى الذين اتقوا) (٤) ، وقال : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا)(٥)

وقد قال بعض شعراء الجاهلية فى جاهليته وكفره :

يسر الفتى ما كان قدم من تقى إذا عرف الداء الذى هو قاتله (٦)

وقال الأعشى : (٧)

---

(١) ٦٥ الطلاق : مدنية ٢،٣ وفى الاصل « لم » بدلا من «لا» .
(٢) ١٦ النحل : مدنية ١٢٨ .
(٣) ٢ البقرة : مدنية ١٩٤ .
(٤) ١٩ مريم : مكية ٧٢ .
(٥) ٦٥ الطلاق : مدنية ٤،٥ .
(٦) ورد فى حماسة الظرفاء للزوزونى ت ٤٣١ جـ١ ص١٨٤ دون أن ينسبه والحيوان جـ٦ ص ٥٠٧ ، وورد البيت فى حلية الاولياء ١٥٢:٢ وان الحسن البصرى كان يتمثل بهذا البيت فى أول النهار وفى آخر النهار يتمثل بالبيت التالى :

وما الدنيا بباقية لحى ولا حى على الدنيا ببـاق

(٧) هو ميمون بن قيس بن جندل وكنيته أبو بصير ، ويعرف باعشى قيس ، والاعشى الكبير ، ولقب بذلك لضعف بصره ، وأدرك الاسلام ولم يسلم، مات حوالى سنة ٧ هـ . الشعر والشعراء ١٢٣:١ ، والاغانى ١٠٨:٩ .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

(٢٨ / أ)

نـــدمت علـــى أن لا تكون كمثله وأنكلمترصد بما كانأرصدا (٨)

وقال زهير بن أبى سلمى ، وهو جاهلى : (٩)

رأيت التقى والبر خير تجـــارة وذخرا إذا ما المرء أصبح ناقـــلا

وما هـــو الا ما ابتنى فى حياته اذا قدموا يوما عليه الجنـــــادلا

وقال آخـــر :

ألا كل من يتق الله مصون وان الذى نال التقى لسعيد

وقال آخـــر :

ولست أرى السعادة جمـــع مـــال ولكـــن التقـــى هـــو السعيد

وتقوى اللـــه خير الـــزاد ذخـــرا وعند اللـــه للاتقـــى مزيـــد

ومـــا لابـــد أن يأتـــى قريـــــب ولكن الذى يمضى بعيد (١٠)

---

(٨) أورد الاصبهانى فى الحلية (جه ص ٣١٨) عن عثمان بن عبد الحميد قال : دخل سابق البربرى على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عظنى يا ســابق واوجز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ ان شاء الله ، قال هات فأنشده :

اذا انت لم ترحـــل بزاد من التـــــقى ووافيت بعد الموت من قـــد تذودا

ندمت عـــلى أن لا تـــكون شـــــركته وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

كما أورده ابن الجوزى : فى سيرة عمر بن بن عبد العزيز ص ١٤٥ .

(٩) زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى،حكيم شعراء الجاهلية،توفى سنة ١٣ قبل الهجرة . الاغانى ١٠:٢٨٨ ، خزانة الادب تحقيق عبد الســـلام هارون جـ٢ : ٣٣٢ .

(١٠) قاله الحطيئة تكملة ديوانه ص ٢٥٢ ، والاغانى ٢:١٧٥ فى وصية عبيد الله بن شداد لابنه ، والامالى ٢:٣٣٥ ، ولبـــاب الاداب ٢٢ ، عين الادب والسياسة ٢٦٨ ، وبهجة المجالس ١:١٩٦ ، البيت الاول وينسبه الى الحطيئة

قال [١١] افلاطون : التقى رأس النجاح ، وهو مفتاح الفضائل [١٢] .

وقال أرسطاطاليس للاسكندر : تـــأدب بأهـــل التقى المشهوريـــن بالزهـــد [١٣] .

وقديما ما قيل : الولد بوالده ، والمتؤدب بمؤدبه ، والجند بقائدهم ، والناسك بالدين ، والعامة بالملوك ، والملوك بالتقوى ، والعقل بالتثبيت [١٤]

وقد قال أردشير فى عهده : سعادة الرعية فى طاعـــة الملوك ، وسعادة الملوك فى طاعة الله المالـــك [١٥] .

فى معنى التقـــوى :

وقرأنا لحكيم من ملوك الهند فى عهد له إلى ابنه : واعلم أنك لســـت بشىء الا بالله ، وانه ليس لك شىء الا ما نلت من رضوان الله ، وانك بان تتقه فى حقه عليك يقك شرا من ذلك ، وان تتق فيه غيره لا يدفع عن نفســـك ولا يدفع عنك دافـــع .

ومعنى التقوى التى ذكرها الله ، وأثنى على عامليها ، هو إيثار طاعة الله ، والانتهاء عن معصيته فالتقى هو المطيع ، والمطيع هو المؤمن ، والمؤمن هو المسلم ، لأن هذه الأسماء كلها مدائح الله جل وعز لمن استحقها بالأفعال الصالحة ، والمساعى الفاضلة ويشتمل على أفعال كثيرة ، وهى تنقسم إلى **خمسة أقســـام :**

أولها : معرفة الله ـــجل وعز— حق معرفة ، واحدا قديما ، احدا فردا حكيما جوادا ، رحيما برا ، صادقا قادرا ، عليما ، حتى لا يشك عارفه ثـــم

---

(١١) قال غير موجودة بالاصل .
(١٢) نزهة الارواح ١:١٧٢ .
(١٣) وصية ارسطاطاليس للاسكندر ص ٣٩ مع تغيير طفيف .
(١٤) النص فى كليلة ودمنة ١٧٠ ، وعين الادب والسياسة ١٥٦ .
(١٥) النص فى التاج لاخلاق الملوك ص ١١ .

يسميه بأسمائه الحسنى ، ويصفه بصفاته العليا ، فلا يضيف إليها شيئـا مما نفاه عن نفسه ، ولا ينفى عنه شيئا من خلقه ، ولا يجعل معه فى خلقـه (٢٨ / ب) شريكا ، ولا له منهم نديدا ولا شبيها بوجه من الوجوه أو معنى من المعانى •

ويعلم أنه بر بعبادة ، رحيم بخلقه ، لا يكلفهم الا الوسع ، ولايريد بهم إلا اليسير ، ولا يعذبهم إلا بذنب ، ولا يقضى عليهم إلا بالحـق ، ولا يقول ولا يرضى لهم إلا الصدق ، وأن قضاءه حق ، وقدره حتم ، وأن مـن رحمته بخلقه ، وحسن نظره لهم ، أنه بعث الأنبياء مبشرين ومنذريـن ، وأنزل على ما أنزل منهم الكتاب المبين ، الذى هداهم به الى دار النعيم ، وحذرهم به العذاب الأليم •

وثانيهما : [١٦] (ثم) الايمان بملائكته ، وكتبه،ورسله،وضمان أداء فرائضه وما جاء النبى به ﷺ ، والبعث والنشور ، والثواب والعقـاب ، والوعـد والوعيد ، وكل ما يجب على المؤمنين اعتقاده ، فإن هـذا أساس الديـن ، وأصل أفعال المؤمنين ، وإن الله لا يقبل عملا مع الجهل به والشك فيـه ، والخطأ فى صفاته وأفعاله ، وإضافة السوء إليه وإشراكه فيه ، وإن طـال وكثـر •

وثالثها : (ثم) القيام بأداء الفرائض التى هى : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد فى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهى عـن

---

(١٦) ثانيها ، ثالثها ، ورابعها ، ساقطة من الاصل •

المنكر على شرائطها ، وأوقاتها ، وصورها ، وتمامها وعند مكانها ، واستعادة القدرة عليها ، وارتفاع المعاذير دونها •

واجتناب الكبائر التى أوعد الله عليها بنار الأبد ، وأوجب فيها التنكيل والحد مثل الزنا ، والقذف ، وأكل الربا ، والرشا [١٧] ، وأكل أموال اليتامى ظلما ، والقتل ، والظلم وشرب الخمور ، ولعب الميسر ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن •

ورابعها : (ثم) اقامة حدود الله ، وامضاء أحكامه فى عباده ، والقيام بالقسط فى بـــلاده ، والحكم بالحـــق فى دمائهم ، وأموالهم ، وأشعارهم ، وأبشارهم ، وفروجهم ، وأعراضهم ، وتجنب ظلمهم ، والتعـــدى عليهم ، والميل بينهم ، ثم الاقتداء برسول الله ﷺ فى سننه الظاهـــرة ، وسيرتـــه المستفيضة النافعة التى جعلها الله شعارا للأمة ، وأمارات للملة مالم يوجد فرضها فى كتاب الله نصا ، فإن كثيرا منهـــا فرائض ، وكثيرا منها مواجـــب وبعضها أكد من بعض ، والله قد أمر بأخذها عن الرسول وتلقيها عنه بالقبول بقوله : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [١٨] ، وقوله : (وأطيعوا الله والرسول) [١٩] •

وخامسها [٢٠] : (ثم) التأدب (٢٩ / أ) بآداب الله والأقتداء بنبيه ﷺ فيها ، فإن الله لم يدع شيئا فيه صلاح خلقه ، فى محياهم ومماتهـــم ،

---

(١٧) الرشا : ويعنى الرشوة .
(١٨) ٥٩ الحشر : مدنية ٧ .
(١٩) ٣ آل عمران : مدنية ١٣٢ .
(٢٠) وخامسها : (ساقطة من الاصل) .

وجمال معايشهم ومعادهم ، مما ينالون به فضيلة أو يتنزهون به عن رذيلة الاهداهم اليه ، وحثهم عليه ، وبصرهم به فى كتابه ، وسنن الانبياء من خلقه وليس شىء مما يقرب [٢١] ويزلف لديه فى الاخرة الا وهو فضيلة لفاعله وشرف وزينة ، ومدحة فى الدنيا ، ولا شىء مما نهى عنه وزهد فيه فى الدنيا إلا وهو رذيلة ودناءة فيهما • فإن أسباب الدنيا موصولة بأسباب الآخرة ، وفى صلاح إحداهما صلاح الأخرى ، وفى فسادها فسادها •

الملوك وإقامة الديـــن :

وليس إقامة أمر الدين مما يجب على الملوك دون غيرهم ، إلا أن الملوك أولى به ، وأحق باستعماله ، والأخذ بآدابه لخصال كثيرة منها : ما ذكرناه من أن نعم الله ـــ عز ذكره ـــ عليهم أظهر ، وأياديه عندهم أكثر ، فالاولى بهم أن يكونوا لله أشكر ، وأطوع ، والى أوامره ونواهيه أسرع •

ومنها ، أن مقامهم الذى أقامهم الله فيه مقام الذاب عن حوزة الدين والقائم بأمور المسلمين ، فاذا ضيع الملك شيئا مما هو مفوض اليه ، ومعصوب به ، ولم يعتد به غيره من رعيته ضاع ، وان ضيعه كثير من الرعية وقام به هو لم يضـــع •

ومنها ، ما قدمناه من أن فعل الملك أفعال ، وقوله أقوال ، لأنه إذا فعل شيئا أقتدى به فى فعله ، وائتمر لأمره ، فتصير أقواله سننا وأفعاله سيرا تبقى على مر الزمان وتتابع الأيام ، فإن فعل حسنا جرى له أجـــره ، وإن فعل سيئا جرى عليه وزره فقد روى النبى ﷺ أنه قال : « من سن سنـــة

---

(٢١) فى الاصـــل : تقـــرب •

حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »[٢٢] الحديث •

ومنها ، إذا عرف بالتقوى والدين أحبته قلوب الرعية ، واتفقت عليه كلمة الخاصة والعامة ، ورغب أهل الدين والمعنيون به فى مجاورته وصحبته، ووثقوا منه بالعدل ، فإن رأوا منه محبوبا شكروه عليه ، وإن رأوا مكروها عذروه فيه ، إذا كان فعل من ذلك بما أوجبه الدين وأمر به رب العالمين •

ومنها ، أنه يزيده فى قلوب الأعداء مهابة ، لأن للدين والصلاح والهدى والعفاف جلالة فى النفوس ، ومهابة فى القلوب والعيون ، وذلك مما يعرف مشاهدة ، ويعلم معاينة •

الملوك والفضائل الواجبة :

(٢٩ / ب)

وهذه الدلائل كلها تبين عما ذكرنا ، وتوضح ما قدمنا مع ما ذكرنا أن ذلك من رأى الملوك الفضلاء ، والأئمة العقلاء ، والأمراء الأمنـــاء ، ففيهم قدورة ، وفى أقاويلهم ومذاهبهم حجة ، لمن أراد الأقتداء ومال إلى الاحتجاج فيما يراه ويختاره •

ثم مما يجب على الملك أن يقتنيه من الفضائل والمآثر والمناقب والمفاخر التى لا يستغنى عنها أو يحتاج إليها فى الديانة والسياسة الحكيمة الملية يكسب بها الحمد ، ويستحق بها المدح ، ويستأهل[٢٣] بها الفضل •

---

(٢٢) رواه مسلم عن جرير ، صحيح مسلم الحديث ١٠١٧ جـ٤ ص ٢٠٥٩ كتاب العلم ، وسنن ابن ماجة الحديث ٢٠٣ جـ١:٧٤ والعجلونى : كشف الخفاء ٢:٣٥٣ .

(٢٣) « فى الاصل يستأصل » .

فى فضل العلـــم :

العلم ، فإن العلم من أجل الفضائل شأنا ، وأعلاها مرتبة ، وأسناها منزلة ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد رضيه الله وصفا لنفسه ، وجعله فى أول ممادحه التى أمتدح بها إلى خلقه • فقال : (إن الله بكل شىء عليم)(٢٤) ، وقال : (عالم الغيـــب والشهـــادة) (٢٥) ، وقـــال : (وكـــان الله عليمـــا حكيما) (٢٦) ، وقال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلـــم قائما بالقسط) (٢٧) ، وقال : (وما يعلم تأويلـــه إلا الله والراسخـــون فى العلم) (٢٨) ، وقال رسول الله ﷺ : « العلماء ورثة الانبياء » (٢٩) ،وقال: « يسير العلم خير من كثير العبادة »(٣٠) ، وقال:« إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب »(٣١) ، وقال : « الناس رجلان : عالم ومتعلم

---

(٢٤) ٨ الانفال : مدنية ٧٥ و ٩ التوبة : مدنية ١١٥ و ٢٩ العنكبوت : مكية ٦٤ و ٥٨ المجادلة : مدنية ٧ .

(٢٥) ٩ التوبة : مدنية ٩٤،١٠٥ ، ١٣ الرعد : مدنية ٩ ، ٣٢ السجدة ، مكية ٦ .

(٢٦) ٤ النساء : مدنية ١٧ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ٤٨ الفتح : مدنية ٢٦ .

(٢٧) ٣ آل عمـــران : مدنية ١٨ .

(٢٨) ٣ آل عمران : مدنية ٧ .

(٢٩) اخرجه ابو داود والترمذى عن ابى الدرداء فى حديثه (من سلك طريقا يطلب به علما » تيسير الوصول ١٥٢:٣ كما أخرجه ابن النجار عن أنس بنص « العلماء ورثة الانبياء تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحـــر اذا ماتوا الى يوم القيامة » ، السيوطى : الجامع الصغير ٢١٠ ورمز اليه بالضعف.

(٣٠) رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه خارجة بن مصعب ، وهو ضعيف جدا . مجمع الزوائد ١٢١:١ . وقال البيهقى ورويناه صحيحا من قول مطـــرف ابن عبد الله بن الشخير . الترغيب والترهيب للمنذرى ٥١:١ .

(٣١) رواه ابن ماجة عن ابى الدرداء وسط حديث « من سلك طـــريقا يلتمس فيه علما ... » سنن ابن ماجة ٨١:١ كما رواه ابو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى . الترغيب والترهيب ٥٣:١ .

وما سوى ذلك همج لا خير فيه » (٣٢) ، وقال الامام الفاضل على رضى الله عنه : قيمة كل انسان ما يحسن(٣٣) ، وقال رحمة الله عليه : العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال(٣٤) ، وقال : مات خزان المال، والعلماء باقون ما بقى الدهـــر ، أعيانهم مفقـــودة وآثارهم فى القلـــوب موجودة (٣٥) . وقال : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع تابع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور الحكمة ، ولم يلجوا إلـــى ركن وثيق (٣٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما عبد الله بمثل الفقه فى الدين »(٣٧) .

وروى عن بزرجمهر بن التحنكار حكيم العجم : حسبك من جلالـــة العلم أن كلا يدعيه ، وإن لم يكن من أهله ، وحسبك من خساسة الجهل أن كلا ينتفى منه وإن كان من أهله .

وقال حكيم من حكماء الفلاسفة : العمى خير من الجهل فإن أصعب ما يخاف من العمى التردى فى هوه ، وأهون ما يخاف من الجهـــل التـــردى (٣٠ / أ) فى هـــوة .

قالوا : ولما أراد الإسكنـــدر الخروج إلى اقـــاصى الأرض . قـــال لأرسطاطاليس : أخرج معى ، قال : قد نحل جسمى وضعفت عن الحركـــة فلا تزعجنى (٣٨) ، قال : فأوصنى بشىء يرفع قدرى ويحببنى الى رعيتى

---

(٣٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط وفى سند الكبير الربيع بن بدر والاخر نهشل بن سعيد ، وهما كذابان . مجمع الزوائد ١:١٢٢ .

(٣٣) نهج البلاغة ٢:٢٠٢ ، قوانين الوزارة للماوردى ١٦٢ ، والبيـــان والتبيين ٢:٧٧ ومجمع الامثال ٢:١١٧ ، تذكرة ابن حمدون ٧ .

(٣٤) نهج البلاغة ٢:٢٢٥ ، وعين الادب والسياسة ٢٨٦ .

(٣٥) نهج البلاغة ٢:٢٢٥ ، وعين الادب والسياسة ٢٨٦ .

(٣٦) نهج البلاغة ٢:٢٢٥ ، عين الادب والسياسة ٢٨٦ .

(٣٧) ضعيف ، أخرجه البيهقى عن ابن عمر . الجامع الصغير ٢٨٣ .

(٣٨) لباب الاداب تحقيق أحمد شـــاكر ص ٥٢ .

قال : تعلم العلم ، وبثه ، واستنبط منه ما يحلو بقلوب الرعية ، تنقـــد لك الرعية من غير حرب •

وروى الواقدى قال : قيل لأردشير ما العلم والشرف فى الأقدار ؟ قال : علم تستنبطه فتعلمه من لا يعلم • قال : وأوصى بزرجمهر ابنه فقال: يا بنى عليك باستنباط العلم ، وبثه ، تجد به العز فى العاجلة ، والشرف فى الآجلة ولا تكونن كالبهائم : إن جاعت رعت ، وإن شبعت نامت •

وقال عبد الله بن المعتز : (٣٩) ما مات من أحيا علما ، ولا أفتقر من ملك فهما •

ثم لم يتفاضل الناس فى شىء من الصناعات والسياسات والمراتـــب إلا بالعمل والعقل الذى هو أم العلم وأصله ، وإن كان لا ينتفع بالعقل إلا اذا كان مربى ومقوى بالعلم المستفاد • هذا مع جلالة موقع العلماء مـــن القلوب ، وفخامة أسمائهم فى الصدور ، ثم إنه الشىء الذى لا يستغنى عنه فى ديانة ولا سياسة ولا صناعة • فالملك حقيق بأن لا يرغب عن هذه الفضيلة الجليلة ، ولا يبخس لحظة منها ، ولا يدع نفسه عن سمتها غفلا ، ولا من حليها عطلا ، مع ما ذكرناه من حاجته الضرورية اليه •

---

(٣٩) هو ابو العباس ، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل العباس، شاعر مبدع ، تولى الخلافة يوما وليلة ، ومات خنقا ٢٩٦هـ نزهـــة الالباء فى طبقات الادباء ١٧٦، ١٧٧ ، وفيات الاعيان ٢٦٣:٢ ، النجوم الزاهرة ١٦٥:٣ — ١٦٧ ، تاريخ بغداد ٩٥:١٠ — ١٠١ ، مفتاح دار السعادة ١٩٩:١ ، ٢٠٠ ، مرآة الجنان ٢٢٥:٢ ـ ٢٢٧ ، العبر ١٠٤:٢ ، ١٠٥ ، سير أعلام النبلاء ١٤: ٤٢ ، ٤٣ ، شذرات الذهب ٢٢١:٢ — ٢٢٤ •

ثم إن العلم المطلق جنس تحته أنواع كثيرة ، وصور مختلفة متباينة متفاضلة فى نفعها وجلالتها ، وعلى حسب ذلك يتفاضل بها عالموها ، فإنه ليس من صناعة صغر مقدارها أم جل ، وكثر نفعها أم قل ، إلا وفيها علم يعلمه أهلها ، وليس فى القوة البشرية إدراك كل الفنون ، ولا إيتاء كل العلوم وإذا لم يكن فى كل ذلك مطمع فالأولى بالعاقل أن يختار منها أجلها قدرا وأعظمها خطرا ، وأعمها نفعا فى الدين والدنيا وليس فن من فنون العلم أولى بهذه الصفة من علم الدين الذى يتقرب به إلى الله جل ذكره ، ويبتغى به الآخرة ، ويقدم إليها به الذخر ، ولا أشد مشاكلة (٤٠) للملوك ومعونة لهم على سياسة المملكة وحماية الديانة من العلوم الدينية التى يرجع بجملتها **إلى خمسة أقسام :**

أقسام العلوم الدينية :

أولها ، علم (٣٠/ب) التوحيد الذى هو معرفة الله ــ جل ذكره ــ وعلوم الألهية التى قدمنا ذكرها .

وثانيها ، ثم رواية آثار رسول الله ﷺ ، ونقل أخباره التى هى أصول الأحكام ومبانى الحلال والحرام ، وفيها سنن الرسول ﷺ ، ومغازيه ، ومعرفة أصول الديانة ومخارجها وإثباتها ، وبدء كونها ، وسنن خلفائها ، وسياسة أمرائها ، وأقاويل علمائها .

وثالثها ثم علم الفقه الذى هو معرفة الملة وسنن الشريعة .

ورابعها : ثم علم المواعظ التى تذكر بالآخرة وتبعث على اكتساب

---

(٤٠) مشاكلة : مماثلة .

الأجر وطلب الخير •

وخامسها : ثم علم اللغة الذى لا تستغنى عنه فرقة من هـذه الفرق(٤١) ولا أهل نحلة(٤٢) من النحل إذا أراد أن يكون كاملا فى صناعته ، وفاضلا فى ديانته ومذهبه ومقالته ، إذ بها يعرف نظم كلام الله وآثار رسوله ، ويوقف على مواقع خطابه ، ومعانى كتابه ، فهذه جملة أقسام العلوم الدينية •

تقديم علم الديـن :

والترتيب فى العلم أن يبتدأ بتعليم اللغـة ، وتحفظها عند الحداثـة وعنفوان الشباب ، والشره ، وعند غلبة الحفظ ، وفراغ القلب عما يدفـع إليه الملك فى حال تملكه ، والاشتغال بسياسة مملكته ، ورعاية رعيته ثم إذا بلغ وعقل ولزمته حجة الله ابتدأ فى علم الدين الذى طريقه علم الكلام ،حتى يعلم من ذلك ما يجب عليه علمه ولا يسعه جهله ولا يجوز لعاقل غفلته ، إذ هو أولى العلوم بالتقديم أولا لأن الاصابة فيه إيمان وسعادة ، والخطأفيه كفر وشقاوة ، فالواجب على الإنسان أن يبادر بالشىء الذى يعظـم ضره ونفعـه •

ولعلة ثانية : وهى أنه أجل العلوم فى ذاته ، وأفضل الفنون فى ميزاته لانه انبحث عن الله ، وعن آياته ، ومعلومه هو جل وتعالى ، وكل ماكان من العلوم أجل معلوما وأعلى وأفضل وأسنى ، كان العلم به أجل وأفضل ،ولا معلوم أجل ممن يبحث بهذا العلم ويستدل به عليه •

---

(٤١) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٤٢) هكذا فى الاصل والاولى أن تكون (صاحب) .

وثالثة : أنه بحث عن الديانة ، وذب عن الملة التى بينا أنها أصل المملكة وأس العمارة ، وقطب السياسة ، وصلاح الدنيا والآخرة •

ورابعة[٤٣] : إن الملك يحتاج إليه ، ويستعين به فى المجالس الحافلة، والعساكر الكثيفة الجامعة عند قتال أهل الملل المخالفة مرة ، وأهل البغـــى والعصيان (٣١/ أ) أخرى ، فيجب عليه أن يعرف هل يحل له قتالهم ، ويجوز لهاغتيالهم ، لأنه إن ظفر بظلم وجور فقد خسر ، وإن غلب بهما فقد غلب ، وإن خصم بهما فقد خصم •

ثم يحتاج إلى محاجتهم ومناظرتهم ودعوتهم إلى الإيمان والطاعة ، وقد جرت السنة بتقديم الدعوة وإقامة الحجة عند القتال ، فإذا لم يكن عند الملك علم دينه ومذهبه كان مغلوبا محجوبا ، وربما صار حجج عـــدوه عليه تفريقا لجمعه ، وتشتيتا لجيشه ، وإفسادا لقلوب أوليائه عليه •

وهذه أحدى الحيل التى لم تزل الملوك يحتالون بها ، ويلتجئون اليها عند التقاء الجيش وموازة الفئتين ، وفى الخطب والرسائل المذكورة والمحافل المشورة ، فبالحجاج فرق على ــ رضى الله عنه ــ بين طلحة[٤٤] والزبير[٤٥]، ثم بين الخوارج، وبالحجاج من قبل استحل أبو بكر ــ رضى اللهعنه ــ قتال

---

(٤٣) فى الاصل : وخامسة .

(٤٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى المدنى ، ويكنى ابا محمد ، صحابى ، شجاع ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحـــد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦هـ . طبقات ابن سعد ٣:٢١٤ ، والاستيعاب ٢:٧٦٤ ، وصفة الصفوة ١:٣٣٦ ، وتهذيب التهذيب ٥:٢٠ .

(٤٥) هو الزبير بن العوام بن خويلد الاسدى القرشى ، ويكنى ابا عبـــد الله ، الصحابى الشجاع ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه فى الاسلام ، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ . صفة الصفوة ١:٣٤٢ ، وأسد الغابة ٢:٢٤٩ ودول الاسلام ١: ٣٠ .

أهل الردة • وبالشبهة المخرجة فى صورة الحجة غلب معاوية[٤٦] عليا وفرق بين بصائر أصحابه ونيات أوليائه بصفين [٤٧] ، وكذلك ما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : واذا كتبت كتبك فاقرأ كتبك على العامة ، واذكر أحتجاجك عليهم من كتبك ، وأذع من كتبهم مالا[٤٨] يجب ستره عن العامة ، وحاجة الملوك إلى المعرفة بالحجاج أشهر من أن يحتاج معه إلى احتجاج واستشهاد واستدلال ، وقد يجوز أن يحضر الملك فى كل وقت من يسد مسده ويجوز أن لا يحضر فى كل وقت ، ولكن الملك فى نفسه إذا لم يكن عالما كان[٤٩] منقوصا غير موفور ، متخلفا غير مبرز •

ثم خامسة [٥٠] أن يتحرز به من حيل الموهين والمخرقين وأعداء الملك والدين من الزنادقة والملحدين ، الذين ذكرنا أن بغيتهم قصد الملوك ، وافسادهم ، واغتيالهم ، واصطيادهم ثم الاستعانة بهم على إفساد الرعية مرة ، وقصد الرعية وإفسادها على الملك ، وتفريق كلمتها ، وشق عصاها ، وارتفاع الخلاف بينهما أخرى ، وفى كل منهما هدم أركان الملة ، واستئصال الديانة والملكة • وفى أحكام علم الدين تحرز من هذا الفساد ، وتحصن من

---

(٤٦) هو معاوية « بن أبى سفيان» صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن مناف ، صحابى ، أسس الدولة الاموية فى الشام ، وكان سياسيا موصوفا بالدهاء والحلم ، مات سنة ٦٠هـ وعمره ٧٧ عاما . دول الاسلام ١:٤٥،وتاريخ الخلفاء ١٩٤ .

(٤٧) صفين تقع ما بين أعالى العراق وبلاد الشام ، جرت بها حربا بين على بن أبى طالب ومعاوية عام ٣٦هـ . وقعة صفين لنصر بن مزاحم تحقيق عبد السلام هارون ، المقدمة .

(٤٨) غير موجودة فى الاصل وبها يستقيم المعنى .

(٤٩) كان : ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى دونها .

(٥٠) فى الأصل ثم سادسة .

هذا العارض المجتاح ومن أقبح الأشياء بالملك أن يقصده عدو من أعـداء دينه وملكه وهو هارب من حجة العالم الخاصى وسطوه الجاهل العامى ، فيصطاده (٣١/ب) اصطياد الوحش والطير حتى يخـرجه من دينـه ، ويفسد عليه آخرته ، ويهدم به مملكته ، فيسلم له ذلك جهلا بأصل دينـه وعجزا عن نصرة مذهبه •

وسادسه[٥١] إن علم الدين أصله وطريقه الاستدلال بالشاهد عـلى الغائب ، وبالمتفق عليه على المختلف فيه ، وجهة استخراج الرأى وهذا هو علم السياسة على الحقيقة ، وطريق النظر فى العواقب ، ومناظرة العمال والكتاب والوزراء • فهذه الوجوه كلها توجب أن يكون الملك أولى الناس بتقديم علم الدين على سائر فنون العلوم •

ثم إن أحب الازدياد من العمل والاستكثار منه طلبه واستفادة على الترتيب الذى ذكرناه والترتيل الذى نزلناه •

وقد قدمنا أن أولى الاشياء به تقديم رواية الآثار ، وعلم أخبـار الرسول ﷺ ، وأهل القدوة من أصحابه ، والخلفاء الراشدين من بعـده ، وأخبار السير والمغازى ، فان فى ذلك ما يؤكد الفن الأول ، والعلم الأجل ، لأنه يقف به على معرفة أصول الملة ، وبدئها ، وفضـائل نبيهـا ، وآياته ومعجزاته ، ومحاسن شريعته ، ودينه ، وملته ، وتفسير كتابه ومشكله ، ومعانى آثاره ، فلا يمكن لمزور تزوير حديث عليه ، ولا لأهـل ملة ادعاء فضيلة لمذهبهم ، ومنقبة لملتهم[٥٢] لا يكون عنـده أحسن منها فى دينـه

---

(٥١) فى الاصل : وسابعـة .
(٥٢) غير واضحة في الاصل .

وشريعته ، ولا سيرة حسنة لملوك الامم إلا وجد فى سير خلفائه مثـــله ، فلا يخدع من عرف سير الخلفاء ، وأخبار الوزراء وآثار الامراء الاسلاميين بأخبار الامم المتقدمين ، وآثار الملوك الماضين إلا أن يكون الإنسان ممن يؤثر الكذب على الصدق عمدا ، والمزور على المحقق قصدا ، ويميـــل من الرشاد الى الضلال عنادا وبهتنا • وهذا داء يعيى الطبيب داؤوه ، وجنون يوئس الحكماء علاجه •

ثم فى معرفة الأخبار وسماعها ، أنس يربو على كل أنس وأدب يفوق كل أدب ، وسبب يبين الاخلاق المحمودة والمذمومة ، وعلم الســياسات العادلة والجائرة ، واستفادة علم بمكايد الرجال وآداب الملوك وفنـــون المذاهب ومعرفة بالرجال ، واعتبار بالزمان وفقه فى الأحـــكام ، وعـــلم بالحلال والحرام •

ثم إن أراد الازدياد من العلم فعلم الفقه ، الذى هو علم الشرائع والأحكام ، فانه فرض على كل مسلم ، وجمال لكل أحد (٣٢/ أ) ، ولا غنية بالملوك والائمة ـــ خصوصا ـــ عنه لانه لابد لهم من النظر فى مظالم الرعيه والبرية ، وسماع دعاويهم ، وبيناتهم[٥٣] ، وأيمانهم ، وشهادتهم والأمر بها ، وربما أمر الامير بالصلاة ، وكتب إليه بأحد الزكوات والصـــدقات ، ورفع إليه فى المناكح والتزاويج ، والبيوع ، والمواريث ، وسائر فنـــون الأحـــكام •

وربما رفع إليه فى شىء من قسمة المغنم والفىء ، ووضـــع أمـــوال المملكة مواضعها ، فالملك أحق الناس باقتناء هذه الفضيلة لئلا يحل محل

---

(٥٣) هكذا في الاصل ونرى أنها (بياناتهم) .

الجاهل المحتاج الى فقيه وقاض فى العلم الذى هو خاص به ، وعام لجميع رعيته ، وفيه قوام سياسته ، ولا يتكل على قاض ومفتى(٥٤) فى كل نازلة وحادثة • ثم لا يجوز أن يخلى نفسه من فضيلة يجد الى ادراكها سبيلا اعتمادا على كاف يكفيه ، ونائب ينوب عنه ، لانه ان فعل ذلك كان قد فاز بالفضيلة غيره ، وسبق الى المنقبة سواه ، وعلى أنه ان (٥٥) بلغ من الفقه مبلغا مرضيا أمكنه الاجتهاد والنظر لنفسه ، وطلب الحجج لها والتأويل لارائه ،فلا يعمل الا ما يجوز له فى التأويل ويتهيأ له بالحيل الفقهية الهرب من كثير من الحرام إلى الحلال،ومن الباطل إلى الحق ، فيكون له فيه حجة فى ديانته ، وزينة فى مملكته ، وازالة للتهم والريب عن نفسه ، ونجاة فى آخرته •

ثم علم المواعظ والتذكير : فقد بينا أن الملك من أحوج الناس اليه، وأحراهم بالنظر فيه ، للخلال التى ذكرناها آنفا ، وحكيناها عن غيرنا بدءا

ثم ليس شىءمن فنون العلم بعد الا وفيه مستمتع ظاهر ، وبه منتفع من الطب والحساب والهندسة والنجوم ، ولكن علم الدين أولى ، وأفضل وأرفع وأجل ، وأخص بالملك الفاضل والسائس الكامل لامتساس الحاجة اليه وتعويل الجماعة عليه ، ولان الملك قد يجد من يحسب له ، ويمسح(٥٦) ويتطبب له ، ويكتب ، ولا يجد من يعتقد عنه الصواب ويعبد عنه الرب ، ويرغب عنه فى الاخرة ، ويذب عنه فى الديانة ، وللخصال الاخر التى ذكرنا والعلل التى سطرنا •

---

(٥٤) هكذا فى الاصل ، ويبدو لنا الاصح : أو مفت .
(٥٥) أن : ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعني دونها .
(٥٦) يمسح : من المساحة وأعمالها .

تحصيل العلوم الدينيـــة :

ولا يمكن استفادة هذه العلوم إلا بمعونة أمرين :

أحدهما : مجالسة العلماء والحكماء من أهل كل طبقة •

والثانية : النظر فى كتب الديانة ، والعناية بتعلمها ودراستها •

فيجب على الملك الفاضل أن يستكثر (٣٢ / ب) من مجالسة العلماء والفقهاء من كل طبقة من هذه الطبقات ، ولا يخلى مجلسه فى أوقات فراغه من كتب ينظر فيها ، ويستأنس بها ، ويعلم أن الأنس بالعلماء إذا حضروا مجلسه ليس بأقل من الأنس بالمطرب والمغنى والمسخرة والملهى ، بل ذلك أوقر ، وأفضل ، وأحسن ، وأنبل ، وأزين ، وأجمل ، على ما فيه من اكتساب الأجر ، وجميل الذخر ، وحسن الأحدوثة على مر الزمان •

ومن تألف الخاصة ، والتحبب إلى العامة ، واستمالة العلماء الذيـــن هم أشرف طبقات الرعية مرتبة ، وأرفعهم درجة •

ولقد قرأنا « لسابترم » ملك الهنـــد فى عهد له إلى أبنه : « فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فليكن لذتك فى محادثة العلماء ، ودراسة كتبهم ، فإنـــه ليس سرورك بالشهوات ببالغ منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك (مخاطرتك فيه بالغة) [٥٧] غير أن ذلك يجمع الى عاجل الغى وخامة [٥٨] العاقبة » •

وفى منثورات أفلاطون : اعرف الله وحقه ، وأدم عنايتك بالتعلم ، والأدب الصالح أكثر من عنايتك بغذائك يوما بيوم [٥٩] ، وأعلم أن التوانى فى العناية بالخيرات شر كثير •

---

(٥٧) غير واضحة فى الاصل •

(٥٨) وخامة العاقبة : سوء العاقبة •

(٥٩) نزهـــة الارواح ١ : ١٨٠ وهـــو مما املاه افـــلاطون على تلميـــذه ارسطاطاليس •

وفى حكم الأولين : جالس الكبراء وسائل العلماء فإن مجالستهم غنيمة وصحبتهم سليمة ، ومؤنتهم حقيقة ، ومشاهدتهم زين [٦٠] .

وقال عمر بن الخطاب : لا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، واستشر فى أمرك الذين يخافون الله [٦١] .

وقال الحكيم للاسكندر ، واعلم أن العلم زين الملوك ، وفيما كتب إليه قد وجب عليك حق الحكمة ، فكافىء [٦٢] من رغبك فيها بإفشائها ، وأجر على المعلمين والمتعلمين ، وصير من نال المرتبة فيها من خاصتك ، وأعلم أن سيما الحكمة أكرم السيما[٦٣] وحديثها أهنأ الحديث ، والبحث عنها أفضل الفوائد ، لا تغفل ذلك فإنك لا تعتاض [٦٤] منها ، ولا تنال من غير أهلها ماينال منها .

وقال عبد الله بن المعتز : علم الإنسان ولده التجلد [٦٥] ، وقال : الجاهل صغير وإن كان شيخا ، والعالم كبير وإن كان حدثا .

ومكتوب فى أميرنامة [٦٦] صحبة العلماء أزين بالملوك من شريف الباس وبهى الحلى وهم منهم أعظم غنى من عتيد [٦٧] المال وعزيز الجند ، وفيه : كل آمنا من غش العلماء ، فان العالم قد عرف عاقبة الغش،وأوجب

---

(٦٠) ورد النص فى المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ٨ .
(٦١) حلية الاولياء ١:٥٥ .
(٦٢) كافىء : جاز .
(٦٣) يبدو لنا أنه يعنى (السمات) الخصائص .
(٦٤) لا تعتاض : لا تستبدل .
(٦٥) التمثيل والمحاضرة ص ١٦٦ وفيه : علم الرجل ولده المخلد .
(٦٦) كلمة فارسية تعنى رسالة الامير .
(٦٧) عتيد : كثير ووفير .

على نفسه اجتنابه ، ثم فى تمكن العلماء وأهل الدين من مجلس السلطان قطعا لأطماع الغواة من أهل الأهواء الفاسدة ، (٣٣ / أ) والبدع المهلكة التى ذكرنا أنها إحدى أسباب فساد الديانة ، والمملكة ، وتداعى أركان الملة فيجب على الملك الفاضل ، والسائس العاقل ، ان لا يغفل عن هذه الخلة ويستبدل بالطبقة الفاسدة من المخانيث والمغنيين وأشباههم هذه الطبقة ، فإن الملك الفاضل ، والسائس العاقل أن[٦٨] لا يغفل أحد من أن يدنس عرضه ، وملكه ، وعقله بالقواد ، وذكر عـورات الناس ، والتواجد علـى الغلمان ، والنسوان والعشق والمعشوق ، فإن هذا كله سخف وركاكة يجب على البعيد الهمة أن يترفع عنها ويربأ بهمته عنها ، ولا سيما ما أحدث شعراء هذا الزمان : فإنهم يودعون أشعارهم الفحش والكفر ، ويدسون فيها من مذاهبهم الفاسدة ، ويغرون فيها بطلب اللذات واتباع الشهوات على سبيل الأمن والطمأنينة ، والجسارة والجـرأة ، والاستخفاف بالدين وشرائعه ، والملة ووظائفها ، فإن ذلك كله مضر بأصل الاعتقـاد وأمر الديانة ، ثـم مجالسة أمثالهم من الناس ، والاستكثار من أشباههم من الأنذال [٦٩] قصور همة ، وسوء عادة وتشبه بهـم . ولم يـزل العلماء والحكماء وأهل الدين يتحاذرون مجالستهم ، وينادون بمخالفتهم ، ويتواصون بمجالسة أشراف الناس وجلتهم ، ويشبهون [٧٠] القرين بالقرين ، ويستدلون بالخدين على الخدين [٧١] ، وقدقال الله ــ جل وعز ــ لرسوله :(واذا رأيت الذينيخوضون

---

(٦٨) هكذا بالاصل ، والمعنى يستقيم بدونها .
(٦٩) الانذال جمع نذل وهو الخسيس المحتقر ، لسان العرب المحيـط ج ٣:٣ ٦١٣ .
(٧٠) فى الأصل : يشتهون .
(٧١) الخدين : الصديق فى السر

فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) (٧٢) ، وقال : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) (٧٣) ، وقال : (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (٧٤) .

ولما أراد الله ذم الدنيا والتزهيد فيها وصفها بأنها (لعب ولهو) (٧٥) ليرغب عنها العقلاء ، ويزهد فيها الفضلاء ، فقال : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) (٧٦) ونفى عن نفسه اللعب واللهو بقوله — عز وجل : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) (٧٧) ، وقال أردشير فى عهده : بما أخبر ، أن اللعب والهـو ليسا من أخلاق الملوك ، وأنهما مضران بأسباب المملكة مؤذنـان بخرابها ، مؤديان إلى تداعيها .

« وأعلموا أن منكم من يستريح إلى اللهو والدعة ثم يديم من ذلك (٣٣ / ب) ما يورثه خلقا وعادة فيكون ذلك لقاح جد لا لهو فيه ، ونصب لا خفض فيه مع الهجنة فى الرأى والفضيحة فى الذكر » (٧٨) وقال رسول الله ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أمرؤ من يخال » (٧٩) .

---

(٧٢) ٦ الانعام : مكية ٦٨ .
(٧٣) ٦ الانعـام : مكية ٧٠ .
(٧٤) ٦ الانعام : مكية ٦٨ .
(٧٥) ٦ الانعام : مكية ٣٢ .
(٧٦) ٤٧ محمد : مدنية ٣٦ و ٥٧ الحديد : مدنية ٢٠ .
(٧٧) ٢٣ المؤمنون : مكية ١١٥ .
(٧٨) عهد اردشير تحقيق احسان عباس : ٦٥،٦٦ .
(٧٩) رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، والبيهقى والقضاعى عن أبى هريرة رفعه ، وتساهل ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ، ومـن ثم خطأه الزركشى وتبعه فى الدرر ، وقال الحافظ فى اللآلىء ما قال الترمـذى يعنى ان الحديث حسن . كشف الخفاء ٢٨١:٢ ، واخرج الحديث الحاكم في مستدركه ١٧١:٤ .

وقال : « المرء مع من أحب »[٨٠] .

قالوا : وكان أمير المؤمنين — على رضى الله عنه — يقول : لا تؤاخ المرء المسلم الماجن ولا الأحمق ولا الكذاب ، فأما الماجن فيزين لك فعله ، ويود أنك مثله ، ويحسن لك أسوأ خصاله ، ولا يعينك فى أمر معادك ، فمقارنتك اياه خب[٨١] وقسوة ، ومدخله اليك ومخرجه من عندك شين وعار عليك وأما الاحمق : فلا يشير عليك بسداد وان أحبك ولا يهتدى لصرف السوء عنك وان أجهد نفسه لك ، وربما أراد نفعل فيضرك ، فسكوته خير من منطقه ، وبعده خير من قربه ، وموته خير من حياته ، وأما الكذاب:فانه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك ، وينقل الاحاديث اليك ، وكلما نفدت أحاديث مطها بأخرى ، حتى إن ليخبر بالصدق فما يصدق .

وقد قال بعض الادباء : على العاقل ألا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس ما استطاع الا بالافضل فى الدين وفى العلم وفى الاخلاق ،فيأخذ عنه ، أو موافقا له على اصلاح ذلك فيؤيدها عنده ، وان لم يكن عليه فضل، فإن الخصال الصالحة من المرء لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين ، والمعينين والمؤيدين ، وليس لذى العقل قريب ولا حميم هو أقرب منه وأحب اليه من موافقيه على صالح الخصال فيزيدونه ويثبتونه ولذلك زعم بعض الاولين: ان صحبة بليدنشأ مع الحكماء أحب اليه منصحبة لبيب[٨٢] نشأ مع الجهال .

قالوا : وكان أردشير الملك يقول : ما شىء أضر على من معاشرةسخيف

---

(٨٠) حديث صحيح ، اخرجه الترمذى عن انس بن مالك . الجامع الصحيح ٤:٥٩٥ وصحيح الجامع الصغير للالبانى ٦:١٣ .

(٨١) فى الاصل (حبا) ، وخب : ذهاب المروءة .

(٨٢) الامثال والحكم : ٥٥ وفيه (أريب) بدلا من (لبيب) .

أو مخاطبة وضيع لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريـــف الأديب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة السخيف حتى يقدح ذلك فيها ، ويزيلها عن فضيلتها ، وكما أن الريح إذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيا بـــه النفوس ، وتقوى به جوارحها ، كذلك إذا مرت بالنتن فحملته ألمت له النفوس وأضر بأعـــلاقها (٨٣) .

وقد قال فى ذلك بعض الشعراء المصيبين :

هو صاحب كل ذى حسب ودين فإن المرء يعرف بالقرين

(٣٤ / أ) وقال طرفة بن العبد :

عن المرء لا تسل وابصر قرينه (٨٤) فإن القرين بالمقارن مقتدى(٨٥)

فيجب على الملك وغيره ممن يحب تعلم العلوم ، ولا سيما علم الديانة والاعتقاد ألا يقلد أحدا دينه ، ولا يقبل منه مذهبه إلا بعد تدبر وتفكـــر ، وحجة ومناظرة وتبين ومباحثة ، ولا يجعل بينه وبين شىء من المذاهـــب عداوة ولا ولاية إلا بعد شهود الشواهد ، وقيام الدلائل على صحتـــه أو فساده ، وإذا كان على مذهب قد نشأ عليه وقبله واختاره واعتقده فلا ينتقل عنه إلى غيره إلا بعد تبين المنتقل عنه وصحة المنتقل إليه فإذا تبين عنـــده فساد مذهب فلا يجب أن يعاند فيه ، ويتعصب له ، ولا ينظر فيه إلى كثرة

---

(٨٣) عهد أردشير . تحقيق د. احسان عباس : ٩٠،٩١ ، التاج فى اخلاق الملوك : ٣٢ ، ومروج الذهب ١:١٨٦ ، وعين الادب والسياسة ١٦٠ .

(٨٤) أورد الناسخ على حاشية الكتاب ، ورد فى نسخة اخرى (وســـل عن قرينه) .

(٨٥) ديوان عدى بن زيد فى موسوعة الشعر الجاهلى ٢:٤٤٥ ، العقـــد الفريد ٢:٢٠٤ ، نهاية الارب ٣:٦٥ ، ادب الدنيا والدين : ٧١ ، جمهرة اشعار العرب : ١٦ ، الامثال لابى عبيد ٢٧٩ ، نثر الدر للابى ١:٤٤٦ ومنسوب فيهـــا جميعا لعدى بن زيد ، وفصل المقال ١٦٤ ، وشرح القصائد التسع ٢:٨١٧ .

أهل وعدد ، وعزة أصحاب ودول ، فإن هذه أسباب كثيرا ما تغر الأغمار والجهال ، وتخدع العوام والاغفال ، وهى كلها قد تتفق فى الباطل كما تتفق فى الحق ، ولكن الواجب أن ينظر إلى صحة المذاهب بدلائلها ، ويحكم لهـا بشواهدها التى جملتها الكتاب المأمور بتصديقه والسنة المندوب إلى اتباعها ، والعقل المجمع على تصديقه واجماع الامة المشهود لها بالعدالة ، لان التمادى فى الباطل مذموم عند الجميع ، واللجاج عند ظهور الحق سفه عند الجمهور ، ولا معنى فيهما يعقل ، ولا فائدة وراءهما تؤمل ، لأن المراد من العلم والنظر والتبين والفكر إصابة الحق ، والبغية منه الظفر بالصواب ، فإذا أصابه فلا معنى للعناد والجحود وتصنيع المبتغى والمطلوب .

ولا يجوز للملك أن يشعر قلبه الاستنكاف والأنفة ، والتيه والنخوة من الانقياد لخصمه ، والرجوع عن مذهبه على يده ، إذا تبين خطأه ، وظهر فســـاده .

فإن من نظر أو ناظر أو فكر أو دبر فاستبان له خطأ مذهبه ، وبطلان مقالته كان أحسن ظفرا ، وأجزل حظا ، وأوفر قسطا ، بل كان الحظ كلـه له ، والفائدة بأسرها عنده ، وقد قال أرسطاطاليس : أى ملك تمادى فى رأيه بعد ظهور الخطأ له فهو معين على نفسه سار لأعدائه ، أى ملك عمل باللجاجة فهو منفرد بغرته ، وهو من العطب قريب .

وقد احتال قوم من أعداء الدين (٣٤ / ب) ومخالفى الملل على ما تقدم فى كتابنا ، فقالوا فى كتب ألفوها ، ومخاريق قد صنفوها ، إن الملك السائس لا ينبغى له أن يشتغل بالنظر فى المذاهب ، ولا ينسب إلى أحدهما دون آخر

ولا ينصر أقواها دلالة ، وأثبتها شهادة ، واعتلوا بأن ذلك مما يفرق عليه الجماعة ، وينفر عنه قلوب أكثر الرعية ، ويشتت عليه آراء العامة • وقد بينا أنها حيلة ضعيفة ، ومكيدة واهية سخيفة ، وكشفنا عن وجوه ما فى علم الدين من الفضائل التى تعود بصلاح المملكة والملك ، وفيما وصفه هؤلاء ، تصريح بأن الملك يجب أن يكون كافرا جاهلا ، وغفلا غافلا عن مصالح معاده ومعاشه ومحاسن دينه ودنياه ، وعلى خلاف هذا جرت العادة ، ووردت الآثار المشاهدة عن الانبياء والخلفاء والملوك الفضلاء على مر الأيام وتتابع الأزمان والأعوام ، بل كان الذين ذكرناهم من الملوك ذابين عن أديانهم ، ناصرين للملهم مقاتلين عن أخلاقها ، ومجاهدين فى سبيلها ، داعين اليها ، مستخفين منكلين بمن أطلعوا منه على ابتداع مذهب فاسد ومقالة ضالة •

وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا أن عامة الخلفاء كانوا يذهبون مذاهب ويقولون أقاويل عليها يوالون ، ويوادون ، ويناظرون ، حتى لا يرى منهم من خالف هذا المذهب إلا قليلا •

ومما كتب به أرسطاطاليس إلى الاسكندر : تمسك بإثبات السنة فان فيها كمال التفاسير(٨٦) ، لا تصارم(٨٧) من كان يلى الحق ، ولا تحارب المتمسك بالدين دافع عن دينك تصلح عاقبتك •

وقال : أى ملك نقض سنة ، وضعها من تقدمه ، بلا حجة تصح له من بطلان السنة الأولى ، فهو معاند •

وقد قال أردشير فى هذا المعنى كاملا جامعا لعامة ما ذكرنا وهو : أنه

---

(٨٦) عيون الاطباء فى طبقات الاطباء ١ : ٩٨ بالنص الوارد فى المتن ، نزهة الارواح ١ : ٢٠٠ بلفظ « وخذ نفسك باتيان السنة فان فيها كمال التقى » .

(٨٧) لا تصارم أى لا تقاطع .

لا ينبغى للملك أن يعترف للنساك والمتنبئين (٨٨) أن يكونوا أولى بالدين ، ولا أحدب عليه ، ولا أغضب له دنه ، ولا ينبغى للملك أن يدع النساك بغير الامر والنهى لهم فى نسكهم ودينهم ، فإن خروج النساك أو غير النساك من الأمر والنهى عيب على الملك ، وعيب للمملكة ، وثلمة يتسنمها الناس بينة الضرر للملك ولمن بعده (٨٩) .

وقال : واعلموا أن العاقل المحروم سال (٩٠) لسانه عليكم ، وهو أقطع سيفيه وإن أشد ضركم به من لسانه ما صرف الحيلة فيه (٣٥ / أ) إلى الدين ، فكأن بالدين يحتج ، وللدين فيما يظهر يغضب ، ويكون للدين نكاؤه (٩١) وإليه دعاؤه ، ثم إنه أوجد للتابعين والمصدقين والمناصحين والمؤازرين منكم ، لأن بغضة الناس موكلة بالملوك ومحبتهم ورحمتهم موكلة بالضعفاء والمغلوبين .

وقد قرأنا لبعض ملوك الهند فى عهد له الى ابنه اذا أشكلت عليك الامور فليكن مفزعك فيها للعلماء ، فإن أدنى غايات العقل التى يصلح عليها أمر الوالى أن يكون عنده من الرأى ما يعرف به فضل الخطة المصيبة على الخطة المردية (٩٢) ، إذا اوردت عليه ، وقال : ولعلل رأيك يريك أن أخذك عن الناس واقتباسك منهم ، مزر بك عندهم أو مسخف لامرك فى أنفسهم ، فان عرض ذلك فاطرحه أشد الاطراح فإن الذى يسعد به من فائدة العلم أو يشقى به

---

(٨٨) فى عهد اردشير : المتبتلين .
(٨٩) عهد اردشير ص ٥٧ .
(٩٠) سال لسانه المراد مسلط لسانه .
(٩١) نكاؤه : شدة القتل . المنجد ص ٩١٣ .
(٩٢) المردية : المهلكة .

من مخالفة الجهل ، أعظم خطرا فى النفع لك والضر عليك من أن يعد له شىء سـواه •

فهذه آراء الفضلاء من الملوك والحكماء من ذوى العقول فى طلب العلم وتبين الصواب ، وابتغاء الحق ، والتدين بالصدق ، وهم أولى بالاقتداء بهم وأحق وأجدر وأخلق •

ومما يجب على الملك إذا علم مـا ذكرناه من فنون العلم ، وصح لـه أعتقاده فى أصول الدين ، وقوى بالله معرفته،وتحقق عنده معدلته(٩٣) وحكمته وانتهى إلى ما أشرنا عليه به من التمسك بالتقوى ، وإصابة طريق الهدى أن تكون مساعيه ، وأفعاله ، وسيره ، وأقواله ، وآدابه ، التى يتـأدب بهـا وسياساته التى يجرى عليها ، وعاداته التى يختار أعتيادها ، واقتناءها مأخوذة من جهتين : إحداهما ، هى الاقتداء بالله جل وعز فى أفعاله ، ومـا أظهر من دلائل حكمته فى آثار صنعته من صواب القول ، وصالح العمل فيما يجوز له إدراكه ، ويحسن به طلبه وابتغاؤه ، وتهويه مقدرته ، وتبلغ طاقته فإن ذلك أرفع ما تسمو إليه الهمم ، وينتهى إليه بعد الأمل ، وهو مع ذلك حد من حدود الفلسفة ، ومعنى من معانى الحكمة •

والثانية ، أن يأتمر له بما أمر به ، شكرا له جـل وعز عن آلائه ، وأعترافا له بحسن بلائه ، لما ذكرناه متقدما أن ذلك أولى به وأشبه بعلو (٩٤) منزلته ، وشرف رتبته ، فإذا علم وعرف وصح عنده ووقف على أن الله قد

---

(٩٣) يقصد : عدله . لسان العرب المحيط جـ٢ ص ٧٠٦ .
(٩٤) فى الاصل (بعلى) .

وصف نفسه بالحكمة ، ودلت الدلائل من شواهده فى (٣٥/ب) خلقه على أنه حكيم ، اجتهد فى استحقاق هذا الاسم واستفادة هذه الصفة ، على مقدار الطاقة ، ومبلغ المعونة من خالقه ، وبارئه ، ومبدعـــه ومنشئه ، ومعنـــى « حكيم » يوجد فى اللغة العربية على وجهين :

أحدهما ، على معنى العالم،والعليم،وهو الذى لا يخفى عليه الأشياء.

والآخر ، إنه محكم لأفعاله وأقواله ، ولاتفاوت فى فعله ، ولا تناقض فى خلقه ، ولا عيب ، ولا فساد ، ولا لعب ولا خطأ فى حكمه .

فأما معنى العالم فقد ذكرنا وبينا ما يجب على الملك مـــن اقتنائه ، وإيثاره ، واستفادته واختياره ، والأختصاص بأجل فنونه شأنا ، وأعظمها نفعا ، وأبينها حجة ، وأعمها صلاحا .

وأما المعنى الآخر فإنا نقول : إن من الواجب على الملك فى جلالة شأنه وعلو مكانه أن يجتهد أن تكون أفعاله كلها جدا ولا هزل فيها ، وحكمة لا عبث فيهـــا .

ولقد قرأنا لبعض الحكماء من ملوك الهند فى عهده : « أن الله لم يرض لنفسه من عباده إلا بمثل ما رضى لهم به منه ، فإنه رحيم وأمرهم بالتراحم وصدقهم وأمرهم بالصدق ، وجاد عليهم وأمرهم بالجود ، وعفا عنهم ورضى لهم بالعفو ، فليس قابلا منهم إلا مثل الذى أعطاهم ولا أذن لهم فى غير ما أتى اليهم ، فإعط من وليت من عباد الله من رأفتك ورحمتك وجودك ما ترغب فى مثله لنفسك من ربك ، موقنا بأنك إذا أعطيت ذلك من أمرت أن تعطيـــه أعطاكه الله ، وإنك إن منعته منعكه الله » .

قال: وقيل للاسكندر : ما علامة دوام الملك ؟ قال : الجد فى كل الأمور فيل : فما علامة زواله ؟ قال : الهزل[٩٥] • وقديما ما قيل : إن الجد لفاح الشرف • قالوا : وكان أنو شروان الملك وجه رسولا إلى بعض أعدائه من الملوك ، فأمره أن يتعرف سيرته فى نفسه ورعيته ، فرجع إليه فقال : أيها الملك وجدت الهزل عنده أقوى من الجد ، والكذب أكثر عنده من الصدق ، والجور أوقع من العدل ، فقال أنوشروان : رزقت الظفر به ، ثم دعا بعض قواده فقال له : سر إليه وليكن عملك فى محاربته بما هو عنده أضعف وأقل وأوضع ، فإنك منصور وهو مخذول فسار إليه فقتله ، وغلبه ، واستولى على مملكته • قال : وكان أنو شروان يقول : « الهزل آفة الجد ، والكذب عدو الصدق ، والجور مفسدة العدل (٣٦ / أ) فإذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته ، واذا أستصحب الكذب أستخف به ، واذا أظهر الجور فسد سلطانه » قالوا : وكان نقش خاتم رستم : [٩٦] الهزل منقصه ، والكذب منغصه [٩٧] • والجور مفسدة •

وإذا علم الملك خبرا[٩٨] أو دلالة أن الله — جل وعز — جواد لتفضله على خلقه بالنعم الجسام والآلاء العظام ، اجتهد فى سعى استحقاق هذا الاسم وإدراك هذا المعنى بغاية وسعه ، ومبلغ جهده ، فلا يضن على أحد من خلق الله بموجود يجوز الجود عليه به ، هذا على ما عرف من مدح الناس الجواد

---

(٩٥) المـــاوردى : قوانين الوزارة ٥٨ .

(٩٦) هو رستم بن فرخهرمز صاحب يزدجرد الذى وجه لقتال العـــرب وهو خليفة ابيه بخراسان .. تاريخ الطبرى جـ٢ : ٢٣٢ .

(٩٧) منغصة : تكدير وشقاء .

(٩٨) فى الاصل : خيرا .

وذمهم البخيل على وجه الدهر ومر الايام ، وفى كل جيل وطبقة ، وأهل دين ونحلة ، وبكل لسان ولغة ، واذا عرف أن الله ــ جل ذكره ــ قد وصف نفسه بالقدرة ، وامتدح الى خلقه بصفة القوة ، ودل على ذلك بشواهده الظاهرة ، ودلائله القاهرة ، وعلم مع ذلك أن الله قد قلده الانتقام من أعدائه وعصاة خلقه ، والحكم بينهم ، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم اجتهد فى إدراك هذه الصفة الفاضلة على مقدار طاقته ومنتهى قدرته ، وسبيله فى ذلك بأن يرتاض باستعمال آلات الشجاعة ، وتعلم أبــواب المحاربة والمواقعة ، حتى يصير بحيث ينال هذه الفضيلة ، ويستحق هذه المنقبة ، ويستأهل هذه الصفة من المواقعة والمواثبة والفروسية والمــراكضة والسباق والرماية ، وتمريــن النفس على الصبر الشديد وحمل السلاح الثقيل ، وكما يعين على ذلك ، فإن الانسان يزيد بمثل هذه الأمور قوة إلى قوته ، ويضيف قدرة إلى قدرته ، كما أنه يتعلم [٩٩] العلم والاستفادة من أهل العقول والأفعال يزيد عقــلا إلى عقله وعلما إلى علمه ، وإن الله ــ جل وعز ــ قد أمر الملوك بقتال الكفار والبغاة والفجار من كل طبقة من أعداء الدين ، وأخبر أن فيه صلاحا للخليقة وتحصينا للرعية ، وإعزازا للديانة ، فقال جل وعز : (وأنزلنا الحديــد فيه بأس شديد ومنافع للناس) [١٠٠] ، ولا يتهيأ استعمال الحديد عند المناجزة والمقارعة من لم يتدرب به ولم يعتده ، وحاجة الملوك إلى القتال والمحاربة واستعمال السلاح عند الملاقاة والمواقعة أشهر (٣٦ / ب) من أن يحتاج معه إلى استدلال ، وعليه إلى استشهاد .

---

(٩٩) فى الاصل : يتعلم .
(١٠٠) ٥٧ الحديد : مدنية ٢٥ .

ثم إذا علم أن الله تبارك وتعالى مع قدرته على معاجلة العاصين من خليقته ، وقوته على مؤاخذة الغواة من بريته ، وصف نفسه بالحلم ، ودل عليه خبرا وعقلا ، إذ كان ولم يزل عالما بمعاصى عباده له ، وكفرهم بـــه ، وجحدهم[١٠١] لنعمه ، وافترائهم عليه ، وهو يحـــلم عنهم ، ولا يعجـــل بعقوبته ، ثم وصف نفسه بهذه الصفة حيث يقول : (إن الله غفور حليم) [١٠٢] ويقول : (وكان الله عليما حليما) [١٠٣] ، ومدح به نبيه إبراهيم صلى الله عليه حيث يقول : (إن إبراهيم لأواه حليم) [١٠٤] ، وجب عليه أن يقتدى به وبنبيه صلى الله عليه ، ولا يعجل بعقوبة المذنب ، ولا يسرع الى الانتقام من المجرم حتى تحق الكلمة ، وتقطع المعذرة ، وينقطع الطمع من التوبـــة والانابة ، ولاتحمله قدرته الجروية [١٠٥] ومملكته الامدية على لؤم الانتقام وسرعة الانتصار ، وترك الاستثناء بالمعاقبة ، وليذكر قدرة الله عليه وكثرة أياديه لديه ، وإحسانه إليه . ثم كثرة عصيانه له ، وحلمه عنه ، فلا يعامل من تحت يده إلا بما يحبه من فعل الله ـــ جل وعز ـــ على ما يعلم من مدح الناس الحليم ، وتعظيمهم له ، وذمهم على خلافة واستخفافهم بصاحبه . ولذلك إذا وجد الله ـــ جل ذكره ـــ وصف نفسه بالعفو عن المذنب ، والصفح عن المجرم ، وغفران الذنوب ، فقال : (والله غفور رحيم) [١٠٦] ، وقال : (وكان

---

(١٠١) فى الاصل : وجحـــده .
(١٠٢) ٢ البقرة : مدنية ٢٣٥ ، ٣ آل عمران : مدنية ١٥٥ .
(١٠٣) ٣٣ الاحزاب : مدنية ٥١ .
(١٠٤) ٩ التوبة : مدنية ١١٤ وأواه : كثير الدعاء والتضرع .
(١٠٥) هكذا بالاصل ولعلها الجبروتية .
(١٠٦) ٢ البقرة : مدنية ٢١٨، ٢٢٥ و ٣ آل عمران : ١٢٩ و٤ النساء ٢٥

الله غفورا رحيما) [١٠٧] مع مـا ذكرناه من كثرة معاصى العباد ، وأنواع عنودهم وأصناف كنودهم ومخالفتهم لأوامره ، وارتكابهم لزواجره،وجب أن يقتدى به فى هذا الفعل فيعود نفسه العفو عن كثير من المذنبين ، والنظر فى معاذير المجرمين ، ويطلب لهم مخارجهم ، ويقبل توبتهم ، ويقيل عثراتهم ما لم يرتكبوا حدا يجب إقامته أو عظيمة تعود نقضا بالشريعة ، ونقـض سنن الملة ، ويقدح فى انتظام أمور العامة ، وعمارة أسباب المملكة ، فان ذلك أبلغ فى المكرمة ، وأولى بـذى الرفعة والمقدرة ، وأقرب من إستيفاء الصنيعة ، واستعطاف ذوى الحرمة • ثم لم تزل الملوك والحكماء والعظماء والفضلاء يمدحون ويمتدحون به ، فروى عن أمير المؤمنين عمر (٣٧/أ) ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول : متى أشفى غيظى حين أقدر فيقال لى : لو عفوت أو حين أعجز فيقال لى : لو صبرت ؟ •

وقال معاوية : إنى لأستحى من عقلى أن يكون ذنب أعظم من عفوى ، أو يكون جهل أكثر من حلمى أو يكون عورة لا أواريها بسترى [١٠٨] •

قالوا : وكتب المهلب [١٠٩] إلى الحجاج فى أمر العصاة الذين تركـوا عسكره ورجعوا إلى الكوفة : أما بعد ، فإنه لن يفارقنى من رجع إلى ، وأنه لا ملك أبقى من ملك فيه العفو،وإن الناس إذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب

---

(١٠٧) ٤ النساء : مدنية ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٥٣ و ٣٣ الأحزاب : مدنية ٥ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ •

(١٠٨) النص لدى القضاعى : دستور معالم الحكم وينسبه الى على رضى الله عنه ص ١٣٨ •

(١٠٩) المهلب بن أبى صفرة ، أمير بطاش جواد ، كان واليا على خراسان لعبد الملك بن مروان ، توفى سنة ٨٣هـ • وفيات الأعيان ٤٣٣:٤ ، الاعلام ٥٦:٨

وراجعوا التوبة ، وقال فى فصل آخر : ما شىء أنهى من العفو ، فإن الرعية إذا وثقت بالعفو لم يوحشها الذنوب ، وإن عظمت ، وإن خافت شدة العقوبة أوحشها الذنب ، وإن صغر قدره حتى يضطرها إلى المعصية .

قالوا : ومن كرم العفو أن الله قدم العفو لنبيه قبل العقاب فقال : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) (١١٠) .

قالوا :وكان الحجاج يقول : العفو عن المقر لا عن المصر (١١١) .

قالوا : وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما قبيحا ، فقال له : أردت أن يستعزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك مثل ما تنال منى غدا ؟ والله لأعفون عنك فاذهب راشدا (١١٢) .

وإذا وجد الله ــ تبارك اسمه ــ مطلعا على سرائر عباده ، على ما أظهروا وأضمروا ، وأعلنوا وأسروا من معاصيهم وفسوقهم وذنوبهم ومروقهم وفجورهم وكفرهم (١١٣) ، فلم يفضح كثيرا منهم ولم يهتك أستارهم ، ولم يظهر أسرارهم ، وقد وصف بذلك نفسه حيث قال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول) (١١٤) . وقال حكاية عن نبيه يعقوب ــ عليه السلام ــ أنه قال ليوسف (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين) (١١٥) .

---

(١١٠) ٩ التوبة : مدنية ٤٣ .
(١١١) الايجاز والاعجاز للثعالبى ١٧ .
(١١٢) نثر الدر للابى ٢:١١٩ .
(١١٣) فى الاصل : كفروهم .
(١١٤) ٧٢ الجن : مكية ٢٦،٢٧ .
(١١٥) ١٢ يوسف : مكية ٥ .

على أنه قد روى عن النبى ﷺ « استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود » (١١٦) . وأنه كان اذا أراد سفرا أورى (١١٧) بغيره ، وجب عليه فى جلالة مرتبته ورفعة منزلته أن يعود نفسه كتمان السر فلايطلع عليه أحدا .

وقد حكى أردشير ذلك عن نفسه فى عهده حيث قال : « اتقوا بابا واحدا طالما أمنته فضرنى ، وحذرته فنفعنى ، احذروا افشاء السر عند الصغار من أهليكم (٣٧/ب) وخدمكم فانه لا يصغر أحد عن حمل السر كاملا لا يضيع منه شيئا حتى يصفه إما سقطا وإما غشا ، والسقط أكثر » .

وفى رسالة أرسطاطاليس إلى الاسكندر : « أى ملك جاوز سره وزيره فهو فى حد ضعيفى السوقة » . على أن الناس كافة لم يزالوا يمدحون ويمتدحون بكتمان السر وطيه ، ويذمون ويتذامون على اذاعته ونشره ، فقال فيه بعض الشعراء : (١١٨)

ما يكتم السر (١١٩) إلا كل ذى خطر
والسر عند خيار الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق

---

(١١٦) حديث صحيح ، رواه العقيلى فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل والطبرانى فى الجامع الكبير والبيهقى فى شعب الايمان عن معاذ بن جبل . السيوطى : الجامع الصغير ص ٣٦ ، كما أخرجه ابن أبى الدنيا والعسكرى والقضاعى بسند فيه سعيد بن سلام ، كذبه أحمد . العجلونى : كشف الخفاء ١٣٥:١ . ورواه الماوردى فى مخطوطة : الامثال والحكم ق ٢٨ برواية ابن جريح عن عطاء عن عمر بن الخطاب كما ذكره فى أدب الدنيا والدين ص ١٣٧ .

(١١٧) أورى : أخفى .

(١١٨) ورد فى روضة العقلاء لابن حبان : أنشده له ابراهيم بن على الظفرى عن الحسين بن عبيد الله ص ١٩١ .

(١١٩) فى « روضة العقلاء » : لا يكتم السر الا من له شرف ص ١٩١ .

(١٢٠) فى « روضة العقلاء » : كرام ص ١٩١ .

قد ضاع [١٢١] مفتاحه [١٢٢] والباب مختوم

وقال آخـــر :

إذا جـــاوز الاثنـــين سر فـــاننى
ببث وتكثـــير الحـــديث ضمـــين
وعنـــدى له يوما إذا مـــا ائتمنتـــه
مـــكان ســـويدان الفـــؤاد دفـــين [١٢٣]

فان لم يكن من افشاء السر فى بعض الأحوال بد ، ولم يجد العاقـــل منه حيلة فيختار لسره أهل الخبرة ، والعقل ، والدين ، والفضل ، والامانة والنصيحة ، ومن يهمه من إذاعة سره ، ويعينه من كتمان ما يعنيه .

وكذلك إذا وجد الله — جل ذكره — قد وصف نفسه بالصدق ، وأمر به . فقال : (ومن أصدق من الله قيلا [١٢٤] . وقال (يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين) [١٢٥] وقال : (وصدق المرسلون) [١٢٦] . وقال : (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) [١٢٧] ونهى عن الكذب

---

(١٢١) فى « روضة العقلاء » : ضلت ص ١٩١ .
(١٢٢) فى « روضة العقلاء » : مفاتيحه ص ١٩١ .
(١٢٣) قاله : قيس بن الخطيم الانصـــارى الديوان : ١٠٥ ، ١٠٦ ، والأمالى ٢:٢٢٥ وهى كالتالى :

أجـــود بمكتون التـــلافى واننى بسرك عمن ســـألنى لضنين
اذا جـــاوز الاثنـــين سر فانه بنشر وتكثير الحـــديث قمين
وعنـــدى له يوما ما ائتمنتنى مـــكان بسوداء الفواد مكين

وورد فى لباب الاداب لـــ (أسامة بن منقذ) بتحقيق أحمد شاكر : ٢٧ ، ونهاية الارب ٦:٨٥ ، وعين الادب والسياسة ٢٧٠ ، ٢٧١ .
(١٢٤) ٤ النســـاء : مدنية ١٢٢ .
(١٢٥) ٩ التوبة : مدنية ١١٩ .
(١٢٦) ٣٦ يس : مكية ٥٢ .
(١٢٧) ٥ المـــائدة : مدنية ١١٩ .

وذم عليه • وقال الرسول ﷺ : « أن الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى إلى الجنة ، وإن الكذب يهدى إلى الفجـور ، والفجـور يهـدى إلى النار »(١٢٨) فى أشباه كثيرة لهذه الآيات والآثار ، وجب عليه أن يقتدى بالله وبرسله ، فيهذب كلامه وحديثه عن الكذب • ويجتنبه ، ولا يتدنس به ، وكذلك إذا وجد الله ــ جل ذكره ــ قد هذب كلامه عن الخنا(١٢٩) والفحشاء الذى تشمئز منه النفوس ، وتقشعر منه الجلود • استقذارا له ، حتى عبر عن بعض الألفاظ بالغائط ، والغائط هو الارض المطمئنة من السهلة ، وعن معنى آخر بالمجامعة • والنبى عليه السلام كنى عن ذلك بالبعال والمضاجعة والمباضعة والافضاء • وجب على الملك أن يتأدب بأدب الله ــ جل وعز ــ فى تهذيب ألفاظه عن ارتفاع الخنا والقذغ والبـذاء والشتم والهجـر(١٣٠) والفحش الذى يوجب الحد ، ويسقط (٣٨/ أ) العدالة ، ويدل على سوء العادة ، ولؤم المخرج والمنشأ ، ويوجب عذاب النار فى الآخرة ، ويبقى قبح الأحدوثة والقـالة •

وكذلك إذا رأى الله قد وصف نفسه بانجاز الوعد والوفاء بالعهـد فقال : (إن الله لا يخلف الميعاد)(١٣١) • وقال : (وعد الله الذين آمنـوا منكم)(١٣٢) • وقال : (وعد الله لا يخلف الله وعده)(١٣٣) •وأمر عباده

---

(١٢٨) حديث صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان الحديث ١٦٧٥ ، هـداية البارى الى ترتيب البخـارى ١:١٦٨ ، ١٦٩ ، وصحيح مسلم ٤:٢٠١٢ حديث رقم ٢٦٠٧ كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .

(١٢٩) الخنا : الفحش فى الكلام .

(١٣٠) الهجر : الفحش والبذاءة والقول القبيح .

(١٣١) ٣ آل عمران : مدنية ٩ و ١٣ الرعد : مدنية ٣١ .

(١٣٢) ٢٤ النور : مدنية ٥٥

(١٣٣) ٣٠ الروم : مكية ٦ .

أن يثنوا عليه ويدعوا به ، أنه (لا يخلف الميعاد) وقال فيما يأمر به عباده : وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) (١٣٤) • وقال (بعهد الله أوفوا) (١٣٥) • (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)(١٣٦) •

وقال ﷺ : (لا دين لمن لا عهد له)(١٣٧) • وقال : (إن حسن العهد لمن الايمان)(١٣٨) وروى عن نبى الله داوود ﷺ أنه قال : (لا يعدن أحدكم أخاه عدة ثم لا ينجزها له ، فان ذلك يورث بينهما العداوة) • هذا بعد أن أخبر الله أن خلف الوعد من كبائر الذنوب حيث قال : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)(١٣٩) • مع أن الناس لا يزالون يمدحون ويمتدحون بالوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد ويذمون ويتذامون بخلافهما ، مروى عن جليل من حكماء العرب أنه قال : لأن أموت عطشا أحب إلى من أن أكون مخالف الوعد •

وقد روى أن النبى ﷺ أوصى بإنجاز مواعيده •

---

(١٣٤) ١٦ النحل : مكية ٩١ •
(١٣٥) ٦ الانعام : مكية ١٥٢ •
(١٣٦) ١٧ الاسراء : مكية ٣٤ •
(١٣٧) اخرجه ابن النجار • المناوى : كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق ص ١٤٤ •
(١٣٨) رواه الحاكم والديلمى عن عائشة بلفظ جاءت عجوز الى النبى ﷺ وهو عندى ، فقال لها من أنت ؟ فقالت أنا جثامة المزنية ، قال أنت حسانه • كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ فقالت بخير بأبى أنت وامى يا رسول الله ، فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل هذه العجوز هذا الاقبال ! قال:«انها كانت تأتينا زمن خديجة ، وأن حسن العهد من الايمان » وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ، وليس له علة . كشف الخفاء ١:٤٣١ .
(١٣٩) ٦١ الصف : مدنية ٣،٢ .

وقال بعض الشعراء :

إذا قلت فى شىء نعم فأتمه فإن نعم دين على الحر واجب (١٤٠).

فى شكر اللـــه على نعمه :

ومن ذلك شكر النعمة ومعرفة حق الصنيعة والمكافأة عن الحسنة ، فإن الله ــ عز وجل ــ قد وصف نفسه وأمر به عباده حيث يقول:(وكان اللهشاكرا عليما) (١٤١) ، ويقول : (واللـــه شكور حليـــم) (١٤٢) ، ويقول لعبـــاده : (اشكروا لى ولا تكفرون) (١٤٣) ، ويقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) (١٤٤) • فيجب على الملك أن يتمثل هذا المثال الذى وصف الله به نفسه ، وحث عليه خلقـــه •

قالوا : ومعنى الشكر هو لله ولمن فوقك بالطاعة ، وللنظير بالمكافأة ، ولمن دونك بالافضال عليهوالاحسان اليه ، ومعرفة ما يتقرب به اليك ، وكذلك اذا وجد الله ــ جل وعز ــ متنزها عنالفواحش ، متعاليا عن المحارم متقدساعن المظالم اجتهد فى إدراك هذه الصفة بمبلغ طاقته وكنه مقدرته ، فيعف عـــن المطامع الدنية والشهوات المحرمة المخلقة للعرض (٣٨/ب) والمروءة ، المنهى عنها فى الملة والشريعة فانها عار وشنار ، وطريق الى عـــذاب النار ، والله جل ذكره نفاها عن نفسه ونهى عنها عباده بقوله : (إن الله يأمر بالعدل

---

(١٤٠) فى بهجة المجالس ٤٩٦:١ ، محاضرات الادباء ٢٩٦:١ دون نسبة، وفى العقد الفريد ١٦٧:١ لابن أبى حاتم ، وحماسه البحترى ١٤٥ لهرم بن غنام السلولى ، والمختار من شعر بشار ١٣٧ لابى الاسود الدؤلى .

(١٤١) ٤ النســـاء : مدنية ١٤٧ .

(١٤٢) ٦٤ التغابن : مدنية ١٧ .

(١٤٣) ٢ البقـــرة : مدنية ١٥٢ .

(١٤٤) ١٤ ابراهيم : مكة ٧ .

والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) [١٤٥] ، وقال : (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحـــق) [١٤٦] .

وقد بينا أن الواجب فى جلالة أقدار الملوك وأرتفاع شأوهم وعلـــو مراتبهم الترفع عنها ، وصيانة الأعراض عن [١٤٧] التدنس بها .

وفيما كتب به أرسطاطاليس إلى الإسكندر : إياك والطمع فـــإن فيه فساد الملك [١٤٨] ، وقديما ما قالوا : الطمع ذل [١٤٩] ، وقالوا : الطمـــع الكاذب فقر حاضر [١٥٠] .

وحكى عن أفلاطون : أنكروا الفجور فإن فشوه يهلك الأمة وهى مـــن خواص الدواب الدنية .قال:واعلم أنك فائز إن لم يصرعك المال والشهوات. ومما أمر الله به مخالفة الهوى ، ومتابعة الحق ، فإن الله عز وجـــل يقول : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) [١٥١] ، وقال : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) [١٥٢] ، وقال النبى ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول

---

(١٤٥) ١٦ النحل : مكية ٩٠ .

(١٤٦) ٧ الاعراف : مكية ٣٣ وفى الاصل (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) .

(١٤٧) غير موجودة فى الأصل ولا يستقيم المعنى بدونها .

(١٤٨) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٣٣ بلفظ (.. وأجمع الكل منهم على أن السخاء على نفسه مع اللؤم على رعيته عيب وفساد للملك) ، طبقات الاطباء ٩٩:١ « الطمع يورث الذلة التى لا تستقال » .

(١٤٩) التمثيل والمحاضرة ص ٤٤٦ أقل ما فى الطمع الذل .

(١٥٠) التمثيل والمحاضرة ٤٤٦ الحرص ذل عاجل ، والطمع فقر حاضر.

(١٥١) ٧٩ النازعات : مكية ٤٠ .

(١٥٢) ٢٣ المؤمنون : مكية ٧١ .

الامل [١٥٣] • فان الهوى يصد عن الحق ، وان طول الأمل ينسى الاخرة •

وقال أميـــر المؤمنين علـــى : أخشى عليكـــم اثنين : طـــول الأمـــل والهوى [١٥٤] ، ولقد قرأنا لسابترم ملك الهند فى عهد له الى ابنه : « واعلم أنك قد بليت من طبائعك ومكايدة أهوائك بحرب لا حرب أنفع لـــك فيهـــا الصلح معها [١٥٥] وأضر شىء عليك الهزيمة فيها ، ولا حـــرب إلا سيحتاج صاحبها إلى المادة ، فاستمد لحلمك من أحلام العلماء ، ولعلمك من علمهم ، ولعقلك من عقلهم فإن العقل الفرد لا يقوى على أمر العامة ، ولا يكتفى بـــه فى أمر الخاصـــة » •

فى وجـــوب التواضـــع :

ومما أمر الله به التواضع وترك التكبر ، فإن الله جل ذكره قـــد نهى عنه وأخبر أنه لا يحبه من عباده ، فقال : (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا)[١٥٦] ، وقال حكاية عن لقمان الحـــكيم : (ولا تمش فى الارض مرحا)[١٥٧] ، وقال : (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طـــولا)[١٥٨] •

---

(١٥٣) حديث ضعيف جدا ، أخرجه ابن عدى فى الكامل عن جابر. ضعيف الجامع الصغير ج١ ص ١١٤ وهو من أقوال على بن أبى طالب رضى الله عنه كما فى الحلية ١:٧٦ •

(١٥٤) مروج الذهب ١:١١٧ •

(١٥٥) فى الاصل (فيها) •

(١٥٦) ٤ النساء : مدنية ٣٦ •

(١٥٧) ٣١ لقمان : مكية ١٨ •

(١٥٨) ١٧ الاسراء : مكية ٣٧ •

وروى عن النبى ﷺ أن الله يقول : « إنما الكبر والعظمة (٣٩/ أ) ردائى فمن نازعنى فى ثوبى سخطت عليه » (١٥٩) .

وقال النبى ﷺ : « من تواضع لله رفعه الله » (١٦٠) ، على مافى هذه الخصلة من استعطاف الخاصة والعامة واستمالة قلوب الكافة ، وازدراع المحبة فى الرعية ، واتباع سنن الرسول ﷺ فى السيرة ، وما زال العقلاء يقولون : « التواضع من فعل الكرام » (١٦١) .

وقال أرسطاطاليس : البذخ رأس الفشل (١٦٢) .

وقد أشبعنا هذا الباب فى باب المواعظ بما فيه الكفاية عن غيره ومندوحة مما سواه .

ومن ذلك استقامة الطريقة حتى لا يبطر بالنعمة المستفادة فرحا ولا يأسو على ما يفوته منها جزعا فإن ذلك مما حث الله عليه ومدح به فى قوله : « لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » (١٦٣) ، على أنه من

---

(١٥٩) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة وجده بلفظ قال الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة ازارى فمتى نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار) . الترغيب والترهيب ٤:١٦ ، وسنن ابن ماجه ، ٢ : ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، وأخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما بلفظ : قال رسول الله ﷺ « العز ازاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعنى عذبته » صحيح مسلم ٤ : ٢٠٢٣ حديث رقم ٢٦٢٠ .

(١٦٠) حديث صحيح،أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة.الحلية: ٧:١٢٩ ، صحيح الجامع الصغير ٥:٣٠٣ ، رواه الطبرانى عن عمر بن الخطاب ، ولفظه : (قال عمر بن الخطاب على المنبر : أيها الناس تواضعوا فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تواضع لله رفعه الله) الترغيب ٤ : ١٥

(١٦١) من حكم على بن أبى طالب . شعره وحكمه لـ (أحمد تيمور) ص : ٦٣ بلفظ (تواضع المرء يكرمه) .

(١٦٢) سرار الاسرار : ٧٤ بلفظ (آى ملك تجاوز فى السعة ما ليس فيه وكلف مملكته مما لا تحتمله فقد هلك وأهلك) .

(١٦٣) ٥٧ الحديد : مدنية ٢٣ .

الاخلاق التى مدح بها الحكماء الرجال فأطنبوا ، ووصـــفوه فى المفاخر فأكثروا ، فروى عن ابن عباس ـــ رحمه الله ـــ أنه قال : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكلام كتب به إلى على بن أبى طالـــب ـــ رضى الله عنه ـــ وهو : « أما بعد » فإن المرء ليسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسؤوه فوت ما لم يكن يدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا ، وما فاتك منها فلا تيأس عليه جزعا ، وليكن همك فيما بعد الموت » (١٦٤) .

وروى عن عثمان بن عفان هذان البيتان :

وإذا غنيت فـــلا تكن بطرا ... وإذا افتقـــرت فنته على الدهـــر

واصبر فلست بواجد خلقا ... أدنى إلى فرج من الصبر (١٦٥)

وكتب أرسطاطاليس إلى الاسكندر : لا تفرط من الجزع على ما فاتك فإن ذلك من خواص النساء والضعفاء (١٦٦) .

وقد قال فى الجاهلية لبيد :

ولا أنا تأتنى طريف بفرحة ... ولا أنا مما أحدث الدهر جازع (١٦٧)

وقال النابغة فى مدح بنى غسان :

---

(١٦٤) القضاعى (تـــ ٤٥٤ هـ) : دستور معالم الحـــكم من كـــلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه : ٩٦ و ٩٧ ، ونثر الدر للابى ١ : ٢٨١ ، ٢٨٢ مع اختلاف يسير .

(١٦٥) يوصى الشاعر بعدم الكفر بالنعمة عند الغنى ، وبالعزة عند الفقر وبالصبر لانه أقرب الاخلاق الى الفرج .

(١٦٦) أرسطو : سر الاسرار : ٨٤ ، وابن الازرق : بدائع السلك ١ : ٥٢٩

(١٦٧) ديوان لبيد القصيدة ٣٠ فى رثاء أخيه أربد . البيت الرابع ص ٨٨ ، وفى الأصل : (لا) بدلا من (فلا) .

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب [١٦٨]

فى الصبـــــر :

وهذا باب جليل لا يفى به إلا الشهم الحول [١٦٩] من الرجال ، وأحد قسمى هذه الفضيلة الصبر على الشدائد والمكاره ، وقد أثنى الله ــ جل وعز ــ على (٣٩ / ب) الصابرين وأمر به حيث يقول : (واصبر على ما أصابك) [١٧٠] ، ويقول : (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس) [١٧١] • ثم أثنى عليهم فقال : (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) [١٧٢] • وقال : (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلـــوات من ربهـــم ورحمة ، وأولئـــك هـــم المهتدون) [١٧٣] وروى عن النبى ــ ﷺ ــ أنه قال : (لا أحد أصبر علـــى الاذى يسمعه من الله) [١٧٤] ، وأطبق الناس أصناف على أختلاف مذاهبهم وتفاوت طبقاتهم وطبائعهم وتباين أحوالهم على تفضيل هذه الخلة وعدها فى الفضائل الجليلة والمناقب الشريفة •

وقد قال بعض الشعراء المجيدين :

---

(١٦٨) ديوان النابغة بتحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ص ٤٨ ، وشرح البيت : وصفهم بالاعتدال فان أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، واذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا انه لا يدوم عليهم والبيان والتبيين ١ : ١٩٩ ، ٢ : ٣٤٧ الحيوان ٧ : ٢٥٩ ، وفى المختار من شعر بشار ٢١٤ أن البيت لـ (عثمان) رضى الله عنه •

(١٦٩) الحول : هو الرجل ذو الحيلة والتصرف الحسن فى الامور •

(١٧٠) ٣١ لقمان : مكية ١٧ •

(١٧١) ٢ البقرة : مدنية ١٧٧ •

(١٧٢) ٢ البقرة : مدنية ١٧٧ •

(١٧٣) ٢ البقرة : مدنية ١٥٦ ، ١٥٧ •

(١٧٤) أخرجه مسلم • صحيح مسلم ٤ : ٢١٦٠ حديث رقـــم ٢٨٠٤ فى =

الحرص عون للزمـــان علـــى الفتـــى
والصبـــر نعم القـــرن فى الأزمـــان
لا تخضعـــن فان دهـــــرك أن رأى
منـــك الخضـــوع أمـــــده بهـــوان
وإذا رآك وقـــد قصـــدت لصرفـــــه
بالصبر لاقـــى الصبر بالاذعان (١٧٥)

وقال آخـــر :

أخلق بذى الصبر أن يظفر (١٧٦) بحاجته
ومدمـــــن القـــرع للابـــواب أن يلجـــأ
لا تيـــــأس وإن طالـــــت مطالبـــــه
إذا استعنت بصبـــر أن ترى فرجا (١٧٧)

وقال آخـــر : (١٧٨)

= صفات المنافقين ، باب لا احد اصبر على اذى من الله عز وجل ، و(يسمعه) ساقطة من الاصل .

(١٧٥) الشاعر هو محمود الوراق .
البيتان الاول والثانى فى بهجة المجالس ١ : ١٥٧ .

(١٧٦) هكذا فى الاصل والصواب يحظى لان تظفر تكسر البيت عروضيا ، وهكذا وردت فى العقد الفريد ١ : ١٦٤ ، وعيون الاخبار ٣ : ١٢٠ .

(١٧٧) ورد البيتان فى الحماسة : ١٣٩ ، والتذكرة السعيدية ٣٣٩ ، وادب الدنيا والدين منسوبين الى محمد بن بشير (المتوفى ٦٣ هجرية) اوردها الجاحظ فى البيان والتبيين ٢:٣٦٠ وابن عبـــد البر فى بهجـــة المجالس ١:١٨٢ ، وابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٨٨٣ الى محمد بن يسير (المتوفى ٢١٠هـ) الاعـــلام ٨ : ١٥) .

(١٧٨) هو عبيد بن الابرص . توفى نحو ٢٥ قبل الهجرة ، وهو شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها واحد أصحاب المجمهرات ، وعاصر امرأ القيس وله معه مناظرات ومناقضات ، قتله ابن المنذر حين وفد عليه فى يوم بؤسه ، وعقب الشيخ احمد شاكر وقال : ان الذى قتله هو المنذر بن ماء السماء . الشعـــر والشعراء ١ : ٢٧٣ ، والاعلام ٤ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

اصـــبر النفس عنـــد كـل مـلم
إن فى الصبـــر حيلـة المحتـــال
لا تضيقـــن فى الأمـــور فقـــد
يكشف عمـاؤهـا بغير احتيـال
ربمـا تكـره النفوس من الأمـــر
لـه فرجـة كحـل العقـــال (١٧٩)

وقال آخـر ؛

الصبـــر أولـه مـــر مذاقتـــه
لكـن آخـره أحلـى مـن العسـل

ومن ذلك الأخذ بالحزم ، وتقوية العزم ، وحذر الاقدام على الأمور من غير تبين الفرصة ، وقلة الاغترار بمن يدعو إلى التوكل ، وهو واجد إلى الاحتياط سبيلا وعلى وجه الرأى دليلا ، فإن ذلك مما يؤدى إلى الهـلاك ، والله ــ عز وجل ــ يقول : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (١٨٠) ، وقد أمر الله ــ جل وعز ــ بتغير شكل الصلاة وهى عماد الدين عند ملاقاة العـــدو ، ومخافة القتل والدنو (٤٠/ أ) فقال : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم فـــإذا سجدوا فليكونوا مـــن ورائكم) (١٨١) إلى آخر الآية .

---

(١٧٩) ورد البيت ان فى بهجة المجالس ١ : ١٨٤ دون نسبة ، لباب الاداب : ٢٩٤ منسوبان الى عبيد بن الابرص ، وانشدهما ابن المراغى للبستى . روضة العقلاء : ١٥٩ .

(١٨٠) ٢ البقرة : مدنية ١٩٥ .

(١٨١) ٤ النساء : مدنية ١٠٢ .

وروى عن النبى ﷺ : (اعقلهـا وتوكل)[١٨٢] وكان اذا مر بهـدف مائل أسرع المشى ، على ما فيه من عادة التفكر والتدبر ومجانبة التغافـل والتهور ، واستخراج تأويل أواخرها ومعرفة عواقبها بمبادئها ، وأفولهـا بطلوعها ، وما فيها من سرور ذوى الرأى والاصابة ومخايل [١٨٣] السلامة وإبلاء [١٨٤] المعذرة عند النفس •

على أن الناس لم يزالوا يذمون المتهور المقدام على غير بصيرة وروية

فى الحـــزم :

وأحـد قسمى الحزم : ســوء الظن ، وتوهم الامــور على أشـد ما تسبق إليه النفوس ، ويجوز كونه فى العقول ، ولذلك ما جعل فى أخـلاق الملوك أن لا يعرف لهم مبيت ولا مقيل •

وحكى فى سير ملوك آل ساسان من أردشير وسابور ، وبهرام جور، ويزدجرد وأبرويز وأنوشروان : أنه كان يفرش للملك منهم أربعون فراشا ليس منها واحد إلا وأن تامله متأمل ، ونظر إليه من البعد ناظر ظنه فراش الملك خاصة ولعله أن لا يكون على واحد منها ، بل ربما توسـد ذراعـه ونام[١٨٥] فى ناحية لا يوقف عليه ولا يسبق الوهم اليه •

وقد أمر الله نبيه عليه السلام بهذا الباب حيث غاب عن فراشه عنـد نزول الوحى بما هم به المشركون ودبروه عليه وأرادوا به •

---

(١٨٢) حسن ، أخرجه الترمذى عن أنس ٤ : ٦٦٨ فى القيامة حديث رقم ٢٥١٧ ، صحيح الجامع الصغير للالبانى ١ : ٣٥٢ •

(١٨٣) دلائـــل وعلامات •

(١٨٤) ابلاء المعذرة : الاجتهاد فى المعذرة • المعجم الوسيط ١ : ٧٠ •

(١٨٥) النص لدي الجاحظ في أخلاق الملوك ص ١٢٦ ، ١٢٧ •

والثانية : مشاورة أهل الرأى والفضل ، والعلم ، والعقل والدين والأمانة والعفة ، والتجربة ومن يخصه من الامر المستشار فيه ما يخص المستشير ، دينا كان أو دنيا .

وقد أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — بعد ما قدم اليه من التوفيق والتأييد والتقوية والتسديد ، وضمن له من الاظهار والنصرة وإعلاء الكلمة والعصمة بقوله : (والله يعصمك من الناس)(١٨٦)، بالمشاورة فقال : (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله)(١٨٧) ، ومدح أقواما بذلك فقال:(وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم)(١٨٨). وكانت هذه سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى عامة أيامه(١٨٩) ولذلك ما قال فيما روى عنه : (لى وزيران فى السماء ووزيران فى الارض)(١٩٠) .

(٤٠/ب) وقال « لو أستخلفت أحدا من غير مشاورة لاستخلفت بن أم عبد »(١٩١) . ثم لم يزل أهل العقول يفزعون الى الشورى فى كل ما يقع بينهم ، ويمدحون فاعله ، ويذمون المستبد برأيه ، والمرتكب لأهوائه، وقد قال فيه أحد الشعراء :

---

(١٨٦) ٥ المائدة : مدنية ٦٧ .
(١٨٧) ٣ آل عمران : مدنية ١٥٩ .
(١٨٨) ٤٢ الشورى : مكية ٣٨ .
(١٨٩) يروى عن أبى هريرة قال : (ما رأيت احدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله ﷺ) سنن الترمذى ٤:٢١٤ رقم ١٧١٥ باب ما جاء فى المشورة .
(١٩٠) أخرجه الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى بلفظ (ان لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض ، فاما وزيراى من أهل السماء فجبرائيل ومكيائيل واما وزيراى من أهل الارض فأبو بكر وعمر) . المستدرك على الصحيحين ٢:٢٦٤ .
(١٩١) أخرجه ابن ماجه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . سنن بن ماجه ١ : ٤٩ رقم ١٣٧ فى فضل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد أشيرا على اليوم ما تريان[١٩٢]

وكان عبد الله بن المعتز يقــول : المشــورة راحــة لك ، وتعب على غيرك[١٩٣] • وفى بعض كتب الهند : من وصل عقول العقلاء بعقله استبان بها من الامور مثل الذى يستبين فى الظلمة نور المصابيح •

ولا يجوز للملك أن يغفل هذه الخلة ، ويضرب عنها صفحا مع جلالة موقعه ، وعلو مرتبته ، وعظم الخطر فى كثير من أموره ، على ما فيــه من الائتمار بأمر الله والاقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم •

فى التوســط :

ومن هذا الباب العدل فى السيرة ، وسلوك الواسطة وتجنب أطراف الفضائل ، ومجاوزة الحدود ، والميل الى ترك الإفراط والتفــريط ، فإن الطريقة المحمودة بينهما ، والشجاعة بين التهور والتحرز ، والعبادة بين التهتك والتبتل ، والجزم بين الاستقصاء والإهمال ، والجود بين التقتير والتبذير ، والحلم بين الطيش والتذلل ، والتواضع بين التملق والتكبر ، والغنى بين الاكثار والاقتار •

وقد بين الله ذلك فى كتابه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)[١٩٤] •

---

(١٩٢) أورده الماوردى فى أدب الدنيا والدين ص ١٣٥ والشطر الثانى من البيت : وأشير على باللذى تريان ، وبهجــة المجــالس ج ١ : ٤٥٣ ونسبه الى عطارد بن قرن توفى ... اهـ تقريبا ، وورد فى الاعلام ج ٥/٣١ •

(١٩٣) التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص ٤١٨ •

(١٩٤) ١٧ الاسراء : مكية ٢٩ •

وقال : (والذين إذا انفقـوا لم يسرفـوا ولم يـقتروا وكان بـين ذلك قـواما)[١٩٥] .

وقال فيما نقل عن لقمان فى مواعظه لابنه : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض م رحا)[١٩٦] ولقن الله عباده الدعاء بالجمع بين حسنى الاخرة والاولى فقال : (ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الاخرة حسنة) [١٩٧] وقال الله : (فاتقوا الله ما أستطعتم) [١٩٨] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص حين بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل : (انك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك، ونهكت نفسك ، ولكن قم ونم وصم وافطر)[١٩٩] .

وقال : (خير الناس النمط الاوسط الذى يرجع إليه الغالى ويلحـق به التـالى)[٢٠٠] .

وقال : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[٢٠١] .

---

(١٩٥) ٢٥ الفرقان : مكية ٦٧ .
(١٩٦) ٣١ لقمان مكية ١٨ .
(١٩٧) ٢ البقرة : مدنية ٢٠١ .
(١٩٨) ٦٤ التغابن : مدنية ١٦ .
(١٩٩) يروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يسرد الصوم ولا ينام الليل ، فشكاه أبوه الى رسول الله فقال له : ان لعينيك عليك حقا،وان لاهلك عليك حقا ، قم ، ونم ، وصم ، وأفطر ، ثم صم ثلاثة أيام فى كل شهر فذلك صيام الدهر . الاستيعاب ٣ : ٩٥٧ ، أخرجه الخمسة الا الترمذى . تيسير الوصول ١ : ٢٨ .
(٢٠٠) من أقول على بن أبى طالب . نثر الدر للابى ١ : ٢٧٧ .
(٢٠١) أخرجه البخارى والنسائى بلفظ : (ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) تيسير الوصول ١:٢٩ .

(٤١/ أ) وفى كتاب أمير نامه : لا تعظم صغيرا ، ولا تصغرن عظيما، ولا تنس القصد والقدر فى أمورك كلها ، فإن من جاوز القدر مذموم ، وإن كان أوله محمودا .

وكانت العرب تقول : (أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما)(٢٠٢) .

والآثار فى هذا الباب كثيرة ، وتفسير الضرر العارض فى كل باب منه فى المملكة والعمارة والسياسة والديانة عسير ، والآخذ نفسه بالمذهب المرضى فيه عزيز ، والملك الفاضل أولى الناس وأحراهم باقتناء هذه الفضيلة واجتناب هذه الرذيلة .

فى الحسد :

ومن هذا الجنس الحسد ، فان الله — جل وعز — ذم الحسد فى غير موضع من كتابه ، وأمر بالاستعاذة من شر الحسود ، وقال : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما)(٢٠٣) إخبارا منه — جل وعز — أن حسد الحسود لا ينفع الحاسد ولا يضر المحسود .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إياكم والحسد فإنما

---

(٢٠٢) حديث حسن ، أخرجه الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة — صحيح الجامع الصغير ١ : ١١١ رقم ١٧٦ ورواه الطبرانى فى الاوسط والكبير عن ابن عمر ، وفيه جميل بن زيد ، وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٨٨:٨ .

(٢٠٣) ٤ النساء : مدنية ٥٤ وفى الاصل فى الاية : الحكم والنبوة .

هى الحالقة لا أقول أنها تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين) (٢٠٤) .

وقال أردشير : « ليس للملك أن يحســـد إلا ملوك الأمم على حسن التدبير »(٢٠٥) .

فى النهى عن هذه الرذيلة آثار كثيرة ، ولم يزل الحاسد مذموما عند العلماء موصوفا بالجهل عند العقلاء ، وذلك لضره بنفســـه بما لا يضر به غيره وتكديره لمعيشته ، ودفعه عن نفسه لذة حياته .

فى التأنى والتدبر :

ومنها التثبت فى الامور المشكلة ، واستبانة العـــوارض المبهمـــة ، واستعمال التأنى والتؤدة ، فان الله قد أمر بذلك فى كتابه فقال : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قـــوما بجهـــالة فتصبحـــوا على ما فعلتم نادمين)(٢٠٦) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تعجل بالقـــرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه)(٢٠٧) . وعلى أنه قد روى صلى الله عليه وسلم : (العجلة من الشيطان والتأنى من الله)(٢٠٨) .

---

(٢٠٤) رواه أبو داود والبيهقى بلفظ « اياكم والحسد فان الحســـد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . الترغيب والترهيب ٤:١٢ ورواه ابن ماجه عن أنس بلفظ « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » سنن ابن ماجه ٢ : ١٤٠٨ رقم ٤٢١٠ فى كتاب الزهد ، باب الحسد .

(٢٠٥) عهد أردشير تحقيق احسان عباس ص ٦٩ .

(٢٠٦) ٤٩ الحجرات : مدنية ٦ .

(٢٠٧) ٢٠ طه : مكية ١١٤ .

(٢٠٨) حديث حسن ، أخرجه البيهقى عن أنس بلفظ « التـــأنى من اللـــه والعجلة من الشيطان » صحيح الجامع الصغير ج٣ ص ٥٧ كما رواه ابن أبي =

ثم لا يجب أن يكون تأنيه فى الامور بـــلادة وكســـلا ، ولكن تفكرا وحذرا من زلل المستعجل وخيبة[٢٠٩] الغافل ، ورغبة فى اصابة العاقـــل • وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (٤١/ب) أنه قال : (إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته ، ، فان كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانهه)[٢١٠] •

وحكى عن قثم بن جعفر بن سليمان قال : حدثنى حسن الخادم قال: أشهد بالله ، لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبى ثوبه ويدى يده وهو يقول فى مناجاته ربه : اللهم إنى أستخيرك فى قتـــل جعفر بن يحيى » ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست[٢١١] •

فالواجب على الملك الفاضل أن لا يخرج له فعـــل إلا بعد التـــدبير والتفكر فى رشده وغيه وخيره وشره فيجتبى خيره ويدع شره ، فان عزم على فعل الشر لا محالة أخره ، وإن عزم على فعل الخير عجله ، لأن الشر إذا فاته لا يضره وربما نفعه ، والخير إذا فاته ضره ولم ينفعه ، بل ربمـــا عظمت عليه ندامته وكثرت حسرته ، ثم إن واقع خيرا وعمل حسنة حمد الله على حسن توفيقه له ، ومعونته عليه ، وهدايته اليه ، وان واقع سيئة وفعل شرا ندم عليه ، واستغفر الله تبارك وتعالى ، وتاب اليه منه فان الله لم يعد

= شيبة وأبو يعلى وابن منيع والحارث بن أسامة فى مسانيدهم،وله شواهد عند الترمذى ، وقال حسن غريب بلفظ « الاناة من الله والعجلة من الشيطان » كشف الخفاء ١ : ٣٥ .

(٢٠٩) غير واضحة فى الاصل .

(٢١٠) حديث موضوع أخرجه ابن المبارك فى الزهد عن أبى جعفر بن سور الهاشمى مرسلا . ضعيف — الجامع الصغير ج١ ص ١٤١ وان المبارك :الزهد ص ١٤
كشف الخفاء ٢:٥٠٨ ، المقاصد الحسنة ٤٩٧ .

(٢١١) الجاحظ : التاج فى اخلاق الملوك تحقيق فوزي العطوى ص ٧٣،٧٤

لأحد من عباده المغفرة إلا بالاستغفار ، وترك الإصرار ، ولا توبة بالرحمة عليه إلا بعد توبته من المعصية له وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاســتغفار)[٢١٢] ثم اذا سنحت[٢١٣] الآراء المختلفة ، وتزاحمت عليه الامور المتمايلة ، فالواجب أن يبدأ بالدين يتقدم له أجره ، ويبقى له ذخره ، ثم يثنى[٢١٤] بالمكارم التى يبقى له ذكرها ، ويطيب له نشرها ، ولا ينبغى أن يرغب عما يبقى له الذكر الحسن والثناء الجميل ، فان الله ــ جل وعز ــ مــع علوه عن أن تلحقــه المنافع والمضار والآلام والملاذ رغب فى الشكر من خلقه واستدعاه منهم ، وأوجبه عليهم فقال : (اشكروا لى ولا تكفرون)[٢١٥] . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وأما بنعمة ربك فحدث)[٢١٦] .

فى بقــاء الذكــر :

وأعظم الله المنة على نبيه ــ عليه السلام ــ حين رفع ذكره فقال : (ورفعنا لك ذكرك)[٢١٧] . ولم تزل العقلاء من ملوك العالمين والفضلاء من المؤمنين يسعون لهذه الخلة ، ويجتهدون فى نيلها ، ويشــترونها بالابدان والاموال والارواح والاملاك ، ورأوا أن بقاء الذكر بقاء للمذكــور حتى

---

(٢١٢) رواه ابو الشيخ والديلمى عن ابن عباس . رفعه ، وكذا العسكرى عنه فى الامثال بسند ضعيف ، وأخرجه الطبرانى عن أبى هريرة ، وزاد فى آخره « فطوبى لمن وجد فى كتابه استغفارا كثيرا » لكن فى اسناده بشر بن عبيد الفارسى متروك ، كشف الخفاء ٢:٥٠٨ ، المقاصد الحسنة ٤٩٧ .

(٢١٣) سنح الرأى أو الامر عرض ــ المنجد ص ٣٦٧ .

(٢١٤) فى الاصــل غير واضحــة .

(٢١٥) ٢ البقرة : مدنية ١٥٢ .

(٢١٦) ٩٣ الضحى : مكية ١١ .

(٢١٧) ٩٤ الشرح : مكية ٤ .

احتال لذلك كثير من الملوك (٤٢/ أ) والحكماء بأنواع الحيل ، فمنهم من طلبه بابتناء الابنية العجيبة الوثيقة ، والتصاوير الانيقة المنقورة فى الجبال والصخور ، والمنقوشة فى الابنية والدور الباقية على مر الدهور ، ومنهم من طلبه فى تأليف الكتب وتصنيف العلوم التى يبقى له نفعه ويحيا به ذكره على وجه الزمان ومر السنين والاعوام ، ومنهم من طلبه باظهار السياسات العادلة وبناء المحامد الفاضلة ، ومنهم من طلبه بالعبادة والتدبر والدعـــوة اليه فنال الدنيا والآخرة • وهذه الخصلة من أجل الخصال الدالة على بعد الهمة فى طلب البقاء لأن صاحبها يسمـــو بهمته إلى بقـــاء الابد والنعيم السرمد ، فاذا لم يجد الى ذلك فى هذه الدار الفانية والحياة المنقضية الماضية احتال القوى العزم لنيله ذلك فى دار القرار ، والذكر فى هذه الدار ، وذكر الناس جميعا إبراهيم ــ عليه السلام ــ فقال : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم)[٢١٨] •

ولقد ذكر ذلك أردشير فى عهده ، وجعله من خاص فضائل المـــلوك حيث قال : « واعلموا أن لباس الملك ومطعمه مقارب للبـــاس الســـوقة ومطعمهم وبالحرى أن يكون فرحهما بما نالا من ذلك واحـــدا ، وإنمـــا فضل الملك[٢١٩] على السوقة إنما هو لقدرته على اقتناء المحامد وقوته على استفادة المكارم وأن الملك اذا شاء أحسن ، وليس للسوقة ذلك »[٢٢٠] •

وقال أرسطاطاليس للاسكندر : واعمل على أنهم فى عقبـــك ، وأن

---

(٢١٨) ٢٦ الشعراء : مكية ٨٤ ، ٨٥ .
(٢١٩) فى الاصل (الملـــوك) .
(٢٢٠) عهد أردشير : ٧٠ بتحقيق د ــ احسان عباس .

مديحهم أطول عمرا منك(٢٢١) ، فـــلا ينبغى للملك الفاضـــل أن يرغب عن هذه الخصلة الشريفة والمنقبة الجليلة ، ولكن يجب أن يرغب منها فى أفضلها، وأعلاها ، وأجلها ، وأبقاها ، ويجتهد فى أن يكون الذكر الحسن يجرى على ألسنة الصادقين الذين لا يظـــن بهم الكذب ، والفضـــلاء الذين يسمون بأنفسهم ، ولا يعرفون باللعب ، ولا يجعلون المدح والثناء أسواقا يطلبون منها الارباح ، ويبغون بها قضاء الحاجات كالمخانيث والمساخر والملهين ، فإن مدائح أمثالهم على الحقيقة مذام ، ومادحهم ملاوم لانهم يمدحون المذموم إذا أعطاهم ، ويذمون الممـــدوح إذا حـــرمهم ، ثم لا يقبـــلون (٤٢/ب) معذرة ، ولا يقيلون عثرة ، ولا يغفرون زلة ، ثم ليـــس لهم فى كتاب اللهقسط ولا فى مال الله ســـهم ، فاذا أعطاهم الملك ما أرضـــاهم به أسخط الله ـــ جل ذكره ـــ واستندم الفضلاء وأهل الدين •

وقد قال النبى ﷺ : (إذا رأيتم المـــداحين فاحثـــوا فى وجـــوههم التراب) (٢٢٢) •

---

(٢٢١) رسالة ارسطاطاليس للاسكندر فى السياسة : ٤٩ بلفظ (واعلم أن الايام تأتى على كل شىء فتحلق الافعال وتمحو الاثار فتميت الذكر الا مارسخ فى قلوب الناس محبة تتوارثها الاعقاب فاجتهد بالظفر بالذكر الجميل الـــذى لا يموت وفى سر الاسرار : ص ٧٥ يقول : (الرياسة ليست تراد لنفسها وانما للذكر الجميل ، وفى:ص ٧٨ ثم يتصفح رقاعهم ويقضى حوائجهم ويكثر منحهمويعفو عن مذنبهم .... فيجمل موقع هذا من نفوسهم ويعظم سرورهم وتتشرب ذلك قلوبهم ويتحدثون بذلك عند أهليهم وبنيهم ، فينشأ الطفل منهم على طاعة ومحبة وتسر نساؤهم بما يسر رجالهم •

(٢٢٢) أخرجه ابن ماجه والترمذى عن المقداد بن عمر ، بلفظ : (قـــالا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو فى وجوه المداحين التراب) سنن ابن ماجه ٢:١٢٣٢ رقم ٣٧٤٢ فى كتاب الادب ، باب المدح ، والترمذى ٤:٥٩٩ رقم ٢٣٩٣ فى الزهد باب ما جاء فى كراهية المدحة والمداحين •

ولقد أحسن عمرو بن بحر (٢٢٣) — رحمه الله — فى فصل من كتابه حيث قال : واعلم أن نشر المحاسن لا يليق فيك الا اذا كان القول على ألسنة أهل الروايات وذوى الصدق والوفاء ، ومن ينجع قوله فى القلوب ، ومن يشتاق إلى قوله ويصدق خبره ، وممن إذا قال صدق أو مـــدح اقتصـــد ويثنى بقـــدر البـــلاء •

فى الثنـــاء والمـــدح :

فإن إسراف الثناء على قدر النعمة يولد فى القلوب التكذيب ، ويدل على طلب الزائد ، فأما ثناء المـــادحين لك فى وجهك ، فانما تلك أســـواق أقاموها فان ســـاهلوك فى المبـــايعة ولم يكن عليهم فى الثناء كلفة لكســـاد أقاويلهم عند الناس ، فأولئك الصادقون عن طرق المكارم والمثبطون عن ابتغاء المعالى ، فارتد لنفسك مغرسا تنمو فيه فروعها ، وتزكو ثمرتها •

اشتغال الملوك بعظام الامور :

لا تذهب نفقتك ضياعا الا لاجل تقدمه ، أو لعاجل من ثناء ينتفع به ، ثم إذا قابلت الامور ، وازدحمت واستوت فى هذه الأبواب ، فالواجب أن تشتغل بأعظمها خطرا ، وأجلها قـــدرا ، وأكـــثرها إن فات ضررا ، فإن الاشتغال بصغار الأمور على كبارها إضرارا بالكبار والصـــغار جميعا ، وإضاعة وإهمال فإن استوت فى هذا الباب فبأقربها متناولا وأرجاها دركا ،

---

(٢٢٣) هو عمرو بن بحر بن محبـــوب الكنانى بالولاء الليثى ، ويكنى ابا عثمان ، والملقب بالجاحظ كبير ائمة الادب ، ورئيس الفـــرقة الجـــاحظية من المعتزلة ، مولده بالبصرة ، وتوفى بها عام ٢٥٥هـ . نزهة الالباء : ١٤٨ ، وفيات الاعيان ٣ : ١٤٠ ، ومعجم الادباء ٦ : ٥٦ / ٨٠ .

فان مزاولة تبعيد القريب وتقريب البعيد صعب شديد ، وخـــرق عتيـــد ، وتضييع وإهمـــال .

وهذه جملة كافية فى باب المساعى والأفعال ومـــوازنة الأعمـــال ، وملابسة الاشغال ، وفيها تمام أبواب الفضائل النفسانية ، وأصـــولها ، وعوام مالا بد منه من فروعها ، ذكرناها ، ودللنا عليها ، وحررنا ما يعرض للملوك وغيرهم فى هذا الوقت اذ لا نهاية لها ولا يمكن حصرها .

الالتزام بالكتاب والسنة والاجماع :

وليس شىء مما يحتاج اليه الملوك والرعايا والرؤساء والمرؤوسون فى دين أو دنيا إلا وجدت له فى كتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ وسيره وأخباره أصلا محـــكما ، وأثرا بينا ، اما نصـــا (٤٣/ أ) لا مخـــالف له ، ولا شبهة فيه ، وإما دلالة يسهل استخراجه أو مجملا يمكن شرحه وتفسيره وكيف لا يكون كذلك والله ـــ تبارك وتعالى ـــ يقول : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)[٢٢٤] ويقول : (ونزلنا عليك الكتاب بيانا لـــكل شىء)(٢٢٥) . فكل من ادعى حكمة أو علما يخالف ما فى كتاب الله أو يضـــاده دينا فيـــه ويدافعه فهو جهل محض وعيب بحت لا حكمة معه .

وقد أمر الله خلقه بكل خير وفضيلة ونهى عن كل شر واثم ورذيـــلة ـــ فقال جل وعز ـــ (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[٢٢٦] . وقال : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)[٢٢٧] . وقال : (ولا تقـــربوا الفـــواحش ما ظهـــر منهـــا وما

---

(٢٢٤) ٦ الانعام : مكية ٣٨ .
(٢٢٥) ١٦ النحل : مكية ٨٩ .
(٢٢٦) ٢٢ الحج : مدنية ٧٧ .
(٢٢٧) ١٦ النحل : مكية ٩٠ .

بطن)[٢٢٨] • وقال . (فمن يعمل من الصـــالحات وهـــو مؤمن فلا كفران لسعيه) [٢٢٩] • وقال : (من يعمل سواء يجز به) [٢٣٠] • فحث جل ذكره على كل خير ودل مجملا على كل فضل ، ثم نشر كثيرا منهـــا على لســـان رسوله ﷺ ، وكل ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من أخباره ، وثبت على ألسنة الرواة من آثاره فانما هو مما نص الله عليه على هذا الترتيب ، لأنه قال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٢٣١] • وقال: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)[٢٣٢] • فاذا تتبعنا بأمر الله آثار نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسيره ، ومغازيه ، وجدنا فيها كل حكمة بالغة ، ومنقبه جايلة ، وشرف ، وفضيلة ، وأدب حسن ، وقول متقن، وأصل من أصول الدين قوى وعلم بين •

ثم دل النبى ﷺ على طلب الحق فى إجماع أمته ، وعند علماء صحابته فقال : (لا تجمع أمتى على ضلالة)[٢٣٣] وقال : (اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر) [٢٣٤] وقال : (أصحابى كالنجوه بأيهم أقتديتم أهتديتم)[٢٣٥]

---

(٢٢٨) ٦ الانعام : مدنية ١٥١ .
(٢٢٩) ٢١ الانبياء : مكية ٩٤ وفى الاصل « ومـــن » .
(٢٣٠) ٤ النساء : مدنية ١٢٣ .
(٢٣١) ٥٩ الحشر : مدنية ٧ .
(٢٣٢) ٤ النساء : مدنية ٥٩ .
(٢٣٣) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وابن أبى خيثمة فى تاريخه عن أبى نضرة الغفارى رفعه فى حديث (سألت ربى أن لا تجتمع أمتـــى على ضلالـــة ، فأعطانيها) كشف الخفاء ٢ : ٤٨٨ ، المقاصد الحسنة ٤٦٠ رقم ١٢٨٨ .
(٢٣٤) صحيح،رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن حذيفة ، وزاد العقيلى « وأهتدوا بهدى عمار ، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه » . كشف الخفاء ١:١٨١ كما رواه ابن عدى فى الكامل ، صحيح الجامع الصغير ج ١ ص ٣٧٢ .
(٢٣٥) ضعيف ، رواه البيهقى ، وأسنده الديلمى الى ابن عبـــاس بلفظ « اصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم) . كشف الخفاء ١:١٤٧ وكنز العمال ١:١٩٩ .

وفضل كلا من أصحابه بما خصه الله به من الفضـيلة ، وآتاه من المآثر الجليلة ، فدلنا النبى ﷺ على أخذ العلم من بعده منهم ، والاقتـداء فيما أصابوا بهم ، وإذا تتبعنا أخبارهم واقتفينا آثارهم وجدنا فيها كل حكمة وزهد وعبادة وسيرة فاضلة ومنقبة شريفة • ثم لم يزل فى ملة الإسـلام ـ ولله الحمد ـ علماء يعلمون كتابها ، ويفسرون مشكلها ، ويفرعون أصولها ، ويستخرجون حوادثها ، ويحامون عنها بالحجج الظاهرة والدلائل القاهرة ، والملوك وان كان فيهم مـن مال (٤٣/ب) الى الدنيـا وأغتر بزبرجهـا وزخرفها ، لم يدعوا الذب عن اثلتها[٢٣٦] والدفاع عن بيضتها ، والحمل على ظواهر شريعتها ، ولهم سير عجيبة وآثار غـريبة ، فاذا تتبعها الملك المعنى بصلاح مملكته ، وعرفها الداعى المهتم بأمور رعيته ، وجد فى كل باب من هذه الأبواب كل ما يحتاج إليه فى أحكام سياسته ، ورياضة نفسـه وإصلاح مملكته ، ويجمع له مع ذلك تقوى ربه والفوز فى عاقبته وحسن الأحدوثة فى حياته وبعد وفاته بعون الله ومشيئته وحوله وقوته •

---

(٢٣٦) أثلتها : أثلة كل شىء أصله . وتأثيل المجد أى بناؤه . اللسان : مادة أثـل .

البـــاب الســـــادس

فى ســـــياســـة الخـــاصة

واذ قد ذكرنا ما يجب على الملك الفاضل فى سياسة نفسه ورياضتها على تقوى الله ــ جل ذكره ــ والاقتداء به فى أفعاله ، والائتمار بأوامره ، والانتهاء عن زواجره ، والتأدب بآدابه التى يستجمع بها الخصال الفاضلة الشريفة ، والخلال المستحسنة الحميدة ، فان أولى الاشياء بنا أن نصف[1] له سياسة خاصته وخدمه وحاشيته فنقول :

الملك وأخـــلاق خاصـــته :

ان مما يجب على الملك الفاضل أن تكون عنايته بأمر خاصته أقدم وأكثر وأعم وأوفر حتى يروضهم رياضة لا يكون فى أهل مملكته وضمن ولايته من هو أسرع الى طاعته وأبعد من معصيته ، وأقوى عزما فى نصرته ، وأحسن أدبا فى خدمته منهم ، اقتداء بالله ــ جل وعز ، واحتذاء على مثاله فى خلقه. ذلك أن الله ــ عز وجل ــ لما خلق خلقه ، وأوجب فى حكمته أمرهم وزجرهم وتعبدهم بما هو أصلح لهم ، وأنظم لأمورهم فى دينهم ودنياهم وآخرتهم وأولاهم ، أصطفى منهم ملائكة جعلهم جنودا على خليقته موكلين بأمـــور بريته ، وأعوانا لاهل دعوته ، وجعلهم أقرب الخلق اليه منزلة ، وأدناهم من كرامته مرتبة ، واجتباهم ممن علم أنهم لا يعصـــونه ما أمـــرهم بل يسبحون له الليل والنهار وهم لا يسأمون ولا يفترون ، وجعلهم مع ذلك أطولهم بقاءا ، وأقواهم على طاعته قوة ، وأوسعهم على تنفيذ أوامره ، وتبليغ رسالاته فى أرضه وسماواته قدرة .

---

(١) فى الاصـــل : (يصـــف) .

ثم اصطفى من الناس رسلا ، فصيرهم أمناء على خلقه ، فجعلهم ممن علم أنهم أقوى الخلق عزيمة ، وأبعدهم بصيرة ، وأكثرهم له طاعة ، وأقلهم له بعد الملائكة (٤٤/ أ) معصية ، وأنهم لا تكون منهم كبيرة يخرجون به من ولايته ، ويزنون بعداوته ، أو يتهمون بها فى أداء رسالته ، وتأسيس ملته وديانته وشريعته وصنعته ، بل جعلهم أمناء ، نجباء ، حكماء، علماء فضلاء ، أبرار ، أتقياء ، كراما ، أقوياء على ما بين من ذلك فى كتابه، وأوضحه فى خطابه حيث قال : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٢] .

ويقول : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)[٣] . ويقول : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون)[٤] . ويقول: (كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)[٥] . وقال : يسبحون اليل والنهار لا يفترون)[٦] . وقال : (بأيدى سفرة كرام بررة)(٧) . وقال : (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين)[٨] . وقال فى صفة أنبيائه من البشر : (وابراهيم الذى وفى) . وقال : (واتخذ الله ابراهيم خليلا)[٩] . وقال فى صفة موسى : (وأنا أخترتك فاستمع لما يوحى)[١٠] . وقال : إن خير من أستأجرت القوم الامين)[١١] ، وفى

---

(٢) ٦ الانعام : مكية / ١٢٤ فى الاصل : (الله يعلم حيث يجعل رسالاته)
(٣) ٢٢ الحج : مدنية / ٧٥ .
(٤) ٤ / النساء : مدنية / ١٧٢ .
(٥) ٨٢ / الانفطار : مكية / ١٢ ، ١٣ .
(٦) ٢١ / الانبياء : مكية / ٢٠ .
(٧) ٨٠/ عبس : مكية / ١٥ ، ١٦ .
(٨) ٨١ / التكوير : مكية / ١٩—٢١ .
(٩) ٤ / النساء : مدنية / ١٢٥ .
(١٠) ٢٠ طه : مكية / ١٣ .
(١١) ٢٨ / القصص : مكية / ٢٦ .

يوسف : (اجعلنى على خـــزائن الارض انى حفيـــظ عليم)[١٢] وقال فى صفة عيسى : (وجعلنى نبيا ، وجعلنى مبـــاركا أينما كنت ، وأوصـــانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا)[١٣]. وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : (وإنك لعلى خلق عظيم)[١٤] . وقال : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)[١٥] . ثم أمدهم جميعا بتوفيقه ، وعصمهم بتسديده ، وقواهم بأسره ، وأعـــزهم بنصره ، وأيد بصائرهم بفضله وطوله .

فكذلك يجب على الملك أن يروض عليه ، ويسوس به خاصته على مقدار طاقته ، ومنتهى قوته .

ثم أن يحل خاصته على مقدار طاقته ومنتهى قوته منه محل الآله من الصانع التى لا يجوز له تنفيذ شىء من صـــناعاته وارادته الا بهـــا ، لان الآله اذا فسدت فسد العقل وتعذر انفاذه ، وابرامه ، واتقانه ، واحكامه.

ثم لأن جل أموره مفوضة اليهم ومعصوبة بهم ، وهم منسوبون اليه ، ومشبهون به ، يستدل بآدابهم على أدبه ، وبأخلاقهم على خلقه ، وبدينهم على دينه ، ويحكم له وعليه بما يشاهد منهم ، وليس ذلك كذلك فى أمـــر العامة لان لكل واحد منهم رابا والد ، ومؤدب ، ومعـــلم ، ومثقف ، يكفى أمره ، ويخرجه على ما يحتمله حاله ، وتبلغه طاقتـــه ، واختياره وهمتـــه (٤٤/ب) وايثاره وتدبيره فى الرياضة والسياسة .

---

(١٢) ١٢ / يوسف : مكية / ٥٥ .
(١٣) ١٩ / مريم : مكية / ٣٠—٣٢ .
(١٤) ٦٨ / القلم : مكية / ٤ .
(١٥) ٤ / النساء : مدنية / ٤١ .

فى تأديب الخـــاصـــة :

وقد أمر الله ــ جل ذكره ــ بتأديب الخاصة نصا فى كتابه فقال ــ جل وعز ــ (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)[١٦] • وقال : (وأمر قـــومك ياخذوا بأحسنها) [١٧] • وقال : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)[١٨] • وقال لنبيه فى أول ما أمره بالانذار : (وأنذر عشيرتك الاقربين)[١٩] • فجمع النبى صلى الله عليه وسلم عمومته وبنى عمومته من عبد مناف فقال : (يا بنى عبد مناف ، انقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا)[٢٠] وأثنى الله على نبيه اسماعيل ــ عليه السلام ــ بذلك فقال : (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة)[٢١] • وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا ترفع عصاك عن أهلك »[٢٢] • وقال :

---

(١٦) ٢٠ / طه : مكية / ١٣٢ .
(١٧) ٧/ الاعراف : مكية / ١٤٥ .
(١٨) ٦٦ / التحريم : مدنية / ٦ .
(١٩) ٢٦ / الشعراء : مكية / ٢١٤ .
(٢٠) رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال : « قام رســـول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : (وأنذر عشيرتك الاقربين) قال : «يا معشر قريش» أو كلمة نحوها « اشتروا انفسكم ، لا اغنى عنكم من الله شـــيئا ، يا بنى عبـــد مناف ، لا اغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب !لا اغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا . ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سلينى ما شئت مـــن مالى ، لا اغنـــى عنك مـــن الله شيئا » .صحيح البخارى ٨ : ٣٨٦ ، ومسلم ١:١٩٢ ، واللؤلؤ والمرجان ٥٢
(٢١) ١٩ مريم : مكية ٥٥ .
(٢٢) رواه الطبرانى فى الصغير عن ابن عمر : المعجم الصـــغير ١:٤٤ ، والاصبهانى فى الحلية ٧:٣٢٢ بلفظ « لا ترفع العصا عن اهلك ، واخفهم فى الله» ولدى المناوى «السوط» بدلا من «العصا» كنوز الحقائق ١٣٩ .
ورواه الطبرني عن ابن عباس بلفظ « القوا السوط حيث يراه اهلك ، =

« علموا أولادكم الصلاة اذا بلغوا سبعا وأضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا »(٢٣) • وسن النبى صلى الله عليه وسلم تأديب الصبى وتقويمه بالختان وتعليم القرآن ، ورخص العلماء فى ضرب الصبى على البطالة والغرامة قبل وجوب الاحكام عليه ، ولزوم وظائف الدين له ، وروى أن آخر ما أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم أن قال (الصلاة وما ملكت أيمانكم)(٢٤) • وأمر النبى صلى الله عليه وسلم باخراج زكاة الفطر عن الصبى ورخص العلماء فى اخراجه من مال اليتيم تأديبا له وتقويما للخير والدين •

واختار الله لصحبة نبيه صلى الله عليم وسلم أقواما ، وجعلهم له أنصارا وأعوانا ، فأمره بتأديبهم ، وتقويمهم وتثقيفهم ، وتعليمهم ، وترغيبهم ، وتخويلهم بالموعظة ، وتعهدهم بالتذكرة حتى كانوا أفضل أمته فضيلة ، وأبعدهم فى الفضل غاية ، وأرفعهم درجة ، فصاروا أمناء أتقياء علماء حكماء أبرارا عبادا أحبارا ، منادين بالمعروف زجارين عن المنكر ، مجاهدين فى لله ، مقتدين بأنبياء الله رحمة الله عليهم ، كما قال الله : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)(٢٥) •

= ادب لهم » مجمع الزوائد ١٠٦:٨ ، وقال الالبانى : الحديث حسن . صحيح الجامع الصغير ٣٧:٤ برقم ٣٩١٠ .

(٢٣) صحيح ، اخرجه البزار عن أبى هريرة ، صحيح الجامع الصغير ٣٨:٤ رقم ٣٩١٤ .

(٢٤) صحيح ، اخرجه ابن حنبل والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن أنس ، والطبرانى عن ابن عمر ، وابن حنبل وابن ماجه عن أم سلمة . صحيح الجامع الصغير ٣٦٦:٣ رقم ٣٧٦٧ .

(٢٥) ٤٨ الفتح : مدنية الاية ٢٩ .

وقال : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) (٢٦) .

وقد دل على جهة الصلاح فى ذلك أردشير الملك فى عهده حيث قال : (ان لكل ملك بطانة ، ولكل رجل من بطانته بطانة ، حتى يجتمع فى ذلك (٤٥/أ) جميع أهل المملكة ، فاذا قام بطانته على حال الصواب أقام كل امرىء منهم بطانته على مثال ذلك حتى تجتمع على ذلك عامة الرعية)(٢٧) .

وقال أرسطاطاليس للاسكندر : « ألزم خدمك الذى ترضاه لنفسك »(٢٨) . وقال : « زين أمرك فى العامة ، وتفقد جندك ، واعمل على أنهم أعضاؤك ، والباب الذى تنال منه مذلة عدوك وتحترس من مضرته اصلحهم لأنفسهم فان فى صلاحهم صلاحا للرعية ودركا للغلبة ، قو ضعيفهم يقو أمرك ، واجبر فقيرهم يشد ساعدك » .

فالواجب على الملك الفاضل الائتمار بأمر الله فى سياسة خاصته ، وأهله ، وحاشيته ، وجنوده ، وأعيانه والاقتداء بنبيه صلى الله عليه .

طبقات خاصة الملك :

وخاصة الملك الذين عنينا بهم فى هذا الموضع على طبقات بنيت ، بعضهم أخص من بعض ، فأخصهم به ولده ، وخدمه من قرابته ، وخاصته، ثم عبيده ومماليكه ، وخاص فتيانه وغلمانه ، ثم وزراؤه وكتابه ، وكفاة أشغال حضرته . ثم جنده ، وقواده ، وأساورته ومقاتليه .

ثم عماله الذين يستعين بهم فى اصلاح مملكته النائية عن بابه وداره

---

(٢٦) ٤٨ الفتح : من الاية ١٨ .
(٢٧) عهد أردشير تحقيق الدكتور احسان عباس ص ٧١ .
(٢٨) رسالة أرسطاطاليس الى الاسكندر فى السياسة ص ٤٣ .

والخارجة عن مركزه وقراره .

حق الولد على أبيــه :

فمن من أول حق الولد ان ينتقى أمه ، ويتحير قبل الاستيلاد منهن الجميلة الشريفة ، الدينة العفيفة ، العاقلة لأمورها ، المرضية فى أخلاقها ، المجربة بحسن العقل ، وكمال المواتيه لزوجها فى أحواله ، قال الله تبــارك وتعالى فى جملة هذه القضايا (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، مسلمات،مؤمنات ، قانتات ، عابدات،سائحات ، ثيبات وأبكارا)[٢٩] ثم وصف — عز وجل — ما رغب فيه عباده المؤمنين فى الحــور العــين بالحسن التام مجملا ومفصلا وبالبكارة والسنر والعفــة فقال (: أنا أنشأناهن أنشاء ، فجعلنــاهن أبكــارا عــربا أترابا) [٣٠] . وقال (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون)[٣١] . وقال : (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان)[٣٢] . وقال : (حــور مقصــورات فى الخيام)[٣٣] .

فبين أن الرغبة من النساء فى أهل هذه الصفات ، ثم قال فيما يخالف هذا : (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحــرم ذلك على المــؤمنين)[٣٤] . (٤٥/ب) وقال فيما أدب به النساء : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصــارهن ويحفظن فــروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن)[٣٥] وقال : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى)[٣٦] .

وجعــل النبى صلى الله عليه كل ما يكون من المــرأة من رمــز بعين أو اشارة بيد أو سير أو اظهار زينة أو تبرج من أبواب الزنى . ثم قال :

---

(٢٩) ٦٦ / التحريم : مدنية ٥ .
(٣٠) ٥٦ / الواقعة : مكية / ٣٥ — ٣٧ .
(٣١) ٥٦ / الواقعة : مكية / ٢٢ .
(٣٢) ٥٥ / الرحمن : مكية / ٥٦ .
(٣٣) ٥٥ / الرحمن : مدنية / ٧٢ .
(٣٤) ٢٤ / النور ، مدنية / ٣ .
(٣٥) ٢٤ / النور : مدنية / ٣١ .
(٣٦) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ٣٣ .

(تخيروا لنطفكم)[٣٧] • وقال : (تنكح المرأة : لمالها وميسمها عليك بذات الدين تربت يداك » [٣٨] •وقال « أياكم وخضراء الدمن » قيل : يا رسول الله ما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء فى منبت السوء »[٣٩] •

وقد جرت العادة فى أهل كل دين وملة ، وجيل وأهل نحـلة ، بطلب الكفاة فى باب النكاح والانكاح ، وجعل الدين هذا شريعة من الشرائع ، كل ذلك طلبا لنجابة النسل وتخيرا للطروقة والفحل ، وضنا بالنجابة التى فى النجار [٤٠] أن ينتقل الى غيره ، وهربا من تدنيس النسب •

والملك على جلالة شأنه ، وعلو مكانه أحق الناس بابتغاء هذه الفضيلة، واطلاب هذه المنقبة لولده ، لعله يوصل ، ويرجو أن يسد مسده ، ويأخـذ مكانه ويملك جماعة من أهل جنسه ، وحرمه ، وخدمه لا يحصيهم الا الله ،

---

(٣٧) حديث صحيح ، أخرجه الحاكم فى مستدركه ، وابن ماجه فى سننه والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة . صحيح الجامع الصغير : ٣٧ .

(٣٨) هكذا بالاصل ولكن المشهور « تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربة يداك » . حديث صحيح،اخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأبى داود عن أبى هريرة . صحيح الجامع الصغير ج٣ ص ٥٦ واللؤلؤ والمرجان الحديث ٩٢٨ ، وسنن ابن ماجه الحديث ١٨٥٨ .

(٣٩) رواه الدارقطنى فى الافراد ، والرامهزى والعسكرى فى الامثـال ، وابن عدى فى الكامل والقضاعى فى مسند الشهـاب ، والخطيب فى ايضـاح الملبس ، والديلمى من حديث الواقدى عن أبى سعيد مرفوعا ، وذكـره أبـو عبيد فى الغريب .

ومعنى الحديث : أنه كره نكاح ذات الفساد ، وان اعراق السوء تنـزع أولادها ، وأصله أن النبات ينبت على البقر فى الموضوع الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا ، اذ الدمن جمع دمنة وهى البقرة ، مسند الشهاب ٢ : ٩٦ رقم ٦٢٢ ، كشف الخفـاء ١ : ٣٢٠ .

(٤٠) النجار : (بكسر النون أو ضمها مع تشديدها) الاصل والحسب . لسان العرب المحيط ٣:٥٨٥ .

ويرشحه لعمارة بلاد الله ، وسياسة عباده ، وحماية دينه ، فاذا فعل ذلك فالواجب عليه أن يطلب الولد على ما جاءت به السنة ، ووصفه أهل الحكمة، ويتجنب المضاجعة فى حال السكر والغفـــلة ، والتناوم والاسترخاء ، وأن ينوى فى ذلك كله نية الولد ، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وينوى فى الولد أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ويجرى على يديه صلاح الخلق واقامة الحق وتأييد للصدق ، ومنفعة للعباد ، وعمارة للبلاد •

وروى عن عمرو بن عبيد أنه قال لامرأته ـــ وهى ترضع ابنا لها ـــ: لا يكونن رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم ، ولكن ارضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله ، وأن يحيا برضاعك خلق عسى أن يوحد الله ويعبده •

فاذا ولد المولود فان من أول كراماته وبره به أن يحليه باسم حسن وكنية لطيفة شريفة (٤٦/أ) فان الاسم الحسن موقعا من النفوس مع أول سماعه ، وكذلك أمر الله عباده وأوجب عليهم أن يدعوه بالاسماء الحسنى ، ويصفوه بالصفات العلى فقال :(قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)[٤١] • وقال : (ولله الاسماء الحسنى فادعـــوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه)[٤٢] •

واختار النبى صلى الله عليه وسلم أسماء أولاده اختيارا ، وآثرها ايثارا ، ويحمل محمد بن الحنفية[٤٣] اسمـــه وكنيته بعـــد ذلك ، تشريفا له ، واجلالا ، واكراما وأفضالا • ونهى عليه السلام أن يجمـــع أحـــد من

---

(٤١) ١٧ / الاسراء : مكية ١١٠ .

(٤٢) ٧ / ١ الاعراف : مكية / ١٨٠ .

(٤٣) هو محمد بن على بن أبى طالب ، الهاشمى ، القرشى ، ويكنى ابا القاسم ويعرف بابن الحنفية نسبة الى أمه خولة سبى بنى حنيفة ، وهو من كبار التابعين ، كان واسع العلم ، ورعا ، أسود اللون ، وكان المختار الثقفى يدعو الناس الى أمامته ، ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانيه (وهم شـــعبة من الزيدية ـــ كما يرى ابن حزم فى الملل والنحل ٣٥:٥ ، ٣٦) تزعم انه لم يمت وانه مقيم برضوى ، ويرجح أنه مات فى المدينة سنة ثلاث أو اثنين وسبعين . تهذيب الاسماء القسم الاول من الجزء الاول ص ٨٨ ، حلية الاولياء ١٧٤:٣ ، الاعلام ١٥٢:٧ ، ١٥٣ .

المسلمين بين اسمـــه وكنيته وقال : « أحب الاسماء عبـــد الله وعبـــــد الرحمن »(٤٤) .

وانما جهة الاختيار لذلك فى ثلاثة أشياء :

منها ، أن يكون الاسم مأخوذا من أسماء أهـــل الدين : من الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، ينوى بذلك التقرب الى الله جل اسمه بمحبتهم ، واحياء أسمائهم ، والاقتداء بالله جل اسمه فى اختيار تلك الاسماء لاوليائه ، وما جاء به الدين كما قـــد روينا عنـــه فى أحب الاسماء الى الله « عبد الله وأمثاله »(٤٥) .

ومنها ، أن يكون الاسم قليل الحروف خفيفا على الالسن ، سهلا فى اللفظ سريع التمكن من السمع .

قال أبو نواس فى هـــذا الاسم :

فقلنـــا له ما الاســـــم قال سمـــو أل

عـــلى أننى أكنى بعمـــرو ولا عمـــروا

وما شـــــرفتنى كنيـــــة عـــــربية

ولا كســـبتنى لا ســـناء ولا فخـــرا

---

(٤٤) أخرجه مسلم ، وأبى داود ، والترمذى وابن ماجه عـــن ابن عمـــر صحيح الجامع الصغير للالبانى ج ١٠٧:١ رقم ١٥٩ مختصر صحيح مسلم رقم ١٣٩٨ وسنن ابن ماجه ص ١٢٢٩ رقم ٣٧٢٨ كتاب الادب باب ما يستحب من الاســـماء .

(٤٥) صحيح ، أخرجه مسلم وأبى داود والترمذى وابن ماجه عن ابـــن عمر بلفظ « أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن » . مسلم ١٦٨٢:٣ رقم ٢١٣٢ ، سنن ابن ماجه ١٢٢٩ رقم ٣٧٢٨ ، وصحيح الجامـــع الصغـــير ١٠٧:١ رقم ١٦٠ .

ولكنهـــا خفـــت وقلـــت حـــروفهـــا
وليست كأخرى انمـــا جعلت وقرا(٤٦)

فأخبر — كما ترى — أنه أختارها على بغضه لاهلها عنها لقلـــة حروفها وخفتها على اللسان وفى السمع •

ومنها — أن يكون حسنا فى المعنى مـــلائما لحـــال المسمى ، جاريا فى أسماء أهل طبقته وملته ، وأهل مرتبته •

ثم الوجه فى رضاعه آن ترضعه أمه ، لأن ذلك أبلغ فى الرضـــاع ، وأوقر ، وأبعد من ممازجة الاخلاط ، وأوقر لقول الله تبـــارك وتعـــالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)(٤٧) • فانه أول ما ذكر الله ، وهو مع ذلك الامر الطبيعى للانسان وسائر الحيـــوان فان منـــع من ذلك مانع فالواجب أن يبالـــغ فى اختيار الظئر(٤٨) مبالغته فى اختيار الوالدة ، ويحتال أن تكون صحيحة من زمانه موئدة(٤٩) وعـــلة عادية عارضـــــة أو لازمـــة ، نظيفـــة الجلد صحيحة الجســـم من داء كامن وعـــرق اللحم،وينشىء العظم ويفيد المزاج الذى يوجب اختلاف الغرائز والاخلاق• وقال النبىﷺ:(لا ترضع لكم الحمقاء فان اللبن يفسد النسب) (٥٠) .

---

(٤٦) الابيات فى ديوانه : ٢٤٤ طبعة بيروت عام ١٩٨٢ ، (وخلقت) بدلا من (جعلت) .

(٤٧) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٣٣ .

(٤٨) الظئر : المرضعـــــة .

(٤٩) زمانة موئدة : هى الآفة والعاهة المضعفة . لسان العرب المحيط ٢ : ٤٩ .

(٥٠) لم أقف عليه بلفظه ، وقد أورد الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث عائشة « لا تسترضعوا الورهاء » وفى الاوسط من حديث عمر « لا تسترضعوا الحمقاء » وقال الهيثمى فيه عباد بن عبد الصمد ، وهو ضعيف . مجمع الزوائد ٤ : ٢٦٢ وفى مسند الشهاب (١ : ٥٦) « الرضاع يغير الطباع » .

والوجه أن يبلغ بالرضاع تمامه ، ولا يجاوز به أيامه ، فان الله — جل وعز — قد حد لذلك حدا ووقف عليه وقفا ، فقال : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)[٥١] • فكل ما بعد التمام فساد ودخول فى غير مايحتاج اليه •

ثم يؤخذ بعد ذلك فى التربية والتأديب ، ويلبس من الثياب ما يشبه ثياب الملوك قبله وفى ناحيته ، ويختار له أصلح الثياب وأرفعها للوقوف ما دام حازما أو متأدبا،وللوثوب والركوب الذى لابد له من الارتياض بها•

فاذا بلغ مبلغ التأديب والتعليم فالوجه أن يبدأ — فى هذه الملة خاصة — بتعليم القرآن مع اللغة العربية ، لانها اللغة التى أنزل الله بها كتابه وخاطب بها فى شرائع دينه وفرائض ملته ، وبها بلغ رسول الله ﷺ سنته ، وبها ألفت الكتب الدينية والحكمية والجدية والهزلية ، وبها تكتب رسائلهم والصكوك التى جعلها الله وثائق بينهم ، فلابد للناشىء فى هذه الملة من تعلمها وان كان جاهلا بالدين منقوصا فى الملل ، مع أن لهذه اللغة من الفضيلة ما ليس للغة من اللغات ، من الفصاحة والبيان والطلاوة على اللسان ، والحلاوة فى الاسماع والآذان ، وكثرة التصاريف واحتمال المقاييس النحوية ، وسعة الالفاظ وتوسط الحروف بين القلة والكثرة واشباه هذه الخصال ما لو تعلمت تجملا واستفيدت تعجبا لكانت لذلك موضعا •

---

(٥١) ٢ البقرة : مدنية الاية ٢٣٣ •

ولهذا كان ملوك العجـــم يتعلمونها ، فان كثـــيرا منهم يستعملها فى أوقات حفله ومجالس زينته •

والوجه فى تعليم اللغة أن يقصد الى الاخـــف فالاخـــف من كتبها ، والاسهل (فالاسهل[٥٢]) من مؤلفاتها ومصنفاتها ، وأن لا يشـــغل أولاد الملوك بالغريب الوحشى والنادر الاجنبى ، ولا بدقائق النحـــو ودواوين العروض ، فان ذلك مما يشغله (٤٧ / أ) عن المعانى ، وانمـــا يتعـــلم الالفاظ قصدا الى معرفتها ، فاذا أفنى الانسان عمره فى تعـــلم الالفـــاظ فاتته المعانى الا أن يكون ذلك لمن يجعله صناعة ، مثل الادباء والمؤدبين والمعلمين من النحويين •

ويحتاج فى الاستعانة على تعلم اللغة الى رواية أشـــعار العـــرب ، وأيامها وأخبارها ، والصواب فى تدبير ذلك أن تروى له ، ويعلم ، ويحفظ الاشعار الحكمية التى ضمت الحكمة ، والتوحيد ، والدين ، والبعث على العلم والزهد ، والشجاعة والجود ، ومكارم الاخلاق دون التى يذكر فيها الزنى والتجميش [٥٣] • والعشـــق والفحش والاهاجى التى فيها قـــذف المحصنات ، وذكر النعوات ، لينشأ على معرفة الفضائل ، ومحبة نيل المادح نشوءا ، ويعتادها عادة ، فيجتمع له فى ذلك فائدة الفصاحة والبيان ومعرفة المبتذل من الكلام وكثير من الغريب ، والوقوف على المعانى الفاضلة •

ويجب أن يحفظ من الاخبار : أخبار المغازى والسير ، وآثار الخلفاء

---

(٥٢) هكذا فى الاصل ونرى أن الصواب (فالسهل) ، وأيضـــا (الاخـــف فالخفيف) قبلهـــا .

(٥٣) التجميش : المفازلة بقرص ولعب . لسان العرب المحيط ١:٤٩٨.

دون آثار العشاق ، وكتب الافسانقات من كتاب سيدباد ، وهزار أفسان وأشباههما فانه بهذه الكتب يستأنس ، ويتخرج بهذا أكثر ممايتخرج بها(٥٤) ثم يبلغ بهذه مرتبة العلماء ويحل فى دينه محل الفقهاء ويتقدم فى أهل مملكته وملته ويبرز فى سياسته ، وليس ينال فى تلك الكتب من هذه الابواب الا قليلا ، ولعله أن يتصور مافى تلك الكتب من الافسانقات صدقا ، ويظنه حقا ، فيكون ذلك منه غباوة وجهلا ، وسعى بأصول دينه جاهلا ، وعن فضائل ملته ومحاسنها غافلا ، ثم لا تنفعه تلك الكتب والاسمار فى سياسته وحكومته ، ولا يجد منها معونة على مناظراته فى دينه ومباهاته فى محافلة ونظره فى مظالم رعيته ، وقد قال بعض أهل التفسير فى معنى قول الله : (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) (٥٥) أن شأن هذه الاية أن (النضر) (٥٦) بن كلدة (٥٧) أشترى كتاب كليلة ودمنه فكان يجمع الناس ويقرؤه عليهم ، ويزعم أن هذا ألذ وأحسن بما جاء به محمد ﷺ من أساطير الاولين ، فانزل الله — جل وعز — بالردعليه

---

(٥٤) هكذا فى الاصل .

(٥٥) ٣١ / لقمان : مكية / ٦ .

(٥٦) هكذا بالاصل،وفى كتب التفسير (النضر بن الحارث) تفسير الماوردى ٢٧٦:٣ ، أسباب النزول : ١٩٧ معانى القرآن للفراء ٣٢٦:٢ ، وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣١٥:٦ ، تفسير القرطبى ٥٢:١٤ .

(٥٧) الحارث بن كلده الثقفى ، طبيب العرب فى عصره ، وأحد الحكماء المشهورين من أهل الطائف ورحل الى بلاد فارس رحلتين فأخذ الطب عن أهلها وتوفى نحو ١٣ هـ . طبقات الاطباء لابن جلجل ٥٤ والاستيعاب ٢٨٣:١

بهذه الآية(٥٨) ، وقال النبى صلى الله عليه فى رواية الشعر « ان من الشعر لحكمة »(٥٩) (٤٧/ب) وان من البيان لسحرا »(٦٠) ، وقال :«الشعرديوان العرب» (٦١) ، وقال : (ان من الشعر لحكمـــا) .

قالوا : وقال عبد الملك بن مروان لمـــؤدب أولاده : أرو لهم الشـــعر يسخوا ويمجدوا (٦٢) ، وحكى أنه قال : عجبت لمن روى لعنترة أربعيـــن بيتا كيف لا يكون من أشجع الناس ، وعجبت لمن روى لحاتم الطائى أربعين بيتا كيف لا يكون أسخى الناس ، وعجبت لمن روى للبيد أربعين بيتا كيف لا يكون من أحكم الناس . وروى عن النبى صلى الله عليـــه أنه قال : (من

---

(٥٨) أسباب النزول للواحدى ص ١٩٧ ، وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣١٥:٦ عن ابن السائب و مقاتل : انها نزلت فى النضر بن الحارث وذلك انه كان تاجرا الى فارس ، فكان يشترى أخبار الاعاجم فيحدث بهـــا قريشا ويقول لهم ، أن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود ، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة ، فيستميلون حديثه ويتركون استماع القرآن فنزلت هذه الايـــة .

(٥٩) صحيح ، أخرجه البخارى عن ابى بن كعب ٤٢:٨ فى الادب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز ، الترمذى رقما ٢٨٤٧،٢٨٤٨ ، فى الادب باب٦٩، الدارمى ٢٩٧:٢ ، أبو داود رقم ٥٠١٠ كتاب الادب ، باب ما جاء فى الشعـــر الموطـــأ ٢ : ٩٨٦ .

(٦٠) صحيح ، أخرجه البخارى عن ابن عمر ، صحيح البخارى ١٧٩:٧ فى الطب ، باب ان من البيان لسحرا ، الموطأ ٩٨٦:٢ فى الكلام،باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله ، وأبو داود رقم ٥٠٠٧ فى الادب ، بـــاب ما جـــاء فى المتشدق فى الكلام ، الترمذى رقم ٢٠٢٩ فى البر ، باب ما جاء فى أن من البيان سحـــــــرا .

(٦١) لم أقف عليه كحديث ، وقد وصف بن قتيبة الشعر فقال : اشعر معدن العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها . عيـــون الاخبـــار ٢ : ١٨٥ .

(٦٢) أورده ابن قتيبة فى عيون الاخبار ٢ : ١٦٧ بلفظ « علمهم الشعـــر يمجـــدوا وينجـــدوا » .

روى عنى أربعين حديثا بعث فقيها عالمـــا)[٦٣] .

ولابد لاولاد الملوك مـــن الرياضة بالثقافـــة والرمايـــة والرماحـــة والفروسية والسباق والمراكضة ، حتى اذا بلغ العلم والتفقه فى الدين ابتدأ فيها على الترتيب الذى ذكرنـــا .

ثم يجب أن يجتهد فى اختيار المعلم والمؤدب له اجتهاده فى اختيـــار الوالدة والظئر بل أشد منه ، فان الولد يأخذ من مؤدبـــه من الاخـــلاق والشمائل والآداب والعادات أكثر مما يأخذ من والده ، لان مجـــالسته له أكثر ومدارسته معه أطول ، والولد قد أمر حيث سلم اليه بالاقتداء جملة ، والائتمار له دفعة ، واذا كان هكذا فيجب أن لا يقتصر من المعلم والمؤدب على أن يكون قارئا للقرآن ، وحافظا للغة أو راويا للشعر ، حتى يكون تقيا ورعا عفيفا دينا فاضل الاخلاق أديب النفس ، نقى الجيب ، عالما بأخلاق الملوك وآدابهم ، عارفا بجوامع أصول الدين والفقه ، وافيا بما ذكر أنـــه يحتاج الى من يعلمه على الترتيب ، فان فاته شىء مما ذكرنا فلا يفوتـــه التقى والدين والفقه ، وان كل أدب تحت هذه الخصال على ما بينـــاه فى الباب المتقدم لهذا الباب ولو أن الغلام ينشأ عطلا عن آداب الملوك مؤدبا بهذه الخصال كان استفادته لآدابهم ، وتعلمه لاخلاقهم ، وتعوده لعاداتهم أسهل عليه من انتزاعه من عاداته السيئة بخلاف هذه الخصال .

ويجب أن ينهى غاية النهى ويمنع أشد المنع من مواقعـــة الريـــب ، ومجالسة أهلها من المضحكين والمساخرين ومن لا أدب (٤٨/أ) له مـــن

---

(٦٣) ضعيف ، أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس وابن مسعود . كشـــف الخفـــاء ٢ : ٣٤٠ .

الصبيان ، وأن لا يشتم بين يديه وفى مجلسه وبحضرته أحد ، ولا يتكلم بالخنا والكذب والفحش والقذع ، ومن فعل شيئا من ذلك أدب بحضرته ، وعوقب عليه ليعتبر وينزجر عنه • ثم لا يفتن كل التفتين ولا ينعم كل التنعيم حتى تسترخى مفاصله ، وتضعف منته(٦٤) ، بل يصلب ويخشن أطرافه ، ويؤمر بتعرية اليدين والوجه ، وان أمر بالسباق والعدو يخلى بينه وبين ذلك فى الوقت بعد الوقت ، ويضرب الصولجان راجلا وراكبا ان لم يكن به بأس(٦٥) ، فان ذلك مما يخفف بدنه ويصححه(٦٦) ويهيج فى جسمه الحرارة الغريزية التى تذيب الرطوبة وتنفى كثيرا من العلل الزمانية ويدفع عنه عادة العجز والدعة •

ويؤدب مع ذلك فى جلسته وركبته ولبسته ورزانته ، ويراض بالرياضات التى ذكرناها فى باب سياسة النفس ، ويحسن عنده ، ويؤمر به • وفيما يعرفه الملوك من ذلك ويتكلفه من هذه آداب حسنة وأبيات محموده وكان يقال : من أدب ولده أدبا حسنا أرغم أنف عدوه (٦٧) •

وقال بعض الحكماء لولده : يا بنى تأدبوا فانكم ان كنتم ملوكا برزتم ، وان كنتم أوساطا قدمتم الناس ، وان كنتم فقراء عشتم بفضل أدبكم ، ثم أنشأ يقول :

---

(٦٤) منته : بضم الميم — قوته . لسان العرب المحيط ٣ : ٥٣٥ .
(٦٥) (ان) ، (به) ساقطتان من الاصل .
(٦٦) فى الاصل ، (وتصححه) .
(٦٧) نثر الدر للابى ٤:٢٢٥ ، لباب الاداب ٢٢٨ ، بهجة المجالس ١ : ١٠٩ .

ما يأكل الناس شيئـا مـن مآكلهـم
أحلى وأطيب عقبانا مـن الغضـب
ومـا تلحـف انسـان بملحفـة
أبهى وأزيـن مـن ديـن ومـن أدب

وما أحسن ما صدر به صاحب كليلة ودمنه كتابه حيث قال : « أن أفضل ذخائر الاحداث الادب الصالح ، واقتناؤه فى الحداثة والحفظ واع والقلب فارغ غنم ، والمستفاد فى الصغر باق كالنقش فى الحجر » (٦٨) .

وروى عن عتبة ابن أبى سفيان (٦٩) ، كلاما تقدم فيه الى مـؤدب ولده ، لو لم يكن فى هذا الباب غيره لكان فيه كفاية عن غيره ،ومندوحـة عما سواه ، اذ قال له : « يا عبدالصمد (٧٠) ليكن أول ما تبدأ به من اصلاح بنى اصلاح نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهـم مـا استحسنت ، والقبيح عندهم مـا استقبحـت ، علمهم كتـاب اللـه ولا تستكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروهم من الشعـر أعفة ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم الى علم (٤٨/أ) حتـى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضـلة للفهم ، وتهـددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الرفيق الذى لا يضـع الدواء الا بعـد معرفة الداء ، وروهم سير الملوك ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا يتكلـن

---

(٦٨) كليلة ودمنة ٣٧ مع تغيير يسير .

(٦٩) عتبة بن أبى سفيان ، من خطباء بنى أمية ، أمير مصر ، وليها مـن قبل أخيه معاوية سنة ٤٣هـ مات سنة ٤٤هـ . النجوم الزاهرة ١:١٢٢ــ١٢٤ .

(٧٠) هو عبد الصمد عبد الاعلى الشيبانى ويكنى أبا وهب ، كان يتهـم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال :انه هـو الذى أفسده ، ذكر ذلك الطبرى فى تاريخـه ٧: ٢١١ ، لسـان الميـزان ٥ : ١٨١ ، ١٨٢ .

على عذر منى ، فانى اتكلت على كفاية منك ، وأستزدنى بزيادتك اياهم أزدك ان شاء الله [٧١] .

ووجدنا فى بعض كتب العجم : يكتسب من الأدب الصالح العقل الناقذ ، ومن العقل الناقذ حسن العادة ، ومن العادة الحسنة الطباع المحمودة ، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح ، ومن العمل الصالح رضا الرب ، ومن رضا الرب الملك الدائم . قالوا : ويكتسب من الادب السوء فساد العقل ، ومن فساد العقل سوء العادة ، ومن العادة السيئة رداءة الطبع ، ومن الطباع الرديئة سوء العمل ، ومن العمل السىء سوء القالة وغضب الله ، ومن غضب الله وسخطه الذل الدائم . وقالوا : الادب زينة الاشراف ، ودليل فى (اعتيادهم) [٧٢] على شرفهم ، وعدة لمن سواهم ، وآله للاعمال ، وعون للملوك الذين لا غنى لهم عنه . وقال عبد الله بن المعتز: الادب زينة عقلك ، فزين عقلك كيف شئت [٧٣] وكذلك القول فى كل من : يعنى الملك برياضتهم هذه العناية ، ويريد لهم هذه الرياضة ويرشحهم للملك من أقاربه وخاصته .

ذوو الارحام والاقارب :

وأما جملة الاقارب وذوى الارحام فان الله — جل وعز — أمر بصلتهم وتقريبهم والرأفة بهم ، وبرهم ، فى غير موضع من كتاب الله

---

(٧١) النص فى البيان والتبين ج ٢ ص ٧٣ .
(٧٢) غير واضحة فى الاصل .
(٧٣) التمثيل والمحاضرة ١٥٩ بلفظ «الادب صورة العقل ، فحسن عقلك كيف شئت » .

كتابه ، ، فقال . (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) (٧٤) ، وقال :(والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) (٧٥) • وروى عن النبى ﷺ انه قال : «صلة الرحم زيادة فى العمر »(٧٦) ، وقال : « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » (٧٧) روى عن أبى ذر رحمه الله قال : «أوصانى رسول الله ﷺ أن أصل رحمى وان أدبرن» (٧٨) وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «صلة الرحم ، وبر الوالدين، وحسن الخلق يعمر الديار ، ويكثر الاموال ، ويزيد فى الاجال» (٧٩) • وان كان القوم فجارا فالواجب على كل مسلم أن يصل رحمه وقرابانه بالبشر والتقريب والبر والترحيب والمواساة والمعاونة ، فأما الملوك خصوصا فانهم أحق الناس باقتناء (٤٩/ أ) هذه الفضيلة واجتناء هذه المكرمة ، ولم يزل الفضلاء منهم والعقلاء يأمرون به ويفعلونه ، ويوصون به ، ويمدحونه ويعدونه كرما وعزا ومفخرة وذكرا ، ومباهاة للمناوئين ، واعتضادا على

---

(٧٤) ٣٣ الاحزاب : مدنية ٦ .

(٧٥) ١٣ الرعد : مدنية ٢١ .

(٧٦) صحيح ، أخرجه القضاعى عن ابن مسعود بلفظ «صلة الرحم تزيد فى العمر » مسند الشهاب ١:٩٣ رقم ١٠٠ ، وصحيح الجامع الصغير ٣:٢٤٢ رقم ٣٦٦٠ ، كما رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط والعسكرى وفى سنده « صدقة بن عبد الله » وثقة دحيم ، وضعفه الجمهور . كشف الخفاء ٢ : ٢٩ ، ٤١ .

(٧٧) حسن ، أخرجه البزار عن ابن عباس ، والطبرانى عن أبى الطفيل والبيهقى عن أنس . صحيح الجامع الصغير ٣:٩٠ رقم ٢٨٣٥ .

(٧٨) صحيح ، رواه الطبرانى فى الصغير والكبير . مجمع الزوائد ج٨ ص ١٥٤ .

(٧٩) صحيح ، اخرجه أحمد والبيهقى عن عائشة . صحيح الجامع الصغير ٣:٢٤٢ رقم ٣٦٦١ ، مجمع الزوائد ٨: ١٣٦ ، ١٣٧ .

المخالفين ، ويرتفعون عن ظلمهم وضيمهم ويعدونه لؤما ودناءة وسوء تدبير ، وقال فى ذلك حاتم الجود :

وما من شيمتى شتم ابن عمى
وما أنا مخلف من يرتجينى (٨٠)

وقال آخر (٨١) :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساع الى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه
وهل ينهض البازى بغير جناح (٨٢)

وقال بعض قرابات المهلب يستبطئنه ويستزيده (٨٣)

جفانى الامير والمغيرة مثله
وأمسى يزيد لى قد أزور جانبه
وكلهم قد نال شبعا لبطنه
وشبع الفنى عار اذا جاع صاحبه

---

(٨٠) البيت لحاتم الطائى ورد فى لباب الاداب ص ٣٢٤ .
(٨١) البيتان لمسكين الدارمى ، واسمه ربيعة بن عامر ، مات سنة ٨٩ خزانة الادب تحقيق عبد السلام هارون ٣:٦٩ ، والامثال لابى عبيد ١٨١ ، كتاب سيبويه ١:٢٥٦ ، وفصل المقال ٢٦٩ .
(٨٢) عيون الاخبار ٣:٢ ونسبه الى ابراهيم بن هرمة ، وفى حماسة البحترى ٢٤٥ نسبة الى قيس بن عاصم .
(٨٣) عيون الاخبار ٣ : ٩٠ من قول بشر بن المغيرة بن أبى صفرة الى عمه .

فيـــا عم مهـــلا واتخـــذنى لنبـــــوة

من الدهر ان الدهـــر جـــم نوائبـــه

أنـــا السيف الا أن للسيـــف نبـــوة

ومثلى لا تنبـــو عليك مضاربـــة (٨٤)

قال الشافعى (٨٥) لبعض قراباته مستزيدا لـــه :

اذا كان ذو القربـــى اليـــك مبعـــدا

ونال الـــذى يهـــوى لديـــك بعيـــد

تباعـــد عنك الاقربـــون لشأنهـــــم

واشفقت أن تبقى وأنت وحيـــد (٨٦)

وقال بعض قرابات يحيى بن خالد (٨٧) وكان قد ناله منه اعـــراض وجفـــــوة :

تصول عـــلى الادنى وتجتنب العـــدى

ومـــا هكـــذا تبنى المكارم يـــا يحيى

وكنت كفحل السـوء يبـــدأ بأمـــه

ويترك باقى الخيـــــل ســـائمة ترعى

حاجة الخـــدم والحشـــم :

---

(٨٤) عيون الاخبار ٣:٩٠ ، التبريزى ١:١٤١ ، والتذكرة السعيدية ١٠٧.

(٨٥) هو محمد بن ادريس الشافعى ، ولد بغـــزة سنة ١٥٠ ، لـــه : الرسالة فى أصول الفقه والام ، «وجماع العلم» فى الفقه وغيرهما ، مات بمصر ٢٠٤هـ ، سير أعلام النبلاء ١٠:٥—٩٩ ، والانتقاء ٦٦،٦٧ ، والمذاهب الاربعة لتيمـــــور ٤١ .

(٨٦) حسين بن عبد الله : الجوهر اللماع ص ٦٣ وفيه «تفرق» بدلا من «تباعد» فى البيت الثانى .

(٨٧) يحيى بن خالد بن برمك يكنى أبا الفضل ، مؤدب الرشيد ، وكـــان اليه خاتمه بعد أن ولى ، ثم كانت نكبة البرامكة ، فقبض عليه وسجن فى الرقة=

فأما حاجة الخدم والحشم : فلا بد لهم من أن يكون فى دار الملوك من المؤدبين والمعلمين من يعلم الغلمان والخدم والفتيان والحشم مما يحتمله حال واحد منهم من القرآن والدين ، ويذكرهم فى الوقت بعد الوقت بالله ، ويعرفهم أصول الدين والشرائع ، واقامة الصلوات بتمام طهورها وركوعها ، وسجودها ، ويفسر لهم نوافلها ، وفروضها ، ويعرفهم محاسن الاخلاق ، ومحامد الافعال ، ويعظهم ويذكرهم ، ويخوفهم بالنار ، ويدعوهم الى الجنة ودار القرار (٤٩/ب) ويحثهم على الجهاد • ثم يمنعهم من الفساد وسوء الاداب وارتكاب ما حرم الله من الكبائر كالزنى والقذف ، فمن ارتكب منهم ذنبا على السهو والغفلة فالوجه فيه الاعراض والتغافل ، ومن ارتكب صغيرة دون ما يجب فيه لله حد أو يعود على المملكة والدين بفساد ، فالوعظ والنكير والترغيب والتنفير ، فان تاب عنه وتركه وأناب فالصفح والعفو عنه ، فان عاد فالعقوبة والتنكيل على اللجاج والاصرار ، على مقدار الجناية والذنب •

وان كان الملك من يحتسب فى أمر الدين خاصة ، فان الواجب فى السياسة أن يكون معه وبحضرته وفى داره من أهل التوحيد والفقه فى الدين من يعلمهم أصوله ويقف بهم على جوامعها ، ويزيد من رأى فى طبعه قبولا للزيادة ، ويرجو منه صلاحا للاستفادة •

تقويم الخاصة :

ويجب أن يستعان على تقويم كافة الخاصة بخصال عشرة :

= الى أن مات سنة ١٩٠هـ مروج الذهب ٢:٢٩٣ ، معجم الادباء تحقيق مرجليوث ٧:٢٧٢ — ٢٧٥ ، وفيات الاعيان تحقيق محمد محيى الدين ٦ : ٢٦٥—٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٨٩ — ٩١ •

أولهن ، أن يظهر لهم خاصهم وعامهم وأقصاهم وأدناهم أن لا يرضى منهم الا ما يرضاه من نفسه من الاخذ بهذه الخصال المعدودة المذكورة ، أو ما تبلغه منها طاقة كل واحد منهم •

والثانية ، أن يدر عليهم أرزاقهم وجراياتهم ووظائفهم وعطياتهم حتى لا تتأخر عن أوقاتها ، ويوسعها عليهم توسعة تغنيهم عن حيف (٨٨) الرعية والطمع فى أموالها ، ويكفيهم مهمهم من أمر دوابهم وخيلهم وخدمهم وسلاحهم وكراعهم (٨٩) ، ويكون تقديرهم فى ذلك تقديرا حسنا متوسطا بين الاسراف والتقتير ، فان فى ذلك أبوابا من الصلاح واللخير تعود بانتظام أحوال المملكة وراحة الراعى والرعية •

والثالثة ، أن لا يقدم أحد منهم قفزا ، ولا يرفع منه وضيعا ، ولا يؤخر أحدا ولا يضع له قدرا الا على الاستحقاق فى قديمه أو بلاء فى نفسه أو كفاية أو غنى ، لا ميلا الى هوى ولا حيفا على أحد ،فانهم اذا عرفوا ذلك تنافسوا فى أبواب القربة ، وتشاحوا على حسن الطاعة ، وتسارعوا فى البلاء والكفاية ولا يستزيد المبلى منهم — على قدر بلاءه — زيادة ولا يطمع فيما ليس له مقصرا فاذا كانا عاقلين ، صار لكل (واحد)(٩٠) من الملك راضين وبمراتبهم قانعين •

والرابعة ، أن لا يسوغ لاحد منهم شيئا من ظلم الرعية (٥٠/أ) قلك

---

(٨٨) حيف : ظلم ، وجور . لسان العرب المحيط ١ : ٧٧٠

(٨٩) الكراع : هو كل ما يلبسه الانسان من دون الركبة الى الكعب ، وفى الدواب ما دون الكعب . لسان العرب المحيط ١ : ٢٤٥ ، وقد وردت بمعنى (الخيل) . العقد الفريد ١ : ٩٣ .

(٩٠) يستقيم المعنى بدونها .

أو كثر ، ويعلمهم الملك ذلك من رأيه كتابا وشفاها واستعمالا ، ويعرفهم أنه لا فرق بينهم وبين سائر الرعية فى أحكام الله وقضاياه ، وأن ذلك فرض من الله لا يحتمل تغييرا ولا تبديلا ، ولابد فى الدين من بذل النصفة والمعدلة والتسوية بين الشريف والوضيع ، والاقصى والادنى ، فان ذلك مما يردعهم من ظلم الرعية وأضطهادها ، وان فى ظلم الرعية العقوبة فى الدنيا والآخرة ، وقبح الاحدوثة وازدراع العداوة والبغضاء فى ضمائرهم ، وتخريب المملكة وأخلاءها من أهلها وأطماع العدو فيها واستبداد كثير من الخاصة بالمملكة والولاية ، وفى ذلك سقوط المهابة ، وتفرق الكلمة • مع أنه اذا جرت هذه العادة فى خدم الملوك صعب انتزاعها منهم الا بتدريج وترتيب ، وعناية شديدة ، ورفق كثير ، واستبدال بهم جملة وفيه خطر عظيم •

والخامسة ، أن يستعمل فيهم العفو عن صغائر ذنوبهم ، وما يقع سهوا وغفلة وخطأ من جرائمهم ، ولا يعمل على أن يأخذ بكل زلة أو يعاقب بكل علة ، ويشفى كل غيظ ، فان ذلك أبلغ فى المكرمة ،وأولى بذوى الرفعة والمقدرة ، وأبقى للاحسان والصنيعة ، وأقرب من ازدراع المحبة، ونفى الوحشة والبغضة واستعطاف ذى الجرمة ، وأحق من استعمل فيهم الملك هذه الخلة خدمة الذين يصول بهم على أعدائه ، ويرتبطه [٩١] لصلاح الرعية وعمارة مملكته ، ويأتمنهم على مهجته وتمام هذا الكتاب فى خلال ست :

أولها : أن يبحث عن مذهب الخاصة وما يرتكبونه من الذنوب

---

(٩١) هكذا في الاصل والاصوب (يرتبط بهم) .

والمعاصى ، ويطلع عليهم حتى يعلم •

والثانية : أن يتغافل عما يجوز التغافل عنه كأنه لا يعلم •

والثالثة : أن يقتصر بالعقوبة على أدنى ما يكتفى به منها ، ويرجى معه الردع والتقويم •

والرابعة : أن يحتال العفو ولا يحتال التعاقب ، ما لم يبلغ ذلك كبيرة فى الدين أو فسادا فى الملـــك •

والخامسة : أن يستأنى بالعقوبة ويؤخـــرها ، ما لم يجـــرمن ذلك اهمالا واضاعة وتجرئة واهدارا ليتوب مذنب أو يثـــوب مجرم ، أو يدلى متهم بحجة ، أو يأتى برىء بمعذرة •

والسادسة : أن لا يحابى (٥٠/ب) فى حد من حدود الله ان ارتكبه مرتكب ، واستوجبه مستوجب حتى يعاقبه به ، ويقيمه عليـــه •

فان ذلك كله من أدب الله الذى أدب به فى خلقه ، وأوصافـــه التـــى وصف بها نفسه يقول الله ــ جل وعز ــ فى أول هذه الفضائل : (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٩٢) • ويقـــول : (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) (٩٣) • ويقول : لنبيه صلى الله عليه (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) (٩٤) ويقول: (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (٩٥) ويقول فى العفو عن صغائر الذنوب وما يقـــع منها على غير تعمـــد : (إن

---

(٩٢) ٥٠ / ق : مكية / ١٧ ، ١٨ .
(٩٣) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٩ .
(٩٤) ٧ / الاعراف : مكية / ١٩٩ .
(٩٥) ٢٤ / النـــور : مدنية / ٢٢ .

تجتبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) (٩٦) ، ويقول : (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكـــم) (٩٧) ويقول فى تأخير العقوبة : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) (٩٨) .

وقال النبى ﷺ : (أدرؤا الحدود بالشبهات) (٩٩) ، ويقول الله (يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصـــدور)(١٠٠) ، ويقـــول : (فانه يعـــلم السر وأخفى) (١٠١) .

ويقول : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هـــو سادسهم) (١٠٢) ، ويقول فى المعاقبة عند تحقق الكلمة وظهور المفســـدة : (فلما آسفونا انتقمنا منهم) (١٠٣) ، ويقول : (ففسقوا فيها فحق عليهـــا القول فدمرناها تدميرا) (١٠٤) .

فالواجب على الملك الفاضل الاقتداء بالله ـــ جل ذكره ـــ فى هـــذه

---

(٩٦) ٤ / النساء : مدنية / ٣١ .
(٩٧) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٢٥ .
(٩٨) ٣٥ / فاطر : مكية / ٤٥ .
(٩٩) ضعيف ، رواه الحارثى فى مسند أبى حنيفة عن ابن عباس مرفوعا وأخرجه ابن السمعانى عن عمر بن عبد العزيز ، وقال الحافظ ابن حجر:فىسنده من لا يعرف..المقاصد الحسنة ص٣٠وكشف الخفاء٢:٧٣،واخرجه ابن عدىفى جزء له من حديث اهل مصر والجزيرة عن ابن عباس واخرجه مسدد فى مسنده عن ابن مسعود موقوفا ضعيف الجامع الصغير ١ : ١٧ رقم ٢٥٨ .
(١٠٠) ٤٠ / غافر : مكية / ١٩ .
(١٠١) ٢٠ / طه : مكية / ٧ ، فى الاصل : انـــه .
(١٠٢) ٥٨ / المجادلة : مدنية / ٧ .
(١٠٣) ٤٣ / الزخرف : مكية / ٥٥ .
(١٠٤) ١٧ / الاسراء : مكية / ١٦ .

الخلال كلها ، والائتمار بأمره فى هذه الخصال ، مالـم يرتكبوا الحـدود وتابوا عما[١٠٥] يعود المعفو عنه بفسـاد الدين والملك ، فاذا فعـلوا ذلك فالواجب عليه اقامة الحدود ، وامضاء القصاص والقود والاحالة علـى الله ـ جل ذكره ـ وعلى الديانـة .

فان فى ذلك ابلاء المعذرة ، وقطع أطماع الخاصة والعامة والحاشية والدواهى المعارضة ، ولا يمنعن الملك من ذلك ابقاء على خدمه وقرابته أو محاباة لخاصته (وحامته) [١٠٦] فان الابقاء عليهم فى ذلك ترك للاتقـاء ، واصلاحهم بترك الحدود الواجبة افساد ، يقول الله جل وعـز : (ولكـم فى القصاص حياة يا أولى الالباب) [١٠٧] . وقد ضرب عمر بن الخطاب ابنه الحد (٥١/ أ) على شرب الخمر فمات فيه ، ثم دخل عليه فى مرضه عائدا فقال : يا ابت قتلتنى . فقال : اذا لقيت ربك فأخبره بـأن عمـر يقيـم الحدود [١٠٨] ، وقد قال فى ذلك بعض الشعراء فأجـاد :

وان يـدا بالداء قد طـال سقمهـا

وقد خيـف منهـا الداء أن يتقـدما

---

(١٠٥) فى الاصل (ما) وما أثبتناه هو الاصـح .
(١٠٦) هكذا فى الاصل والاصوب (حاشيته) .
(١٠٧) ٢ / البقرة : مدنية / ١٧٩ .
(١٠٨) الغزالى : نصيحة الملوك ص ٥٦ ، وقارن ابن جـوزى : سيرة عمر بن الخطاب ص ١٦٧ قال : لا ينبغى أن يظن بعبد الرحمـن أنـه شرب الخمر وانما شرب النبيذ متأولا ، يظن أنه الشرب منه لا يسكر .. فلماخـرج الامر الى السكر طلب التطهير بالحد .. وأما كون عمر أقام الحد على ولـده فليس ذلك حدا ، وانما ضربه غضبا وتأديبا فالحد لا يكرر .. وقد لبث عبد الرحمن شهرا صحيحا ، ثم أصابه قذرة فحسب عامة الناس بأنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده ..

لمحقوقة بالقطـــع كـــى لا تغمـــــه

ويفلـــت مـــن آفاتهـــــا فتسلمـــــا

وقد قال فى ذلك بعض الملوك الحزمة : واعلموا أن الوالى قد يفســـد بعض الرعية من حرصه على صلاحها ، وقد يغلط عليها من شدة رفقه بها، ويقتل فيها من حرصه على حياتها •

وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : اجر الحلم على الخاصـــة العامة بالسواء ، واعلم أن فى صلاح الخاصة صلاح العامة •

وقال : كن رؤوفا رحيما ، ولا تكن رأفتك ورحمتك فسادا لمن يستحق العقوبة ويصلحه الادب(١٠٩) •

وقال : أى ملك سوى فى الحكم بين أصحابه حمد وســـلم •

وحكى عن بعض قدماء الملوك قال : انى لا أجهـــل فضـــل العفو ولكن ليس على الحدود •

وفى كتاب كليلة ودمنة من هذا الباب كلمات كافية ، قال : فى بعـــض قصصها :

« ان الملك قد يموت من قبل هذا المجرم ، ووجل أن تكون قد شبه عليه ورأى الفحص عنه ، فمن كان عنده من ذلك علم فليذكره ولا يكتمه، لخصال ثلاث :

منها : الشهادة لله بما علمتم ، فان الكاتم لعلمـــه فى مثله مشترك فى حـــوبه(١١٠) •

---

(١٠٩) نزهـــه الارواح ١ : ٢٠٠ .

(١١٠) الحوب : الاثم . لسان العرب المحيط ١ : ٧٤٦ .

ومنها : أن عقوبة المجرم بجرمه مقمعة لاهل الريبة ومصلحة للملك والرعيـــة •

ومنها : أن نفى الاشرار من الارض زيادة فى عز الدين وبهاء الملك ، وصلاح للرعية ومحق للاحقاد(١١١) •

وأن يكون القضاء فى ذلك على الحق واليقين،لا على الهوى والظنون•

والسادسة : أن لا يدعهم أياما طويلة وأوقاتا متتابعة فراغا لا شغل لهم غير الراحة والاكل والشرب والدعـــة ، حتى يصرفهم فى شغل تحمـــد عاقبته ، وتجدى عائدته على المملكة والديانة بجهة من الجهات من غـــزو أو جهاد أو مثاقفة أو سباق أو رماية ، أو رشاق ، أو خدمـــة أوتعلمشـــىء من الادب والخير ، فان الراحة الطويلة والخفض والدعة والاكباب عـــلى النعمة يرخى مفاصلهم ، وينعم (٥١/ب) ابدانهم ، ويثقل أجسامهـــم ، ويعودهم العجز والفشل والضعف والكســـل •

ثم عند الفراغ الطويل يذكـــرون فنـــونا من الفســـاد ، من الشرب الكثير ومن العربدة والقتل والجرح والشتم •

وقديما قال الشاعـــر (١١٢) :

ان الشبـــاب والفـــراغ والجـــده
مفســـدة للمـــرء أى مفســـدة (١١٣)

---

(١١١) كليلة ودمنه ١٠٣ ، ١٠٤ .

(١١٢) هو أبو العتاهية واسمه اسماعيل بن القاسم ، مات سنة ٢١١هـ ويرمى بالزندقة مع كثرة اشعاره فى الزهد والمواعظ وذكر الموت والحشر والنار والجنة ، وكان يلعب بالشعر لعبا .

(١١٣) ورد البيت منسوبا الى أبى العتاهيـــة فى نهايـــة الارب ٣:٨٠ واستبدل كلمة (للمرء) ـــ (للدين) .

انظر فى ترجمتـــه الشعـــر والشعراء ٧٩٥ ـــ ٧٩٩ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٢٧ ـــ ٢٣٤.

وقد قيل : لا ينبغى للعاقل أن يفنى عمره الا فى احدى ثلاث :بمرمه لمعاشه ، أو خطوة لمعاده ، أو لذة فى غير محـــرم (١١٤) .

على أن الحكماء الحزمة من كل فرقة قد استخفوا بالضرب الثالـــث وذموا من جعل اللذة أكبر همه وأكثر شـــغلة ، حتى قال الشـــاعر(١١٥) فى ذلـــك :

انى وجـــدت من المكـــارم حسبكـــم
أن تلبســـوا خـــز الثيـــاب وتشبعوا
فـــاذا تذوكـــرت المكـــارم مـــرة
فى مجلس أنتـــم بـــه فتقنعـــوا

وقـــال آخـــر :

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا
واقعد فأنت لعمرى الطاعم الكاسى(١١٦)

وقالوا : انما يحتاج الى المطاعم والمناكح ما يقيم القـــوة ، ويبقـــى

---

(١١٤)مرمة المعاشة : السعى فيه بما يصلحه ويقيمه . والنص فى الحكمة الخالدة لمسكوية ٧٢ وينسبه الى حكم الفرس ، وحليةالاو لياء ١٦٧:١ .

(١١٥) ورد فى كتاب الامثال لابى عبيد القاسم بن سلام ص ١٦٨ دون نسبة وفى شرحه للبكرى (فصل المقال) ٢٥٠ ، ٢٥١ نسبة الى عبد الرحمن ابن حســـان .

(١١٦) من قول الحطيئة فى هجاء للزبرقان ، ديوانه ٢٨٤ ، والاغانـــى ١٨٥:١ ، والامثال لابى عبيد القاسم ١٦٨، ٣١٣ . وعيـــون الاخبار ٢٣٦:١ ، و٢ : ١٩٥ والايجاز والاعجاز ٤٠ ، والشعر والشعراء ٣٣٤ ، ونهاية الارب ٢٩٨:٣ ، وطبقات الشعراء للجمحى ٤٠ ، وشرح المضنون به على غير اهـــل بيت ١١٢١ ص ٤٨٢ ، والمتع ٣٥٣ ، وحماسة الظرفـــاء ١٧٩:٢ ،التمثيـــل والمحاضرة ٦٣ ، وبدلا من جملة (فأنت لعمرى) جملة (فانك انت) .

النسل ، ويجب أن يكون الفضل مصروفا الى القسمين الباقيين ، واستخف الزهاد المتبتلون بمرمى المعاش الا اذا كان فيها خطوة للميعاد ، والا أوجبوا أن يكون السعى كله لدار البقاء والقرار دون دار النقلة والزوال .

(قال) : [١١٧] وقد قيل لبعض الحكماء ما الفرق بينك وبين العامة ؟ قال : أنهم يعيشون ليأكلوا وآنا آكل لاعيش ، ولذلك ما صدر به صاحب كتاب كليلة ودمنة كتابه بأن قال : تقسمت الناس أربع : الرغبة فى المال، والشهوة للذات ، والطلب للذكر ، والعمل للمعاد [١١٨] . والثلاث وشيكة الفناء باقية التبعة ، والرابعة تنتظم الثلاث بلا تبعة ، ولا غنى كالرضا ، ولا لذة كالتقوى ، وما يعجل من فرح البشرى ، ولا ذكر أشرف من طاعة الله التى أخافت من صاحبها كل شىء ، وخاف من عدمها كل شىء .

والسابعة : أن يختص من بعضهم خواص لمشاورته ، ويشركهم فى (مستشاريه) [١١٩] ويكونون واسطة بينه وبينهم ، وأعوانا له على باقيهم وعيونا عليهم أن أحدث محدث أو كاد كائد ، ثم لا (٥٢ / أ) يفعل ذلك بمن فعل به منهم الا بعد امتحان وتجربة وابتلاء وظهور نصيحة وشفقة وعفة وأمانة ومساهمة ومشاركة وكتمان للسر ، ووفاء له ولن تقدمت صحبتهم له ، فعلى هذا جرت السنة ، واستمرت العادة فى كل نبوة وديانة ومملكة وعمارة احتيج فى اقامتها الى جنود وجيوش ، ولا يستقيم شىء منها الا بعد تدريج وترتيب ، وتحويل من درجة الى أقرب الدرج منها ، فان ذلك أشبه بأدب الله وادل فى الاخذ عنه فى مواترته العصم والتوفيق

---

(١١٧) يستقيم المعنى بدونها .
(١١٨) كليلة ودمنه ترجمة عبد الله بن المقفع ٤٧،٤٨ .
(١١٩) غير واضحة فى الاصل .

والمثوبة والتأييد • والمعرفة بما لا يصلح المرفوع والمريد ويصلح به ، فقد قال الله فى أول هذه القضية (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)(١٢٠) ، وقال : (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) (١٢١) • وقال : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) (١٢٣) • وقال : (يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) (١٢٣) • واختار النبى ﷺ من صحابته لوزارته ومشاورته جماعة ، واختار لبيعة الرضوان نفرا من أصحابه ، ولخدمته جماعة ، ولقيادة الجيش جماعة ، ولرسائله وكتابته عدة ولاستخلافه على الاعمال جماعة ، واختار للامامة بعده نفرا قد سماهم فقال : (ان استخلفتم أبا بكر وجدتموه قويا فى دينه ، ضعيفا فى بدنه ، وان استخلفتم عمر وجدتموه قويا فى دينه قويا فى بدنه ، وان استخلفتم عليا وجدتموه هاديا مهديا) (١٢٤) •

وقد فضل الله مع ذلك بعض ملائكته على بعض ، فبالله وملائكته ورسله قدوة وأسوة •

الثامنة : أن يتعهد فشو الفسوق وشرب الخمور والميسر فى عسكره

---

(١٢٠) ٢٢ / الحج : مدنية / ٧٥ .
(١٢١) ٥ / المائدة : مدنية / ١٢ وفى الاصل : (أخذنا) .
(١٢٢) ٧ / الاعراف : مكية / ١٥٥ .
(١٢٣) ٧ / الاعراف : مكية / ١٤٤ .
(١٢٤) رواه البزار ، وفيه أبو اليقظان عثمان بن عمير ، وهو ضعيف ، مجمع الزوائد ٥:١٧٦ ، وقد رواه البزار عن على بن أبى طالب برجال ثقات بلفظ عن على قال يا رسول الله من نؤمر بعدك ؟ قال « ان تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة ، وان تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا تأخذه فى الله لومة لائم وان تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم » كما أخرجه أيضا أحمد والطبرانى فى الاوسط مجمع الزوائد ٥:١٧٦ .

فيغير من ذلك ما كان مكروها فى الدين ، فقد أمر الله بغير موضع من كتابه ، وقد تلونا منها آيات فيما تقدم من كتابنا ، وروينا عن النبى ﷺ أنه قال : (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى وقدروا أن يغيروا فلم يغيروا الا عمهم الله بعذاب) (١٢٥) . وقال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو أخياركم فلا يستجاب لهم)(١٢٦) . هذا بعد قول الله تبارك اسمه : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم (٥٢/ب) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (١٢٧) .

وفيما كتبه أرسطاطاليس الى الاسكندر : انكر الفجور فان فشوه يهلك الامة ، وهو من خواص الدواب الدنية (١٢٨) .

وقال : تفقد ظهور الفجور والسكر فى عسكرك فان هذين مفتاح الضعف ، وفيهما هتك القوة .

وأقول : قد جرب هذا المعنى فى غير واحد من عساكر الملوك فوجد

---

(١٢٥) حديث صحيح ، أخرجه الامام أحمد بن حنبل وأبى دواد وابن حبان وابن ماجه عن جرير صحيح الجامع الصغير ٥:١٧٦ رقم ٥٦٢٥ ، مشكاة المصابيح رقم ٥١٤٢ .

(١٢٦) حديث حسن ، رواه البزار والطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة ضعيف الجامع الصغير ٥ : ٨ رقم ٤٦٥٣ .

(١٢٧) ٥ المائدة : مدنية ٧٨ ، ٧٩ و (فعلوه) ساقطه من الاية فى الاصل .

(١٢٨) السياسة فى تدبير الرياسة ص ٧٦ بلفظ «يا اسكندر ، تجنب مساعدة الشهوات فانها تهلك ، لان الشهوة تنتج الميل الى تبليغ النفس البهيمية نفسها من غير روية » .

الامر على ما قال ، أعنى أن ظهور الفجور كان أمارة لوشك البوار وقـرب الهـــلاك •

والتاسعة : هى أن يلين جانبه ، ويخفض جناحه فى بعض الاوقات لهم ، ويبسط كنفه لاقصاهم وأدناهم وخاصهم وعامهم ، ويسهل لهم الاذن فى الدخول عليه ، ورفع الحوائج فى الوقت بعد الوقت اليه ، ولا يحتجب عنهم احتجابا يورث الوحشة ، ولا يتطاول عليهم تطاولا يوجب البغضة ويدل على الخيلاء والنخـــوة •

والعاشرة : أن يتعهد مرضاهم وزمناهم [١٢٩] وأيتام موتاهم وورثتهم الضيع ، وابدال ما ينفق فى وقائعه من دوابهم ، ويتلف فيها من كراعهـم وسلاحهم ، وأموالهم ، فانهم اذا عرفوا ذلك ، ووثقوا به جادوا بأنفسهم وما معهم من ذلك ، واذا وثقوا بخلاف ذلك ضنوا بمـا حصل فى أيديهم ، وتأخروا عن مهالكهم شفقة على أهليهم وأولادهم • وهذا أدب من أدب الله ــ عز وجل ــ وفيه قدوة به ، لان الله تعالى يقول فى ذلك : (بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفـــار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديـــا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) [١٣٠] • فليس لاحد عندنا ينفق نفقة أو يسعى فى سبيل الله سعيا صغيرا أو كبيرا الا عجل الله لـــه ثوابا من الخلف والمدح والتوفيق واللطف ، وأجزل له ثوابا من المغفـــرة

---

(١٢٩) زمناهم : هم كبار السن والمصابون بأمراض وعاهات مزمنـــة • لسان العرب المحيط ٢ : ٤٩ •

(١٣٠) ٩ / التوبة : مدنية / ١٢٠ ، ١٢١ •

والرحمة ، ويعتاض الجنة مالم يحبط أجره بجريرة من كفر أو كبيـــرة .

وكان النبى ﷺ يقول فى خطبته : (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ،من ترك مالا فلاهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فعلى والى) (١٣١) .

ولقد قال خطيب وفد لسليمان بن عبد الملك : لقد حببت الينا الحياة وهونت (٥٣/أ) علينا الموت ، فانا نرجوك لمن تخلف من أعقابنا (١٣٢) وكذلك ما قال بعض الشعـــراء :

لولا أميمة لم أجـــزع مـــن الهـــرم

ولم أقاس الدجى فى حندس الظـــلم

وزادنى رغبـــة فى العيش معرفتـــى

ذل اليتيمة يجفوهـــا ذوو الرحـــم

أحاذر الفقـــر يومـــا أن يلـــم بهـــا

فيهتك الستر عن لحم على وضم (١٣٣)

وقد قال ذلك أرسطاطاليس : وابذل الاموال عند حاجة من يحتـــاج الى معونته (١٣٤) .

فى شروط معاونو الملـــك :

ثم لابد للملك مع ذلك من الاستعانة بالاخص والاخص من خـــدمه

---

(١٣١) صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم واحمـــد والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة صحيح الجامع الصغير ج٢ ص ١٤ رقم ١٤٦٧ .

(١٣٢) عيون الاخبـــار ١ : ١٠٦ .

(١٣٣) عيون الاخبار ٣ : ٩٤ ولم ينسبـــــه .

(١٣٤) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٧٨ مع اختلاف لفظى «ثم يتصفح رقاعهم ويقضى حوائجهـــم » .

فى مهمات أعماله ، من جباية أموال المملكة ، وتفريقها على الجيوش ، وفى سبيل الحقـــوق •

ولابد فى اقامة المملكة والولايات العظيمة من وزراء وخلفاء وكتاب وأصحاب جيوش ، وعارضين ، وأصحاب شرط ، ونقباء ، وأصحاب جرس وأصحاب أخبار ، ووكلاء ، وقضاة ، فليجتهد الملك فى أختيار هذه الطبقات من أهل الكفاة والاستقلال والشهامة والامانة والعفة والديانة والعقـــل والاصالـــــة •

فمن هـــذه الخصال ما يحتـــاج اليـــه فى بعض دون بعض ، فمـــن الخصال التى يحتاج الى أن تعم الجميع : الديـــن والعقل ، والامانـــة ، والكفاية ، والاستقلال بما يعصب به ويفوض اليه ، لان منهم من يأتمنه الملك على دمه وروحه ، ومنهم من يأتمنه على خدمه وحرمه ، ومنهم مـــن يأتمنه على سره ومشورته العظيم خطرها الجليل قدرها ، ومنهم من يأتمنه على دينه وآخرته ، ومنهم من يأتمنه على أمواله وخزائنه ، فمن لم يكـــن له دين يحجزه عن ارتكاب الخيانة كانت الامانة منه معلقة برغبـــة حاضرة أو رهبة معجلة ، ولا يبعد أن تزول معهما اذا زالتا ، ويميل معهمـــا اذا مالتا ، وربما حملته سوء العادة على مخالفة شرائط الرغبـــة والرهبـــة ، وتعدى حدودها ، والاستخفاف بها ، واذا لم يكن له أمانة خـــان ، واذا خان فى مثل هذه الامور ، ربما عاد بضرر شامل أو فساد مستأصـــل •

واذا لم يكن عاقلا فربما أراد أن ينفع فيضر ، ويحفظ فيضيـــع ، ويزين فيشين ، ويحسن فيقبـــح •

واذا لم يكن فيه كفاية بما فوض اليه وعصب بـــه ، ضـــاع الامـــر

وانتشر • ثم هؤلاء من يجب أن يكون الغالب عليه فى أبواب فضائله الاصالة وحسن التدبير والتقديـــر (٥٣/ب) وجودة القريحـــة والبديهة وحســـن الاستدلال بالشاهد على الغائب ، وبالماضى على الاتى ، ثم لكل باب من الرسوم السلطانيـــة •

ومنهم من يحتاج الى : فضل معرفة بالادب واللغة وحسن الخط والبيان فى اللفظ ، وسهولة اللقاء وجودة القريحة ، وهو الكاتب •

ومنهم من يحتاج منه الى : : فضل معرفة بالحساب ، وعمل الدخل والخرج ، وهم الوكلاء وجباة الاموال من الكتاب •

ومنهم من يحتاج منه الى : شجاعة وجلادةو شهامة وبسالة ودربة بالوقائع وممارسة لها ، وهم الاساورة واصحاب الجيوش •

ومنهم من يجب أن يكون الغالب عليه : العلم والفقه والديانة والعفة والامانة (والرماية) [١٣٥] والدراية والعدالة والصيانة والمعرفة بالاحكام والحدود والفرائض والشروط ، وهو القـــاضى •

فعلى حسب ذلك يجب أن يختار الملك ولاة أعماله ، وجباة أمواله •

وليعلم أنه ليس يجد من يكمل بكل فضيلة ، ويبرز فى كل منقبـــة ،

---

(١٣٥) هكذا بالاصل ويستقيم المعني بدونهـــا •

ولكنه يختار لكل عمل من هو أصلح له ، وأسد لمسده[١٣٦] ، وان كان فيه تخلف أو تقصير من جهات أخر ، فانه لا يجد مهذبا لا عيب فيه ، وكاملا لا نقص معه ، واذا لم يستعمل ذوى المعايب ضاعت الامور وتعطلت .

فى تقويم معاونى الملك :

ثم ينبغى للملك أن يستعين على تقويم هؤلاء بعد حسن الاختبار والاصالة فى الاستعمال بخصائص خمس :

أولها : أن يتقدم اليهم جميعا بالعدل والانصاف ، ولزوم فرائض الشريعة ، وحدود الملة ، وتقديم الوعيد — النار — على من تعدى فيه أو ظلم أو ضام أو غشم ، كما يقدم اليه باستيفاء ما يجب له على الرعية ، والاستقصاء عليها ، ولا يطلق لاحد كسرها ، ولا يسوغ لاحد منهم أخذ درهم واحد من غير حقه ، فانه اذا اطلق ذلك له أطلق هو لمن تحت يده فان لكل عامل عاملا ، ولكل صاحب صاحبا ، يطمع منه فى مثل ما طمع هو ممن فوقه ، فاذا كان كذلك صار القليل من ذلك كثيرا ، فأضر ذلك بالرعية ولم ينفع الراعى بل ربما ازداد ذلك كثيرا حتى يكثر فيحيف بها فتهلك ، ويكون فى هلاكها هلاك ملكها ووليها ، لان بيوت الرعايا وأبدانهم معادن ومزارع لبيوت أموال الرعاة وأصول لها ، فاذا خرب الاصل خرب الفرع واذا انقطعت المادة (٥٤/أ) من المعدن والاصل ذهب ما فى بيوت الاموال وفنى ، ومثلوا ذلك مثال جداول تفضى الى بركة ، فاذا انقطع ماؤها لم يلبث ما فى البركة أن يقل ويفنى لاسيما اذا كان الخروج منها دائما والمستقون كثيرين ، ولاشىء أقطع لسبل الاموال من الخزائن وبيوت الاموال من الجور والظلم وتعدى الحق والرسم ، وقد وقع بذلك عبدالله

---

(١٣٦) أسد لمسده : أجدر على القيام بمهام عمله أكثر من غيره .

ابن طاهر [١٣٧] فقال : الخراج عماد الملك ، فما أستدر بمثـــل العدل ولا استنزر بمثل الجـــور [١٣٨] .

وفيما أوجب الله ــ جل وعز ــ على عباده من الزكوات والصدقات أعظم شاهد ، وأبين دليل وأحسن مثال ، لان الله ــ جل وعز ــ لم يوجب عليهم مما ملكهم من الاموال الا جزءا من أجزائها ، والعشر مـــن ثمـــرة الارضين لا يكلفهم سقياهم،ونصف العشر مما يلزمهم كلفة فيها أو الخراج الخفيف فى رقاب الارضين ، وربع العشر من صوامتهم [١٣٩] وقرمانهم (١٤٠) من سوائمهم القليلة العدد ، فاذا كثرت فعشر العشر أو ما يقرب منـــه من الاغنام وغـــيرها . ثم لم يوجب ذلك الا فى مال مثمر أو ممكن للتثمير ولذلك أوجب الله الجزية على أعدائه من كفار أهل الذمة لانه لم يوجبها الا على معتمل قوى أو موسر غنى ثم أمهلهم فى ذلك مدة يمكنهم فيها الزيادة والتثمير ، والنماء والتكثيـــر كل ذلك ابقاء لمواد الامـــوال فى أيديهـــم ، ولاصولها فى أملاكهم ، ونظرا لهم ورأفة بهم ، وتخفيفا عنهم .

وقد بين سابورابن اردشير فى عهده حيث قال : « انما تكون استقامة الخراج ورجاؤه لعمارة البلاد والاستكثار من الغلات ، ولن يسهل السبيل الى المبالغة فى ذلك وبلوغ الغاية فيه الا باستصلاح أهله والعدل عليهـــم

---

(١٣٧) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعى ، يكنى أبا العباس ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى توفى ٢٣٠هـ الولاة والقضاء لكندى المصرى ١٨٠ ، وفيات الاعيان ٢:٢٧١ ، تاريخ بغـــداد ٩:٤٨٣ ، سير اعلام النبلاء ١٠:٦٨٤،٦٨٥ .

(١٣٨) ينسب هذا القول لجعفر بن يحيى . عيون الاخبار ١:١٣ ، نهاية الارب ٦:٣٥ والمستطرف ١:١٣١ ، تسهيل النظر ١٨٦ ، والايجاز والاعجاز٢٥

(١٣٩) الصوامت : جمع صامت أى الذهب والفضة . لسان العـــرب

(١٤٠) قرمانهم : ابلهم . لسان العرب المحيط ٣ : ٧٠ .

المحيط ٢:٤٧٢ .

والانصاف لهم والرفق بهم ، والعون لهم على ما هم بسبيله ، والترغيب لهم فيه بالتوسعه عليهم فى المعايش ، والتخفيف عنهم فى المؤونات ،فان بعض الامور لبعض أسباب ، وعوام الناس بخواصهم عدة ، ولكل صنف منهم الى الاخر أبين الحاجة » (١٤١) .

وقال أنوشروان : الملك بالجنود ، والجنود بالاموال ، والاموال تستخرج من الارضين ، والارضون تزكوا بالعمارة ، والعمارة لاتتم (٥٤/ب) الا بالعدل (١٤٢) .

ولمثل هذه الاسباب ما يجعل فضلاء الملوك دوران المال فى أيدى الملوك والجنود والرعية فى السنة الواحدة على ثلاثة أقسام : فقسم يكون فى بيت المال ، وقسم فى أيدى الجند والقواد ، وقسم يكون فى أيدى الرعية .

وليعلم الملك المهتم بعمارة مملكته والمعنى بأمر ولايته أنه لا عدو أعدى له وأقوى عليه وأشد تمكنا من مقاتله ، من عامله ان كان جائرا غاشما ، وخليفته ان كان متعديا ظالما ، لانه الذى لا يقدر عليه أحد من أعدائه الا عامله وخادمه ، ثم يورثه لوم الاحدوثة الذى يشين به عرضه ويقبح أسمه على مر الايام ، ويفسد عليه رعيته ، وهذا هو الذى ربما يحتال له العدو بكل حيلة فلا يقدر عليه ، ثم يقطع عنه سبل دخله ،

---

(١٤١) النص فى كتاب الوزراء والكتاب للجيشهارى ص ٦ مع أختلاف يسير .

(١٤٢) النص فى مروج الذهب ١:٢٠٤ ، وورد منسوبا الى عمرو بن العاص بنص (لا سلطان الا برجال ، ولا رجال الا بمال ، ولا مال الا بعمارة ، ولا عمارة الا بعدل) العقد الفريد ١:٢٤ ، وفى نصيحة الملوك للغزالي ٤٧ دون نسبة .

ويخرب عليه معادن وفره وينابيع ماله ، ثم يطمع فيه أعداءه الابعديـــن ومنابذيه الاجنبين ، فلا يبالى بهذا كله لرئيسه وسلطانه بعد أن يتعجـــل طفيفا من المال ، ونزرا من الحرام • فلا ينبغى للملك الحـــازم أن يقتـــر أحدا منهم على ذلك ، ولا يبقى عليهم فيـــه •

الثانية : أن من عثر منه على شىء من هذا الباب عزله ، واستبدل به بعد تبين الحق (من)(١٤٣) أمره من غير عجلة أو غلظة ، وعاقبـــه عقـــوبة تحتملها صورة حاله ، ومبلغ جنايته ، واسترد منه ما أخذ من ظلم ،ورده على صاحبه ،فان مضض العدل على الظالم أبلغ وأشد من مضض الجـــور على المظلوم ، واذا كان المظلوم ينتظر به أجرا ورحمة ، ولا يخاف لذلك وزرا ووبالا والظالم يخاف عقوبة ، ويلتزم شينا ، ويستحق عذابا ونكالا • هذا على أن الله ــ جل وعز ــ قد أخبره عن نفسه فى كتابه أنه : (لا ينال عهدى الظالمين) (١٤٤) ،وانه لا يتخذ المضلين عضدا (١٤٥) •

فيجب على الملك الذى يتعرف من الله جليل النعمه فى نفسه وملكه أن لا يخالف أمر الله فى ملكه ، ولا ينازعه فى سلطانه ، فينال عهده من أخبر الله أنه لا ينال عهده ، ويتخذ فى عباده عضـــدا من أخبر الله أنه لا يتخـــذه يـــدا •

والثالثة : أن يجعل على كل منهم عيونا ومشرفيـــن ، وأزمـــة ، سرا وعلانية ، من أمناء الناس ومشايخ الكور (١٤٦) ، وعلمائها وصلحائهـــا ،

---

(١٤٣) (من) ساقطة من الاصـــــل .

(١٤٤) ٢ / البقرة : مدنية / ١٢٤ .

(١٤٥) قال الله تعالى : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) . ١٨ / الكهف: مكية / ٥١ .

(١٤٦) الكور : جمع كورة ، وهي القرية . ويقول ابن دريد :لااحسبها

وأهل العفة والعفاف منها ، يتبعون آثاره (٥٥/أ) وينهون اليه أخباره ، ويكون سبيل الامناء والعيون سبيلهم ، ومجالهم مجالهم اذ أخلوا بما هم بسبيله أو ضيعوا منه شيئا ، أو طابقوا أحدا من العمال على ظلم أو جناية أو فاحشة أو ريبة ، على أن لا يعجل فى ذلك حتى يستبرىء ويملى ويصح عنده ثمار الاخبار أسبابا • والناس عامتهم مطبوعون على الحسد والبغضاء ، موكلون بسوء الظن والفعل ، الا من عصم الله من الفساد ووفقه للرشاد •

والله لم يأمر بالقضاء الا بعد تبين الحق وظهور الصدق ، فليتق الله أمرؤ فى الحكم ولينظر فيما يفعل ويقول •

والرابعة : أن يجعل الولايات التى يوليها قضاء بحق الخدمة ، ولا يطمع فى أحد من عماله لاجل تقليده اياه ، بل يدر عليه رزقه المرسوم بالمعروف اذا وجهه اليه ، وليقدر عنده أنه انما ينفعه ليعمل ، ولا يستعمله لينتفع ، فان فى كلتا الحالتين فسادا كثيرا ، لان العامل اذا علم أن ولايته قضاء بحق خدمته ، ومكافأة له عليها ، أطمع نفسه فى الرعية ومطمعه كان فى الراعى (١٤٧) ، وظن كل ما تحت يده ثمرة خدمته وجدوى عمله •

واذا طمع الملك فى عامله طمع هو فيمن تحت يده ، ولم يرض الابأن يأخذ من رعيته التى ذكرنا بها عمارة ملكه ومعدن خزائنه أضعاف ما يبذله له ، ولا يسعه غير ذلك فى مذهبه ، لان لكل واحد من هؤلاء مؤنا غير ذلك

عربية • لسان العرب المحيط ٣ : ٣١٢ •

(١٤٧) الراعى : يقصد بها الملك •

وأغراضا فى تحصيل المال واستيفائه هـو يفترضها (١٤٨) ، وآمـالا هـو ينحوها ، ومطامع فى (الاستنفصـال) (١٤٩) والعطلـة (١٥٠) ان وقعـت ، والادخار لمدة ان طالت ، فاذا اجتمعت هذه الاسباب صار ما يؤخذ مـن الرعية أضعاف ما يحصل لبيت المال ، وقد بينا ما فى ذلك من الفساد.

والخامسة : أن لا يستكثر من العمال ولا يستخلف على الرعية منهم الا العدد الذى لا يجد منهم بدا ، فان فى الاستكثار منهم فـوق الحـاجة ضروبا من الفسـاد :

أولهما ، أنهم اذا كثروا كثرت أرزاقهم ومؤنهم على بيت المـال ، فشغلت المال عن الاوجب الاولى والاحق الاحرى ، وأضربيت المال .

والثانية ، أنهم اذا كـثروا كثرت مكاتبتهم وكتبهم وكتب الامنـاء عليهم والشكايات منهم والرجائع عليهم ، فشغل ذلك الملك عن كثير ممـا هو أولى وأحق وأجدر (٥٥/ب) وأخلق .

والثالثة ، انهم اذا كثروا كانوا من اتفاق كلهم على الرشد والفلاح والامانة والصلاح والعفة والعفاف أبعد ، لان الامناء المختارين والكفاة المقدمين فى كل عصر وزمان ووقت وأوان أعزة قليلون فلابد اذا كثروا مـن اختلاف أحوالهم فى هذه المعانى والخصال التى يحتاج اليها فيهم ومنهم.

فالواجب أن يستقل منهم ما أمكن وتيسر ، وراج بهم العمل ويقدر ، وفى هذا موضع أقتداء بالله من جهة التأسى به ، وذلك أن الله لم يبعث

---

(١٤٨) يفترضهـا : أى يجعلها غرضا وهدفا لـه .
(١٤٩) هكذا بالاصل :و المعنى الانفصال بحكم الولاية عن الملكـة .
(١٥٠) العطلة : يقصد العزل والابعاد عن الحكـم .

رسله الا واحدا بعد واحد فى الايام المتطاولة والمدد المتراخيـــة ، وعنـــد امتساس الحاجة الضرورية من الخلق جميعا اليه ، ودثور [١٥١] الشريعة ووقوع الفترة • ولم ينصب الرسول ﷺ لهم فى كل عهد الا اماما واحـــدا وقال لهم : «اذا بويع الاميرين فاقتلوا آخرهما» [١٥٢] فهذه خلال مـــن راض بها خاصته ، وساس بها حاشيته ، واستعملها فى عماله رجـــوت أن يكون قد أدى حقهم فى التأديب والتقويم ، وحق الله فيهـــم ، وأصلحهم واصلح بهم ان شاء الله ، وبه القوة والحول والمنة والطول •

---

(١٥١) دثور الشريعة : غيابها واندثارهـــا .

(١٥٢) حديث صحيح ، أخرجه مسلم عن أبى سعيد رضى الله عنه بلفظ (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما) . مختصر صحيـــح مسلم للمنـــذرى الحديث رقم ١٢٠٠ كما رواه القضاعى عن أبى هريرة مسند الشهاب ١:٤٤٧ رقم ٧٦٧ . وتيسير الوصول ٢ : ٣٣ . كما رواه البزار وفيه أبو هلال ، وهـــو ثقة ، والطبرانى فى الاوسط ، وكلاهما عن أبى هريرة . مجمع الزوائده:١٩٨.

البـــاب الســـابـــع

فى سياســـــة العامـــــة

(بالرحمـــة والعـــدل)

قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا ما يجب على الملك الفاضل ، والسائس الكامل من الاقتداء بالله فيما للعبد ادراكه ، على مقدار الجهـــد ومبلـــغ الوسع ، والائتمار بأمره والرغبة فيما رغب فيه ومدح عليه .

وقد وصف الله نفسه بالرحمة بخلقه والعدل عليهم ، فقال : (وكـــان بالمؤمنين رحيما) [١] وقال : (فاعلموا أن الله غفور رحيم) [٢] . وقال : (الرحمن الرحيم) [٣] . ثم مدح النبى ﷺ بهذه المديحة ، وفضله بهـــذه الفضيلة ، فقال : (حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [٤] ، وقـــال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) [٥] . وقال : (فبما رحمة من الله لنت لهم) [٦] . وقال : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)[٧] . وقال : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [٨] (٥٦/أ) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولـــو علـــى

---

(١) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ٤٣ .
(٢) ٥ / المائدة : مدنية / ٣٤ وفى الاصل : واعلمـــوا .
(٣) ١ / الفاتحة : مكيـــة / ٣ .
(٤) ٩ / التوبة : مكيـــة / ١٢٨ وعليكم ساقطة فى النص .
(٥) ٤٨ / الفتح : مدنيـــة / ٢٩ .
(٦) ٣ / آل عمران : مدنيـــة / ١٥٩ .
(٧) ١٦ / النحل : مكيـــة / ٩٠ .
(٨) ٥ / المائدة : مدنيـــة / ٨ وفى الاصل : على أن لا تعدلوا .

أنفسكم أو الوالدين والاقربين) [٩] • وقال — جل وعز — فيما وصف به نفسه من العدل ، ونفى عنه من الظلم والجور : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) [١٠] • وقال : (وما ربك بظلام للعبيد) [١١] وقال : (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [١٢] •

وقال : (وما الله يريد ظلما للعالمين) [١٣] •

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «ما من وال يلى جماعة الا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان أنجاه عدله وأهلكه جوره »[١٤] •

وروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه كان اذا بعث عماله خرج معهم ماشيا وهم ركاب ، فاذا أراد أن يفارقهم ، قال :(اتقوا الله فانا لا نؤمركم على دماء المسلمين ولا على أموالهم ولا على أبشارهم ولا على أعراضهم ولكنا نؤمركم لتصلوا بهم الصلاة لوقتها ، وتجاهدوا بهم على عدوهم ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل • ألا[١٥] تضربوا العرب فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقهم فتحرموهم ، ولا تجمزوهم

---

(٩) ٤ / النساء : مدنية / ١٣٥ .
(١٠) ٢١ / الانبياء : مكية / ٤٧ .
(١١) ٤١ / فصلت : مكية ٤٦ وفى الاصل : وما الله .
(١٢) ١٦ / النحل : مكية / ٣٣ .
(١٣) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٠٨ .
(١٤) مسند أحمد ٢:٤٣١ ، رواه الطبرانى فى الاوسط ، وفيه ابراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى ، وثقة ابن حبان وغيره ، وكذبه أبو حاتم وأبو زرعة وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد ٥ : ٢٠٦ .
(١٥) فى الاصل : الا لا .

فتفتنوهم» (١٦) • قال : «وكان نبى الله داود عليه السلام يقول : اذكـــر الجائع اذا شبعت ، وأذكر العريان اذا أكتسيت» • وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ انه قال «ان كنت أميرا أو وزير أمير أو داخلا على أميـــر أو مشاور أمير فلا تخالف سنتى فانه ايما أمير أو وزير أمير أو داخل علـــى أمير خالف سنتى وسيرتى فانه تأخذه النار يوم القيامة من مكان ثم يصير الى النـــار » (١٧) •

وقال القاسم بن عبد الرحمن : (١٨) كان عمرا اذا بعث عماله قـــال : « انى لم أبعثكم جبابرة ، وأنما بعثتكم أئمـــة ، لاتضربوا المســـلمين فتذلوهم ، ولا تجرموهم فتظلموهم ، ولا تجمزوهم فتفتنوهم ، وادرأوا لحق المسلمين » يعنى العطاء (١٩) •

ووجدنا فى بعض عهود الهند : أن العدل ميزان الله فى الارض يؤخذ

---

(١٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٣٣٦ مع أختلاف يســـير ، سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٦٧ ، وتجمزوهـــم : أى لا تحبســـوا الجيش فى أرض العدو وتمنعوهم من العود الى أهلهم . المطالب العالية ٢١٢:٢ .

(١٧) لم أقف عليه بلفظه وان كان الامام عبد الرازق الصنعانى وأحمد بن حنبل والبزار قد أخـــرجوا عن جابر بن عبـــد الله أن النبى ﷺ قال لكعب بن عجرة : «أعاذك الله من أمارة السفهاء » قال :و ما امارة السفهاء ؟ قـــال : «امراء يكونون بعدى لا يهتدون بهدى ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى . المصنف ٣٤٥:١١ ويقول الهيثمى : ان رجال الحديث رجال الصحيح . مجمـــع الزوائد ج ٢٤٧:٥ .

(١٨) هو القاسم بن عبـــد الرحمن بن عبـــد الله بن مســـعود ، ويكنى أبا عبد الرحمـــن الكوفى تابعى ، محـــدث ثقة ، وكان قاضى الكوفـــة ، مات سنة ستة عشرة ومائة . تهذيب التهذيب ٣٢١:٨ ، سير أعلام النبلاء ١٩٥:٥ ، ١٩٦ . طبقات ابن سعد ٢٨١:٣ .

(١٩) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨١ .

به للضعيف من الشديد ، وللمحق من المبطل فمن أزال ميزان الله عما وضعه الله من القيام (٥٦/ب) بالقسط بين عباده فقد أعوز أشد الاعواز ، واغتر بالله أشـــد الغـــرة •

فاستعن على العدل بخصلتين منهما : طلب الهدى ومنها : التثبت فى الامور [٢٠] •

ثم ما أوجب الله للمؤمنين بعضهم علـــى بعض ان قـــال الله (انمـــا المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكـــم) [٢١] •

وقال النبى ﷺ : «المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يظلمه» [٢٢] •

وقال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله» [٢٣] •

وقال : «المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضـــا» [٢٤] •

فيجب على الملك المشارك فى الايمان لرعيته أن يكون صفتـــه معهم هذه الصفة ، ومعاملته اياهم هذه المعـــاملة •

وقد روينا فيما مضى من كتابنا عن النبى ﷺ أنه قـــال : «كلكم راع

---

(٢٠) من أقوال أرسطاطـــاليس . نزهـــة الارواح ١٩٩:١ ، ووصيـــة أرسطاطاليس للاكسندر ص ٤٠ .

(٢١) ٤٩ / الحجـــرات : مدنيـــة / ١٠ .

(٢٢) حسن، رواه أبو داود (مع عون المعبود) ٤٧٩٧، البخارى فى الادب المفرد مع شرحه فضل الله الصمد ٢٣٩ ، والطبرانى فى مكارم الاخلاق تحقيق فاروق حماده ٩٢ ، والقضاعى فى الشهاب ١٢٦ .

(٢٣) صحيح رواه مسلم عن أبى هريرة ٥٢:١ رقم ٣٥ ، صحيح الجامع الصغير ٤٣٥:٢ رقم ١٣٦٩ .

(٢٤) صحيح ، رواه أحمد ٤٠٤:٤ — ٤٠٥، ٤٠٩، البخارى ٤٨١ ، ٢٤٤٦ ٦٠٢٦ مسلم ٢٥٨٥ ، الترمذى ١٣٩٩٣ ، الطبرانى فى مكـــارم الاخـــلاق ٨٩ القضاعى فى مسند الشهاب ١٣٤ ، ١٣٥ .

وكلكم مسئول عن رعيتـــه» (٢٥) وعلمنا أن الراعى والرعيـــة والسائس والمسوس هما اسمان من أسماء الاضافة لابقاء لاحدهما الا بالاخـــر ، وأنه ليس حاجة الراعى الى الرعية بأقل من حاجة الرعية الىالراعـــى ، وكذلك الملك والملك ، ولذلك ما مثل الناس الرعية بالبدن والراعى بالرأس وقالوا : ان الرعية اذا هلكت هلك الراعى ، واذا فسدت فسدت حال الراعى وكلما دخلها نقص فى أموالهم ودمائهم رجع ذلك النقص عليـــه •

وقال بعض الملوك المتقدمين : وبعد الوالى من القدرة على استصلاح نفسه مع استفساد الرعية كبعد الرأس من البقاء بعد هلاك الاركان ، غير أن الوالى أجدر باصلاح الرعية الفاسدة ، وافساد الرعية الصـــالحة من الرعية باصلاحهم الوالى وافساده لفضل قوته عليها ، ووهن قوتها عليه •

ومما يجب أن يكون معلوما أن زينة الملك بصلاح الرعية ، والرعيـــة كلما كانت أغنى وأسرى(٢٦) وأجل حالا فى دين ودنيا ، ومملكته كلما كانت أعمر وأوسع كان الملك أعظم سلطانا ، وأجل شأنا ، وكلما كانت أوضـــع حالا وأخس بالا كان الملك أخس مملكة وأنزر دخلا وأقل فخرا ، فلا ينبغى للملك السائس أن يبتغى عمارة منزلته بتخريب منازل (٥٧/ أ) الرعية ، ولا توفير خزائنه وبيوت أمواله باخلاء بيوت العامة واقلالها ، فانه ليس زينته ومباهاته بعمارة المملكة وكثرة دخلها ووفـــور أغنيائها ومشـــايخها

---

(٢٥) صحيح ، رواه أحمد ٤٤٩٥ ، ٥١٦٧ ، ٥٨٦٩ ، ٥٩٠١ ، البخارى ٨٩٣ ، ٢٤٠٩ ، ٥٢٠٠، ٧١٣٨، مسلم ١٨٢٩ ، أبو داود ٢٩١٢، الترمذى ١٧٥٧ الطبرنى فى الكبير ١٣٢٨٤، ١٣٢٨٦ ، القضاعى فى مسند الشهاب سبق تخريجه

(٢٦) من السرو بمعنى المروءة والشرف . لسان العرب، المحيط ٢: ١٣٩ .

ودهاقنتها(٢٧) وعلمائها وفقهائها وذوى آرائهـا وسرواتها(٢٨) وحـكامها وتساكها وحكمائها وأصناف ذوى المراتب والمناقب منها بأقل من زينتـه لعمارة قصوره وفضول دوره وكثرة خيوله وجنوده وخدمه وأثاثه • وليس عزته على أعدائه برعيته السامعة المطيعة المحبة له الذابة عنـه بأوهى من قوته بأعوانه وجنوده • ولا خوفه من أعدائه الخارجين من مملكته المخالفين له فى ملته وأمته بأشد من خوفه من مخالفة قلوب رعيته • بل ما يأتيه من هذه الابواب كلها من جهة رعيته أبلغ وأرفع وأعظم وأقطع •

ثم ان الرعية والراعى يجمعهما قرب المجانسة والمناسبة ومشـاكلة الطبيعة والصورة والحامة(٢٩) والمناسبة توجب الشفقة والمماثلة ، ويجب لهم مع ذلك حق الملة والذمة ، وقد جعل الله المؤمنين اخوة ، والذمة أمانة وانما يجب عليهم الطاعة بشريطة المعدلة،والوفاء بالعهد ، والرأفة والرحمة فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ان لقريش عليكم حقا ماان استرحموا رحموا ، وان حكموا عدلوا ، وان عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا »(٣٠) •

---

(٢٧) الدهاقنة : جمع دهقان (بضم الدال وكسرها وتسـكين الهاء) ، وهو التاجر والكلمة من أصل فارسى . لسان العرب المحيط ١٠٢٥:١ .

(٢٨) السروات : الاشراف وهى جمع الجمع لكلمة سرى . لسان العرب المحيط ١٣٩:٢ .

(٢٩) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده . لسان العـرب المحيط ٧٣٢:١ .

(٣٠) صحيح ، أخرجه الطبرانى فى الصغير والاوسط عن أبى سـعيد الخدرى ، ورجاله ثقات مجمع الزوائد ١٩٤:٥ كما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار عن أنس مجمع الزوائد ١٩٢:٥ ، المطالب العالية ٢٠٥:٢ .

وقال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »[٣١] .

وقال : « انما الطاعة فى المعروف »[٣٢] .

على أنه لابد لكل صانع وساع فى العالم من معرفة بصناعة يحذق بها ، وآلة يستعملها ، ومادة يؤثر ما يغتر منه ، وغرض يغترضه فى ثمرة عمله ، فصناعة الملك السياسة ، وعلمه حذقة بها ، ومادته فيها وآلته جنده ، وأعوانه ، وعماله ، وخدمه ، ومادته رعيته ، وثمرة عمله : مايحصل له من ثواب الله العظيم فى دار النعيم فى الآجل ، وحسن الاحدوثة عنه فى الغائب والشاهد والآتى والحاضر ، وزينة عمله وحسنه الدال على حذقه (٥٧/ب) بصناعته وتقدمه فيها عمارة مملكته وصلاح حال رعيته . فعلى حسب هذا يجب أن يعمل الملك ويدأب ويجتهد ، فانه ان خالف هذه الطريقة وتنكبها وفارقها وعدل عنها أفسد رأس ماله الذى هو المادة ، وأبطل ثمرة عمله ، ودل على جهله بصناعته ، وذلك أبين الخسران .

وروى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « عدل ساعة خير من عباده ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ، وجور ساعة فى حكم أعظم عند الله من معاصى ستين سنة »[٣٣] .

---

(٣١) صحيح ، رواه أحمد ٤:٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ و ٥:٦٦ ، ٦٧ والطبرانى فى الكبير ٣١٥٩ و ٣١٦٠ : القضاعى فى مسند الشهاب ٨٧٣ ، كشف الخفاء ٢:٥١٠ .

(٣٢) صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم والنسائى عن على . صحيح الجامع الصغير للالبانى ٦:١٩٥ رقم ٧٣٩٥ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى ١:١١٢ رقم ١٨١ .

(٣٣) ضعيف ، رواه الاصبهانى عن أبى هريرة . نقلا عن المنذرى : الترغيب والترهيب ٣:١٣٥ .

وكذلك روى عن كثير من ملوك العجم أنهم كانوا يقولون : حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة ، وليس بحقيق للرعية أن يدعوا للملك الصالح لان أقرب الدعاء الى الله دعاء الملك الصالح .

ولقد قرأنا فى بعض سير الهند : أنه ليس أحد أصلح لعباد الله ولا أسعد برضوان الله من الولاة اذا صلحوا ، ولا أفسد لهم ولانفسهم اذا فسدوا ، لان الوالى من الرعية بمكان الروح من الجسد الذى لا حياة له الا به وبموضع الرأس من الاركان الذى لا بقاء لها الا معه ، وبالوالى مع فضل منزلته من الحاجة الى اصلاح الرعية مثل ما بالرعية من الحاجة الى اصلاح الوالى ، لان قوة بعضهم زيادة فى قوة بعض ، ووهن بعضهم سريع الى ايهان بعض (٣٤) .

فمن حق الرعية على الامام اذا أمرهم بالطاعة والنصيحة والمؤازرة وأداء الاخرجة والمؤنة ، وجزية أهل الذمة ، وزكاة أهل الملة ، أن يعزدينهم وأن يحملهم على مناهجه ومعالمه ، ويقيم فيهم الصلوات من الاعياد والجمعات والمواسم ، وأن يحمى حوزتهم ، ويسد خلتهم (٣٥) ، ويقاتل عدوهم دونهم ، ويعمر بلادهم ، ويؤمن سبلهم ، ويحفظ ذمتهم ، وينصف مظلومهم من ظالمهم ، وضعيفهم من قويهم ، ويحفظ عليهم أموالهم ، وأشعارهم ، وأبشارهم ، ويقيم حدود الله فيهم التى حدها لهم وعليهم،

---

(٣٤) نزهة الارواح ١:١٩٧ وينسبه الى أرسطاطاليس ، وصية أرسطاطاليس للاسكندر ضمن (أثران لارسطو الفيلسوف فى العربية) ٣٦، ٣٧ طبقات الاطباء : ١:٩٧ .

(٣٥) الخلة : الحاجة والفقر . لسان العرب المحيط ١:٨٩٣ .

بلا هوادة ولا ميل ولا حيف [٣٦] . ويوفر حقوقهم من بيت المال على ما جاءت به السنة ، وأوجبته لهم الشريعة • فمن لم يوفر حقهم عليهم وطالبهم بحقه كان أول ظالم وأظلم (٥٨/أ) غاشم ، وقد جعل الله عزوجل السلطان حكما بينهم يمنع بعضهم من بعض ، فكيف بمن يظلم ويضيم ؟

وقد قال الحسن البصرى : انما جعل السلطان ناصرا لدينه فكيف بمن استحل به الظلم ؟

خصال تحقق الصلاح :

ونحن نجمع ما يجب عليه من ذلك ونفسره وندل عليه ، ونبين عن وجه الصلاح فيه ، فى عشر خصال :

منها : مالا فرق بين الخاصة والعامة ، لان خاصة الملك على مقدار التعارف من غيرهم عامة ، اذ قد يتفق أن لا يكون فى البلد الواحد من البلدان أكثر مما فى جملة الملوك من عبيده وخدمه ولا مثل عددهم •

ومنها : ما يفرد به العامة دون الخاصة •

فمما يشمل الخاصة والعامة ما ذكرناه من الحمل على ظاهر الشريعة، والحث عليها ، والترغيب فيها ، واظهار كرامة المتدينين عليه ، وجلالتهم عنده ، والمنع من اظهار الفساد والفجور من الميسر ، وشرب الخمور ، واظهار السكر والفسوق ، والقذف ، والنياحات [٣٧] الفاحشة على الموتى،

---

(٣٦) الحيف : الجور والظلم فى الحكم . لسان العرب المحيط ١ : ٧٧٠ .

(٣٧) ما يظهر على النساء ويسمع حال اجتماعهن للحزن . لسان العرب المحيط ٣ : ٧٣٨ .

وكل محرم ومكروه فى الدين ، وما يدخل فى أبـواب الحسبـة والامـر بالمعروف والنهى عن المنكـر •

والثانية : ما ذكرنا من حماية بيضتهم ، وصيانة حوزتهم ، ومجاهدة أعدائهم والباغين عليهم ، وكفايتهم ذلك ، حتى تدر معايشهم ، ويأمنـوا معرة أعدائهم ، ويشغلوا بمكاسبهم ومساعيهم ، ويتهيأ لهم عمارة المملكة ، ويسهل عليهم توفير الاخرجة والوظائف والصدقات والضرائب على بيت المال ، ويكثر أهلها ، ويعظم سوادها من المقيمين والطارئين ، وبالتناسل والتوالد ؛ وان ذلك من أدب الله ــ جل وعز ــ وخاصة الانبياء والائمـة والملـوك •

وبلغنا عن الخليفة هارون الرشيد أنه كان يسرى فى بعـض أسفاره وغزواته وقد ألح عليه الثلج ، فآذاه ، فقال له بعض أصحابه : أما ترى يا أمير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية وادعه ؟ قال : اسكت للرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعى من حراسة رعيته[٣٨] فقـال أبو محمـد التيمى [٣٩] فى ذلـك :

غضبـت لغضبك القواطـع والقنـا

لمـا نهضـت لنصرة الاسـلام

---

(٣٨) المصـباح المضىء ١:٢٧٥ .

(٣٩) هو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد ، التيمى من تيم اللات بن ثعلبة أحد شعراء الدولة العباسية ، مدح الامين والمأمون وغيرهما ، توفى ٢٠٩هـ . تاريخ بغداد ٩:٤١١ ، الاعلام ٤:١٩٩ .

نامـــوا الى كنف لعدلـــك واســـع
وسهرت تحرس غفلة النـــوام (٤٠)

(٥٨/ب) والثالثة ، قمع ذعارهم وأهل العبث والفساد فيهم،وشغلهم عنهم بقتل أو صلب أو نفى أو حبس أو قطع ، على ما جاءت به الشريعـــة فى الكتاب والسنة ، وأن لا تحمله الرقة لهم والميل الى بعضهم على المحابـــاة فيها ، فان المحاباة لهم ترك المحاباة نفسه ، وفى الابقاء عليهم فى هذا الباب اهلاك لهم ، وقد وصف الله ـــجل وعز ـــ نبيه ﷺ وفضلاء أصحابه بالرحمة والرأفة ، ثم قال لهم : (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) (٤١) ، فكانوا على ما قال وأمر ، ومنتهين عما نهـــى وزجـــــر .

وقال فيما وصف به نفسه : (اعلموا أن الله شديد العقـــاب وأن الله غفور رحيم) (٤٢) . فالاقتداء بالله ورسوله أولى بالعبد وان شق عليه .

ثم يجب عليه أن لا يتعدى حدود الله وما أمره به تعظيما للعقوبة ، وتفخيما لها ، فانه لا عقوبة أهيب فى النفوس ، ولا أهول فى العيون ، ولا أولى بالردع ، ولا أحرى بأن لا تورث المعاقب حقدا وعداوة وموجدة من عقوبة يحال بها على الله وعلى دينه الذى يقر به المعاقب وعلى أن من تعدى فى الزيادة (عصبا) (٤٣) وحمية يوشك أن يحابى وينقص رضـــا وميـــلا ،

---

(٤٠) أوردهما الطبرى فى تاريخه لشاعر فى عمـــر بن الخطاب رضى الله عنه . الجزء ١١ ص ١٨٩ ، وابن الجـــوزى فى المصـــباح المضىء ج ١ / ٢٧٥ دون نســـبة .

(٤١) ٢٤ / النور : مدنية / ٢ .

(٤٢) ٥ / المائدة : مدنية / ٩٨ .

(٤٣) هكذا بالاصل ، والاولى أن تكون (تعصبا) .

ويعفو عن الجريرة فى بعض الاوقات (أصلا) (٤٤) • وفى ذلـك تعطيـل للحدود واهمال للارعية واحراج لاهل المملكة ، ومع أن الاسلام قد قيـد انفتك ومنع من المثلة(٤٥) وحرمها ، فمن حق الملك أن لا يعاقب تعضبا ولا تغضبا ، وانما يعاقب تأديبا وتدينا ، فالوجه أن لا يخالف حكم دينه فيها •

الحدود والحبس :

ثم ينظر فى اقامة هذه الحدود ، وتأديب أهل الجنايات منهم ، ويبحث عنها ، ويستقصى فيها ، ولا يقدم على أحد فى شىء من العقوبات الا بعد البيان والبرهـان •

فأما من يوجب عليه الحبس منهم فالواجـب أن يتفقـد أحوالهم ، ويبحث عن أمورهم فى ثلاثة مواضـع :

أولها : أن لا يحبس أحدا الا بعد وجوب الحبس عليـه •

والثانية : أن يتعهدهم فى حبوسهم فى مآكلهم وملابسهم ، فانهـم قوم قد منعوا من التصرف لانفسهم والسعى لها ، وليس لكل منهم مـال ينفعه ، وولى يتعهده فكفايتهم وتعهدهم على الامام الذى (٥٩/أ) هـو ولى المسلمين ، والسلطان ولى من لا ولى له •

والثالثة : أن يعرضهم فى الوقت بعد الوقت ، فلعله أن يثوب مذنب أو ينيب مجرم ويعرف محق من الخصوم أو يندم مبطل ، وأن يكون فيهم من يضيع عياله الذين كان معولهم على كدحـه ، واعتمادهم على كـده ،

---

(٤٤) هكذا فى الاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .

(٤٥) المثلة : التعذيب والتنكيل وتقطيع الاطراف وغـير ذلك . لسـان العرب المحيط ٣:٤٣٨ .

ومعاشهم من كسبه،والمريض الذى لا ممرض له يمرضه ولا طبيب يحضره.

ثم ان الحبس من عظيم العقوبات ، وانما يجب أن تقع العقوبات على مقادير الذنوب ، ولا يجوز أن يساوى بين ذوى الجرائم صغارها وكبارها فى التخليد والاخراج والتقييد والاطلاق الا المصر الذى وجب عليه الحبس من فساد فى الارض ثم لم يقلع ولم يتب .

والرابعة : أن يحكم بينهم فى مظالمهم ودعاويهم ، وسماع بيناتهم وشهاداتهم بكتاب الله — عز وجل — وسنة نبيه ﷺ ، وما يوجبه الحق والحكم .

اختيار القضاة :

ويجتهد فى أختيار الحكام حتى لا يولى الا الدين العفيف ، والعالم الفقيه ، والاريب (٤٦) الامين ، الوقور الرزين على ما ذكرناه فى الباب المتقدم لهذا الباب . ويتقدم اليه الاستقصاء فى البحث والنظر والاخذ للضعيف من القوى ، وان لا يعجل قبل تمام البحث والاستقصاء ولا يماطل به بعد ثبات الحجة وقيام البينة ، فان فى كلتا الحالتين اهمالا وتضييعا وانه لم يحكم بالميل وحاف عن العدل على المحكوم عليه ، ولكنه حكم على نفسه، وجعله خصمه يوم القيامة عند من لا يظن به الميل ، ولايقع فى قضاياه الضيم ولم تزل تلك وصية الله لانبيائه وأوامره الملقاة الى أوليائه اذ قال : (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس

---

(٤٦) الاريب : المتبصر بالامور والمدرب عليها والماهر فيها . لسان العرب المحيط ١:٤٢ .

بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) (٤٧) .

ثم ملاك أمر القاضى والحاكم أن يعينه الوالى بما يدر عليه من الارزاق الواسعة الهنية (٤٨) ليتنزه عن أموال الرعية والطمع فيها ، فان الحرص على الدنيا لا سيما فى زماننا هذا قد صار عادة للعلماء ، وعلى غير هذا ما كان يجب أن يكونوا ، فقد روينا عن النبى ﷺ أنه قال : « ما ازداد أحد علما فازداد به على الدنيا حرصا الا ازداد من الله بعدا وازداد الله له بغضا » (٤٩) .

ولارسطاطاليس فى هذا (٥٩/ب) الباب فصل جامع اذ قال : الحاكم سيد على من وليه فتعقد من الحاكم أربع خصال وهى : أن يكون حييا ، وأن يكون ورعا ، وأن يكون عالما ، وأن يكون غير عجول . وأعلم أن الحاكم يزين الحكم (بعدله)(٥٠) ويوسخه لوسخه ولزومه غير الطريق .

وقال : واحذر أن يكون الحاكم مشتهيا للكلام فان الحكومة لا يصلح لها ، من كان كذلك . وكمال أمره أن يغنيه عن أموال الرعية ،ويوسع عليه أرزاقه ، ويقتصر عليه عندما تظهر منه النصيحة ، ولا يسرع فى شهرته ، وان أنكرت عليه شيئا من أمور الرعية ففتشه كما يفتش الحاكم بالسنة القائمة ، واحمله على خطة الحكومة وان كان مرضيا فى الناس وأنكرت

---

(٤٧) ٣٨ / ص : مكية / ٢٦ .

(٤٨) هكذا بالاصل ونرى أن الاصوب (الكافية) .

(٤٩) وقد أورد الدارمى عن ابن سيرين . « من ازداد فى العلم رشدا ، ولم يزدد فى الدنيا زهدا، لم يزدد من الله الا بعدا » سنن الدارمى ٥٨ونثر الدر للابى ١٨٩:١ ، والحكمة الخالدة ١٦٧ ونسبه الى بعض الحكماء .

(٥٠) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

عليه فى أمرك خاصة فاستره واشهر غيره بحسن الحال والمعرفة ، فـاذا صار عند الناس مشهورا معينا لهم عن الاول فاصرع الاول بمالك عليه من الحجة الظاهـرة القويـة •

ويجب أن لا يغفل القاضى عن استعمال ما تضمنته رسالـة أميـر المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبـى موسى الاشعـرى فانها أوائـل علم القضاء ، كتب اليـه :

أما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا ادلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ، (وواس) [٥١] بيـن الناس فى وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا يطمع فى حيفك شريف ، ولا يخاف جورك ضعيف • البينة على من أدعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما • لا يمنعنك قضاء قضـيته بالامس فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن تراجع الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل • الفهم الفهـم عندما يتلجلج فى صدرك ، مما ليس فى القرآن والسنة ، واعـرف الامثال والاشباه ثم قس الامور عند ذلك ، واعمد الى احبها الى الله ، وأشبهها الى الحق فيما ترى ، واجعل للمدعى أمدا ينتهى اليه ، فان أحضر بينـة أخذ بحقه ، والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك اجلى للعمى ، وأبلـغ فى العذر • والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا حدا أو مجربـا عليه فى شهادة زور ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالشبهات • ثم اياك (٦٠/أ) والضجـر والقلق ،

---

(٥١) هكذا فى الاصـل ، والاصوب (وساو) •

والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم فى مواطن الحق ، التى يوجب الله بهـا الاجر ، ويحسن بها الذخر ، فانه من يخلص نيته لله فيما بينه وبينـه، ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلافه يشنه الله ، فما ظنك بثواب غيـر الله فى عاجل رزق اللـه وخزائن رحمته ، والسـلام »(٥٢) .

قالوا : وكتب الى معاوية بن أبى سفيـان :

« أما بعد ، فانى كتبت اليك بكتاب لم آلك ونفسى فيه خيرا الـزم خمس خلال ، افهمها يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك ، اذاتقـدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، واليمين القاطعة ، وادن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وييسط لسانه ، وتعاهد الغريب ، فانك ان لم تتعاهده ترك حقه ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفع به رأسـا .

وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصل القضاء » (٥٣) .

مراعاة مراتب النـاس :

والخامسة : أن تعرف طبقات الناس ومراتبهم ، من أبناء الملوك ،

---

(٥٢) ذكر الرسالة ابن قتيبة : عيون الاخبار ١:٦٦ ، سنن الدارقطـنى ٤:٣٠٦ ، ٣٠٧ ، الجاحظ فى البيان والتبيين وبينا رواتها ٢:٤٨ وقـد أوردها المـاوردى فى الاحكام السلطانية ص ٧١ والكامل للمبرد ١:٧ وأخبار القضاة لوكيع ١:٧٠ وقد دحض ابن حزم هذه الرسالة من ناحيـة الرواة فى مـؤلفه ابطال القياس ٦ ويؤيد هذه الوجهة الشيخ محمود عرنوس فى مؤلفه تاريـخ القضاء فى الاسلام . ونرى أن رسالة عمر رضى الله عنه ويعتبرها معظم علمائنا دستور القضاء . لم يكن عمر فيه مبتدعا وانما متبعا . أنظر فى ذلك كتابنا : حكم الاسلام فى القضاء الشعبى (بحث مقارن) ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٥٣) ورد بنصه فى رسالة الحجاب للجاحظ (ضمن رسائل الجاحـظ) تحقيق عبد السلام هارون ٢:٣١ ، وفى العقد الفريد ١:٦٢ مع تعديل طفيف .

والاشراف وذوى الانساب ، والاحساب وأولادهم ، والعلماء والنساك وذويهم ، والاغنياء(٥٤) وأرباب الضياع والارضين ، والتجار والصناع والمهنة وأصحاب الاقدار منهم ويرتبهم مراتبهم ، وينزلهم على منازلهم ، فيوفر على كلّ طبقة منهم حقهم على مقادير أسبابهم ومراتبهم من البشر والتقريب والارفاق والترتيب ، فان ذلك مما يحرضهم على التسابق فى طلب الخير والتباهى فى نيل الفضل فيما هم فيه ، فيكون ذلك سببا لانتظام أمورهم ؛ واتساق أحوالهم ، وطيبة أنفسهم • واذا عوملوا بخلاف ذلك أداهم الى الحنق على السلطان ، واضمار السوء له لان من رأى فى نفسه فضلا من شرف أو علم أو نجدة أو مجدا أو بلاء وكفاية فجهل حقه وحرم منه ما يستأهله ويستحقه أحفظه ذلك احفاظا ، وأحقده احقادا ، وخيلّ اليه أنه قد منع حقا واجبا ودينا لازما ، وظلم ظلما عظيما • ومن قدر فى نفسه ذلك اختار فى دفعه عنها ان وجد الى ذلك سبيلا ، وان لم يجد كانت طاعته مكره مجبور مضطهد مقهور ، (٦٠/ب) لا طاعة محب مختار •

وقد أوجب الله فى ذلك فى كتابه ، وبينه لنبيه عليه السلام ، وجعله من دينه حيث قال : (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (٥٥) • ويقول (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) (٥٦) •

---

(٥٤) غبر واضحة بالاصل •
(٥٥) ٢٦ / الشعراء : مكية / ٢١٥ •
(٥٦) ٥٧ / الحديد : مدنية / ١٠ •

وقال : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) (٥٧) .

وقال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب) (٥٨) .

وقال : (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) (٥٩) . وقال : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (٦٠) .

وقال النبى ﷺ : (أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم) (٦١) .

وبسط رداءه لقيس بن عاصم المنقرى وقال : (اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه) (٦٢) .

وقال يوم الفتح : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن» (٦٣) .

وقال له : «كل الصيد فى جوف الفرا» (٦٤) .

---

(٥٧) ٤/ النساء : مدنية / ٩٥ .

(٥٨) ٣٩ / الزمر : مكية / ٩ .

(٥٩) ٥٩ / الحشر : مدنية / ٢٠ .

(٦٠) ٤٥ / الجاثية : مكية / ٢١ .

(٦١) صحيح ، أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها . المسند ١٨١:٦ ، وسنن أبى داود (تحقيق الدعاس) ٥٤٠:٤ رقم ٤٣٧٥ ، والبخارى فى الادب المفرد ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامه . كشف الخفاء ١٨٣:١ ، وفى صحيح الجامع الصغير ٣٨٢:١ برقم ١١٩٦ فيه استثناء الا الحدود .

(٦٢) حديث حسن ، اخرجه ابن ماجه عن ابن عمر سنن ابن ماجه ١٢٢٣:٢ رقم ٣٧١٢ وشرح السنة ١٢٨:١٣ والبزار وابن خزيمة والطبرانى وابن عدى والبيهقى عن جرير ، كما اخرجه الحاكم فى مستدركه عن جابر . صحيح الجامع الصغير ج١ ص ١٣٤ رقم ٢٦٦و المقاصد الحسنة ٣٣ ، ٣٤ .

(٦٣) ذكره أبو عبيد فى الاموال ١٤١ ، زاد الميعاد ج٥ : ٦٨ ، الدرر فى اختصار المغازى ٢٣١ .

(٦٤) الفرا : الحمار الوحشى وجمعه فراء . وأصل المثل أن ثلاثة نفر

وأعطى يوم حنين [٦٥] كثيرا من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطى كثيرا من فضلاء المؤمنين [٦٦] ، ثم مدح كل قوم بماهم فيه ، ودعا لكل واحد بما يستحقه ، وفضل كلا من أصحابه بما استوجبه ، وأصطفاه لما هو أهل له ، فبالله قدوة ، وفى رسوله أسوة • وهذا باب من السياسةكثيرة منفعته عظيمة مضرته •

وروى عن عمر بن الخطاب أنه كتب الى أبى موسى الاشعرى :

« أما بعد ، فانه لم يزل للناس وجوه يذكرون بحوائج الناس ، فاكرم وجوه الناس قبلك ، فبحسب المرء الضعيف المسلم أن ينصف فى العدل والقسم » [٦٧] ولم يزل الملوك يتواصون بالمحافظة على هذه الخلة، والمثابرة على تعهدها ، فاذا تتبعت كتبهم وعهودهم لم تجد عهدا جامعا ولا كتابا كاملا يخلو منها •

وقد قال أردشير فى عهده : « اجعلوا حديثكم لاهل المراتب ، وحباءكم لاهل الجهاد ، وسيركم لاهل الدين » [٦٨] •

= خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنبا ، والآخر ظبيا ، والثالث حمارا ، فاستبشر صاحب الارنب وصاحب الظبى بما نالا ، وتطاولا عليه ، فقال الثالث: كل الصيد فى جوف الفرا أى هذا الذى رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما وذلك انه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشى ، وتألف النبى ﷺ أبا سفيان بهذا القول حين استأذن على النبى ﷺ فحجب قليلا وقال الرسول له: أنت كما قيل : كل الصيد فى جوف الفرا بتألفه على الاسلام . الامثال للميدانى ٢ : ٧٤ ، والامثال لابى عبيد القاسم ٣٥ .

(٦٥) يعنى غزوة حنين فى شوال من السنة الثامنة من الهجرة الدرر فى اختصار المغازى ٢٤٢ .

(٦٦) انظر فى ذلك الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٦٧) تاريخ الامم والملوك ٤ : ٢٠٣ مع اختلاف يسير .

(٦٨) عهد اردشير ٧٢ ، وورد النص فى لباب الاداب ١٨ بلفظ (اجعل =

وفيما كتب به أرسطاطاليس الى الاسكندر : « دافع عن أهل المروءات ومن كان له قديم فى الخيـــر ، وان تضعضعت أحوالهم ، فـــان أسلافهم فخر [٦٩] لهم ، كفاك (٦١/أ) شرفا أن يميل اليك أبناء الملوك » •

وقال : « لا يكشف أستار أهل الاقدار والانفة ، فان عيب ذلك راجع على ملكـــك » •

قالوا : وقد قال أردشير : عاملوا أحرار الناس بالمـــودة محضـــا ، فانهم لا يحتملون الهوان ، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبـــة ، وعاملـــوا السفلة بالرهبة صراحا [٧٠] • فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين فجعلـــه (فقال شعـــرا:) [٧١]

اذا كنتـــم للنـــاس أهـــل سياســـة

فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا

على الذل أن الذل يصلح للنـــذل [٧٢]

وكونوا لاوســـاط الرجـــال كمـــازج

زعافا وماذيا كأحلـــى جـــنى النحـــل

ولينـــــوا لهم طورا ببســـط كـــرامة

وخلوهم طورا قيامـــا علـــى رجـــل

= مرتبك مع أهل المراتب ، وعطيتك لاهل الجهاد ، وبشرك لاهل الدين) •

(٦٩) هكذا فى الاصل والاولى أن تكون (لك) بدلا من (لهم) •

(٧٠) ورد منسوبا الى (أنو شروان) مع أختـــلاف يسير . نهايـــة الارب ٦ : ٤٤ ، ومحاضرات الادباء ١ : ٨٠ •

(٧١) هكذا بالاصل والاولى أن تكون (شعرا فقال) •

(٧٢) ورد بنصهما فى محاضرات الادباء ١ : ٨٠ من انشاء أبى معاذ على =

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : قدم من كان مشهورا بالورع، وأقضى حوائج العامة بهـم (٧٣) .

دفـع الظلم عـن العامـة :

والسادسة : أن يمنع العامة ظلمه ، وظلم أصحابه وحاشيته ،ويقطع طمعه وأطماعهم عن أموال المسلمين وفروجهم وأشعارهم وأبشارهـم ، وينصف لهم من نفسه فقد بينا ما فى الظلم من الفساد وفى خلافه مـن الصلاح ، وان هذا أولى الامور بالملك تكرما واستصلاحا ورأيا وأصالـة لانه قادر عليهم ، وظلم الانسان من تحت يده وملكه لؤم ودناءة .

ثم ان الرعية ان ظلم بعضها بعضا ، كان السلطـان هو المفـزع ، والمستغاث ، والملتجأ والمستعدى ، واذا هو ظلم لم يكن فوقه يد قابضة ، فيصير ذلك عادة يصعب انتزاعها ، وذريعة يتعذر تركها . على ما فى هذه الخلة أعنى العدل من الائتمار بأمر الله والاقتـداء به ، والاستنان بسنن الصالحين من أنبيائه وأوليائه سلوكا لسبيل الحكماء المبرزين على ما وعد الله العادلين من جزيل الثواب وكريم المآب ، وأوعد به الجائرين من أليم العذاب وشديد العقاب . وقد قال النبى ﷺ وقد تقاضاه يهودى فأسـاء التقاضى وأغلظ فى القول : « دعوه فان لصاحب الحق يدا ولسانا » (٧٤)

= المتوكل حين استخلف وفى عين الادب والسياسة ١٥٤،وأوردهما الماوردى فى تسهيل النظر ص ٢٦٩ والشطر الاول من البيت الاول كالتالى :

اذا كنتم للناس فى أرض سـادة ... ، ونهاية الارب ٦:٤٤ .

(٧٣) رسالة أرسطوطاليس فى التدبير ص ٥١ مع أختلاف يسير .

(٧٤) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا أتى النبى ﷺ يتقاضاه فأغلظ ، فهم به أصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوه ، فان لصاحب الحق مقالا » .. اللؤلؤ والمرجان ص ٣٩٢ الحديث رقم ١٠٣٢ وهداية البارى ١ : ٣٤٣ .

وتحاكم أمير المؤمنين عمر الى يزيد بن ثابت وعرض على خصمه اليمين حتى اصطلحا ،و تحاكم أمير المؤمنين على (٦١/ب) الى شريح [٧٥] قاضيه وحكم الحكمين واحتمل ما لزمه بعد التحكيم من الضيم •

وقال النبى ﷺ : « اتقــوا المظالم فان الظــلم هى الظلمات يــوم القيامة »[٧٦] وقال : « من غضــب شبرا من أرض طــوقه مــن ســبع أرضين »[٧٧] •

وقد قرأنا لبعض ملوك الهند فى عهده الى ابنه : « واعلم أنك منىنلت منه مظلمة أو أفرطت عليه فى عقوبة فان الذى أتيت به نفسك أشــد مما أتيته اليه ، فان كلوم[٧٨] الدنيا تعفو وتبيد آثارها ، وكلوم الآثام لازمة للنفوس حتى يأتى عليها القصاص » •

وكذلك لم تزل الملوك الحزمة يتواصون به ، ويأمرون به فى عهودهم،

---

(٧٥) هو شريح بن الحارث الكندى ، أبو أمية القاضى ، يعد فى كبــار التابعين ، وكان من أعلم الناس بالقضاء ، وولى القضاء ستين سنة مــن زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى زمن عبد الملك ، توفى سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة عام ، والاستيعاب ٧٦٢ العبر ١:٨٩ ، طبقات الشيرازى ٨٠ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٠٠ — ١٠٦ .

(٧٦) حديث صحيح ، أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى عن ابن عمر بلفظ « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » صحيح الجامع الصغير ١:٨٧ رقم ١٠٠ ، شرح السنة ١٤ : ٣٥٧ عن جابر بن عبد الله .

(٧٧) صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم عن سعيد بن زيد ، بلفظ «من أخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» اللؤلؤ والمرجان ٣٩٣ رقم ١٣٠٨ ، والترغيب والترهيب ٣ : ٥٤،٥٣ .

(٧٨) كلوم : جروح . لسان العرب المحيط ٣:٢٩١ .

ويحثون به كتبهم ، ويرسلونه آثارا فى سيرهم ، فقد كان ملوك آل ساسان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان ، لهم فى السنة يومان : فى النيروز والمهرجان ، يظهرون فيهما للخاصة والعامة ، فلا يحجب عنهم فى هذين اليومين أحد من صغير ولا كبير ، ولا شريف ولا وضيع ، وكان يأمر الملك منهم بالنداء فى مملكته قبل قعوده بأيام ليتأهب للناس ليوم المحفل ، فيعد المظلومون حججهم ، ويكتبون قصصهم ، ويحضرون خصومهم ، وربما اصطلح كثير من أهل المظالم قبل ذلك اليوم خوفا من الفضيحة والتنكيل والعقاب الشديد ، فردوا ظلاماتهم ، وأصلحوا تبعاتهم • فلما كان ذلك اليوم أمر الموبذان ، وهو قاضى قضاتهم ، أن يوكل رجلا من ثقات أصحابه فيقف بباب العامة ، فلا يمنع أحدا من الدخول على الملك ، وينادى مناديه من حبس رجلا عن رفع مظلمة ، فقد عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد آذن بحرب منه ، ومن الملك ، وأمر الملك أن يؤذن للناس ويأخذ رقاعهم ، ويتأمل ، فان كان فيها متظلم من الملك بدىء به أولا ، وقدمت على كل مظلمة ، ويحضر الملك الموبذ الكبير والبرزان[٧٩] وراس سدنه بيوت النيران ، ثم يقوم مناد فينادى : « ليعتزل المتظلمون من الملك فيعتزلون » ، ويقوم الملك مع خصومه حتى يجثو بين يدى الموبذ فيقول : أيها الموبذ ، انه لا ذنب عند الله أعظم من ذنب الملوك ، وانما خولها رعايا لتدفع عنها الظلم (٦٢ / أ) وتذب عن بيضة الملك ظلم الظالمين ، وجور الجائرين ، فاذا كانت هى الظلمة الجائرة فيحق لمن دونها

---

(٧٩) غير واضحة فى الاصل ، والبرزان تعنى نافخ البوق — المساعد ٢ : ١٩٢ •

هدم بيوت النيران ، وسلب ما فى النواويس من الاكفان ، ومجلس هـذا منك ، وأنا عبد ذليل ، شبيه مجلسك من الله غدا ، فان أثرت الله آثرك ، وان آثرت الملك عذبك • فيثنى عليه الموبذ خيرا • ويقول له جميلا وربما قال : « ان الله اذا أراد سعادة عباده ، اختار لهم خـير أهـل الارض ، واذا أراد أن يعرفهم قدره ، أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك » • ثم ينظر فى أمره وأمر خصمائه بالحق والعدل ، فان صـح على الملك شىء أخذه به ، والا حبس من أدعى عليه باطلا ، ونكل به ونادى عليه : « هذا جزاء من أراد شين المملكة ، والقدح فيها بالباطل » • فاذا فرغ من مظالم الملك قام فسجد لله طويلا ، وحمد الله كثيرا على ما رفع عنه من المظالم وحط عنه من الاوزار ، ثم وضع التاج على رأسـه ، وجلـس على سرير الملك ، والتفت الى قرابته وخاصته وحامته ، فقال : « انى لم أبدأ بنفسى فأنصفت منها لئلا يطمع طامع فى حيفى ، فمن كان قبله حـق ، فليرد الىخصمه منه ، اما بصلح واما بغيره » ثمكان أقرب الناس الى الملك فى الحق كأبعدهم ، وأقواهم كضعيفهم(٨٠) •

قالوا : فلم تزل الناس على هذا من لدن عهد أردشير الى أن ساسهم يزدجرد الاثيم(٨١) •

ثم غير هذه السيرة فى المعدلة وقتل أباه ، وكان من أمره ما كان(٨٢) •

---

(٨٠) النص فى التاج فى أخلاق للملوك للجاحظ ص ١٦١ — ١٦٣ مع اختلاف طفيف ، والشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ٦٨ ، والتبر المسبوك ٨٤، ٨٥ .

(٨١) يزدجرد بن سابور ذى الاكتاف ، الملقب بالاثيم ، وكانت مدة ملكه أحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما . مروج الذهب ١ : ١٩٧ ويقول صاحب الشاهنامه أن مدة ملكه سبعين سنة . الشاهنامه ٢ : ٧٣ .

(٨٢) أنظر فى ذلك الشاهنامه ٢ : ٧٣ ، ٧٤ ، التبر المسبوك ٨٥ .

ثم عاد بهرام جور[٨٣] الى بعض السيرة فى المعدلة والنصفة وان كان قد غلب عليه فى أكثر أحواله اللهو واللعب •

وقد كتب الحكيم الى الاسكندر : خير لك يا أسكندر أن تجلس للعامة كافة فى اختلاف السنة ، وتلزم سنة الهند فانها ممدوحة ، وتفقد ما انتهى اليك وجد فى البحث عنه ، وواتر عليهم المواعظ ، وحدد الاوقات فى اجتماعهم[٨٤] • ويقول : انها سيرة حسنة لولا تراخى المدة بين المجالس، فانه اذا وقع مثل هذا فيما بين السنين والشهور ، ارتكب الناس الجور والظلم مطمئنين ساكنين الى وقت المجلس ، فكم من مظلوم يموت قبل امكان طلب حقه ، وظالم يفوت ، وكم من ضعيف يعجز ، وصحيح يمرض، وغريب (٦٢/ب) يؤوب الى وطنه فيضيع حقه ، ولكن يجب على الملك أن يفعل ذلك فيما بين الاسابيع والجمعات والشهور ، وفيما بين ذلك يستكفى من يكفيه بعد أن يقوى يده وعزمه ، ويقدم اليه بالوعيد البات أو اعلمه ذلك من رأيه ان اطلع منه على اضاعة أو فتور أو حيف أو ميل على ما بيناه فى موضعه من الكتاب •

ومن مأثور آثار العجم فى هذا الباب ، أن كسرى لما بنى الايوان بالمدائن ، وقع لعجوز ضعيفة فى زاوية من زواياه بيت يمنع من اقامة تربيعة ، فطلبوه منها بأضعاف(ثمنها)[٨٥] حتى بلغوا أن يفرش وجه ذلك

---

(٨٣) هو بهرام بن يزدجرد المعروف ببهر ام جور ، وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة ويقول صاحب الشاهنامة ان مدة ملكه ستين سنة مروج الذهب ١ : ١٩٧ والشاهنامة ٢ : ٨٠ .

(٨٤) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٧٨ مع اختلاف يسير .

(٨٥) هكذا في الاصل ، والاصوب (ثمنه) .

البيت بالدنانير ، فأبت •• وقالت : ان جوار الملك أحب الى من جمـلة هذا المـال ، فبنوه منكسر الترييع ، فلما استوى البنيان جاءت الى الملك وقالت : انى لم أفعل ما فعلت بخلا على الملك ولا محبة لايحاشه(٨٦) ولكنى فعلت ذلك محبة منى لان يبقى للملك فى احتماله عنى ، وانصافه لى ،ورفقه بى منقبة تؤثر ، وفضيلة تنشر عـلى غابر الايام ووجـه الزمان ، فيكون أحسن به وأبقى لذكره من هذا البنيان على جلالة خطره وبعـد سمته ، ووثيق أساسه ، وقوى أركانه ، فشكر لها ذلك وعدها لها صنيعة ، وصنيعة غرا ، وأمر باكرامها ، وحسن جوارها •

وذكر قحطبة بن حميـد قال : كنت واقفا على رأس أمير المـؤمنين المأمون ، وقد جلس للمظالم ، فلم يزل جالسا حتى كادت الشمس تزول ، فأقبلت أمرأة عليها أطمار بالية ، تعثر فى أثوابها فقالت : السـلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، قال : فنظـر الى يحيى بن أكثم(٨٧) ثم قال : وعليك السلام تكلمى رحمك الله فقالت :

يا خـير منتصـف يهـدى له الرشـد

ويا اماما به قـد أشـرق البـلد

---

(٨٦) ايحاشه ، منعه التصرف فيه . لسان العرب المحيط ١ : ٧٥٥ .

(٨٧) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمى الاسدى ، ويكنى أبـا محمد ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفى حكيم العرب ، تولى قضاء البصرة ثم قضاء قضاة بغداد فى عهد المأمون وتوفى ٢٤٢ هـ . وفيات الاعيـان ٥:١٩٧—٢١٤ ، أخبار القضاة لوكيع ٢:١٦١—١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٩١ — ٢٠٤ ،طبقات الحنابلة ١:٤١٠ ، ٤١٣ العبر ١:٤٣٩،سير أعلام النبلاء ١٢:٥—٦٤ ،وشذرات الذهب ٢ : ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

تشـــكو اليـــك عقيـــد الملك أرمـــــلة

عـــــدا عليهـــا ــ فلن تقوى به ــ أسد

غابتز مـــنى ضـــــياعى بعـــــد منعتها

طـــــرا وفارق مـــنى الاهـــل والولد

قال فأجابها المأمـــون :

فى دون ما قلت عيل الصـــبر والجـــلد

وأحـــرق اليـــوم مـــنى القلب والكبد

هـــذا أوان صـــــلاة الظهـــــر فانصرفى

وأحضرى لى فى اليـــوم الذى أعـــــد

(٦٣/ أ)

والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا

أنصـــفك منـــه والا المجلس الاحـــد

قال : فولت فلما كان يوم الاحد جلس المأمون ، ولم يرد الجـــلوس الا من أجلها ، فكان أول من دعا به المرأة ، فأقبلت فى ذلك الزى فسلمت فرد عليها المأمون ثم قال : أين الخصم ؟ ، فأومأت الى ابنـــه العباس ، فقال : يا أحمد ، يعنى ابن أبى خالد(٨٨) ، خذ بيده فاجلســـه معها حتى يتناظرا ، فجعلت المرأة ترفع صوتها على صوت ابن أمير المؤمنين ، فقال يحيى بن أكثم : مهلا لا ترفعى صوتك على صوت ابن أمير المؤمنين فقال : دعها ، فان الحق أنطقها والباطل أخرسه ، ثم ان المأمون حكم برد ضيعتها،

---

(٨٨) هو أحمد بن أبى خالد ، الاحول الكاتب ، أبو العباس ، وزر للمأمون بعد الفضل بن سهل ، وكان جوادا ، شهما ، بسائسا ، داهية ، مات سنة اثنتى عشرة ومئتين . النجوم الزاهرة ٢:٢٠٣ ، تاريخ الطبرى ٨:٥٧٥، ٥٧٩، ٥٩٥ ، ٦٠٣ ، سير أعلام النبلاء ١٠:٢٥٥ ، ٢٥٦ .

وظلم[٨٩] العبـــاس بظلمـــه لها ، وقال : يا أحمـــد أكتب برد ضـــيعتها عليها[٩٠] ، واكتب الى العامل هناك بارفاقها وحسن معونتها ، وادفع اليها ما تتحمل به الى أهلها •

رصـــد أخبـــار العـــامة :

والسابعة : هى أن يجعل على الرعية عيونا ممن يداخلون طبقاتهم ، وجواسيس يتجسسون أخبارهم ، ويتبعون أنباءهم ولا سيما فى مواضـــع الظنة والتهمة ، كما يفعل ذلك مع المنابذين له من الملوك والنظراء والمجاورين له (من) [٩١] الاضداد الاعداء وفى كل وقت وزمان •

ويجتهد أن يحمل ذلك على السر من يأمن ناحيتهم ، ويعلم أمانتهم ، فان ذلك من محكم التدبير ، وبليغ التقدير ، وصواب السياسة ، وفيـــه التأدب بأدب الله ، والاحتذاء على رسوم أفعال الله ، وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا بدءا ، وكررناه تأكيدا وتأييدا •

ان الله ــ جل وعز ــ على أنه المنفرد بعلم الغيوب الذى لا يشركه فيه سواه ، ولا يدعى أحد بلوغ مداه ، جعل على عبـــاده مـــلائكته كراما كاتبين ، وحفظة يعلمون ما يفعلون ، ويكتبون ما يمكرون ، فقال حاكيا عن عباده أنهم يقولون فى موقف القيامة وعند معـــاينة الاعمـــال المقـــدمة : (يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغـــادر صـــغيرة ولا كبيرة الا أحصـــاها ،

---

(٨٩) هكذا فى الاصل والاصوب (لام) بدلا من (ظلم) •

(٩٠) أورد الماوردى هذه القصة مع اختلاف لفظـــى يسير فى الاحكـــام السلطانية ص ٨٤ ، ٨٥ وكذا فى آثار الاول فى ترتيب الدول للحسن بن عبد الله ص ١٨ ، ١٩ وتهذيب الرياسة ٣٥٣ •

(٩١) (من) ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها •

ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا)[٩٢] • وقال : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)[٩٣] • فكيف يجـوز لعبد ذليـل لا يسمع الا بآلة ضعيفة ، ولا يعلم الا بتعليم واستفادة ، وهو قد كلفه الله سياسة عباده أن يفعل هذه الخلة ، ويأمن الحوادث التى يجوز حدوثها (٦٣/ب) من اهمال هذه الخلة • على أن النبى ﷺ مع اختلاف الملائكة اليه ، ونزول الوحى عليه ، واطلاع الله اياه على ما شاء من مكنون الغيـوب ، وضمائر القلوب ، لم يدع هذا الباب •

فأما عن خلفائه الراشدين فحكى عن عمر رضى الله عنه فى هذا الباب أمرا عجيبا ، وسياسة محكمة ، حتى كانوا يقولون انه علمه بما يأتى عنه من أقطار عمله كعلمه بما يأتى منه ، حتى أن العامل من عماله ليتهم أقرب الخلق اليه أن يرفع عليه[٩٤] •

وكان معاوية من الملوك كذلك ، وهذا كان أحد الاسباب المعينة له على ما بلغه ، وانتهى (اليه)[٩٥] واقتفى أثره فى ذلك زياد بن أبيـه ، فانه ذكر عنه أن رجلا دخل اليه فى حاجة له فكلمه فيها ، وظن أنه لا يعرفه ، فتعرف اليه بأبيه ، وقومه ، فتبسم زياد وقال : تتعرف الى ؟ انى لاعرفك، وأباك ، وأمك ، وجدك ، وجدتك ، وأعرف هذا البرد الذى عليك ، وهو لفلان بن فلان ، فبهت الرجل وأرعب حتى أرتعد[٩٦] •

---

(٩٢) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٩ .
(٩٣) ٥٠ / ق : مكية / ١٨ .
(٩٤) التاج فى أخلاق الملوك ص ١٦٨ ، المحـاسن والمساوىء ١:١١١ ، والمستطرف ١ : ١٠٨ مع أختلاف يسير .
(٩٥) اليه : ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٩٦) التاج فى أخلاق الملوك ص ١٦٩ ، المستطرف ١ : ١٠٨ ، والمحاسن والمسـاوىء ١ : ١١١ .

وكذلك كان عبد الملك بن مروان من بنى أمية ، وكان من خلفاء بنى العباس أبو جعفر المنصور ، والرشيد ، والمأمون ، فان لكل واحد من هؤلاء فى هذا الباب آثار كثيرة ، وأخبارا يطول بذكرها هذا الباب(٩٧) ، حتى حكى عن كثير منهم أنه كان يخرج متنكرا فيطوف فى الاسواق ، ويخرج فى جوف الليل ، فيسمع أصوات خدما فى قصوره ودوره ، وكان عبد الله بن طاهر بخراسان كثيرا ما كان يخرج الى الطريق ، فيسأل من لقى من المارة عن سيرته وسيرة عماله فيهم •

وكذلك حكى عن أردشير من ملوك العجم ، فانه كان اذا أصبح علم كل شىء بات عليه أحد فى قصبة مملكته ، وضمن داره من عامته وخاصته ، واذا أمسى علم كل ما أصبحوا عليه حتى كان ربما يقول لاوضع خدمه وأرفعهم : كان عندك البارحة كذا وكذا ، وكنت تفعل كيت وكيت ، فكان كثير منهم يقول : انه يأتيه ملك من السماء فيخبره بها(٩٨) • قال وسئل أعرابى عن وال لهم : فقال : ومن مثل فلان ؟ كان والله لا يطابق بين جفونه ، يرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم كالشاهد ، فالمحسن آمن والمسىء خائف(٩٩) •

تسهيل الحجاب :

والثامنة : هى أن يسهل حجابه ، ويلين فى الاذن جانبه ، ويتقدم الى حجابه وبوابيه أن لا تمنع عنه صاحب خبر ولا متظلم (٦٤/ أ) ،

---

(٩٧) انظر فى ذلك المحاسن والمساوىء ١ : ١١١ وما بعدها .
(٩٨) التاج فى أخلاق الملوك ١٦٧ ، ١٦٨ ، والمستطرف ١ : ١٠٨ .
(٩٩) عيون الاخبار ١ : ١٣ .

ولا متنصح يرد الباب فى وقت جلوسه حتى يأذنوا له أو يرفعوا خبره من غير تأخير ، فان من الامور أمورا يكون فى تأخيرها فســاد كبير وفتــق عظيم ، فمنها ما يكون فى تأخيره وفوته من الفــوائت مالا يمكن تــلافيه ، ولا يتهيأ تداركه ، ومنها ما يجب فى الدين تعهده وفعله واغتنامه فى وقته ، فان أعمال الدين كلها أو عامتها مؤقتة ، فاذا فات منه عمل فات به خــير كثير ، وأجر كبير ، وثناء حسن وذكر جميل • مع أن فى هذا الباب خــلة هى من كبار العدل والنظر للرعية ، واصلاح الخاصة والعامة ، وهى أن الخاصة اذا علموا ذلك وشعروا به قلت أطماعهم فى الرعية ، واضطهادهم وظلمها واقتسارها ، ثم ســلم الملك من مــكايد الوزراء واســتبدادهم بالسلطان دونه ، وتحرز من فلتات الحوادث ، وبغتات الاعداء ، ووقــف على فنون الاعداء •

قالوا : وكان مكتوبا على بساط زياد بن أبيه[١٠٠] ان لا حجــاب عن صاحب ثغر ، ولا طارق ليل [١٠١] ولذلك ما كانوا يقولون : ألخوف ما تكون

---

(١٠٠) زياد بن أبيه ، أمير من الدهاة ، من أهل الطائف ، اختلفوا فى اسم ابيه فقيل : عبيد الثقفى وقيل : أبو سفيان ، ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلده الثقفى) فى الطائف ، ادرك الرسول ﷺ ولم يره ، واسلم فى عهد أبــى بكر ، وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة ، ثم لابى موسى الاشعرى أيام امرته على البصرة . ثم ولاه على بن أبى طالب امرة فارس ، والحقه معاوية بن أبى سفيان وولاه البصرة والكوفة والحجاز ، مات فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين سير أعلام النبلاء ٣:٤٩٤ ــ ٤٩٦ ومــروج الذهب ٢:١٩٥ ، تاريــخ الطبرى ٥ : ٢٨٨ ، دول الاسلام ١ : ٣٩ .

(١٠١) العقد الفريد ١:٥٣ ورد فيه (طارق الليل لا تحجبه ، فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء به تلك الساعة،ورسول الثغر فانه ان أبطأ ساعة افسد عمل سنة) ، الخجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢:٣٦ .

الرعية آمن ما تكون الوزراء [١٠٢] .

وليعلم الملك أن فى شدة الحجاب تنفيرا لذوى الفضائل الجليلة والهمم البعيدة ، وتكديرا للصنيعة ، واستفسادا للرعية ، ودلالة على الريبة . وقد وصف كل ما ذكرناه الفضلاء من الملوك ، والوزراء فى كتبهم والشعراء فى شعرهم . حكى الهيثم بن عدى أن خالد بن عبد الله القسرى قال لحاجبه : «لا يحجب عنى أحدا اذا أخذت مجلسى ، فان الوالى لا يحجب الا عن أحد ثلاثة : عمن يكره أن يطلع منه ، أو ريبة أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله حاجة» [١٠٣] ، فأخذ ذلك محمود الوراق فقال :

اذا اعتصم الوالى باغلاق بابه
ورد ذوى الحاجات دون حجابه
ظننت به احدى ثلاث ، وربما
نزعت بظن واقع بصوابه
فقلت : به مس من العى ظاهر
ففى اذنه للناس اظهار ما به
فان لم يكن عى اللسان فغالب
من الشح يحمى ماله عن طلابه

---

(١٠٢) من أقوال اردشير ، عهد اردشير ص ١٠٤ ، كما ورد فى لباب الاداب ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(١٠٣) النص فى عيون الاخبار ١:٨٤ والمحاسن والمساوىء ١:١٢٣ ، ونهاية الارب ٦:٨٧ ، والمستطرف ١:١١٣ ، ومفيد العلوم ٢٦٥ .

فان لم يكـــن هـــذا ولا ذا قريبـــة

يصر عليها عند اغـــلاق بابـــه (١٠٤)

وفى كتاب أمير نامه : لا ينبغى للملك أن يشتد حجابه ،فانه يـــدل على الكبر (٦٤/ب) وسوء الملكة ويورث المقت ، وينغص المعروف ، وينسى الحسنات ، ويذكر السيئات مع ما ينقطع من السلطان بذلك من منافع من يرد بابه فمن به اليهم أعظم الحاجة فى وجوه العلم والعمـــل •

قالوا : وحجب بعض ذوى الهمم البعيدة والانفس الابية عن بعض الملوك فرجع ، وأنشأ يقـــول :

سأترك هذا البـــاب مـــادام اذنـــه

على ما أرى ، حتـــى يليـــن قليـــلا

فمـــا خاب مـــــن لم يأتـــه متضرعـــا

ولا فـــاز من قد نـــال منه وصـــولا

اذا لم أجد يوما الـــى الاذن سلمـــا

وجدت الى ترك المجىء سبيلا (١٠٥)

وقـــال آخـــر فى قريب من هذا المعنـــى :

ولقـــد رأيت ببـــاب دارك جفـــوة

فيهـــا لحســـن صنيعـــة تكديـــــر

---

(١٠٤) الابيات فى عيون الاخبار ١:٨٤ ، المحاسن والمساوىء ١:١٢٦ ، وبهجة المجالس ١:٢٧٠ ، والحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢:٣٦ رقال الجاحظ انشدنى محمود الوراق وأورد الابيات لنفسه .

(١٠٥) أورد الابيات ابن عبد ربه فى العقد الفريد ١ : ٥٥ ونهايـــة الارب ٦ : ٨٩ ونسبت الى حبيب الطائى (ابى تمام) ولم اعثر عليها فى ديوانه بشرح ايليا الحاوى والمبيت الاول والثالث بعيون الاخبار ١:٨٥ دون نسبة وكذا فى المحاسن والمساوىء ١ : ١٢٦ .

ومفيد العلوم ٢٦٥ ، بهجة المجالس ج١ : ٢٧١ ونسب الابيات الى محمود الوراق ، وفى محاضرات الادباء ١ : ١٠٢ الى محمد بن عمـــران .

ما بـــال دارك حين تدخـــل جنـــة
وبباب دارك منكـــر ونكيـــر (١٠٦)

وقـــال بعض المجفوين بالحجـــاب :

سأترك ، بابا أنـــت مالـــك اذنـــه
ولو كنت أعمى عـــن جميـــــع المسالك
ولو كنت بـــواب الجنـــان بأسرهـــا
لاعرضت عنها مسرعا نحو مالك (١٠٧)

وقال بعض ملوك الهند فى عهد له : واعلم أنه لا يكمل عمل وال حتى يكمل علمه بالرعية ، ولا يكمل علمه بالرعية حتى تأتيه الرعية بذات أنفسها ويخبره أدناها عن أقصاها ، وليس ذلك كائنا الا بفتح الابواب ،ولليـــن الجانب ، والنظر فى المظالم ، فان الملك اذا كان كذلـــك هابته العمـــال ، وتنوهى عن الظلم ، ويناصف الناس بينهم بالحق دون واليهم الاعظم، فاذا الوالى مأخوذ فيما تولى من الحق بنفسه ، وفيمـــا تعاطى للنـــاس منـــه دونه .

معرفة الحقائق وقضاء الحقـــوق :

والتاسعة : هى أن لا يجعل بحثه عن الامور واطلاعه عليها ، مـــن هذه الجهات المذكورة ، وبهذه الاسباب المعدودة ، من خاصتـــه وعامتـــه

---

(١٠٦) البيتان فى المستطرف ١:١١٤ دون نسبه .

(١٠٧) الحجاب (ضمن رسائل الجاحظ) ٢ : ٥٢ وقال : وأنشدت لبعضهم فى هجاء حاجب ، عيون الاخبار ١ : ٨٥ مع تعديل طفيف فى البيت الثانى اذ نصه:

فلو كنت بواب الجنان تركتها وحولت رحلى مسرعا نحو مالك

وايضا فى المحاسن والمساوىء ١ : ١٢٦ والمستطرف ١ : ١١٤ ، وبهجة المجالس ج١/٢٧١ وفى محاضرات الادباء ١ : ١٠٢ نسبها الراغب الاصبهانى الى هجاء بـــواب .

وجنده ورعيته ، لعبا ولهوا ، وسلبا وهزلا ، بل لمعرفة الحقائق ،وقضاء الحقوق : واثابة المحسن وعقوبة المسىء ، وتقريب الناصح البعيد ، وتبعيد الغاش القريب ، واقامة الاود ، وسد الخلل ، وانتهاز الفرص ومبادرة ما يخاف فوته ، ومعالجة ما يضر تأخيره ، ثم رفع الولى ، وقمع العدو ، وتدبير أمر العدو الكامن فى (٦٥/أ) غمار [١٠٨] الرعية لا تخلو من عاقل محروم ، ومخاصم مخصوم [١٠٩] ، ومحق مظلوم ، ومبتدع يخالف رأيه رأى العامة والملك ، لا يألوا الملك والملك خبالا ، وكريم محدود وحسب مطرود ، وشريف مجفو ، وحكيم مجهول قدره ، وفاضل ممنوع حظه من الاجلال والتعظيم ، وناسك يرى فى دينه ازالة بعض ما يراه ويسمعه من المناكير فى الراعى والرعية ، وفاتك يتقى لخبيث سيرته وشرار طبيعته الملك عادية [١١٠] ، ويتربص به دائرة ليتهيأ له بعض ما يريده ويؤمله ويميل اليه بطبعه وسوء سيرته •

ثم ذى نعمة ورفعة ، أو سلطان ومنعة ، قد زالت على يدى الملك نعمتهم ، وبدولته دولتهم ، وبكل هؤلاء أعداء الملك والملكة ، والراعى والرعية ، وهم اذا كانوا فى ضمن المملكة ، وقلب البيضة كانوا أشد اهتداء الى مهالكه ، وتمكنا فى مقاتله من أعدائه الخارجين ومخالفيه النائين عن داره وضمن قراره •

فالوجه فى اصلاح ذلك : أن ينظر فى العلة التى دعت الى ما

---

(١٠٨) غمار : زحمتهم وكثرتهم . لسان العرب المحيط ٢ : ١٠١٤ .

(١٠٩) مخصوم : بمعنى أنه ليس صاحب حق فيما أدعى به على غيره . لسان العرب المحيط ١ : ٨٤٤ .

(١١٠) عادية : دصيبة وخديعة ومكروه . لسان العرب المحيط ٢:١٠٧

يرتكبه من مخالفة ، ويضمره من مكيدة ، ويبعثه من غائلة ، ويلحقه (١١١) من خديعة ، ويجرى اليه من عداوة ، فان كان ذلك من ظلم ناله أو عدوان حل به ، فالوجه أن ينفى عنه ، ويكفاه ليعود الى ما كان عليه ، ويزول عنه ما خامره ، وان كان ذلك من حرمان وجفوة ، فالوجه أن يعطوا حقوقهم ويحسن اليهم ، وان كان ذلك استزادة مبرة أو طمعا فى رفع مرتبة يجوز فى رسوم المملكة ، وأحكام الشريعه ايصالهم اليها . وتبليغ آمالهم منها . فالوجه فيه اسعافهم وترك الضن بها عليهم .

وأن كان ذلك مدفوعا فى هذه الجهات ، وكان عارضا من شهوة كاذبة وآمالا غارة ، فالوجه أن يعرف ويتقرر عنده استحالته من وجوه لطيفة ، وأبواب خفية ، ويوقف على مقداره ، وهدى الى ما يزيل ذلك عن قلبه .

وان كان ذلك لعداوة قديمة ودولة زائلة ، عمل فى تداركها بالبر والايناس والتقريب والاحسان ، وتقليد من يصلح لتقليده منهم ، فان القلوب قد جبلت على حب من أحسن اليها وبغض من أساء (اليها) (١١٢) .

وان كان ذلك من مخالفة فى الدين (٦٥/ب) فالوجه : أن ينظر الملك فى دينه ومذهبه ، ورأيه ومقالته ، فان كان حقا فالصواب موافقته ، وترك المعاندة فيه ، فان ذلك من أجزل حظ يناله نائل ، وأعظم قسط يفوز به فائز ، وهى أولى الاشياء بالملك الفاضل ، والسائس العادل ، وكل مدبر عاقل فان مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

وان كان دعواه باطلا ومذهبه فاسدا ، فالوجه : أن يدعوه الى

---

(١١١) فى الاصل (يلقفه) وهو تصحيف .
(١١٢) فى الاصل : عليها .

الحق سرا ، ويدس اليه جماعة يبصرونه الدين ، ويعرفونه الحق ، فلعل ذلك مما يرده ، ويردعه ، ويكفى مؤنته ، ويصلح به ، فان لم يصلحه ذلك فالوجه أن يحضره مجلسه ، ويشهده محفله ، ويأمره بمناظرته فيه ومحاجته عليه ، ويشهره به ليتبين للخاص والعام بطلان مذهبه ، وضعف مقالته ، ويشيع ذلك فى الجمهور ، ليقفوا عليه ويحذروه • ثم ينظر فى مقدار بدعته ومبلغ فحش مقالته ، فان استحق على مذهبه قتلا قتل بعد استتابته منه واستمساكه (١١٣) به واصراره عليه ، وأراح منه •

وان استحق تأديبا أدبه ، وان استحق حبسا حبسه ، ولا يقع هذا الباب الا فى أصول الديانة وأم الشريعة دون الفروع والاحكام ، والمسائل الفقهية التى يجوز أن يتعبد الله به وبخلافه ، فانه اذا فعل ذلك رجوت أن يدفع مضرته ، ويكفى المملكة وأهلها معرته ، ويرفع عنهم فتنته •

وان كان ما ذكرناه من حسد أو بغى وعداوة أورثه تقارب الاحوال من جهة وتباينها من جهة أخرى ، عرف أن ذلك من خلق مذموم ،وفعل مكروه فى الدين والمروءة مضر بصاحبه فاضح له لا فائدة فيه فان لم ينفع ذلك فالوجه أن يحتال أن لا يجتمع له جماعة ، ولا يصير لشرذمته(١١٥) شوكة وعدة ، ويفرق بين نياتهم وضمائرهم وأبدانهم ، فيشغل جماعة ، ويقلد طائفة ، واعطاء (١١٦) اخرى ، وعقوبة عناده (١١٧) على ما يقع

---

(١١٣) غير واضحة فى الاصل .
(١١٤) أم الشريعة : أصولها ، وهى القرآن والسنة والاجماع .
(١١٥) الشرذمة : جماعة سيئة الخلق من الناس . لسان العرب المحيط ٢ : ٢٩٦ .
(١١٦) هكذا فى الاصل والاصوب (يعطى) .
(١١٧) فى الاصل : (عده) وهو تحريف .

فى أمورهم وقديم أسبابهم من التدبير والتقدير بالرفق والمداراة ومطالعة الاسباب والاحداث ، والبحث عنها فى كل وقت ومدة ، ويوم وساعة ،فان لم يصلحوا فالوجه فيه وعظهم وتحذيرهم ، فان لم ينفع حتى (يتفاقم)(١١٨) الامر وظهر الشر (٦٦/أ) ، وبرح الخفاء عن مكنون السر ، كان سبيلهم سبيل الاعداء الخارجين على الملة أو الباغين فيها ، وسنتبين فى تدبير الاعداء من هذا الباب ما فيه كفاية بمشيئة الله .

وكل هذا الذى ذكرناه فمن تدبير الله الذى دبر عليه أمور خلقه ، وآدابه التى أدبهم بها ، ومأخوذ من دلائله التى أقامها ، اذ كان القديم — جل ذكره — لم يزل عالما بمن يعاديه من خليقته ، ويخالف أمره من بريته ، ويمرق من طاعته ، ويقصيه من عباده ، فلم يمنعه ذلك من خلقهم واتخاذهم واحداثهم ، وابتداعهم والامتنان عليهم بالحياة ، والعقول السليمة والاعضاء القوية ، والافضال على كل واحد منهم بما علمه أصلح له ، وادعى الى طاعته . ثم أراهم بعد ابداء العداوة ، واظهار المخالفة واتخاذ الالهة دونه وعبادة الاصنام معه ، واجراء كثير منهم الى ضروب من العنود والكنود . دلائله ، وأحضرهم شواهده ، وبعث اليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ، وبشرهم وأنذرهم ، ووعدهم وأوعدهم ، ودعاهم الى ما فيه نجاتهم ، وأمهلهم المدة التى يمكنهم فيها التبين والتدبر ، والمراجعة والتفكر ، وثم يعاجلهم بالمؤاخذة الا بعد تحقق الكلمة ، والاياس من المراجعة ، ثم لا يجوز فى الحزم ، ولا يسوغ فى التدبير أن يستخف الملك ، وأن جل شأنه وعظم سلطانه بهذا الباب ، ويغفل عنه

---

(١١٨) هكذا فى الاصل والاولى أن تكون (تفاقم) .

اغترارا باقتداره على من فى رعيته وضمـــن مملكته ، فـــان الشر تبـــدؤه صغارة (١١٩) ، ورب مطر بدؤه مطيـــر •

وقد حذر الله ــ جل وعز ــ نبيه ﷺ هذا الضرب من الاعداء أشـــد من تحذيره اياه الاعـــداء النائين الخارجين ، ووصفهـــم (به من) (١٢٠) الحنق والغيظ بما لم يصف به أهل الحرب من المشركين ، فقـــال : (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهـــم ، وان يقولوا تسمـــع لقولهم ، كأنهم خشـــب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فأحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) (١٢١) • وقال : (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا ، واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ)(١٢٢) • وقال : (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنـــا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا أنا معكم ، أنما نحن مستهزءون ، الله يستهزىء بهم) (١٢٣) (٦٦/ب) وقال : (سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنـــا معكم ، يهلكـــون أنفسهم ، والله يعلم إنهم لـــكاذبون)(١٢٤) • وقال : (لئن أخـــرجـــوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) (١٢٥) • وقال : (ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى

---

(١١٩) من الامثلة التى تضرب فى الاغضـــاء على المكروه وتحمـــل الاذى « الشر يبدؤه صغاره » الامثال لابى عبيد القاسم ١٥٢ ، وفصلُ المقالْ ٢٣٢ .

(١٢٠) هكذا بالاصل والاصوب وضع « الباء » قبل « الحنق » .

(١٢١) ٦٣ / المنافقون : مدنية / ٤ .

(١٢٢) ٣ / آل عمرن : مدنية / ١١٩ وفى الاصل بداية الاية (أنتم هؤلاء)

(١٢٣) ٢ / البقرة : مدنية / ١٤ ، ١٥ وفى الاصل : لقوكم .

(١٢٤) ٩ / التوبة : مدنية / ٤٢ وفى الاصل فى الاية : (يحلفون) بدلا من (سيحلفون) ، و(يشهـــد) بدلا مـــن (يعلـــم) .

(١٢٥) ٥٩ / الحشر : مدنية / ١٢ .

عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حـــداد) (١٢٦) • فى آى كثير من أمثالها وصف الله فيها حال المنافقين الذين كانوا فى جملة مسالمى النبى ﷺ ، ومظهرى الايمان به والطاعة لـــه •

وقد عرف ذلك من قـــال :

لا تحقـــرن مـــن الامـــور صـــغارها

ان الصغار غـــدا تكـــون كبـــــارا

واعـــلم بـــأن كبـــارها اللاتى تـــرى

قد كـــن حينـــا قبـــل ذاك صغـــارا

وقد قال القائل فى أول نجوم دعوة بنى العباس :

أرى خال الرماد وميـــــض جمـــــــر

ويوشـــك أن يكـــــون لـــه ضرام

فـــان النـــار بالعوديـــن تذكـــــى

وان الحـــرب يقدمهـــا الكـــــلام

فـــان لم تطفئوهـــا تجـــن حربـــا

مشمـــرة يشيـــب لهـــا الغـــــلام

مشمرة يكشـــف عـــــن سنـــاهـــا

يكـــون وقودهـــــا قصر وهـــــام

أقول من التعجـــب ليـــت شعـــرى

أأيقـــــاظ أميـــــــة أم نيـــــام

---

(١٢٦) ٣٣ / الاحزاب : مدنية / ١٩ و(تدور أعينهم كالذي يغشـــى) بيـــاقطة مـــن الاصـــل •

نـــأيتـــم عـــــن بـــلاد عز فيهـــــا

لئـــام النـاس واضـــطهدا الكرام(١٢٧)

فناموا ولم ينتبهوا فكان الامر على ما قال ، وكانوا يقـــولون : أصغر الاعداء أحماهم مكيدة ، وأمضهم على القلب ظفـــرا .

وقال أرسطاطاليس للاسكندر فيما كتب اليه : جدد العناية والتفقد لامورك ، وعامل ضعيف أعدائك على أنه فى الدرجة العليا من القوة (١٢٨) .

وقال : عامل الضعيف من أعدائك على أنه أقوى منك ، وتفقد جندك تفقد من نزلت به آفة ، فاضطرته الى مدافعتهم ، ودار الرعية مداراة من قد انتهكت عليه مملكته ، وكثرت الفتوق عليه من أعدائه (١٢٩) .

ثم لم يكن فى العالم نبوة ولا ديانة ، ولا مملكة ولا عمارة ،الا كان بدؤها ضعيفا ثم قوى .

السياسة بين اللين والشـــدة :

ولا يجب أن يظن الملك المقتدر المعجب بقدرته وأعوانـــه وجماعاتـــه (٦٧/أ) وخزائنه وعدته وعتاده أنه يقيم الاود ، ويسد الخلل فى مثل هذه الامور بالشدة والعنف والغلظة والضرب والقتل البحت ، فان ذلك ربمـــا

---

(١٢٧) قائل هذه الابيات نصر بن سيار صاحب خرسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها . عيون الاخبار ١ : ١٢٨ ، والعقد الفريد ١ : ٦٨ البيتان الاول والثانى ، تاريخ الطبرى ج٧ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية ج٨ / ٢٦٤ ، بهجة المجـــالس ج١ / ٦٨ ، فصل المقال ص ٢٣٣ ، ونسب صاحب التذكرة السعيدية البيتين الاول والثانى الى أبى مريم البجلى ص ١٩١ وينسبها ابن برى الى ابى مريم البجلى . اللســـان ٢ : ٥٣٢ .

(١٢٨) السياسة فى تدبير الرئاسة ٨٣ .

(١٢٩) عيون الانباء في طبقات الاطباء ١ : ٩٩ .

يزيد النائرة (١٣٠) قوة ، والشر شدة ، والعداوة الحكاما ، فان السياسة بين اللين والعنف ، والرفق أبلغ من الخرق • والصواب فى التدبير والحكمة والمصلحة والسياسة أن يقدم اللين على الشدة ، والدعوة على العقوبة ، وأن لا يعاجل بالمناجزة ما وجد سبيلا الى المحاجزة ، قال الله — تبارك وتعالى — فى كتابه (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) (١٣١) • وقال : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) (١٣٢) • وكانوا يقولون : الشدة فى غير عنف واللين فى غير ضعف (١٣٣) •

وقال أردشير فى عهده : أعلموا أنا على فضل قوتنا ، واجابة الامور ايانا ، وقوة دولتنا ، وشدة بأس أنصارنا ، وحسن نية وزرائنا ، لم نستطع احكام تفتيش الرعية حتى نبلغ من الرعية مكروهها ومن أنفسنا محبوبها (١٣٤) •

وكتب ابراهيم بن العباس (١٣٥) الى أهل الحمص :

« أما بعد ، فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه فيما يقوم من وقع ، ويقيم من أود استعمال خلال ثلاث : يقدم بعضها أمام بعض : أولاهن : الوعظ والتنبيه ، ثم الايعاد والتحذير ، ثم الواقع اذا لم يحسم

---

(١٣٠) النائرة : العداوة والفتنة والشحناء . المصباح المنير ٢ : ٦٣٠ .
(١٣١) ٧ / الاعراف : مدنية / ١٦٨ .
(١٣٢) ٢١ / الانبياء : مكية / ٣٥ .
(١٣٣) من أقوال عمر بن الخطاب « ان هذا الامر — السياسة — لا يصلح له الا اللين فى غير ضعف والقوة فى غير عنف » عيون الاخبار ١ : ٩ .
(١٣٤) عهد أردشير ٨٢ مع اختلاف يسير .
(١٣٥) ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، ويكنى أبا اسحاق ، كاتب العراق فى عصره ، أصله من خراسان ، وكان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل ، وله «ديوان شعر» و «كتاب الدولة» ومات ٢٤٣هـ . وفيات الاعيان ١ : ١٢٥ تاريخ الطبرى ٩ : ٢٠٩ ، الاعلام ١ : ٣٨ .

الداء غيره • (قال الشاعر) : (١٣٦)

أناة فان لم تغن عقب بعـــدها وعيـدا فان لم تغن غنت عـزائمه

قال الله ــ جل ذكره ــ فى أول هذه القضية : (فبما رحمـة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهـم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامـر فاذا عزمت فتوكل علـى الله) (١٣٧) • وقال : (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) (١٣٨) • ثم قال : (فاذا الـذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) (١٣٩) •وأمره باعطاء المؤلفة قلوبهم •

وقال النبى ﷺ : (نصف العقل ــ من الله ــ بعـد الايمان مـداراة الناس)(١٤٠) فعلى هـذا الترتيب يجب أن يكون اسـتعطاف الاعـداء واستجلاب قلوب أهل البغضاء •

خطر رئاسة العامـى :

والعاشرة : هى ألا يسلط الرعية والعامة بعضهما علـى بعض ، ولا يجعل فى المملكة آمرا غيره وغير خلفائه ، فانه لا أحد آلم طفرا ولا أسـوأ رعاية ولا أجفى مقدرة من العامى اذا نال رياسة أو ولى ولايـة (٦٧/ب)

---

(١٣٦) وافيات الاعيان ١:٢٦ ، وجملة « قال الشـاعر » سـاقطة من الاصـل .

(١٣٧) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٥٩ .

(١٣٨) ٢٣ / المؤمنون : مكيـة / ٩٦ .

(١٣٩) ٤١ / فصلت : مكيـة / ٣٤ .

(١٤٠) أورده بلفظه أبو عبيد القاسم فى كتابه الامثال وقـال : حديـث مرفوع . الامثال ١٥٧ وأورده الطبرانى بلفظ « افضل الاعمال بعد الايمان مكارم الاخلاق » ١٣٩ وفى مسند الشهاب للقضاعى « رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس ١:١٤٧ ورواه البزار كما قال الهيثمى وفيه ضـعف . مجمع الزوائد ٨ : ١٧ .

وربما اذا نال ذلك حسده من هو مثله ، وطمع فى مرتبه من هو شكلـــه ، وصار لكل تبع ، فأدى ذلك الى مؤونة على السلطان عظيمة ، وجناية على المملكة جسيمة • بل يجب على الملك أن يكون فى بعد همته وتمام قوته ، وشدة صولته ، وطهارة أخلاقه ، ومحاسن عاداته ، وصواب تدبيره ، وكريم أرائه ملكا ، وفى تواضعه لله، ولين جانبه ، واستقامة دينه ، ومخافته لربـــه ومراقبة زوال دولته ، والتفكر فى عاقبته ناسكا ، وفى قربه مـــن رعيتـــه ورأفته بأهل مملكته ورفقه بأهل ولايته عاميا ، وفى حدة فكره ودقة نظره فى أسباب ملكه سوقيا ، وفى معرفته بما فوض اليه ، وعصب به من العدل بين رعيته عالمـــا فقيها •

فهذه خصـــال رجـــوت أن من أحـــذى عليها ســـيرته ، وساس بها رعيته ، كان قد نال فضيلة السياسة ، وأدى حق المملكة ، واستحق من الله المثوبة ، ومن العقلاء على مر الايام حسن الثناء والمـــديحة[١٤١] بعـــون الله وقـــــوته •

ثم يجب على الملك أن ينوى بذلك كله اقامة الدين ، والائتمار بأمـــر الله فى التأدب بأدبه ، والرغبة فيما عنده ، فانه ان فعل ذلك سدده ووفقه للصواب ، وأرشده للسداد ، وما عند الله خير للذين آمنوا ، والذين هـــم محسنـــون •

---

(١٤١) هكذا في الاصل والاصوب (المديح) .

البـــاب الثامـــن

التدبيـــر فى الامـــوال

فنقول وبالله التوفيق ، اذ فرغنا من ملـــح التدبير فى أبـــواب السياسات الثلاث ، أوجب حق الترتيب أن يتبعه باب التدبير فى الاموال لان الله — تبارك وتعالى — جعلها قواما للابدان،وتلوا للانفس،وسببا لبقاء الاجسام ، وحياة للبشر ، وآله لطلب المعالى ، وأداة لنيل الامانى ، وزينة للحياة الدنيا ، وطريقا الى النجاة فى الاخرة والاولى ، وأكد فيها الاحكام، وبين فيها الحلال من الحرام ، وجعل فيها من التعبد حظا وافرا ، وقسطا كاملا ، فقد قال فى تعظيم منزلته واعلاء درجته ، وما بين من حاجة الجميع اليه ، وانتفاعهم به : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعـــل الله لكـــم قيامها) [١] • وقال : (وأنه لحب الخير لشـــديد) [٢] • وقال : (المـــال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات) [٣] (٦٨/أ) وقال : (لتبلـــون فى أموالكم وأنفسكم) [٤] ثم بين أن المال وان كان هذا محله فليس مما يجب أن يباع به الدين ولا (يشترى)[٥] به الاخرة ، بل يجب أن تكتسب به ، ويطلب لها ، ويقدم اليها ، فقال : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) [٦] • وقال : (زين للناس حب الشهوات مـــن

---

(١) ٤ / النساء : مدنية / ٥
(٢) ١٠٠ / العاديات : مكيـــة / ٨ •
(٣) ١٨ / الكهف : مكيـــة / ٤٦ •
(٤) ٣ / آل عمران : مدنيـــة / ١٨٦ •
(٥) هكذا فى الاصل ، والاصوب (يشرى) بمعنى يبيـــع •
(٦) ٩ / التوبة : مدنيـــة / ١١١ •

النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واللخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب) (٧) وقال : (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين أتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ، ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد) (٨) . وقال (أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الدنيا فى الاخرة الا قليل) (٩) . وقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا) (١٠) .

وقال لنبيه ﷺ حين أراد رفع منزلته واختصاصه بفضيلته وكرامته : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربكَ خير وأبقى) (١١) .

المال بين الحلال والحرام :

ولا يجوز لمن أخذ فى الدنيا بالحزم ، وحكم فى أموره العقل أن يبيع دينه بدنياه وآخرته بأولاه ، اذ لا مقدار للدنيا فى الاخرة ، ولا خطر لها فى جنب الدين ، ولا يأخذ المال الا من حقه ، ولا يضعه الا فى موضعه فان الله — جل وعز — قد أغلظ الوعيد على مستحله ، وأكد النهى عن الظلم فيه فقالَ : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطلَ وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) (١٢) . وقال : (ولا تقربوا

---

(٧) ٣ / آل عمران : مدنية ١٤ وفى الاصل : من الانعام .
(٨) ٣ / آل عمران : مكية / ١٥ وفى الاصل : انفقوا .
(٩) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٨ .
(١٠) ١٨ / الكهف : مكية / ٤٦ .
(١١) ٢٠ / طه : مدنية / ١٣١ .
(١٢) ٢ / البقرة : مدنية / ١٨٨ .

مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده)[١٣] • وقال : (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، انما يأكلون فى بطونهم نـــارا وسيصلـــون سعيرا) [١٤] • وقال : (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبـــا كبيـــرا) [١٥] •

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : (من لم يبال من حيث كسب المـــال لم يبال الله من حيث أدخله النار) [١٦] • وقال : (لن تبرح قدما عبد يـــوم القيامة حتى يسأل عن أربع : شبابه فيما أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه فيما عمل بـــه) [١٧] (٦٨/ب) •

ثم قد حرم الله ــ جل وعز ــ من صنوف المكاسب والمطالب : الربا ، والرشا ، والغصب ، والغلول ، والغش ، والخيانة ، والسرقة ، وكل مـــال (ملأ أود من أحد من طيبه نفسه) [١٨] أو حق يجب عليه أو ميراث يورث

---

(١٣) ٦ / الانعام : مدنية / ١٥٢ •
(١٤) ٤ / النساء : مدنية / ١٠ •
(١٥) ٤ / النساء : مدنيـــة / ٢ •
(١٦) اخرج البخارى عن ابى هريرة ــ فى البيوع ، باب من لم يبال مـــن حيث كسب ــ عن النبى ﷺ قال : « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام » صحيح البخارى ٢:٧١ ، ٧٢ •
(١٧) حديث صحيح ، أخرجه الترمذى عن أبى برزة الاسلمى ، كما أخرجه البيهقى وغيره . الترغيب والترهيب ١:٧٦ من حديث معاذ عن النبى ﷺ بلفظ « ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمر فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ،وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمـــل فيـــه » أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ١١ : ٤٤٢ •
وقال المنذرى : رواه البزار والطبرانى بأسناد صحيح . واورده الالبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة ٢ : ٥٤٣ ــ ٥٤٤ رقم ٩٤٦ ، وصحيح الجامـــع الصـــغير ٥:١٤٨ رقما ٧١٧٦ ، ٧١٧٧ •
(١٨) هكذا بالاصل والاصح أن تكون « أخذ من غير طيب نفس » •

من بعده سوى ما أوجب الله على أهل الملة من حق فى أموالهم فيأخذه الامام من أغنيائهم فيرد فى فقرائهـم •

فالواجب على الملك الذى أحله الله المحل الجليل ، وأنزلـه المنزلـة الرفيعة ، أن يتوقى ما نهاه الله عنه ، فان فيه ما بينا فى غير موضع مـن المأثم والمذام والملوم ، وقد كره الحكماء والعقـلاء والفضلاء من أهـل كل صنف وشريعة ، وجيل وديانة المكاسب الدنية ، والمطالب التى تكسب العار والفضيحة ، وتبقى قبح الاحدوثة ، ولا شىء أولى بهذه الصفـة من الكسب مما حرم الله ، فان الله لم يحرم الا القبيح ، ولم يحظر علـى عباده الا الدنىء الخسيس • ولم يزل الملوك الفضلاء والائمـة الحـكماء يتنظفون عن ظلم الرعية والطمع فى أموالها الا ما وظفت عليهم سـنتهم ، وأباحته لهم ملتهم وشريعتهم من أخذ فضول أموالهم ثم ردها عليهـم فى عـوام مصـالحهم من تحصين دمائهم ، وتثمـير أمـوالهم ، وايمـان سبلهم ، ودفع معرة أعدائهم ، وقمع ذعارهم •

وقد بين ذلك أرسطاطاليس فى رسالته الى الاسكندر (حيث قال)[١٩] «لا تلح فى أخذ أموال رعيتك فتضعفهم ، وتتبغض اليهم ، واصرف مـا تناله من أموالهم فى مصلحة عامتهم ، واشتهر بذلك تسعد بـه » [٢٠] •

ثم نهى الله جل وعز فيما أحله لهم من الاموال عن التبذير والتقتير جميعا ، فقال لنبيه ﷺ : (ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخـوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) [٢١] • وقال مثنيا على القاصدين :

---

(١٩) ساقطة من الاصـل .
(٢٠) السياسة فى تدبير الرئاسة ٧٨ ، ٧٩ مع اختلاف لفظى يسير .
(٢١) ١٧ / الاسراء : مكية / ٢٧:٢٦ .

(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما) (٢٢) ، وقال لنبيه ﷺ : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)(٢٣) .

البخـــل والتبذير :

ولم يزل فضلاء الملوك وحكماء أهل الاديان وعلماء الامم يذمـــون التبذير ذمهم التقتير ، ويرون رأيا حقا أن التبذير مؤد الى التقتير ، وأن بذل ما فوق الطاقة من المال ، ووضعه فى غير موضعه قطع لمادة (٦٩/أ) الجود ، وخروج من الحدود ، وتعجيز عن القيام بالحقوق . وكانوا يقولون ما فى الارض مال وضع فى غير (موضعه) (٢٣م) الا والى جانبه حق مضيع .

وكان بعض مشايخنا يقول : ما فى الدنيا أبخل من مفسد .

وحد أرسطاطاليس الجود ، فقال : هو بذل ما يحتاج اليـــه عنـــد الحاجة وايصاله الى من يستحقه بقدر الطاقة ، فمن جاوز هذا الحـــد افراطا واسرافا فقد خرج عن حد السخاء والجود الى حـــد التبذيـــر ، والتبذير مؤد الى التقتير (٢٤) .

ثم قد ذم الله الباخلين بأموالهم فقال : (الذين يبخـــلون ويأمـــرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابـــا

---

(٢٢) ٢٥ / الفرقان : مكية / ٦٧ .
(٢٣) ١٧ / الاسراء : مكية / ٢٩ .
(٢٣م) فى الاصل ، « موضع » ولا يستقيم بها المعنى .
(٢٤) السياسة فى تدبير الرئاسة ص ٧٣ وأدب الدنيا والدين للماوردى تحقيق المصطفا ١٨٥ .

مهينا) [٢٥] • وقال : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) [٢٦]

فيجب على الملك الفاضل الذى يعرف حق نعمة الله عليه ، فيما خوله منه وآتاه ، ومهد له وأعطاه ، أن لا يبخل بمال الله على عباده فيما فيه صلاحهم ، ولا يدخل نفسه نا ر الابد بما يستحق به عليه ذم الامد • فقد بان بما ذكرناه ما عرضناه من جلالة قدر المال ، وعظم امتنان الله وفضله به، وبان مذمة التقتير والتبذير فيه ، ومحمدة الجود به ، وحقيقة الجود ، وبان به أن البخل هو منع المال من مستحقه ، والتبذير : هو مجاوزة الحد فيه بالوجيز من القول •

ونحن نبسط معنى البخل والتبذير بسطا ، ونجرى فيهما على عادتنا من الاستشهاد بقول الله جل ذكره ، وبشواهده ، ودلائله الظاهرة ، وبقول الرسول ﷺ ، وآثار الحكماء والملوك فنقول :

ان من أدنى منازل البخل أن يمنع المال عن سبل الحق التى شرعها الدين ، واتفقت عليه كلمة المؤمنين ممن بين الله حقوقهم فى كتابه وعلى لسان رسوله عليه السلام من الفقراء والمساكين ، وما فى هذا الباب ، فان بخله بذلك بخل على نفسه يقول الله : (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) [٢٧] • وقالوا : ومر بالنبى ﷺ أعرابى فقيل له أن هذا أكثر بدوى نعرفه مالا ، اذا حل بواد لم يحلل ما معه من النعم ، فقال له النبى ﷺ

---

(٢٥) ٤ / النساء : مدنية / ٣٧ .

(٢٦) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٨٠ وفى الاصل (تحسبن) بدلا من (يحسبن) و (الله) ساقطة .

(٢٧) ٤٧ / محمد : مدنية / ٣٨ .

(ان ما فى مالك شركاء ثلاثة : دهر يأتى على أونه وآخره وأوسطه ، ووارث ينتظر موتك فيحــويه ، فان استطعت (٦٩/ب) أن تكون أكيس الشركاء فافعل)[٢٨] فأخذ هذا المعنى بعض الحكماء فأوجــز فيه اللفظ فقال : ان لك فى مالك شريكين : الوارث والحدثان [٢٩] .

وقال ابن المعتز : بشر مال البخيل بحادث أو وارث [٣٠] .

وقد قرر الله ــ جل ذكره ــ ذلك فى عقول الحكماء قبل ايراد الخبــر عليهم . وأراهم ذلك عيانا قبل استدلالهم ، بخل البخيل بماله ، عما يكسبه فى آخرته ثوابا وأجرا ، وفى دنياه شرفا وذكرا ومحمدة وفخرا ونعمة وخيرا (محل) [٣١] الاجير الذى يكد فى مال غيره ويشقى فى ملك من سواه ، فيكون حظه لغيره وتعبه عليــه .

ثم انه ان جمعه من غير حله ، وأخذه من غير حقه ، ومنعه من وجهه ، ثم خلفه لاحب قرابته وأقرب خاصته لديه ، كان أشقى الاشقياء ، وأجهل الجهلاء ، وأخبث ذوى الحظوظ والانصباء ، حيث باع آخرته بدنيا غيره ، وباقيه بفانى من سواه ، ولم يحصل منه الا عابا قائما ، وعذابا دائمــا ، وعارا لازما فى حياته وبعد وفاته ، وخرج منها نادما على ما خلف سادما .

---

(٢٨) ثبت عن أبى ذر انه قال : « فى المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستأمرك ان يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت ، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها ، وانت ذميم فان استطعت أن لا تكون اعجــز الثــلاثة فلا تكونن » حلية الاولياء ١ : ١٦٣ ، وفى نفس المعنى : العقد الفريد ١ : ١٥٥ ، ونهايــة الارب ٣ : ٢٠٦ .

(٢٩) من قول أبى ذر . العقد الفريد ١ : ١٥٥ وقارن نهج البلاغة وانه من أقــوال على ٢ : ٢٨١ .

(٣٠) الثعالبى : التمثيل والمحاضرة ٤٤٠ .

(٣١) هكذا فى الاصل ، والاصوب (مثل) .

ولقد بلغنا عن الحسن البصرى أنه دخل على عبـــد الله بن الاهتم فى مرضه الذى مات فيه ، قال : فنظر اليه وعيناه تدوران فى رأسه فقال له : يا أبا سعيد ما تقول فى مائه ألف فى جانب هذا الصندوق لم تؤد منـــه زكاة ، ولم يوصل منه رحم ؟ • قال الحسن : فلأى شىء كنت تجمعهـا لا أبا لك ؟ قال : لجفوة السلطان ، وروعة الزمان ومكاثرة العشيرة • قال : فخرج الحسن من عنده فاذا الضراخ عليه ، فقال : انا لله وانا اليه راجعون انظروا كيف أتاه شيطانه فخوفه جفوة سلطانه ، وروعة زمانه ، ومكاثرة عشيرته فيما استودعه الله اياه ، وعمره فيه حتى أخرجه منه حزينا سليبا لم يؤد منه زكاة ولم يوصل منه رحم دونك أيها الوارث أتاك هذا المـــال عفوا صفوا لم تكدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، أتاك هذا المـــال ممن كان يقطع فيه لجج البحار والمفاوز ، جمعه فأوعاه ، وشد فأوكأه ، [٣٢] من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، إياك أن تخدع كما خدع صويحبك بالأمس اذكر يوم القيامة ، فانه يوم حسرات وندامة ، وكيف ذاكم عبد آتاه الله مالا فغل يده عما افترض الله (عنه) [٣٣] فيه فمـــات فورثه وراث فأنفقـــه فى طاعه الله ، فاذا اجتمعا يوم القيامة ، نظر هذا فاذا هو يرى ماله فى ميزان غيره ، أدخل الله به هذا الجنة ، وأدخل هذا به النار فيالها حسرة (٧٠/أ) لا (تنال) [٣٤] ، وعثرة لا تقال [٣٥] •

---

(٣٢) أوكاه : أحكم ربطه . المصباح المنير ٢ : ٦٧١ .
(٣٣) هكذا فى الاصل ، والصحيح (عليـــه) .
(٣٤) هكذا فى الاصل ، والاصوب (تزال) .
(٣٥) ورد النص فى حية الاولياء ٢ : ١٤٥ ، ونهاية الارب ٣ : ٢٩٦ مـــع أختلاف لفظى يسير .

وأنشدوا فيما يلائم هـذا البـاب :

أنفسـك عنـدك أولـى النفـوس

فبالبـؤس مـن غمهـا جاهـدا

فان قلـت أخشـى صروف الزمـان

فكـن مـن تصاريفـه واجـدا

وان قلـت أجمعـه للبنيـن

فقـد يسبـق الولـد الوالـدا

وأنشـد :

اذا كنـت جماعـا لمالـك ممسـكا

فأنـت عليـه خـازن وأميـن

تؤديه مـذموما الى غـير حامـد

فيأكلـه عفـوا وأنـت دفيـن (٣٦)

وما أحسن ما وصف العطوى (٣٧) هذا المعنى فى قولـه :

يا جامعا مانعـا والدهـر يرمقـه

أغاديا أم بهـا تسرى فتطـرقه

---

(٣٦) أوردهما الخطيب البغدادى فى «البخلاء» ص ١٩٦ ونسبهما الى أبى العباس أحمد بن يحيى « ثعلب » المتوفى عام ٢٩١هـ .
أوردهما المـاوردى فى أدب الدنيا والدين ونسبهما الى بعض الشعراء ص ١٨٦ ، ومحاضرات الادبـاء ١ : ٢٥٢ .

(٣٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيـة ، ويكنى أبا عبـد الرحمن العطوى ، مولده ومنشأه بالبصرة ، وكان معتزليا ، وتوفى نحو ٢٥٠هـ . سمط اللالى ١٤٠ و ٣٣٩ ، طبقات الشعراء ٣٩٤ ، الثعالبى الايجاز والاعجاز ٦٠ ، والاغانى ٢٣ : ١٢٣ ، والاعلام ٧ : ٦١ .

جمعت مالا فقــدر هــل جمعت لــه

يا جامـــع المـــال أياما تفـــرقـــه
المـــال عنـــدك مخـــزون لوارثـــه
ما المـــال مالـــك الا حيـــن تنفقلـــه
أرفـــه ببـــال فتـــى يغدو على ثقـــة

أن الـــذى قســـم الارزاق يرزقـــه
فالعرض منه مصـــون ليس يدنســـه

والوجه منه جديد ليس يخلقـــه (٣٨)
وأجـــاد الخزيمـــى (٣٩) فى هذا المعنى حيث قـــال :

ان كنـــت ذا مـــال فـــلا والـــذى
خـــولنى المـــال وأغنـــانى
مـــا قـــرت العيـــن بـــه ســـاعـــة
الا تـــذكـــرت فـــأبكـــانـــى
أذكـــر انـــى صائـــر للبلـــى
وفاقـــد أهلـــى واخـــوانـــى
وتـــارك مالـــى علـــى حالـــه
نهبـــا لهيـــان بـــن بيـــان

---

(٣٨) وردت الابيات — على غير هذا الترتيب — فى الاغانى ٢٣ : ١٢٤ .

(٣٩) يبدو لنا أنه الخريمى ، وهو اسحاق بن حسان بن قوهى ، ويكنى أبا يعقوب ، وأصله من خراسان من أبناء السعد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله منسب اليه ، وله مدائح فى محمد بن منصـــور بن زياد ، ويحيى بن خالد وغيرهما ، وقال أبو حاتم السجستانى الخريمى ، أشعر المولدين. تاريخ بغداد ٦:٢٣٢٦ الشعر والشعراء ٢:٨٥٣ ، زهر الاداب ٤:٢٠٨ وطبقـــات الشعراء ٢٩٣ .

لامـرأة ابـــنى ولـــزوج ابنـتى
يالـك مـــن غبـــن وخسران

ان انفقـــوا كـان لهـم أجـــره
وخـف مـــن ذلك ميـزانـــى

ومن أفحش البخل ، وأقبح التقتير والمنع كثرة المال الذى يمنع به صاحبه ثمرة ماله ، ودرة نفسه وعبرة فى حياته وبعد وفاته ، ولذلك أغلظ الله الوعيد لكانزى الاموال ، فقال : (والذين يكنزون الذهب والفضـــة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نـــار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (٤١) .

(٧٠/ب) وقال : (جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده ، كـلا لينبذن فى الحطمـه) (٤٢) .

وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه أربع من الشقاء : كنز العين ، وقساوة القلب ، وبعد الامـل ، وحب الدنيـا (٤٣) .

قالوا : وكتب بعض الحكماء الى أخ له : أما بعد ، فانفق مما آتـاك الله فيما أمرك الله ، ولا تكن فى مالك كالبخيل المتعجل للفقر الذى منـــه يهرب ، والتارك للسعة التى اياها يطلب ، ولعله يموت بين طلبه وهربه ، فيكون عيشة فى الدنيا عيش الفقراء ، وحسـابه فى الاخـرة حسـاب الاغنياء (٤٤) ، ومن أنه لم ير أحد أشقى بماله من البخيل ، لانه فى الدنيا

---

(٤١) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٤ ، ٣٥ .
(٤٢) ١٠٤ / الهمزة : مكية / ٢ — ٤ .
(٤٣) رواه البزار عن أنس عن رسول الله ﷺ . الترغيب والترهيب ٤ : ١٣١ .
(٤٤) ورد النص مع تعديل يسير للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه=

مهتم بجمعه ، وفى الاخرة محاسب على منعه ، وغير آمن فى الدنيا مـــن همه ، ولا ناج فى الاخرة من اثمـــه .

وفى ذلك ما أقـــول (٤٥) :

أمـــن خـــوف فقـــــر تعجلتـــــه

تؤخـــر أنفـــاق مـــا تجمـــــع

فصرت الفقيـــــر وأنـــت الغنـــى

وهل كان يعـــدوا الذى تصـــــنع (٤٦)

ومن التبذير أن ينفق ماله فيما يجدى عليه نفعا فى دنياه ولا يكسبه أجرا فى آخره ، بل يكسبه فى دنياه ذما ، ويجمل الى آخرته اثما كانفاقه فى المحرمات ، وشرب الخمور واتيان الفواحش ، واعطائه السفهاء الذين نهى الله عن اتيانهم من المخانيث والمغنيين والملهيين والمساخر والمضحكين والفاسقين الذين يصدون عن سبيل الله ، وينسون ذكر الله ، ويدعون الى خلاف ما أمر الله ، ويندبون الى ما نهى الله عنه ، ولعل كثيرا ممن ينفـــق ماله على هؤلاء ، قد عرف وأبصر محاويج من أهل الشرف والفضل والدين والعقل من أولاد الرسول عليهم السلام وعترته وورثة أصحابه وأنصاره،

نهج البلاغة ٢ : ٢١٧ ، ونثر الدر ١ : ٣٢٦ .

(٤٥) يبدو لنا أن الصواب : ما قيل ، فقد أورد ابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦هـ) البيتين ٢ : ٣٦ دون نسبه ، وابن عبد ربه (٣٢٨هـ) ونسبهما الى بعض الشعراء العقد الفريد ١ : ١٥٤ .

(٤٦) البيتان فى العقد الفريد ١:١٥٤ ، ونهاية الارب ٣:٢٠٥ كالتالى :

أمـــن خـــوف فقـــــر تعجلتـــــه

وأخـــرت انفـــاق مـــا تجمـــــع ؟

فصرت الفقير وأنـــت الغنـــــى

ومـــا كنـــت تعـــدو الـــذي تصـــنع

ثم أهل العلم والادب والحكمة والنسك والعبادة ، وهم بين عابد جائـــع، ومضطر قانع ، ومستور متكفف ، ومحتاج متعفف ، وهو أن فكر علـــم أن الاجر فى هؤلاء أوجب ، والذكر فيهم أشرف ، والصنيعة فيهم أبقى ، وهم بمال الله أحق وأولـــى •

ومن التبذير أن يشغل المال بفضول الدور التى لا يحتاج اليهـــا ، وعساه لا يسكنها ، أو يبنيها لاعدائه أو لخراب الدهر الذى هـــو قاتلـــه وسالبه •

ومن التبذير أن يجعل المال فى الفرش (الاثيرة) (٤٧) ، والاوانـــى الكثيرة الفضية والذهبية التى لعل أيامه لا تتسع للارتفاق بها ، ولعلـــه يجمعها لعدوه ، ويتنوق (٤٨) فيها لغيره ، و(يصنع) (٤٩) منها حظه ، ويثقل بها ظهره ، ويكثر بها وزره •

وكل ما أنفقه الانسان مما يكسبه عند الله أجرا ، ويرفع اليه منزلة، أو يكسب عند العقلاء وأهل التمييز حمدا ، فهو جود وليس بتبذير ، وأن عظم وكثر ، وكل ما أنفقه فى معصية الله التى يكسبه الله اثما وعند العقلاء ذما فهو تبذير وان قل ونزر • فان رسول الله ﷺ كان يقول : (ما أحـــب أن لى مثل أحد ذهبا أمسى ثالثة عندى منه دينار الا دينارا أرصده لديـــن الا أن أقول فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن يساره ومـــن خلفه) ثم قال : (ان الاكثرين هم الاخسرون يوم القيامـــة الا من قـــال هكـــذا وهكـــذا) (٥٠) •

---

(٤٧) هكذا بالاصل ، والاصح أن تكون (الوثيرة) •

(٤٨) يتنوق : يعجب ويتأنق • لسان العرب المحيط ١ : ١١٦ •

(٤٩) هكذا بالاصل ، والاصح (يضيـــع) •

(٥٠) حسن ، أخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ « ما أحب أن أحدا عندى ذهبا • فتأتى على ثلاثة وعندى منه شىء • الا شىء أرصده فى قضاءدين» سنن ابن ماجة ١٣٨٤ رقم ٤١٣٢ وصحيح الجامع الصغير ٥:١١٩ رقم ٥٨٨٩ وأخرجه الخطيب البغدادى عن ابن عباس بلفظ (الاكثرون هم الاسفلون) • تاريخ بغـــداد ٧ : ٢٦٤ •

ولم يكن مع هذا معذرا ، ولم يأمره الله بالتبذير ، ولم ينفق فى معصية الله درهما ولا دينارا ، ولم يكن بخيـــلا •

وروى عن أمير المؤمنين على أنه قال : الناس على أربعة أصناف : جواد ، ومسرف ، وبخيل ، ومقصد • فالجواد الذى يعطى دنياه لاخرته ، والمسرف الذى يجعل نصيب آخرته لدنياه ، والبخيل الذى لا يعطى كـل واحدة منهن نصيبهـا ، والمقتصد هـو الذى يعطى كل واحـدة منهـن نصيبهـا (٥١) •

حسن تدبير المـال :

وأما جهة ترتيب المال وحسن التدبير فى جمعه وتفريقه فنقول :

ان من حسن التدبير فى المال لمن سلك فيه المذهب القويم ، والطريق المستقيم ، أن لا يؤخذ أصل المال ، ولا يؤثل (٥٢) ولا يثمر الا من حلـه ، وأن ينفق منه قدر ما يحتمله رأس المال فان النفقة اذا جـاوزت وفاقـت التمييز لم تلبث أن تضر بيت المال (وتنفذه) (٥٣)، وكذلك أن ساوى الدخل الخـرج •

ثم لايجوز أن ينفق منه الا فى أحدى ثلاث : أما ذخر للمعاد، أو نعمة ولذة فى المعاش ، أو ذكر حسن يبقى فى الحياة وبعد الممات • وقد بينا أن أشرف هذه الوجوه ما يجعله ذخرا لاخرته لانه لا يعدم من قصدها هذه الوجوه كلها ، وقد بينا ذلك فيما تقدم من كتابنا ، فان أختار منفق المـال

---

(٥١) ينسب هذا القول الى سقراط . ابن مسكوية : الحكمة الخالدة ٢٨١.

(٥٢) يؤثل : يؤصل بمعنى استثمار وتكثير أصل المال « رأس المال » . اللسـان ١ : ٢١ .

(٥٣) فى الاصل (وينفذه) وهو تصحيـف .

لهذه السبل فتمامه فى (أربعة أشياء)(٥٤) .

أولها : أن يتبع فيه أمر الله ، ولا يضع المال الا حيث أمر بوضعه ، ويتحرى من ذلك فى كل حال الاولى والاحـــق .

والثانية : أن يبتغى بذلك القربة (٧١/ب) الى الله ـــ جل ذكـــره ـــ والزلفة لديه لا الى غيره دون عاجل المكافأة والجزاء والشكـــر والثناء ، وهذبه من السمعة والرياء ، فان الله تعالى لا يقبل ما أشرك فيه غيره ، لانه يقول : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد) (٥٥) . وقال : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلهـــا ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) (٥٦) .

روى عن النبى ﷺ أن الله يقول : (أنا أكرم الشركاء ، من أطاعنـــى وأشرك فى طاعتى غيرى جعلت مالى لشريكى) (٥٧) . وقال النبى ﷺ(انما الاعمال بالنيات وانما لكل أمرىء ما نوى ، فمـــن كانت هجرتـــه الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبهـــا أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه) (٥٨) .

---

(٥٤) هكذا فى الاصل ولكنه لم يذكر غير ثلاثة أشـــياء .
(٥٥) ١٨ / الكهف : مكيـــة / ١١٠ .
(٥٦) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٥ وفى الاصل : مثـــل .
(٥٧) رواه البزار باسناد لا بأس به والبيهقى عن الضحاك بن قيس بلفظ (ان الله تبارك وتعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى) الترغيب والترهيب المنذرى ١ : ٢٤ .
(٥٨) صحيح ، أخرجه ابخارى ومسلم ، البخارى ١ : ٣ ، مسلم ٣ : ١٥١٥ فى كتاب الامارة ، باب « انما الاعمال بالنية » ، وجامع الاصول ١١ : ٥٥٥ برقم ٩٨٦٣ في « النية والاخلاص » .

والثالثة : أن يزين أنفاقه بالسر والكتمان ، ويصـــونه من الاذى والامتنان فان الله ــ جل وعز ــ يقول : (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) (٥٩) .

ويقول : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) (٦٠) .

ويقول : (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثـــم لا يتبعـــون مـــا أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عنـــد ربهم ولا خـــوف عليهم ولاهـــم يحزنون) (٦١) ويقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمـــن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا) (٦٢) .

ففى هذه الخلال تزيين ما أنفق فى سبيل الله وتمامه وترتيبه .

فأما من أنفق المال واصطنع المعروف رغبة فى شرف الذكر ، وطيب النشر ، وعاجل الشكر ، فان سبيله يقرب من هذه السبل ولا يكاد يفـــرق بينهما الا القصد والنية ، لانه لا يحسن ذلك الا بمن عف عن المكاسب الدنية ، والمطالب الخسيسة ، ويتجنب فيها المظالم ، ويتنقى من المآثم ، فاذا فعل ذلك كان ما يتعجل من شكاية المتظلم ، وســـوء ثناء المظلـــوم ، وفحش دعائه ، ونعته ، وحرقة قلبه ، أجل خطرا ، وأعظم قدرا فى بابـــه من شكر المصطنع ، وحمد المنعم عليه ، وحسن ثناء المقصود بالعـــرف ،

---

(٥٩) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٧١ .
(٦٠) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٣ .
(٦١) ٢ / البقرة : مدنية / ٢٦٢ .
(٦٢) ٢ / البقرة : مدنيـــة / ٢٦٤ .

وفرحه به ، واذا قايست هذا بذاك (٧٢/أ) لم يف الخير بالشر ، والنفع بالضر ، والشكر بالشكاية ، وما يخيف بعد ذلك من لعن رب العالميـــن ، وعباد الله الصالحين ، وذم الفضلاء من أهل الدين ، ثم عذاب الله الاليم أشد ، وأبقى ، وأقطع ، وأدهى ، نعوذ بالله منهـــا •

وكذلك روى عن عمرو بن عبيد أنه ذكر عنده الاسخياء فأكثروا فى عدهم ، وأطنبوا فى وصفهم (٦٣) وهو ساكت • فقيل كيف لا تتكلم فى هذا الباب ؟ قال : ماعسى أن أقول وماذكرتم منذ اليوم سخيا ؟ أنما السخـــى من جاد بماله ، وعف عن أموال الناس ولقد بالغ فى الذم من هجا بغض الظلمة الخونة ورآه قد بنى سقاية يحتسب فيها شعـــر (٦٤) •

بنيت ، بما خنت الانام (٦٥) سقايـــة
فلا شربوا الا أمـــر مـــن الصبـــر
ومـــا كنـــت الا كبائعـــة أستهـــا
تعود على المرضى به طلب الاجر (٦٦)

ثم يجب على العاقل أن يختار للمعروف أهله ، فانه ليس فى وســـع البشر اغناء كل البشر ، ولا الافضال على كل أحد ، فاذا لم يكن فيه مطمع فاصطناع ذوى الاخطار وأولى الاقدار ، والذين يصدقون فى مدحهـــم

---

(٦٣) السخاء : سماحة النفس لمستحق البذل ، وبذل الرغائب الجليلة فى مواضعها . الحكمة الخالدة ٨ ، وقيل السخاء : اعطاء الاقل وامساك الاكثر الغرر للوطواط ١٤٨ .

(٦٤) الشعر لابى نواس فى اسماعيل بن صبيـــح •

(٦٥) فى الديوان : « الامير » بدلا من الانام ص ٣٣٢ .

(٦٦) ديوان أبى نواس ٣٣٢ •

اذا مدحوا ، ولا يهتمون فى صدقهم اذا شـكروا أولى بالاختيار والحـق بذوى الافضال • وقد روى عن النبى ﷺ : « لا تكون الصنيعة صنيعة الا عند ذى حسب أو دين » (٦٧) •

وقديما ما قيـل :

ومن يجعل المعروف فى غيـر أهلـه

يكن حمـده ذما عليه ويندـم (٦٨)

قالوا : وقال معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد لما بايع له : قد وطأت لك الامور ، فانظر الى كل ذى شرف من كل جنس فواجههم ، وقربهـم ، وأحسن اليهم ، فانهم أشكر الناس ان أعطوا ، وأصبرهم ان جفوا (٦٩) •

وقد كان جماعة من الكرام الاسخياء المعروفين بكثرة العطـاء من الملوك والفضلاء (لا) (٧٠) يفعلون المعروف شهوة وطباعا فيلقونه فى كـل موضع ويصنعونه فى كل مصنع ، ويبذرونه فى كل مزرع ، وذلك مذهب قد ذهب اليه جماعة ، فقد قال قائلهم (٧١) :

---

(٦٧) أورده الماوردى فى أدب الدنيا والدين ٢٠٥ بلفظ «لا تنفع الصنيعة الا عند ذى حسب ودين» وذكره ابن عبد البر بلفظ « ان الصنيعه لا تكون الا فى ذى حسب أو دين» بهجة المجالس ١ : ٣٠٥ ، وفى نثر الدر ١ : ٣٥٦ أنه مـن أقوال جعفر بن محمد ، وأيضا فى سير أعلام النبـلاء ٦ : ٢٦٢ .

(٦٨) الشاعر هو زهير بن أبى سلمى . وهو جاهلى شهر بالحكمة توفى عام ١٣ قبل الهجرة والبيت فى معلقته بجمهرة أشعار العـرب ١١٠ .

(٦٩) بهجة المجالس ١ : ٣٠٦ مع أختلاف يسير .

(٧٠) هكذا فى لاصل ، ويستقيم المعنى بدونهـا .

(٧١) هو عبد الله بن المبارك ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، تابعى زاهد ، وأول من صنف فى « الجهاد » وله كتاب الزهد والرقائق ، وتوفى ١٨١ هـ ، الحلية ٨ : ١٦٢ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٩٥ .

يـد المعروف غنـم حيـث كانـت

تحملهـا كفـور أو شـكور

فعنـد الشـاكريـن لهـا جـزاء

وعنـد الله مـا كفـر الكفـور (٧٢)

(٧٢/ب) وقـال آخـر :

سأمنح مالـى كل من جـاء طالبـا

وأجعله وقفا على الفرض والقـرض

فامـا كريم صنـت بالمـال عرضـه

واما لئيم صنت من لؤمه عرضى (٧٣)

وروى جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قـال : «اصنـع المعروف الى من هو أهله والى من ليس هو أهله ، فان كان هو أهله فهـو أهله ، وان لم يكن هو أهله فانت أهله » (٧٤) .

وان قصد قاصد أو ذهب ذاهب فى معروفه الى طلب الشكر وبقـاء الذكر فان تمامه فى أربعة أشياء : تعجيله ، وتيسيـره ، وسترـه (٧٥) ، وترتيبة (٧٦) وقدروى الثلاث من هذه الاربع عن ابن عباس وجعفر بـن

---

(٧٢) البيتان فى بهجة المجالس ١ : ٣٠٧ مع نسبتهما الى عبد الله بـن المبـارك .

(٧٣) التذكرة السعيدية ٣٣٩ وينسبه الى أعرابى .

(٧٤) ضعيف ، أخرجه الخطيب البغدادى فى رواية مالك عن ابن عمر ، وابن النجار عن على . ضعيف الجامع الصغير ١ : ٢٨٧ رقم ٩٩٣ .

(٧٥) العقد الفريد ١ : ١٥٨ .

(٧٦) قارن ابن سينا : السياسة ص ٩٥ حيث يجعل شرائط المعـروف خمسة : تعجيله ، كتمانه ، تصغيره ، ربه ومواصلته ، واختيار موضعـه .

محمد كلاهما ، روى سفيان الثورى عن جعفر أنه قال له : علمت أنـــى نظرت فى المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث ، قلت وما هى جعلت فداك ؟ قال : تعجيله ، وتصغيره ، وتيسيره (٧٧) ، فانك ان عجلته هنأتـــه ، واذا يسرته اتممته ، واذا صغرته عظمته واذا مطلته وأخرته ، وسوفته كدرته ونغصته وأفسدتـــه .

وجعل ابن عباس بذل التيسير من هذا الكلام الستر (٧٨) . وكـــان يقال : ستر رجل ما أولى وشكر ما أولى (قال) (٧٩) ثم قال جعفر بن محمد : والمعروف أوثق الحصون ، وأشرف الامور ، وهو كنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفر ، ولا جحود من جحد ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتـــع منه بشـــىء .

قالوا : وكتب الحسن بن سهل الى المـــأمون فى شىء طلبه لبعض المتصلين به : ان داعى ندالك ، ومنادى جـــدواك جمعا ببابك الوفـــود ، ويرجون نائلك العتيد منهم من يمت بحرمة ، ومنهم من يدل بخدمة ، وقد أجحف بهم ، وطالت عليهم الايام ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينعشـــهم بسببه ويحقق ظنهم بطوله فعل ان شاء الله قال : فوقع المأمون : الخيـــر متبع وأبواب الملوك مواطن لطلاب الحوائج ، فاكتب أسماءهم ، وأخبـــر مراتبهم ليصير الى كل أمرىء استحقاقه ، ولا يكدر معروفـــه بالمطـــل

---

(٧٧) نثر الدر ١ : ٢٥٥ وفيه « كتمانه » بدلا من تيسيره . وفى نهايـــة الارب ٣:٢٠٤ « ستره » وأيضا فى سير أعلام النبـــلاء ٦:٢٦٣ ؛ والمغـــرر للوطـــواط ١٦١ .

(٧٨) بهجة المجالس ١ : ٣٠٣ . وأدب الدنيا والدين ٢٠٣ .

(٧٩) هكذا بالاصل ، والمعنى يستقيم بدونهـــا .

والحجاب [٨٠] ، وقد قال (الاول) [٨١] :

فانـك لـن تـرى طـردا لحـر
كالصـاق به طـرف الهـوان
ولـم تحـرز مـودة ذى وفـاء
بمثل البذل أو لطـف اللسـان [٨٢]

قالوا : وقال خالد بن عبد الله القسرى [٨٣] على منبره : أول ما صعد بالعـراق :

(٧٣/أ) يا أيها الناس ، تنافسوا فى المكارم ، وسارعوا الى المغانم ، واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكسبوا بالمطل ذما ، ولا تعتدوا بمعروف لم تعجلوه ، واعلموا أن حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم ، فلا تملوا نعم الله عليكم فتحور نقمـا .

وكذلك يجب على الكريم أن ينزه معروفه عن انتظار جزاء أو مكافأة عليه أو شكر عاجل ، فانه قد قيل فى الكتب القديمة : «من جعل المعروف لعامل الجزاء فهو كملقى البذر ليصيد به الطير لا لينفعه ، ولا يكـدره بالذكر والتعيير والمن والاذى ، فقديما ما قيل : أن المنة مفسدة للصنيعة .

---

(٨٠) ورد النص بلفظه فى زهر الاداب ٢ : ١٣١ .
(٨١) هكذا بالاصل ، والصحيح (الشـاعر) .
(٨٢) ورد البيتان بلفظهما دون نسبه فى زهر الاداب ٢ : ١٣٢ .
(٨٣) خالد بن عبد الله القسرى ، أبو الهيثم ، أمير العراقين ، واحدخطباء العرب وأجوادهم ولى مكة سنة ٨٩هـ والكوفة والبصرة سنة ١٠٥ هـ ، وقتـل الكامل فى التاريخ ٤ : ٢٦٢ ، وافيات الاعيـان ٢ : ٦ — ١٠ .

وكذلك ما قال الحكماء : اذا أتخذتم عند حر يدا فأنسوها ، أى لا تذكروها .

فأما ترتيبه فقل ما يفى به الا الحازم الجزل ، ولا شىء أحسن منه بالملوك والاشراف وقد أكد ذلك الحكماء ، وذكره الاسخياء والفضلاء حتى قالوا : الأبتداء بالمعروف نافلة ورده فريضة . وقالوا : الابتداء بالتفضل يد موفورة ، والبذل بغير الطلب يد منقوصة ، وأحسن أحوال الجود أن تكون أجابتك بعد السؤال ، وأنجازك بعد الملطب .

ولقد مدح بذلك مادح الكرام فقال :

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا

لم يوهنوا لبنائهم أساسا

واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى

جعلوا لها طول البقاء لباسا

وقال قائل يمدح طلحة الطلحات (٨٤) :

أرى الناس قد ملوا الثواء ولا أرى

بنى خلف الا رواة الموارد

اذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه

وكائن ترى من نافع غير عائد

وقال آخر :

---

(٨٤) هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ، أحد الاجواد المقدمين ، كان أجود أهل البصرة فى زمانه ذهبت عينه بسمر قند ، وكان يميل الى بنى أمية ، فيكرمونه ، وولاه زياد بن مسلمة على سجستان فتوفى فيها واليا نحو سنة ٦٥ هـ . المحبر ١٥٦ ، ٣٥٦ ، البرصان ٣٦٣ خزانة البغدادى ٨ : ١٥، ١٦ العقد الفريد ١ : ٢٠٢ ، الاعلام ٣ : ٣٣١ .

وأحســـن ثـــم أحســـن ثـــم عدنـــا

فأحسن ثـــم عـــدت لـــه فعـــــادا

مـــــرارا ما دنـــــوت اليـــــه الا

تبســـم ضاحكـــا وثنـــى الوســـادا

سألنـــاه الجـــزيـــل فمـــا تأبـــــى

وأعطـــى فـــــوق منيتنـــــا وزادا

وأما من أنفق ماله فى منال اللذة أو قضاء شهوة أو أظهار جمال وزينة فلا يتم ذلك له ولا يحسن به الا اذا أخذ المال من حيث يحســـن فى الديـــن ويجمل ، وتمتع به فيما يطيب ويحل ، تجنب فيه المحارم والمذام (٧٣ / ب) فانه ان لم يفعل ذلك كان كفراش النار الذى يتهافت فيها اغترارا بضوئها فيحرق نفسه ، وكالذباب الذى يلقى نفسه شرها فيما يموت فيه سريعا •

فلا خير فى منال شهوة تفنى لذته ، و (تنقضى) [٨٥] شهوته ، وتبقى تبعته ، (ويسوء) [٨٦] فى الناس قالته ، وتنقص آخرته ، ويـــدوم علـــى مرتكبها عقوبته ، فانك اذا قايست بين حرص النفوس على منالها ، وميـــل الطباع اليها والتذاذها عند الظفر بها ، وبين نهى العقل والديـــن عنهـــا ، وتأبى النفس الفاضلة بما يتعقبه من هذه المكاره عليها علمت أن النفع فيها أقل من الضرر ، والشر فيها أدهى من الخير ، ولذلك مـــا اشترط كل مـــن أدخل هذا القسم فى القسم الثالث أقسام مساعى اللذة من غير محرم •

فقالوا : وجدت فى حكمة آل داود : ينبغى للعاقل أن لا يغفل عـــن

---

(٨٥) هكذا فى الاصل ، والاصوب (تقضـــى) •
(٨٦) هكذا فى الاصل ، والصواب (تســـىء) •

أربع ساعات : ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يخلو فيها بأهل (ثقاته) [٨٧] الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه فى نفسه ، وساعة يكون فيها بين نفسه [٨٨] وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان هذه الساعة عونا على تلك الساعات واستجماما للقلوب ، وفضل بلغة .

قالوا : وعلى العاقل أن لايرى ظاعنا الا فى أحدى ثلاث : مرمة لمعاشه أو خطوة لمعاده ، أو طلب لذة فى غير محرم [٨٩] .

وقد قال فى صدق هذه القضية بعض الشعراء :

تفنى اللذاذة ممن نال شهوتها
من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير فى لذة من بعدها النار [٩٠]

فهذه الابواب الثلاثة هى التى يجوز لمميز عاقل أو عالم فاضل صرف شىء من الاموال ، وانفاقه فيها ، وما خرج منها ، فانما هو تبذير وفساد وذهاب عن سبيل الرشاد فى القول العام المطلق ، والرأى الاصوب الارفق

المال العام :

فأما أموال الله التى فى أيدى الملوك والامراء من حقوق بيوت الاموال الاموال التى تدخل على المسلمين من : فيئهم ، وغنائمهم ، وأخرجتهم ،

---

(٨٧) هكذا فى الاصل ، والاصوب (ثقته) .
(٨٨) ساقطه من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه .
(٨٩) من الامثال الواردة فى صحف ابراهيم . حلية الاولياء ١ : ١٦٧ .
(٩٠) من شعر الامام على بن أبى طالب . رضى الله عنه . انظر ديوانه ٢٨

وأعشارهم ، وجزية أهل ذمتهم فان الله قد بين سبلها ، وأبان عن طرقها ، ووضعها مواضعها ، فقال : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفـــة قلوبهم وفى الرقاب والغارميـــن وفى سبيـــل الله وابـــن السبيـــل) (٩١) (٧٤/أ) .

وقال الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن : « وأعلمهم أن الله قد اوجب عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم » (٩٢) وقال تعالى فى الفىء (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيـــل) (٩٣) .

فالسنـــــة فى صدقـــــات الســـوائـــم (٩٤) والعشـــور (٩٥) والاخماس (٩٦) وكل ما فى الصدقات أن تقسم على هذه السهام المذكورة الا سهم المؤلفة قلوبهم ، لان الله قد أغنى عنهم ورفعهم بعز الاســـلام ، وظهور الحق ، ويعطى العاملون عليها على مقدار الكفاية ، ولا يحل مـــن

---

(٩١) ٩ / التوبة : مدنية / ٦٠ .

(٩٢) صحيح رواه البخارى ٣ : ٢٥٥ فى الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس فى الصدقـــة مسلم ١ : ٥٠ رقم ١٩ كتاب الايمان ، باب الدعـــاء الـــى الشهادتين وشرائع الاسلام الترمذى ٣ : ٢١ رقم ٦٢٥ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى) فى الزكاة ، باب ما جاء فى كراهية اخذ المال فى الصدقة ، ابو داود رقـــم ١٥٨٤ فى الزكاة ، باب الكنز ، والنسائى ٥ : ٥٥ فى الزكاة باب اخراج الزكاة من بلـــد الى بلـــد .

(٩٣) ٥٩ / الحشر : مدنية / ٧ ولفظة (تعالى) ساقطة من الاصـــل .

(٩٤) السوائم : الانعام التى ترعى فى كلأ مبـــاح . مختـــار الصحـــاح ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٩٥) العشور : جمع العشر وهو فى أموال اهـــل الذمة فى التجـــارة لسان العرب (المعارف) ٢٩٥٣ .

(٩٦) الاخماس : جمع الخمس وهو خمس أموال الغنائم . لسان العرب (المعـــارف) ١٢٦٤ .

الصدقات لآل الرسول ﷺ ، ولا لغنى موسر ، ولا ملك مقتدر .

وأما الغنيمة والفىء فقد كان على عهد النبى ﷺ فيآن :

أحدهما ، للنبى ﷺ خاصة ، لم يوجف (٩٧) المسلمون عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من بنى النضير وآهل فدك فكان ذلك لرسول الله ﷺ خاصة الا أن النبى عليه السلام لم يبن به دارا ولم يشتر به عقارا ، ولم يتمتع به فى الدنيا فضل تمتع ، بل كان يأخذ منه قوته وقوت عياله ، ويجعل الباقى منها فى نوائب المسلمين ، وحوادث أمر الديـــن .

والاخر ، هو ما يفىء من أموال الكفار على المسلمين من غنيمـــة أو جزية أو خراج بنى تغلب ، فانه يعطى منه ذوى القربى ، وهم عندنا قرابة النبى ﷺ مقدار كفايتهم ، ويصرف الباقى فى نوائب المسلمين من السلاح والكراع وأغطية الجيوش التى تغزو أرض العدو ، ويعطون مقدار كفايتهم فان فضل شىء من ذلك صرف الى اليتامى والمساكين وابن السبيـــل .

وان نقص مال من صنوف الاموال عن هذه الوجوه فلا بأس علـــى الامام أن يجعله كله فى باب واحد اذا مست الحاجة ودعت الضرورة اليه، والله أعلـــم .

وليس للعاملين عليها الا مقدار القوت ، فهكذا كان النبى ﷺ يصنعه ويصنع به ، وينفق على نفسه ، وكان عمر يقول لعماله : «قد أنزلتكم مـــن هذا المال ونفسى منزلة وصى اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » (٩٨) .

---

(٩٧) يوجف : يحارب باعمال الخيل وغيره فى الحصول عليه . المصباح المنـــير ٢ : ٦٤٩ .

(٩٨) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٧٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٢٩ .

(٧٤/ب) وروى عن عمر بن عبـــد العزيز [٩٩] انه كان اذا سهـــر بالليل لعمل نفسه أسرج من ماله ، واذا سهر لامر العامة أسرج من بيـــت مـــال المسلمين [١٠٠] .

وروى مجمع بن أبى رجاء قال : خرج الينا على بن أبى طالب ــ رحمه اللهــ بسيف يبيعه . فقال : من يشترى منى هذا ؟ ولو كان عندى ثمن ازار ما بعته ، قال : فقلت أنا أبيعك وأنسئك ثمنه . قال : فلما خرج عطـــاؤه قضانـــى [١٠١] .

ثم لما فتح الله على المسلمين البلاد ، ومكنهم من خزائن الملوك ، وكثر فيها الجيوش ، جعل أمير المؤمنين عمر لطبقات الناس ديوانا ، وأجمعت الامة عليه فجعل أهل بيت الرسول ﷺ فى أول الدواوين ، ثم المهاجرين ، ثم الانصار ، ثم أحياء العرب بعضهم بعد بعض [١٠٢] . وكان يأمر بقسم ما يجتمع فى بيت المال من هذه الاموال بعد اخراج المؤن ، وازاحة العلل على ما بينه الله لرسوله فيما فضل عنده من خمس الفىء وما فى بابه قسمة بين المسلمين على ما أمر الله بـــه .

وسنة أخرى فى هذا الباب هى أن ما اجتمع من هذه الوجوه فى بلد من البلدان لا ينقـــل منه الـــى غيره حتى تزاح عللهـــم ، ويعطـــى فقراؤهم كفايتهم ، ويحمل أبناء السبيل منها الى بيوتهم ، وتفك رقابهم

---

(٩٩) (بن عبد العزيز) ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه .

(١٠٠) عمر بن عبد العزيز لابن كثير تعليق د. أحمـــد الشرباصى ٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٣٦ .

(١٠١) حلية الاولياء ١ : ٨٣ ، ٨٤ .

(١٠٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨٢ ، سيرة عمر لابن الجوزى ٤٤ ،تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٣٧ ، تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ١٣٩ .

التى أسرت فى عدوهم ، ويؤدى عن غارمهم ، فان النبى ﷺ قد بين ذلك فى سننه حيث قال : (لا يترك فى الاسلام مقدح) (١٠٣) . وقال : (من ترك مالا فلاهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فالى ، وعلى) (١٠٤) .

فان استغنى عنه أهل بلد فى وقت من الاوقات فاحتاج اليه بلـــدان أخر حمل الى أقرب البلـــدان اليه ، فتزاح عللهم ، ثم على هذا الترتيب حتى تزاح العلل التى فى ذلك الوجه كلها ، ويسد الخلل ، فان فضلت فضلة تحمل الى بيت المال الذى عند الامام .

وروى عيسى بن رستم قال : قرىء علينا كتاب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وكان عامله على الكوفة : أيما رجل كان عليه دين لا يقدر على قضائه فاعطوه من مال الله أيما رجل تزوج امرأة ولم يقدر على صداقها فاعطوه من مال الله وأمر للمؤدبين والزمنى (١٠٥) .

وسن رسول الله ﷺ التفضيل فى العطاء مرة ، والتسوية تارة على ما أوجبتـــه (٧٥/أ) الحـــال .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يـــرى التسوية ، وكـــان عمر وعثمـــان يفضلان على مقدار البلاء فى الاسلام والغناء عنه ، وموجب الاحوال .

ثم كان على يرى التسويـــة (١٠٦)

---

(١٠٣) مقدح : عيب أو نقيصة . المصباح المنير ٢ : ٤٩١ وفى لسان العرب المحيـــط ٣ : ٢٨ مقدح : ضامر لفقره ولكونه معدمـــا .

(١٠٤) حديث حسن ، أخرجه أحمد وابن ماجه عن ابى كريمة . صحيح الجامع الصغير ٥ : ٢٦٩ رقم ٦٠٢٣ ، سنن ابن ماجه ٨٠٧ رقم ٢٤١٦ ، وص ٩١٥ رقم ٢٧٣٨ .

(١٠٥) الزمنى : المعمرون ، والمرضى بأمراض مزمنة . المصباح المنـــير ١ : ٢٥٦ .

(١٠٦) تحرير الأحكام فى تدبير أهل الاسلام ص ١١٨ .

والتفضيل عندنا هو الاختيار ، وهو أشبه بكتاب الله عز وجل لان الله يقول : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجـرا عظيما ودرجـات منـه) (١٠٧) • وقـال : (هـل يستـوى الذيـن يعلمـون والذيـن لا يعلمون) (١٠٨) • فى أبواب قد تلونا فيما تقدم من كتابنا •

فهذه جمل السنن التى أوجبها الله ــ جل وعز ــ فى هذه الاموال •

فليعلم الملك المسلط ذلك ، ولينظر نفسه فى هذه الامور ، وليعلم أن كل فقير فى الاسلام ، وغارم ، وابن سبيل ، وأسير ، وغاز فى سبيل الله ، ومسكين ، خصماؤه عند من لا يظلم مثقال ذرة ، وما هو بظلام للعبيد •

ولا ينبغى أن يضيق صدر ملك عن اخراج هذه الاموال الى أربابها ، والله تعالى يأجره عليها ، ويعوضه عنها الجنة ، فانه ان صرفها عن جهاتها • وضن بها على مستحقيها ، تركها لغير حامد ، وخرج منها غيره مشـكور ، وورد على غير عاذر ، ، ولم يحصل له الا الاثم والعار ، وعذاب النـار ، وسوء الدار ، وليس بينهما الا الحمد والذم والاجر والاثم ، فان رغـب الملك فى المال الكثير فان الله ــ تبارك وتعالى ــ قد جعل لطلب الامـوال سبلا معلومة ، وأسبابا معروفة ، فهى أطيب ما أخذا وأحمد عاقبة ، فـلا يعوزه المال من تلك الجهات أن طلبه ، ولايتعذر عليه أن أكتسبه من تميـز القليل وادراك الجليل ، وما قدره الله له ، وهو ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعـم الوكيـل •

---

(١٠٧) ٤ / النسـاء : مدنية / ٩٥ •
(١٠٨) ٣٩ / الزمر : مكيـة / ٩ •

الباب التاسع

فى تدبير الاعداء وأهل الجنايات

ان الله ــ جل وعز ــ حرم نفس الفطرة وأول التعبد دماء الخليقة والبشر وأشعارهم وأبشارهم بعضهم على بعض ، فلم يبح أهراق دم ، ولا ازهاق نفس ، ولانقص نفس ، ولا أيلام أحد من الناس الا لحاضر من الفساد يتقى أو لمتخوف منه يتوقى ، أو لصلاح عام يرتجى أو لعائدة يؤمل عودها على عامة المسلمين وجماعة المؤمنين ، أو يكون فيه تأيدا للدين وانتقاما من المذنبين ، واعتبارا للمتفكرين المعتبرين ، كالطبيب الحاذق الرفيق ، والوالد البر الشفيق الذى يقطع من ولده الجارحه الدونة أبقاء على البقية ، ويجرعه الادوية البشعة الكريهة (٧٥/ب) تأميلا لدفع علة أو أعادة صحة أو بقاءسلامة وعافية،و(كالبائن)[1] الحاذق الحريص على عمارة بستانه ، وتعهد ريحانه ، يقلع منه الحشيش الضار ، ليحيا به الريحان النافع ويقطع منه الشجر الذى يضر بظله ولا ينفع ثمره لينشىء وينمى المثمر الذى يجدى ثمره ، ويطيب جناه • وكالحريص على توفير ماله وتدبير قنيانه [2] يغذى بعضها بعضا ، وينفق كثيرا من أجزائها قصدا لتوفير ما بقى منهـا •

قال الله ــ جل وعز ــ فى صحة جملة هذه القضية : (لا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) [3] • وقال : (ولا تلقوا بأيديكم الى

---

(١) هكذا فى الاصل ، والصحيح (كالبستانى) .
(٢) قنيانه : مصادر كسبه . لسان العرب (المعارف) ٣٧٥٩ .
(٣) ٤ / النساء : مدنية / ٢٩ .

التهلكة) [٤] • وقال : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) [٥] • وقال : (فلا يسرف فى القتل أنه كان منصورا) [٦] ثم قال من بعد ذلك (ولكم فى القصـاص حياة يا أولى الالبـاب) • وقال (كتب عليكم القصـاص وهـو كره لكـم وعسـى أن تكرهوا شيئـا وهو خير لكم وعسـى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) [٨] •

فأباح الله ـجل ثناؤه ـ على هذه القضية وصحة هذه الدلالة ، دماء ثلاث أصناف ، بل أمر باهراقها اعزازا للدين ، ونصرة للانبياء والمرسلين وأوليائه من المؤمنين ، وارادة منه لحياة العباد وعمارة البلاد .

الاعـداء علـى الحقيقـة :

أولهم : المشركـون الذين يقاتلـون على أصل التوحيـد والنبـوة والشريعة التى هى أس المملكة ، ورأس العمارة ، والطريـق الى تمـام السعـادة •

وهؤلاء هم الاعداء على الحقيقة ، نص الله على قتالهم فى كتابـه فقال : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) [٩] • وقال : (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) [١٠] • وبين عند ذلـك العلة فيه حيث قال : (والفتنة أشد مـن القتل) [١١] • وقال : (فاقتلـوا

---

(٤) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩٥ .
(٥) ٦ / الانعام : مدنية / ١٥١ ، و١٧ الاسراء : مدنية ٣٣ .
(٦) ١٧ / الاسراء : مدنية / ٣٣ .
(٧) ٢ / البقرة : مدنية / ١٧٩ .
(٨) ٢ / البقرة : مدنية / ٢١٦ .
(٩) ٩ / التوبة : مدنية / ٣٦ .
(١٠) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩١ .
(١١) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩١ .

المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم وأقعدوا لهم كل مرصد) [١٢] وقال : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الاخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) [١٣] . ثم خص الله أهل العهد والذمة من هؤلاء فأمر بالوفاء لهما بما وقعت شرائطهم عليه فقال : (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) [١٤] (٧٦/أ) وقال : (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام فما أستقاموا لكم فاستقيموا لهم أن الله يحب المتقين) [١٥] . وقال : (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) [١٦] . وقال النبى صلى الله عليه «أنا أحق من أوفى بذمته» [١٧] وقال : «لايقتل مسلم لكافر ولاذو عهد » [١٨] ، فهؤلاء صنف .

الباغـــون :

والصنف الثانى : وهم الباغون ، الذين يخرجون على المسلمين ، والائمة العادلين متغلبين أو متأولين ، من أهل الملة ، أمر الله ـــجل وعزـــ

---

(١٢) ٩ / التوبة : مدنية / ٥ وفى الاصل : واقتلوهم .
(١٣) ٩ / التوبة : مدنية / ٢٩ .
(١٤) ٩ / التوبة : مدنية / ٦ .
(١٥) ٩ / التوبة : مدنية / ٧ .
(١٦) ١٦ / النحل : مكيـــة / ٩١ .
(١٧) ضعيف ، أخرجه دار قطنى عن ابن عمر ، نصب الراية ٤ : ٣٣٥ ، ٣٣٧ وشرح السنة للبغوى ١٠ : ١٧٥ ، ١٧٦ .
(١٨) حديث حسن ، أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس بلفظ «لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد فى عهده» سنن ابن ماجه ٢ : ٨٨٨ رقم ٢٦٦٠ ، صحيـــح الجامع الصغير ٦ : ٢٤٣ رقم ٧٦٢٨ .

بقتالهم بعد دعودتهم الى السلم ، والفىء ، والصلح ، ومناظرتهم فيه ، وبيان الحق لهم ، فقال : (وان طائفتان من المؤمنيـــن اقتتلوا فأصلحـــوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الـــى أمر الله فـــان فاءت فأصلحوا بينهمـــا بالعدل وأقسطوا ان الله يحـــب المقسطيـــن) (١٩) • وقـــال : (انما المؤمنـــون اخـــوة فأصلحـــوا بيـــن أخويكم) (٢٠) •

روى عن أمير المؤمنين على رضوان الله عليه أنه قال : «أمرت بقتال القاسطين والناكثين والمارقين» •

وروى عن النبى صلى الله عليه أنه قال (للشهيد نوران ، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار) (٢١) • قال : وذكر بين يدى أمير المؤمنين «علـــى» أيـــام صفين أصحاب معاوية فكفرهم بعضهم ، فقال : لا تكفروهم فانهم زعموا أننا بغينا عليهم ، وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم على ذلك •

وقال النبى صلى الله عليه لعمار بن ياسر (٢٢) : « تقتلك الفئة الباغية

---

(١٩) ٤٩ / الحجرات : مدنية / ٩ •
(٢٠) ٤٩ / الحجرات : مدنية / ١٠ •
(٢١) لم أقف عليه ، ويبدو لى أنه من الاحاديث الموضوعة فى الحث علـــى محاربة الخوارج وقتالهم ، وأن واضعه من شيعة الامام على بعد خروج بعض المسلمين عن طاعته أبان فترة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبى سفيـــان •
(٢٢) عمار بن يسار بن عامر الكنانى ، صحابى ، من الولاة الشجعـــان ذوى الرأى ، وهو أحد السابقين الى الاسلام والجهر به ، وكان يلقبه الرسول ﷺ « الطيب المطيب » ، وهو الذى بنى أول مسجد بالمدينة (قباء) ، واستشهـــد فى صفين عام ٣٧ هـ . الاستيعاب ١١٣٥ والمحبر ٢٨٩ ، ٢٩٦ وحلية الاوليـــاء ١ : ١٣٩ •

تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار»(٢٣) .

وقال أمير المؤمنين ان قاتلوا اماما عدلا فقاتلوهم ، فان قاتلوا اماما جائرا فلا تقاتلوهم فان لهم بذلك مقـــالا .

فالسنة فى قتال هؤلاء : أن يدعوا الى الرجوع والصلح ، ويناظروا فيما أداهم الى البغى ، فان وجدوا محقين فى دعواهم ، حمل الباقـــون على الخروج من حقوقهم ، وتسليم مالهم اليه ، وتوفيره عليهـــم ، وان وجدوا مبطلين بين لهم بطلان دعواهم ، وألزموا الحجة على ذلك ، فـــان أبوا الا اصرارا على البغى ، وتماديا فى الغى ، قوتلوا عليه حتى يفيئوا الى أمر الله ، فان فـــاءوا كف عنهم ، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم مـــا عليهم (٢٤) فان استحقوا القتال وقوتلوا فالسنة فى قتالهم أن يتربص بهم حتى يكون منهم أو يظهر على فساد من قتل أو أخذ مال ، فاذا فعلوا شيئا من ذلك طولبوا برد المال وبذل (٧٦/ب) القود ، فان أبوا حـــلّ قتالهم ، هكذا فعل أمير المؤمنين على يوم الجمل ، ويوم صفين ، ويوم نهروان(٢٥)

---

(٢٣) أخرجه ابن عبد البر من حديث عمار . الاستيعاب ١١٣٩ ويقـــول ابن عبد البرص ١١٤٠ تواترت الاثار عن النبى ﷺ انه قال:«تقتل عمار الفئـــة الباغية» وهذا من اخباره بالغيب واعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الاحاديث . وأخرجه مسلم عن أم سلمة . صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٦ رقم ٢٩١٦ فى الفتـــن واشراط الساعة ، وأحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى ٥ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ وانظر سلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى ٢ : ٢٦٩ رقم ٧١٠ .

(٢٤) انظر فى ذلك : الام ٤ : ١٣٣ ، ١٣٤ ، المهذب ٢ : ٢١٨ ، والروضة ١٠ : ٥ ، تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام ٢٤٠ .

(٢٥) النهروان هو مكان بقرب بغداد ، وذكره ابن الجواليقى فى كتابه المعرب بفتح النون والراء فارسى معرب . المعرب ٣٨٦ ، وتهذيب الاسمـــاء واللغات القسم الثانى الجزء الثانى ١٧٨ .

على ما جاءت به الروايات • وان لم يكن ذلك ففى ابائهم أكفى كفايـــة فى ايجاب قتالهم •

ثم السنة الاخرى فيهم ألا يجهز على جريحهم ، ولا يتبع موليهم ، ولا يسبى ذراريهم ، ولا يكون شىء من أموالهم مغنما للمؤمنين بل هو لهم أو ميراث لورثتهم (٢٦) ، فانهم كانوا على جملة الدين ، وكان لهم ولاء قبل القتال • غرقت السنة به بينهم وبين المشركين وهؤلاء صنف •

قطـــاع الطـــرق :

والصنف الثالث : قطاع الطرق ومخيفو السبيل ، الذين لا يستحلون دماءهم بتأويل ولا يعتقدونه بتنزيل ، بين الله أحكامهم ، وغرض عقابهم وخالف بين أحوالهم نصا فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فقال : (أما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعـــون فى الارض فسادا أن يقتلـــوا أو يصلبوا أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض)(٢٧)

ماختلف العلماء فى اقامة هذه الحدود عليهم •

فقال بعضهم : الامام مخير فى هذه العقوبات فمن ظفر به منهم ان شاء قتله وصلبه ، وان شاء قطع يده ورجله من خلاف ، وان شاء نفاه (٢٨)

---

(٢٦) أنظـــر فى ذلك : المغنى ١٠:٥٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ، المهـــذب ٢:٢١٨ الروضة ١٠ : ٥٧ ، ٥٨ .

(٢٧) ٥ / المائدة : مدنية / ٣٣ .

(٢٨) هذا قول سعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد والحسن والضحـــاك والنخعى وأبى الزناد وأبى ثور وداود . المغنى ١٠:٣٠٥ . وقال ابو حنيفـــة ان أخذوا المال وقتلوا ، فالامام بالخيار ، ان شاء قطع أيديهم وأرجلهم مـــن خلاف أو قتلهم أو صلبهم وان شاء صلبهم ، وان شـــاء قتلهم ولم يصلبهـــم . الافصاح : ٢ : ٢٦٢ .

واختلفوا فى النفى ، فقال بعضهم : هو الحبس [٢٩] وقال بعضهم : هـو النفى عن أرضه التى أحدث فيها هذا الحدث ، وجنى فيها هذه الجنايـة الى غيرها من الارضين النائية عنها [٣٠] .

وقال بعضهم : ان الله قد بين تأويل هذه الاية ورتب هذه العقوبات وخص كل طبقة ، وأهل كل مرتبة ، من ذوى الجنايات منهم بعقوبة خاصة به ملائمة لمقدار جنايته [٣١] بما روى عن النبى ﷺ أن جبريل أتاه عن ربه فقال : (من قتل وأخذ المال صلب ، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ، ومـن أخذ المال ولم يقتل قطع) [٣٢] .

قالوا : ومن سعى بعد ذلك فى الارض فسادا ، أو حمل سلاحا فأخاف السبيل أو قطع الطريق ، ورأى الامام نفيه أو حبسه كان له ذلك .

الجنايـات والعقوبـات :

فأما أصحاب الجنايات الذين يأتون الامام سلما فقد حقنت مـلة

---

(٢٩) هو رأى ابو حنيفة واصحابه ، قال أبو حنيفة : نفيه حبسه حتى يحدث توبة ونحو هذا قال الشافعى : فانه فى هذه الحال يعزرهم الامام ،وان رأى أن يحبسهم حبسهم . المغنى لابن قدامة ١٠ : ٣١٤ ، والروضة ١٠ : ١٥٦ ، وهو مشهور ومذهب مالك فى غير بند الجناية . أحكام القرآن لابن العربـى ٢ : ٥٩٨ وتفسير القرطبـى ٦ : ١٥٣ .

(٣٠) وهو رأى الامام أحمد بن حنبل واصحابه . المغنى ١٠ : ٣١٤ .

(٣١) فى حد قطاع الطريق . قال أبو حنيفة والشافعى وأحمد : هو على الترتيب وقال مالك : ليس هو على الترتيب ، بل هو على صفة قاطع الطريق، وللامام اجتهاده فيما يراه من القتل أو الصلب وقطع اليد والرجل من خـلاف أو انفى أو الحبس . الافصاح ٢ : ٢٦٢ ، أحكام القرآن لابن العربى ٢ : ٥٩٦، ٥٩٧ ، والمنهج المسلوك فى سياسة الملوك ١١٥ .

(٣٢) رواه ابن جرير عن أنس فى تفسـيره ١٠ : ٢٥٠ ، ٢٦٧ الاثـران ١١٨١٦ ، ١١٨٥٤ ، وتفسير ابن كثير ٣ : ٩٤ .

الاسلام دم كل مؤمن بالله واليوم الاخر ، الا بردة بعد اسلام أو زنى بعد احصان او نفس بنفس ، ومن آرتكب دون ذلك من أبدان أهل الملة فالجروح قصاص ،ومن قتل مؤمنا(٧٧/أ)خطأ فقد أوجب الله على عاقلته الديةيسلمها الى أهله الا أن يشاءوا أن يصدقوا ، وتحرير رقبة مؤمنة ، ليس للسلطان فيه يد ولا معتـــرض .

ومن أرتكب مادون القصاص ففيه أرش (٣٣) قد بينت السنة أحكامها وشرعت الملة فروضها ، ومقاديرها . قال الله ــ جل وعز ــ : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعيـــن بالعين والانف بالانـــف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص) (٣٤) .

وقال : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٣٥)

وقال : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا ، فان كان مـــن قوم عدولكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان بينكـــم وبينهـــم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجـــد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيمـــا) (٣٦) .

وقال فيما دون الاحصان من الزنى : (والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (٣٧) .

---

(٣٣) الارش : الجراحات التى ليس لها قدر معلوم . لســـان العـــرب المحيـــط ١ : ٤٦ .

(٣٤) ٥ / المائدة : مدنية / ٤٥ .

(٣٥) ٢ / البقرة : مدنية / ١٩٤ .

(٣٦) ٤ / النساء : مدنية / ٩٢ .

(٣٧) ٢٤ / النور : مدنية / ٢ .

وقال فى القاذف : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) (٣٨) •

رأجمعت الامة على جلد السكران ثمانين (٣٩) •

وفى السارق قال الله تبارك وتعالى: (والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) (٤٠) •

وفيما دون الحدود من ذلك من قذع أو شتم أو سوء أدب يعود بجرأة على السلطان أو استخفاف بالدين تعزير على ما يراه السلطان فى مذهبه أن كان أهل العلم أو يفتى له المفتون ، فان العلماء قد أختلفوا فى ذلك فمنهم من جاوز بالتعزير الحد الى ثلاثمائة سوط وأقل وأكثر ، ومنهم من لا يرى بالتعزير الحدود فى العدد ويرى أن تجاوز به الحد فى الشدة والا يلام •

ثم من أظهر فى الدين بدعة خرق بها أجماع الامة ، وناقض بها التوحيد وأصول الشريعة ، أو خرج منه بشىء أو دخل فيه فعلى الامام والسلطان أن يحضره مجلسه أو مجلس صاحبه ، ويأمر بمناظرته أو

---

(٣٨) ٢٤ / النور : مدنية / ٤ •

(٣٩) هذا رأى جمهور الفقهاء بيد أن الشافعى وأبو ثور وداود قالوا : الحد فى ذلك أربعون على الحر (بداية المجتهد ٢ : ٤٧٩) ، ورجحه ابن قدامة فقد قال: أن الحد اربعون هو اختيار ابى بكر ومذهب الشافعى لان عليا جلد الوليد ابن عقبة أربعين ، ثم قال جلد النبى ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة . وهذا أحب الى . رواه مسلم ... وفعل النبى ﷺ حجة لا يجوزتركه بفعل غيره ، ولا ينعقد الاجماع على ما خالف فعل النبى وابى بكر وعلى رضى الله عنهما فتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزيز يجوز فعلها أذا رآه الامام • المغنى ١٠ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ •

(٤٠) ٥ / المائدة : مدنية ٣٨ •

يناظره بنفسه بحضرة العلماء من المتكلمين والفقهاء العارفين بأصول الدين فيقيم عليه حجة الله فان قبلها ورجع عن البدعة التى أحدثها (٧٧/ب) عفا عنه ، وان لم يقبلها ولم يرجع عنها فعليه ما على المرتد بعد الاستتابة وهكذا روى رسولُ الله ﷺ :(من بدل دينه فاقتلوه) (٤١) .

وأختلف العلماء فى المرتدة فأوجب بعضهم قتلها ، وبعضهم حبسا واجبارها على الدين .

مبدأ درأ الحدود بالشبهـــات :

وسن النبى ﷺ مع ذلك « درأ الحدود بالشبهات » (٤٢) .

فمن شهد عليه الشهود بارتكاب حد من الحدود وأقر على نفسه . فان السنة ان يستأنى به الى أن يدفع عن نفسه بحجة أو شبهة ، فان أتى بها درىء عنه الحد ، وكذلك ان اختلف الشهود فى الشهادة ، أو شهدوا بعد مدة ، وأورد الامام المقر على نفسه ، فقال : قد سهوت أو غلطت أوكذبت أو سرقت من دارى أو دار من أخرجه من ملكى ، وما أشبه هذه الامور .

ولا تقبل الشهادة بالزنى حتى يشهد أربعة من المسلمين بلا اختلاف ولامرية على ما جاءت به الســـنة (٤٣) .

وكذلك السرقة لا يقطع فيها حتى يشهدوا أنه سرق ما تبلغ قيمتـــه

---

(٤١) حديث صحيح ، أخرجه البخارى،وأبو داود ، والترمذى،والنسائى وابن ماجه عن أبن عباس .

صحيح الجامع الصغير ٥:٢٦٤ رقم ٦٠٠١ وهداية البـــارى ٢:٢٠٩ وسنن ابن ماجه ٢:٨٤٨ رقم ٢٥٣٥ واخرجه مالك فى الموطأ بلفظ «من غير دينه فاضربوا عنقه » الموطأ ٢:٧٣٦ ، كتاب الاقضية ، باب القضاء فيمن ارتدعن الاســـلام .

(٤٢) سبق تخريجه ص ٢٢٩ .

(٤٣) أخرج مسلم عن أبى هريرة : ان سعد بن عبادة ـــ رضى الله عنه ـــ قال : يا رسول الله ، أرأيت لو أنى وجدت مع أمرأتى رجلا ، أأمهله حتى آتـــى بأربعة شهداء ؟ فقال ﷺ : « نعم » . مسلم ٢ : ١١٣٥ رقم ١٤٩٨ ، ومالـــك فى الموطأ ٢ : ٨٢٣ .

عشرة دراهم من حـــرز (٤٤) .

فهذه جمل أصول ماأباح الله فيه القتال والقتل ، والحد وسفك الدم، والجلد ، ولها فروع يطول ذكرها عما عرضناه فى كتابنا ، وهى معروفـــة عند الفقهاء مسطورة فى كتب العلمـــاء .

وما سوى ذلك فهو داخل فى قول الله : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (٤٥) . وفى قول النبى ﷺ : (أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم الا بحقها) (٤٦) . وهذه الاسباب والابواب من حقوقها . وفى قول النبـــى ﷺ «أنا أحق من وفى بذمته »(٤٧) لايحل لامام ولا لصاحب أمام شـــىء من أشعار أهل الملة والذمة تعصبا الا تأديبا وتثقيفـــا .

ثم قيد الاسلام (الغيلة والمثلة)(٤٨) فحرمها ، فليتق الله ملك قادر أو سلطان قاهر ، وليحذر أن تحمله قدرته (الجروية) (٤٩) القلية على ظلم

---

(٤٤) هذا رأى فقهاء العراق ، قال به : عطاء وأبو حنيفة . أما فقهـــاء الحجاز مالك والشافعى وأحمد وغيرهم فأوجبوا القطع فى ثلاثة دارهم مـــن فضة وربع دينار من ذهب . بدايـــة المجتهد ٢ : ٤٨٣ ، والمغنى لابن قدامـــة ١٠ : ٢٤١ — ٢٤٣ .

(٤٥) ١٩ / التوبة : مدنيـــة / ٥ .

(٤٦) حديث متواتر متفق عليه بين أئمة أهل الحديث . اللؤلؤ والمرجان ٦٥. صحيح الجامع الصغير ١ : ٤٣٤ رقم ١٣٦٦ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للالبانى ج١ برقم ٤٠٧ .

(٤٧) ضعيف ، اخرجه الدارقطنى ١ : ٣٤٥ ، شرح السنـــة للبغـــوى ١٠ : ١٧٥ ، نصب الراية ٤ : ٣٣٥ ، ٣٣٧ .

(٤٨) الغيلة : هى الخيانة ، والخديعة ، والاحتيال فى القتل . لســـان العرب المحيط ٢ : ١٠٣٨ ، والمثلة : سبق التعريف بها ص .

(٤٩) هكذا فى الاصل ، والصحيح (الجزئية) .

الرعية ، ولؤم المقدرة والاسراف فى المعاقبة ، واذا دعته قدرته الى ظلم عباد الله فليذكر قدرة الله • حيث يفارق ما هو فيه ويتعرى مما هو بسبيله • ويرد على ما مهد لنفسه ، وقدم لها أيام مهلته فعسى أن يكون قريبا •

وقد أغلظ الله الوعيد على قاتل النفس المؤمنة بغير حقها فقال(٧٨/أ) :(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمـــا) (٥٠) •

فهذا ما أوجب الله فى الدين من قتال الاعداء والمخالفين وقتلهم ، وقتل أهل الجنايات وتأديبهم ، فاذا حقت الكلمة ، وظهرت العداوة ، وجب فى السياسة والشريعة منابذة بعض المخالفيـــن أو مناجزتهم ، فالوجـــه أن يستعمل فيها ويستعان عليها بخصال عشر من خصال السياسة وتدابيـــر المناجزة والمقارعـــة :

خصال تدبيـــر الاعـــداء :

أولها : المداراة والمسالمة وعرض السلم والصلح على العدو ماوجـــد الى ذلك سبيلا ولم يخف أن يزداد العدو بالمطاولة وفورا وقوة وعـــددا وعدة ، ويهتدى الى ما لم يهتد اليه من خديعة ومكيدة ، فقد قدمنا أن ذلك من أدب الله ــ جل وعز ــ الذى أدب به نبيه ، وآياته التى أقامها فى خلقه، وأن فى المناجزة الخطار بالاملاك والمهج والابدان والقنيان (٥١) ، ومـــا منها الا مضنون به ، ومشحوح (٥٢) عليه فى العقل والدين ، والـــى حمايتها

---

(٥٠) ٤ / النساء : مدنيـــة / ٩٣ .
(٥١) القنيان : سبق التعريف بها ص ٣٢٣ هامش رقم ٢ .
(٥٢) مشحوح : من الشح وهو حرص النفس على ما ملكت وبخلها به ، لسان العرب المحيط ٢ : ٢٧٦ .

ما يسعى العقلاء ، والى صيانتها ما يجرى الملوك • فما وجد الملك الـــى (توفيرها) [٥٣] ومنعها سبيلا،والى فداء بعضها ببعض طريقا فالوجه فيه أن يفعـــل •

ثم لا يجوز للعاقل أن يخاطر بشىء حتى يتيقن أن ما يخاطر له أجل مما يخاطر به ، ولا يقدم على المحاربة والمقاتلة حتى يكون فى أكثر رأيه أنه ان قاتل أو قتل نال به احدى الثلاث من المحامـــد والمحاب أو عامتهـــا أو أكثرها ، وانتفى به من أضدادها من المكاره والمثالب : ــ

أولها ، ثواب الله الذى أعده الله لاوليائـــه •

والثانية ، تحصيل الملك الذى هو أجل مراتب الدنيا وأعلاها درجة ، الملك الذى هو مدبره وسائسه وحاميه وحارسه عليه ، وان تركه زال عنه كله ، وقل طمعه فى مثله •

والثالثة : محمدة تبقى على غابر الايام يحيا بها ذكره ، ويطيب بهـــا بعد فنائه نشره ، وان تركها خاف لزوم عار ، وبقاء شنـــار فى الاخـــلاف والاعقاب ، فان الله ــ جل وعزــ لما قرر فى أنفس المتدينين أن عيش الجنة ، ونعيم الابد أفضل من نعيم الامد أضعافا لا يحصيها الا الله حثهم علـــى الجود بأنفسهم وأموالهم فى جنب ما يأملونه من عظيم ثواب الله الـــذى أعده لاوليائه (٧٨/ب) وأهل طاعته ، فقال : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلـــون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن) [٥٤] •

وكذلك القولُ فى اصطفاء المحامد ، واقتناء المادح ، وحسن الذكر ،

---

(٥٣) هكذا فى الاصل ، والصحيح (توقيهـــا) •
(٥٤) ٩ / التوبة : مدنية / ١١١ •

وطيب النشر ، فقد قدمنا من رغبة أولى العزم من رسل الله ، وأنبيائه عليهم السلام ، وذوى الفضل من أوليائه فيه بعد رفضهم الدنيا واستخفافهم بزخرفها وزبرجها (٥٥) ، واحتقارهم لما فيها .

وكذلك (بقاء للعار لشىء) (٥٦) لم يزل أنفس الكرام تتعافاه ، وطبائع الفضلاء تأباه ، وذوو الهمم البعيدة والانفس القوية ينفرون عنه ، ويحتالون فى غسل أنفسهم منه ، (ويجروا) (٥٧) من العقل والحزم والكرم والفضل أن لا يشتروا حياة سريعة الفناء بعار طويل البقاء ، ولذة وشيكة الانقضاء بقبح أحدوثة تذكر على غابر الايام وباقى الدهور والاعوام .

ولقد أوجز العبارة عنه الحسن البصرى حيث قال : «انما أنت أحاديث فان استطعت أن تكون حديثا حسنا فافعل» (٥٨) وأحسن أرسطاطاليس فى مواعظه للاسكندر حيث قال : «واعمل على أنهم فى عقبك ، وأن مديحهم أطول عمرا منك» .

وقد قال فى ذلك بعض الجلة من الملوك :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا

على قضاء الله ما كان جالبا (٥٩)

---

(٥٥) زبرجها : زينتها وحسنها . لسان العرب المحيط ٢ : ٨٦٧ .

(٥٦) هكذا بالاصل ، والصواب (نفيا للعار الذى) .

(٥٧) هكذا فى الاصل ، والصحيح (يجدون) .

(٥٨) ورد منسوبا الى بزرجمهر حينما قدم للقتل . المحاسن والمساوىء ١ : ١٤٥ .

(٥٩) قاله سعد بن ناشب ، شاعر من بنى العنبر بالبصرة ، مات نحو ١١٠ هـ . الاعلام ٣ : ١٣٩ ، والشعر والشعراء ٧٠٠ ، والامثال لابى عبيد القاسم ١١٧ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٦٧ — ٧٤ وعيون الاخبار ١ : ١٨٧ ، والعقد الفريد ٣ : ١٤ ط لجنة التاليف والنشر والخزانة ٣ : ٤٤٤ ط بولاق ، وفصل المقال ١٧٤ ، والتذكرة السعيدية ٦٠ .

وقد قال بعض المفرطين فيه وهو الليث بن رافع بن الليث بن نصر بن سنان (٦٠)

نار ولا عـــار فكـــن سـيدا
فـــر مـن العـار الـى النـــار

وقد قال فيه الحسين بن على ــ رضى الله عنه ــ فأنصف وأتى بما يشـــــبهه •

المـوت خير مـن ركـوب العـــار
والعار خيـر من دخول النـار (٦١)

وقال الزبير بن العوام حين ولى عن أمير المؤمنين «علـى» بعـد مناظرته اياه وقيام الحجة عليـه :

ترك الامور التى يخشـى عواقبهـا
لله أروح فى دنيـا وفى ديـن (٦٢)

آثرت عـارا علـى نـار مؤججـة
أنـى يقـوم لهـا خلق مـن طيـن

وهذا هو حد الانصاف فى هذا الباب ، اذ ليس ينبغـى أن يكـون شىء أشد على (٧٩/أ) المتدين الموقن من عذاب النار ، ثم لا يكون شىء

---

(٦٠) هو الليث بن رافع بن نصر بن يسار ، وقيل : الليث بن المظفـر بن نصر بن يسار ، كان من أكتب الناس فى زمانه بصيرا بالشعر والغريب والنحو بارعا فى الادب ، وكان كتابا للبرامكة ، وتقرب اليه الخليل بن أحمد فكتب له كتابه «العـين» واهداه له . طبقات الشعراء ٩٧ معجم الادباء ٦ : ٢٢٢ ،ونزهة الالبـاء ٤٥ .

(٦١) البيان والتبيين ٣ : ٢٧٨ ، وأدب الدنيا والدين ١٤٥ نسبا البيت الى الحسن بن على وفى نثر الدر للابى ١ : ٣٣٧ الى الحسين بن علـى .

(٦٢) ورد البيت الاول فى حلية الاولياء ١ : ٩١ ، وسير أعلام النبلاء ١ : ٦٠

من مصائب الدنيا عليه أشد من ركوب العار ، ولا يحتمل العار فى موضع من المواضع ولشىء من الاشياء الا عند مخافة عذاب النار ، وما أقبح ما هجا به من يقـــول :

وكنـــت اذا حللت بـدار قـــوم

رحلـــت بخزية وتركـــت عـــارا (٦٣)

والشعر الحسن والحديث الجيد فى هذا الباب كثير ، وفيما ذكرنا ما يبين عن الغرض ، ويوضح عن محض الحـــق .

الوعـــد والوعيـــد :

والثانية : تقديم الوعيد والايعاد ، والتحذيـــر والانذار ، واقامـــة الحجة وابلاغ المعذرة ، فقد ذكرنا أن ذلك من أدب الله الذى أدب بـــه عباده ، وسننه التى استعملها فيهم ، فانه بعد ما ابتداهم به من الافضال والانعام والمنن الجسام ، ودعاهم الى ما هو أكثر منه وأفضـــل وأبقى وأجزل ، ثم أراهم دلائله ، وأحضرهم شواهده ، وحذرهم ، وأنذرهم ، ووعدهم ، وأوعدهم بالكتب الواضحة ، والاعلام اللائحة ، والانبيـــاء والمرسلين ، والائمة الراشدين المهديين ثم أمهلهم المدة التى يمكن فيهـــا التذكير والتفكير ، وتنقطع فيها مواد المعاذير كما ذكر ـــجل وعزـــ مـــن ذلك فى كتابه حيث يقول : (بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقـــى معاذيره) (٦٤) ، وقال : : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقـــت ، والـــى

---

(٦٣) هو لجرير بن عطية بن حذيفة ، المتوفى ١١٠ هـ ، وورد البيـــت فى قصيدته الرائية فى ديوانه المطبوع بمصر ١:١٢٧ ـــ ١٢٩ ، ولباب الاداب ٣٧ ، وتحفة الادباء ٣ : ١٩٥ ، ومفيد العلوم ومبيد الهموم ١٣٧ .

(٦٤) ٧٥ / القيامة : مكيـــة / ١٤ ، ١٥ .

السمـــاء كيف رفعت ، والى الجبـــال كيفة نصبت ، والى الارض كيـــف سطحت) [٦٥] ، فى آيات كثيرة ذكرهم بها ما يلزمهم من حجج العقول التى ان فكروا فيها ، عرفوا الله،وأوجبوا شكره عليهم ، ثم قال : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) [٦٦] وقال : (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن يذل ونخزى) [٦٧] • وقال : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) [٦٨] •

فقطع من جميع الوجوه عذرهم ، وألزمهم فى كل ذلك وزرهم •

ثم قال النبى ﷺ : (أن الله بعثنى بين يدى الساعة رحمة لمن تبعنى ، وحجة على من خالينى) [٦٩] •

ثم ان ذلك لم يزل من عادة الملوك الحزمة والائمة الكملة ، فكم مـــن جيش مجتمع قد شتت جمعهم ظهور الحجة عليهم ، وفرق بين نيانهم ، وعزائمهم انقلاب الدلائل عليهم ، وأضعف منتهم [٧٠] بيان باطلهم لهم ، وكم (٧٩/ب) من خطيب مصقع وبليغ مفوه صور الباطل عند أصحابه فى

---

(٦٥) ٨٨ / الغاشية : مكيـــة / من ١٧ الى ٢٠ •
(٦٦) ٤ / النساء : مدنية / ١٦٥ •
(٦٧) ٢٠ / طه : مكيـــة / ١٣٤ فى الاصل : لـــو •
(٦٨) ٣٥ / فاطر : مكيـــة / ٣٧ •
(٦٩) صحيح عن ابن عمر ، أخرجه أحمد بن حنبـــل والطبرانـــى بلفظ «بعثت بين يدى الساعة بالسيف ، حتى يعبد اللـــه تعالى وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمـــرى » صحيح الجامع الصغير ٣ : ٨ رقم ٢٨٢٨ •
(٧٠) المنة (بضم الميم) : القوة • مختار الصحـــاح : ٦٣٦ •

صورة الحق وأراهم الشبهة فى لباس الحجة ، فاستغواهم به حتى قاتلوا وقتلوا ، وهم عند أنفسهم محقون ، فكان فيه هلاكهـم ولذلك مـا قـال أرسطاطاليس للاسكندر : «اذكر احتجاجك عليهم من كتبك ، ودع من كتبهم ما يجب ستره من العامـة » •

وقال الله تبارك وتعالى : (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال)(٧١)

ولن يؤيد صاحب جيش وقائد عسكر بصائر أصحابه ولن يقوى منهم بشىء هو أحرى وأولى ببلوغ الغاية منهم ، من أن يريهم أن حجة الله معهم ويقرر عندهم أنهم ان قتلوا أجروا وأثيبوا ، وان قتلوا انقلبوا الى خير مما بهم منقلبا ، وأحسن مما يؤملونه مكتسبا • وكذلك فعل أمير المؤمنين (على) (٧٢) فى حروبه ووقائعه، فما فرق بين طلحة والزبير وبين عسكرهما الا بالحجة والمناظرة ، وكذلك فعل بالخوارج حتى خالف بين كلمتهم ، وفرق بين آرائهم ، وشتت بين المجتمع من أهوائهم وغلبهم • ومن جهتها احتال معاوية حين أحس من أصحابه بالوهن والضعف حيث رفع المصاحف على أطراف القنا (٧٣) ودعا الى كتاب الله الذى كان يدعى اليه فيأبى ، وهـذا باب لو أخذنا نتتبع ما يحضرنا منه لطال الكتـاب •

اليقظـــــة :

والثالثة هى استعمال اليقظة ، وترك التناوم والغفلة والاشتغـال بشىء من اللذات والملاهى والملاعب والمطارب مالم يفرغ من الحـرب ،

---

(٧١) ٨ / الانفال : مدنية / ٦٥ .
(٧٢) (على) ساقطة مـن الاصل .
(٧٣) القنا : جمع قناة وهي الرمح . مختار الصحاح ٥٥٤ .

ويشغله من هذه الامور ، ولا يرضى حتى يجعل على العدو فى كل أحوالـه عيونا راقبة ، وآذانا واعية ، فانه يجمع بذلك خصالا جليلـة هى أزمـة تدابير الحروب : منها أن يطلع على ما يحدثه العدو من مكيدة أو يضمره من خديعة أو يجمعه من مباينة ، فيأخذ من ذلك حذره ، ويعد له عدته فلا ينال منه غرة ، ولا يصاب منه غفلة ، فيهلـك •

ومنها ، أن ينتهز الفرصة ، ويراقب منهم النهزة ، فان ذلك أبلـغ ما يستعمله المحارب فى حروبه ، «فان الفرص تمرمر السحاب» (٧٤) وقل ما فات منها فائت فأدرك على غابر الايام ، ورب من ضيع شيئا فمات عليه حسرة •

وفى كتب الاولين : من استمكن من الجسيم فأضاعه لم ينله بعد • ومن طلب فرصة فأمكنته فتركها فاته العمل ولم ترجع اليه الفرصة •

وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : «افترص (٨٠/أ) من عدوك الفرصة واعلم على أن الدنيا دول » (٧٥) •

ومن بليغ الهجاء قول القائـل :

وعاجـز الرأى مضيـاع لفرصتـه
حتى اذا فات أمر عاتب القـدرا (٧٦)

---

(٧٤) من حكم الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه . نهـج البلاغـة ٢ : ١٨٧ العقد الفريد ١ : ٧١ ، نهاية الارب ٦ : ٤٧ ، بهجة المجالس ٢ : ١٨٧

(٧٥) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ١ : ٩٨ ، ولباب الاداب ٦٣ ، ٦٤ مع أختلاف يسير ، وفى السياسة فى تدبير الرئاسة ١٥ بلفظ : « وتأمل احوال العدو ، فحيث رأيت تخللا فاجعل الصدمة فيه » .

(٧٦) نسبه ابن قتيبة الى الرياشى . عيون الاخبار ١ : ٣٤ ، ٢ : ١٤١ وأورده الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ٣٥ والماوردى فى قوانين الوزارة ١٥٣ وادب الدنيا والدين ٨٩ دون نسبة .

منها ، أن يقف على عدد العدو وعدته وآلته التى يحذق باستعمالها فى حروبه من رمى أو طعن أو ضرب أو هذ (٧٧) فانما هى جمـاع آلات الحـــروب •

فمن العدو من الغالب عليه الرمى بالنشاب ، ومنهم من الغالب عليه الطعن بالرماح والرايات والمزاريق والزوبينات (٧٨) ومنهم الغالب عليـه الضرب بالسيوف • ومنهم من الغالب عليه الكسر والهد بالعصى والاحجار، وهو الامر الطبيعى الذى ربما يستعمله كثير من حرس الحيوان والناس فى كثير من الاحياء والبلدان •

ومنها أن يقف على رسوم العدو فى وقائعهم ، فمن الاعداء من رسمه فى ذلك المغالبة بحمله أو حملتين وثلاث ثم يولى اذا لم ينقد له ما يريد ، ومنهم من يغلب بالثبات والصبر على المكان حتى يعيا عدوه بكثرة الحملات ويتعب بالحركات ثم يحمل عليه وادعا مستريحا • ومنهم من يفعل ذلـك بالكمين والغدر وصنوف المعانى التى يخرجها والبدع التـى يبتدعها فى الحرب ، والكراديس (٧٩) التى يقيمها ، والمصافات التى يصفها ، فـاذا وقف صاحب الجيش على ذلك من عدوه ، أعد لكل باب من ذلك عدتـه ، وأخذ له أهبته ، وتهيأ له أن يبتدع عليه عند الوقعة بدعة لعله لا يعرفها فيكون ذلك أحد أسباب الغلبة ، فان القليل من البدعة يدهش ، ويحير ، ويرعب ويهـول •

---

(٧٧) الهذ : القطع السريع . المصباح المنير ٢ : ٦٣٦ .

(٧٨) الزوينات : نوع من الرماح القصيرة كالمزآرق . لسان العـرب (المعارف) . هامش ١٨٩٤ .

(٧٩) الكراديس : مجموعات كبيرة من الخيل لسان العرب «المعـارف» ٣٨٥٠ .

بلغنا أن ملوك الاعاجم كانت سيرتهم أو سيرة عامتهم ، اذا دهمهم أمر جليل ، وظهر لهم عدو قوى ، أمروا بالموائد التى كانت توضـــع لهم قترفع وظائفها ، واقتصرت على مائدة ويحضر ثلاثة : الموبذان ، ومؤبذ (والدبيريدبدو) [٨٠] وزير الحرب ، ولا يوضع عليها الا الخبـــز والبقـــل والخل والملح فيأكل منه شيئا ومن معه ، ثم يأتيه الخباز بالبرماورد [٨١] فيأكل منه شيئا ، ثم ترفع المـــائدة ، ويشتغل الملك بتدبير حربه ، وتجهيز سراياه وجنوده ، فلا يزال هذا حاله حتى يفتح عليه ويرتق فتقه ويأتيـــه من النصر ما يحبه ، فاذا أتاه ذلك أمر باعادة الموائد الى حالتها ، والمراتب عليها على ما كانت عليه [٨٢] ، وكانوا يقولون : « من حق النعمة ان يرى أثرها ويؤدى شكرها » [٨٣] .

وكذلك حكى عن غير واحد (٨٠/ب) من الملوك الاسلاميين : فحكى عن معاوية أنه كان يقول : ما ذقت أيام صفين لحما ولا شحما ، ولا حلـــوا ولا حامضا ، ما كان الا الخبز والزبد وجريش الملح [٨٤] حتـــى نصر الله وليه وخذل عـــدوه .

وكذلك حكى عن مروان بن محمد أنه أقام ثلاثين شهرا لا يطأ جارية حتى قتل ، وكان اذا استهدفت له جارية يقول : اليك عنى فوالله لا دنـــت منى ، ولا حللت لها عقدا ، وخراسان ترجف بنصر بن سيار وأبو مجرم [٨٥]

---

(٨٠) الدبيريدبو : وزير الحـــرب « كما فسرها المؤلف » .

(٨١) البرماورد : هكذا فى الاصل ، والصحيح (البزماورد) وهو طعـــام من البيض واللحم (معرب) لسان العرب (المعارف) : هامش ٤١٢٩ .

(٨٢) النص فى التاج لاخلاق الملوك ١٧٤ مع اختلاف يسير .

(٨٣) التاج فى اخـــلاق الملوك ١٧٤ .

(٨٤) نفس المصدر ١٨٤

(٨٥) أبو مجرم : هكذا بالاصل ، ويبدو انه يقصد أبا مسلم الخراسانى داعية العباسيين .

قد أخذ منه بالمخنق (٨٦) .

ولذلك ما قالوا : ان احزم بيت قالته العرب قول القائل : (٨٧)

قـــوم اذا حاربوا شدوا مآزرهـــم
دون النساء ولو باتـــت بأطهار (٨٨)

تعهـــــد العسكـــــر :

والرابعة : هى أن يتعهد أمر عسكره فى الحل والترحال والانهـــاض والانزال ، ومن محكم التدبير فى ذلك أن لا ينزل عسكـــره الا فى أحصن المواقع وأوثقها، وأخفها لمؤنهم وأرفقها بهم فى نقل العلوفة والماء والسقى والاستسقاء، وأنزهها بقعة وأوسعها رقعة،فان لكل شىء من هذه المعانى نفعا بينا، وعوناظاهرا،فان لم يتفق هذا فأحصنها وأرفقها بهم فى ابتياع حوائجهم ووجود مالا بدلهم منه من مرافقهم ، فان لم يتفق فأرفقها بهم ، فان الملك الشهم حصن ما لا حصن له،وفى تفـــرق الجيوش فى طلـــب الحوائـــج واضطرارهم اليها شق عظيم ، وضرر جسيم ، فاذا دبر ذلك فالتدبيـــر فى انزال العسكر أن يتعهد منه خلالا عـــدة .

منها ، أن لا ينزل منزلا ولا ينيخ (٨٩) بمعسكر حتى يعرف طرفيه ومناهجه وسبله ومبايته كلها حتى لا يخفى عليه شىء منهـــا .

---

(٨٦) نفس المصدر (التاج) ١٧٥ .

(٨٧) القائل هو الاخطل : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ، ويكنى أبا مالك ، شاعر فى شعره ابداع ، اشتهر بمدح ملوك بنى أمية ، توفى ٩٠هـ . الاغانى ٨ : ٢٨٠ ،والشعر والشعراء ١ : ٤٩ ، خزانة الادب ٢ : ٤٥٩ .

(٨٨) البيت فى التاج ١٧٥ ، وآثار الاول ١٧٤ ، والبيت للاخطل يمـــدح يزيد بن معاوية لما منع قطع لسانه ، والاغانى ١٥ : ١٠٦ ، والمستطرف ١ :٢٥٦

(٨٩) ينيخ : من الاستناخة للابل بمعنـــى ابراكها ، ومنها النوخـــة أى الاقامة . لسان العرب (المعارف) : ٤٥٧١ والمختار الصحاح : ٦٨٤ والمصباح المنـــير : ٢ : ٦٢٩ .

والثانية ، أن يأمر بضرب أخبيتهم (٩٠) وفساطيطهم (٩١) متلاصقة متدانية متشابكة الاطناب والاوتاد ، ويصفها صفا يشبه شكله شكل مدينة مجتمعة البنيان عامرة السور والحيطان ، وأوثقها أن تكون مدورة الشكل أو ما يقرب من الدائرة ، ويجعل أبوابها أقل ما يحتمل حال ذلك العسكر فى مقداره وعدده من واحد أو اثنين أو ثلاثة أو اربعة منها ، واليها يخرج ويدخل من أراد الدخول والخروج •

والثالثة : أن يقيم لها سوقا يجـــدون فيه عامة مالابد لهم منـــه من مرافقهم وحوائجهم ، ويتقدم .ليهم فى انصاف أهل السوق ، وتحقيق معاملتهم ، وينهى عـــن (معاشرتهم) (٩٢) ومضايقتهم والحيف عليهـــم فى المعاملة والمبايعة ليرغب فيه (٨١/أ) أهل الصناعة فيعمر سوقهم ، ويكون للعسكر فيه رفق كثير وخير عظيـــم •

والرابعة : أن يرتب على كل باب من أبواب المعسكر قائدا جلـــدا ، ورجلا شهما ، يكون فى عدة من أصحابه أو جماعة لهم شوكة تكون حفظة الابواب والموكلين بعهدها وضبطهـــا •

وخامسة : أن يأمر بحفر خندق يحيط بمعسكره أو على (أبوابها) (٩٣) على مقدار ما يوجبه الحال من الاحتياط ، ولا سيما اذا كان العدو قريبا والمقام طويـــلا •

---

(٩٠) أخبيتهم : مفردها (خابية) وهى كل ما يختبىء فيه الانسان ويستتر مختار الصحـــاح : ١٦٧ .

(٩١) فساطيطهم : مفردها (فسطاط) وهى بيت من الشعر . المصباح المنـــير ٢ : ٤٧٢ ، ومختار الصحاح : ٥٠٣ .

(٩٢) هكذا فى الاصل ، والصحيح (معاسرتهم) أى سوء معاملتهم .

(٩٣) هكذا فى الاصل ، والاولى (أبوابه) لان الضمير يعود على (المعسكر) قبلـــه .

وسادسة : وهى أن يتقدم الى أهل معسكره بالتزام الاسلحة فى كل حال حتى يكونوا كأنهم قد أظلهم العدو ، واضطرهم للمقارعة والمدافعة.

وسابعة : أن يبث طلائعه فى (الطريق) (٩٤) التى يتوهم منها مفاجأة العدو نائيا ودانيا ، ويرسم لذلك غير واحد من جلد أصحابـــه ومتيقظهم يتناوبون ويطوفون عليهم ، ويأمرونهم بالتزام الاسلحة وأخذ الاهبة .

وثامنة :هى أن ينزل خاصته الذين يعول على دفاعهم عنه ووزراءه الذين يعتمدون فى الاشارة عليه قريبا منه ، وبحيث ان دعاهم أجابوه وان أرادهم بلغوا اليه ، وجاءوه فى أقرب مدة وأوحى لمحة (٩٥) ، وان فاجأهم أمـــر كانوا أقرب الناس منه .

وتاسعة : أن ينهى أهل العسكر من افشاء فسق أو فجور أو شرب أو سكر فان فيه فسادا كثيرا وقد أتينا على ذكر بعضه فيما تقدم من كتابنا وسبق من كلامنا ، وحكينا عن غيرنا ، وخبرنا أن ذلك من علامات البوار والهلاك وأمارات الزوال .

وعاشرة : هى من تمام الحزم فى هذا الباب ، وهى ان لا ينزل الملك حتى ينزل أهل عسكره ، ويطوف حوالى عسكره فيأمر بســـد ما يراه من الخلل ، ورم ما يشاهده من (الثلم) (٩٦) واصلاح ما يجب اصلاحه ، فان لم يقع ذلك منه كذلك . فليوكل الامين الثقة الذى يقوم مقامه ويكـــون مكانه ، ويسد مسده من اليقظة والشفقة ، والرأى والشهامة ، والمعرفة

---

(٩٤) هكذا فى الاصل ، والاصوب (الطـــرق) .
(٩٥) أوحى لمحه : أى فى أسرع اشارة خفية . مختار الصحاح : ٧١٣ .
(٩٦) الثلم : بضم الثاء . الخلل . المصباح المنير .

والتجربة وكذلك القول فى الترحال فان مـن تمام الحزم فيه أن يسيرهم على حالة يصلح أن يلقوا فيها العدو ، (ويناجزوا) [٩٧] فيها اللقاء مـن العتاد والعدة ، وأخذ السلاح والاهبة ، ويجعل على مقدمته مـن يصلح أن يكون مقدمته عند اللقاء ويوم الوقعـة •

وكذلك على ساقته (٨١/ب) ويكون بين يديه ووراءه من يصلح أن يكونوا معه فى القلب عند القراع والحرب ، ويكون فى (ابقاء له) [٩٨] عدد يمكنهم الدفع والمنع ان دهمهم أمر أو عرض لهم عارض ، وأن يكون جنده وجماعته متفقة غير مختلفـة ، ومجتمعة غير متفرقة ، وأن يقارب بيـن مراحله ما أمكنه ، فان ذلك أبلـغ فى (جمامهم) [٩٩] ، وأقرب من تقويـة أبدانهم ودوابهم ، وأدل على استخفافهم بعدوهم وأشبه بآداب الله التى أدب بها خلقه ، وأجرى عليه تدبيره ، فهذه خلال من تعهدها رجـوت أن يكون قد أدى حق الحل والترحال فى عسكره ، وأخذ بالثقة والاحتياط لجنده وجماعتـه •

مواضع المقارنـة مـع العـدو :

والخامسة : هو أن يقايس بينه وبين عدوه فى أربعة أشياء قد ذكرها العلماء بالحرب فى مواضع كثيرة من الكتب الحديثة والعتيقة ، وهى المكان والامة ، والعدد ، والعـدة •

أما الامة : فمعناه أن بعض الامم (مـن) [١٠٠] الناس أشجع مـن بعض ، وأكثر ممارسة للحروب ودربة بالوقائع ، وأكثرها ظفرا بمساعدة

---

(٩٧) هكذا فى الاصل ، والاصح (يناجزوه) •
(٩٨) هكذا فى الاصل ، والاولى (اقباله) •
(٩٩) جمامهم : بفتح الجيم ، والميم الاولى • راحتهم • المصباح المنـير ١ : ١١٠ •
(١٠٠) «من» ساقطة من الاصل ولا يستقيم المعنى بدونها •

الدول فى بعض الزمان ، ولذلك ما حكى فى سير العجم : أن ملوكهم كانوا اذا أنفذوا جيشا الى الهند انفذوا بازاء كل رجلين رجلا ، واذا أنفذوا الى الترك انفذوا بازاء كل رجل رجلا ، واذا أنفذوا الى الديلم انفذوا الى كل رجل رجلين ، فكان مقدار الرجل من الديلم عندهم مقدار أربعة من الهند وقد أمر الله (عزوجل) (١٠١) الرجل من المؤمنين لما تكفل بنصرهم،وامدادهم وتفرد بتأييدهم بأن يخرج الى كل عشرة من المشركين رجل واحد ، فقال : (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) (١٠٢) • ووعدهم النصر والغلبة والظفر على ذلك ،فلما كان من المؤمنين من جزع من ذلك ، وضعف قلبه ، ولم يف بالشرط الـذى شرطه الله عليه من الصبر لقلة جرى العادة به خفف ذلك عنهم ، وأمرهم أن يبرر الى كل رجلين رجل منهم ففعلوا • (ففعل) (١٠٣) وقد كـان مـن المؤمنين من انتصر بالدين وبالنبى ﷺ قبل ذلك وبعده ، فبرز الرجل منهم الى عشرة من المشركين فغلبوا وهزموا ونصروا وانتقموا • وقـد كان فى أول خروج النبى ﷺ واقعة بكر بن وائل (١٠٤) وخيول العجم وهى أربعة آلاف على ما جاءت به الاثار (٨٢/أ) والعجم على ما ذكروا فى هذه الاخبار ستون ألفا فغلبوا وقتلوا « هامون » زعيمهم •

---

(١٠١) الجملة الدعائية (عز وجل) ساقطة من الاصل .

(١٠٢) ٨ / الانفال : مدنية / ٦٥ .

(١٠٣) هكذا بالاصل ، ويستقيم المعنى بدونهـا .

(١٠٤) يبدو لنا أنها واقعة « ذى قار » وكانت بين الجيش الذى انتدبه كسرى أبرويز وبين بكر بن وائل وكان ذلك عند أول الرسول — ﷺ — وقـال فيها (هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبى نصروا) وفيها انتصرت بكر بن وائل وقتل قائد الفرس «الهامـرز» تاريـخ الطبـرى ٢:١٩٣ ، ٢١٠ ، الكامل ١ : ٢٨٥ ونهاية الارب ١٥ : ٤٣١ .

وكان المسلمون يوم « القادسية » [١٠٥] وهو أعظم يوم كان بيـن العرب والعجم على ما جاءت به الكتب ثمانون ألفا والعرب اثنى عشرألفا، وهم أشد الاعداء فغلبوهم وهزموهم وقتلوا « رستم » [١٠٦] ، وكان فى ذلك اليوم ملكهم وزعيمهم ، ، وهم أولوا البأس الشديد الذى ذكر الله فى القرآن على ما جاءت به التفاسيـر •

فأما الروم فقد اتفق غير مرة أن لقى الفئة القليلة من المؤمنين الفئة الكثيرة منهم فغلبوا وظفروا ، الا أن هذا ليس فى القياس ولا فى العام ، ولكن وعد من الله ـجل وعزـ لرسوله وللمؤمنين أنجزه لهم حيث يقول : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولـو كره المشركون) [١٠٧] • ويقول : (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمـة الله هى العليـا) [١٠٨] •

وأما المكان فان بعض الامكنة والملاجىء أحصن وأمنع وأصعب من بعض ، وقد اتفق غير مرة أن منع ودفع العدد القليل الجيش العظيم عن أنفسهم بحصانة العقل ووثاقه أركان الموئل من عمارات طبيعية وتكليفية فلم يتهيأ للجيش العظيم فيهم شىء •

---

(١٠٥) القادسية : وقعة بين المسلمين بقيادة سعد بن ابى وقـاص ، وبين الفرس بقيادة رستم بن الفرخزاذ الارمنى وفيها انتصر المسلمون علـى الفرس عام ١٤ هجرية . المعارف : ٢٤١ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٤٩٥ ، نهايـة الارب ١٩ : ١٨٩ / ١٩٤ .

(١٠٦) هو رستم بن فرخزاد ، كان من اعظم رجـال فارس ، وقائـد الجيوش يزدجرد ملك ساسان فى وقعة القادسية ، وقد قتل فى هذه الموقعة . نهاية الارب ١٩ : ١٨٩ ، ١٩٤ .

(١٠٧) ٦١ / الصف : مدنية / ٩ ، ٩ / التوبة : مدنية / ٣٣ .

(١٠٨) ٩ / التوبة : مدنية / ٤٠ .

ولقد بلغنى أن (أحد) (١٠٩) أصحاب الجيوش المحدثين فى عصرنا هذا نازله العدو وحاذاه فى أضعاف عدده ، وكان معسكره يحاذى عين الشمس من مشرقها اذا طلعت ، عسكر عدوه يدابرها ، فأمر صاحبه أن يبادر العدو بتعبئة الجيوش وتحويلهم الى موضع تدابرهم عين الشمس اذا طلعت ، ففعل ذلك ، فاضطر العدو الى التحول عن مكانه ومقابلة قرص الشمس بعيونهم ، ثم ركب وواقف القوم حتى بزغت الشمس فى وجوههم ، ثم حمل عليهم وجالدهم فكان ذلك أحد أسباب ظفره بهم •

وكذلك فقد ظهر غير واحد من العساكر بالمكامن (بأرض) (١١٠) فيها من الكمين ما لم يتهيأ لصاحبه ، فكان ذلك سبب غلبته ، وكان منهم من احتال للسبق الى ماء ونهر كان بينهما فأخذه على العدو فأعطشه ، فكان ذلك سبب هلاكه •

فيجب على الملك السائس أن يعرف أمور الامكنة التى يلاقى فيها عدوه ، فان الامر فى ذلك عظيم والخطب فيه جليل • فان كان العدو أصعب من مكانه وامنع احتال فى جذبه عنه واخراجه منه (بحليلة)(١١١) أو مكيدة ليصير بحيث يتهيأ له موازاته فى المكان ، فان لم يكن ذلك بالمسارعة فبالمطاولة حتى يضطره بالمجاعة وسد الطرق عنه الى الانقياد للصلح والسلم والطاعة وبوجوه كثيرة من الحيل • فان لم يكن شىء من ذلك فترك المناجزة خير من ركوب الغرر وتسليم النفس والعسكر للعطب ، والقاء النفس فى التهلكة •

---

(١٠٩) (أحد) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها. قارن بدائع الملك فى طبائع الملك ١:١٦٦ .

(١١٠) (بأرض) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعني بدونها .

(١١١) هكذا بالاصل ، والصحيح (بحيلة) .

وأما العدد والعدة : فانه لا يجب أن يقاتل العدد القليل بالعدد الكثير من جنسه وأمته الذى لم تجر العادة أن يغلب مثله بمثلـــه

وكذلك لا يجب أن يقاتل العراة العزل الدارعين المستلئميـــن [١١٢] الا عند انتهاز فرصة أو مصادفة غرة ، والا كان القتال قتال غرر وتهـــور ، ان غلب لم يحمد ولم يشكر ، وان غلب لم يعذر ولم يؤجر ، فان الله قـــد نهى عن الالقاء فى التهلكة ، ولم تزل الملوك الحزمة تذم هذه الخلة وتعدها تهورا لا تجلدا ، وتجاهلا لا تيقظا •

وما أحسن ما قال فيه عبد الله بن طاهر حيث يقول :

ركوبـــك الهول ما لم تبـــد فرصتـــه
جهل وأمـــــرك بالاقـــدام تغريـــر
فكن مصيبـــا وخذ بالحـــزم مأثـــرة
فان يـــذم لاهـــل الحـــزم تدبيـــر
فـــان ظفرت بجهـــل ثم فـــــزت بـــه
قالـــوا جهـــول أعانتـــه المقـــاديـــر
وان ظفرت بحـــزم أو هلكـــت بـــه
فأنت عند ذوى الالبـــاب معـــذور

---

(١١٢) المستلئمين : مفردها (مستلئم) اى لبس لامته بمعنى درعه أو ما يتخفى به . المصباح المنير ٢:٥٦٠ •

أنكد بدنيـــا ينـــال المخطئـــون بهـــا
حظ المصيبين والمغرور مغرور (١١٣)

فهذه الخلال الاربع التى ذكرنا أنه يجب أن يقايس بها بينه وبيـــن عدوه ، ويراقبها من محـــاربه •

تحصين الاسرار :

والسادسة : من هذه الخصال تحصين الاسرار من أن يقف العدو منه على مثل ما ذكرنا أنه يجب أن يقف عليها منه ، فانه لا شىء أبلغ من تنفيذ الحيل ، وأعون على بلوغ الغرض من كتمان السر، والملوك أحوج الناس الى ذلك ، وأولاهم بالضن به والشح عليه • وقد ذكرنا أن النبى ﷺ كان اذا أراد سفرا ورى بغيره (١١٤) وكان يقول : « استعينوا علـــى قضـــاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود » (١١٥) ، وقال أرسطاطاليس (ليس) (١١٦) آى ملك جاوز سره وزيره فهو فى حد ضعيفى السوقة •

---

(١١٣) تنسب هذه الابيات لطاهر بن الحسين والد عبد الله — السالف ذكره — المتوفى ٢٠٧ هـ بمدينة مرو ، وهو الذى انتزع بغداد والعراق من يـــد الامين وقتله وخان المأمون أواخر أيامه وعزم على الخروج عليه وخطب ولـــم يدع للمأمون فوجد ميتا فى فراشه . وفيات الاعيان ٢٠١:٢ — ٢٠٦ . ونهايـــة الارب ٧٧:٦ — ٧٨ .

وأورد الماوردى البيت الاول والثانى فى تسهيـــل النظـــر ١٢٨ ، ١٢٩ ونسبهما الى طاهر بن الحسين ، وفى البيت الاول «الامر» بدلا من «الهول» كما وردت الابيـــات منسوبة اليه ايضا فى تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعى ٢٣٧ ، وفى لباب الاداب ٧٤ غير منسوب .

(١١٤) فيقول مثلا اذا أراد غزوة حنين : كيف طريق نجد ومياهها ومن بها من العدو . زاد الميعاد ٣ : ٩٦ فى صحيح البخارى تحقيق البغاص ١٠٧٨ الحديث رقم ٢٧٨٨ ، كان رسول الله ﷺ كلما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك ، فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا عدوهـــم وأخبرهم بوجهه الذى يريد .

(١١٥) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

(١١٦) هكذا بالاصل ، ويستقيم المعنى بدونها .

وقد ذكرنا ما فى هذه (٨٣/أ) الخلة من الفضل والحزم فيما تقـدم من كتابنـا •

الحيلة قبل القـوة :

والسابعة : أن تقدم الحيلة على القوة فقديما ما قيل : الحيلة أبلغ من القوة ، وهى خاصة الانسان لان الله انما فضله بالعقل ، وخصه بالتمييز ابانة له عن سائر الحيوان المباشر بالابدان من البهائم الراعية والسبـاع الضارية ، فكلما بعد المباغت عن المباشرة من الفتوح كان أروح وأحسـن وأهنأ وأزين • وقد قال النبى ﷺ : « الحرب خدعة » (١١٧) وقال أميـر المؤمنين على مهما حدثتكم بشىء عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب الى من أن أكذب على رسول الله ﷺ ومهما حدثتكم بشىء فان الحرب خدعـة •

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : « لا تطلب الغلبـة بالمباشرة ولكن بالمكايدة واستعمل المكائد فان فتوحها أهنأ الفتوح وأسلمها » (١١٨)

وفى حكم الاولين عن بعض الملوك المتقدمين : « صرعة اللين بالمكـر والحيلة أبلغ من صرعة الشدة بالمكابرة ، كالماء بلينة وبرده يتغلغل الـى عروق الشجر فيضبط أصلها ، والنار بحدتها وحرها لا تحرق الا ما فوق الارض » •

---

(١١٧) حديث صحيح ، أخرجه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وأحمد ابن حنبل عن جابر . الجامع الصغير ١٣٩ اللؤلؤ والمرجان ٤٣٧ برقمى ١١٣٤ و١١٣٥ ، والبخارى تحقيق البغا ١١٠٢ الاحاديـث ٢٨٦٤ و ٢٨٦٥ : ٢٨٨٦ ، مسلم ١٧٣٩ — ٢٧٤١ الترمذى رقم ١٦٧٥ ، أبـو داود رقم ٦٢٣٦ ، وجامـع الاصول ٢ : ٢٧٥ رقم ١٠٥٤ .

(١١٨) سر الاسرار ١٥١ مع أختلاف يسير •

وقالوا : النجد اذا اجتهد قتل عشرة والمدبر بحيلته يهلك العسكر بأسره (١١٩) .

وقالوا : وأهدى ملك الروم الى هارون الرشيد هدايا فيها سيوف مكتوب على سيف منها أيها المقاتل احتل تغنم ولا تفكر فى العاقبة فتهزم ، وعلى الثانى : اذا لم يصل سيفك فصله بالقاء خوفك .

ومما وجد فى دفائن الاولين وكنوز الملوك المتقدمين : ثلاث تبطل مع ثلاث : الشدة مع الحيلة ، والعجلة مع التأنى ، والاسراف مع القصد (١٢٠)

قالوا : ووجد حجر مكتوب عليه بالحميرية (١٢١) : أيها الشديد احذر الحيلة ، أيها العجول أحذر التأنى . وقال : وأوصى حكيم ملكا أراد سفرا فقال : «اجعل تأنيك زمام عجلتك ، وحيلتك رسول شدتك ، وعفوك مالك قدرتك » .

قالوا : وكانت ملوك الاعاجم تقول : «ينبغى للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخر حيلة ، فان النفقة فى كل شىء انما هى من الاموال ، والنفقة فى الحروب انما هى من الانفس فان كان للحيل عاقبة محمودة فذلك بسعادة الملك اذ ربح مال ، وحقن دماء جيوشه ، وان اعيت المكايدة والحيل كانت المحاربة من وراء ذلك » وللملوك العجم فى هذا تدبير وتقدم على سائر

---

(١١٩) التمثيل والمحاضرة ١٥٣ بلفظ « المكيدة أبلغ من النجدة» ومحاضرات الادباء ٢ : ٥٧ « المكر أبلغ من النجدة » .

(١٢٠) الحكمة الخالدة ٩ مع تعديل يسير .

(١٢١) الحميرية : لغة حمير ، وحمير اسم أبو ملوك اليمن واليه تنتهى القبيلة ، ولهم ألفاظ ولغات تخالف لغات سائر العرب . اللسان لمحيط ٢ : ٧١٦ التاج فى اخلاق الملوك ١٧٦ ، سوك المالك فى تدبير الممالك ١٠٧ مع اختلاف يسير

(٨٣/ب) الملوك ، ولذلك ما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : احذر مكايد الفرس فان الملك فيهم منذ دهر غير قصيـــر •

الرســل الـــى الاعـــداء :

والثامنة : أن يتفقد أمر رسله وكتبه الى العدو فلا يرسل الا مـــن يرضى أن تكون صورته الممثلة عند عدوه ، ولسانه الناطق بحضرته ، فـــلا يختار لرسالته الا رائع المنظر كامل المخبر، صحيح العقل ، حاضر البديهة ذكى الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة ، ظاهر النصيحة موثوقا بدينـــه وأمانته ، مجربا منه حسن الاستماع والتأدية ، كتوما للاسرار ، عفيفا عن الاطماع ، غير منهمك فى الفواحش والسكر والشرب ، فان كل هذه الخلال عوائد يعود نفعها على الملك والمملكة اذا وجدت فى الرسول ، وفى أضدادها ضرر عليها • واختيار الرسل على ما بينا أولا مأخوذ عن الله ـــجل وعز ـــ لان الله لم يبعث رسولا من الملائكة الا أفضلهم ، ومن الانس الى الفاضل المختار الذى يستجمع عامة هذه الخلال وأضعافها من الفضائل والمناقب • وجملته أن (الله جـــل وعـــز) (١٢٢) لم يبعـــث مهتوكـــا ولا فاسقـــا ولا ضنينا (١٢٣) ولا مائنا ولا متهما ، بل اختار لكل رسالة أفضل أهل زمانه ، وآمنهم ، وأعفهم ، وأقواهم قلبا ، وأصبرهم نفسا ، وأكرمهم خلقا ، كما أقسم بخلق نبيه فقال : (وانك لعلى خلق عظيم) (١٢٤) وبذلك جرت السنة من النبى ﷺ فى اختيار الرسل من نخبة أصحابه وبنى عمومته وقرابته •

---

(١٢٢) ساقط من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونه ...
(١٢٣) ضنينا : بخيلا . مختار الصحـــاح : ٣٨٥ .
(١٢٤) ٦٨ / القلم : مكية / ٤١ .

وكان للملوك الاولين من العرب والعجم فى هذا الباب استقصـــاء عجيب ، ونظر دقيق وامتحان كبير ، فقد حكى عن أردشير أنه كان يقول : « كم من دم قد سفكه الرسول بغير حله ، وكم مـــن جيوش قد قتلـــت ، وعساكر قد هزمت ، وحرمة قد انتهكت ، وعهد قد نقض بخيانة الرســـول وأكاذيبه » (١٢٥) وكان يقول : « على الملك اذا وجه رسولا أن يردفه بآخر فان وجه رسولين اتبعهما باثنين ، وان أمكنه أن لا يجمع بين رسوليـــن فى طريق ولا ملاقاة فلا يتعارفان فيتواطآن فعل ، ثم عليه ان أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك فى خير أو شر ، أن لا يحدث فيه حدثا حتى يكتب اليه مع رسول اخر يحكى له كتابا ، أولا ، حرفا حرفا ومعنى ومعنى ، فان الرسول ربما حرم ما أمل (٨٤/أ) ، فافتعل على الملك وحرض المرسل على المرسل اليه ، وأغراه به ، وكذب عليه (١٢٦) .

ولقد بلغنا عن الاسكندر أنه وجه رسولا الى بعض ملـــوك المشرق فجاءه (١٢٧) برسالة شك الاسكندر فى حرف منها فقال له : « ويحـــك ان أبواب الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد اذ مالت ، وقد جئتنـــى برسالـــة صحيحة الالفاظ ، بينة العبارة ، غير أن منها حرفا ينقضها ، أفعلى يقيـــن أنت من هذا الحرف أم شاك فيه ؟ » فقال الرسول : « بل على يقين أنـــه قاله » . فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا ، ويعاد الى الملك مع

---

(١٢٥) عهد اردشير ٩١ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١٢١ ، التاج فى اخلاق الملوك ١٢٤ ، وبدائع السلك ٢ : ٨٠ .

(١٢٦) التاج فى أخلاق الملوك ١٢٤ ، ١٢٥ ، بدائع السلك ٢ : ٨١ ، عهد اردشير ٩٢ ، المحاسن والمساوىء ١ : ١٢١ ، صبح الاعشى ١ : ٧٣ .

(١٢٧) فى الاصـــل : فخبأه ، وهو تحريف .

رسول آخر ، فيقرأ عليه ويترجم له • فلما قرىء على الملك مر بذلك الحرف فأنكره ، فقال للمترجم ، «ضع يدى على هذا الحرف فوضعها ، فأمر بقطع ذلك الحرف بسكينة فقطع • وكتب الى الاسكندر ان أس المملكة صحة فطنة الملك ، وأس الملك صحة لهجة رسوله ، اذ كان عن لسانه ينطق ،والى اذنه يؤدى • وقد قطعت بسكينى مالم يكن من كلامى اذ لم أجد الى قطع لسان رسولك سبيلا» فلما جاء الرسول الى الاسكندر دعا الرسول الاول فقال : « ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكى ؟ فأقر الرسول ان ذلك لتقصير رآه من الموجه اليه • فقال الاسكندر : « فأراك لنفسك سعيت ، لا لنا ، فلما فاتك بعض ما أملت اشعلت نارا فى الانفس الخطيرة الرفيعة ، فأمر بلسانه فنزع من قفاه » (١٢٨) •

وقد كان من الملوك الاولين من كان يرسل على رسله العيون ثم يقابل ما يأتى به العيون ، بما تأتى به الرسل ، فان وجد بينهما خللا عاقب المرسل (١٢٩) •

وهذا باب عظيم نفعه ، كثير ضرره •

الملك والحرب :

والتاسعة : أنه ما وجد الملك الى انفاذ السرية ، وتوجيه جيش يتولى عنه اللقاء ويكفيه الحرب سبيلا فلا ينبغى له أن يلقى حربا بنفسه ، لان كل فائت مع بقاء الملك فى قرار ملكه مرجو تداركه ، وكل ذاهب سواه مؤمل تلافيه •

---

(١٢٨) التاج فى أخلاق الملوك ١٢٥ ، ١٢٦ ، المحاسن والمساوىء ١ :١٢٢، وبدائع السلك ٢ : ٨١ ، والتبر المسبوك ٨٣ •

(١٢٩) التاج ١٢٤ ، بدائع السلك ٢ : ٨١ ، والمحاسن والمساوىء ١:١٢٠

ولم تزل هذه العادة من سنن الملوك المتقدمين والانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين . فقد كان النبى ﷺ بعد ما قوى شأنه ، وكثف جمعه وأعوانه ، يعول على هذا الباب ، وكان يبعث رجالا من أصحابه على سرايا معروفة مثل على بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد (٨٤/ب) ، وعمرو بن العاص ، وخرج من الدنيا وكان قد أمر أسامة بن زيد [١٣٠] على جيش ، فكان يجود بنفسه عليه السلام ويقول : « أنفذوا جيش أسامة » [١٣١] .

وكذلك فعل أبو بكر وعمر وعثمان رحمهم الله — وباشر أمير المؤمنين على — رحمه الله — الحروب والوقائع بنفسه فلم يتم له ما أراد .

واعتاد ذلك أكثر الملوك والخلفاء من بعدهم فأضر [١٣٢] الافراط فيه بكثير منهم ، وبهذا كان أمير المؤمنين على أشار على عمر — رحمهما الله — حيث استشاره فى المسير الى العدو : « انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك لم يكن للمسلمين طائفة دون أقصى بلادهم وليس بعدك من جمع يرجعون اليه ، ومتى تعلم العجم أنك المتولى لقتالهم بنفسك يكن أشد لشوكتهم ، واحتشادهم طمعا فى أنك ان نكبت لم يكن وراءك غاية ولا للمسلمين فئة » [١٣٣] .

---

(١٣٠) أسامة بن زيد بن حارثة ، ابو محمد ، صحابى جليل ، ولد بمكة ، ونشأ على الاسلام (لان أباه كان من أول الناس اسلاما) وكان الرسول يحبه حبا جما وينظر اليه نظره الى حفيديه الحسن والحسين ، وأمره الرسول ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، ومات سنة ٥٤ هـ . الاستيعاب ١ : ٧٥ — ٧٧ ، طبقات ابن سعد ٤ : ٦١ — ٧٢ أسد الغابة ١ : ٧١ .

(١٣١) أورده ابن سعد فى طبقاته ٤:٦٧ . وقال ابن الاثير ، ان النبى ﷺ استعمل اسامة على جيش أمره ان يسير الى الشام وفيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما اشتد المرض برسول الله ﷺ أوحى أن يسير جيش اسامة ، فساروا بعد موته ، أسد الغابة ١ : ٧١ .

(١٣٢) فى الاصل : (فاضطر) .

(١٣٣) نهج البلاغة ١:٣١١ مع اختلاف طفيف .

ولقد كتب أرسطاطاليس بذلك الى الاسكندر : « اياك واللقاء ببدنك فانك ان سلمت كنت مخطئا مخاطرا ، وان ظفر بك كنت قتيل خرق » (١٣٤)

وقال : « لا تلق حربا ان قدرت وان ضعف محاربك ، فان لم يتهيأ له ذلك وأعياه كل هذه المقدمات ولم يروجها دون اللقاء ببدنه فوجه الصواب أن يستعين عن اللقاء (بستة خلال) (١٣٥) :

أولها : أن يكون متوكلا على الله ، ومتبرئا اليه من الحول والقوة الا به ، وله أن لا يقاتل الا وهو عند نفسه محق متقرب الى الله متيقن أنه ان فاته جميع ما هو فيه من بدنه وأملاكه وفتيانه فانه يستعيض منه ما هـو أجل منه قدرا وأعظم خطرا ، ويقرر ذلك عند أصحابه عند تحريضهم علـى القتال وحثهم على اللقـاء •

والثانية : تأليف أصحابه وجمع كلمتهم على معاونته بالبذل والاحسان قديما ،والوعد والاطماع حديثا،وتوفير الارزاق والعطايا واقامة الجرايات والوظائف فى الحال ، فان لقاء العدو بقلوب مختلفة وأيد متعادية ، وآراء متباينة ، وأهواء متفرقة صعب شديد ، واغترارا عتيد ، وقل ما يسلم معه جيش ، ويظفر به ملـك •

والثالثة : ان يستعد للقاء بأوفر عدة ، ويتخذ له أتم أهبة ، وأجمع آلة يستعان بها على مثل تلك الحال ، فان أحوال اللقاء تختلف فى المكـان والجنس (٨٥/أ) والوقت على ما بينا منه أطرافا ، فلا يدع شيئا مما فيه الحزم الا جمعه ، واستوثق به ، واحتاط من جهتـه •

---

(١٣٤) لباب الاداب ٦٤ مع اختلاف يسـير •
(١٣٥) هكذا فى الاصل ، والصواب (بسبع خلال) : أولها أن يكـون •

والرابعة : أن يجعل شغله وشغل وزرائه مطالعـــة الفئتين ومراقبة أحوال الجيش دون الاشتغال بالقتال ببدنه وبالطعان بنفسه ، بل فيمـــا يحدثه العدو من بدعة فى الحرب أو يبدعه من مكيدة أو يلفقه من خديعة أو يجدده من حملة أو يخرجه من كمين من ناحية ، أو يحدث فى عسكـــره من وهن أو نكسالف من نواحى مصافه ، لينتهز من عدوه الفرصة ، ويسد من أنصاره الخلة بالامداد والتأييد ، والتقديم والتأخيـــر ، والتحريض (والتخيير) (١٣٦) من فئة الى فئة ، والاراحة من شدة التعب ودوام النصب فان اشتد القتال وتفاقم الامر ، واحتاج الى تولى ذلك بنفسه ، فالواجب أن يكون قتاله قتال (المحرج) (١٣٧) الذى يعلم أنه أن هرب وأدبر قتـــل لا محالة وذم وأثم • واذا قتل وصبر ربما غلب وظفر وحمـــد وأجـــر ، ويضرب عن ذكر كل ما خلفه من نعمة وقينة ودار ومملكة وأهل وقرابة ، وخدم وحرمة ، ويتوهم أنه فائت بائد ان لم يستفده بالصبر والثبـــات مستأنفا ثم يتذكر ويذكر أصحابه عند التحريض أن من قتل مدبرا أكثـــر ممن قتل مقبلا ، وليس الادبار بمنج مما (سبـــق) (١٣٨) به الاقدار ، ولا الاقبال بمقرب من الاجال ، ويذكر الايات التى أنزلها الله فى هذا البـــاب مثل قوله : (قل لو كنتم فى بيوتكـــم لبرز الذين كتب عليهـــم القتل الـــى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم) (١٣٩) • وقوله : (أينما تكونـــوا

---

(١٣٦) هكذا فى الاصل ، والاولى أن تكون (والتحيـــز) .
(١٣٧) المحرج : من حرج بمعنى ضاق وتعب واضطر . المصبـــاح المنيـــر ١ : ١٢٧ ، ومختار الصحـــاح : ١٢٩ .
(١٣٨) هكذا فى الاصل ، والاصوب (سبقت) .
(١٣٩) ٣ / آل عمران : مدنيـــة / ١٥٤ .

يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) (١٤٠) • وقوله : (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) (١٤١) •

ومثل قول النبى ﷺ : « لثلثمائة ضربة بالسيف أهون من موت على فراش » (١٤٢) • وقوله : « أكرم الموت الشهادة » ثم الابيات التى تذكر عن أهل القدوة فى الدين والشجاعة مثل أبيات على رضى الله عنه :

أى يومى من الموت أفر
يوم لا يقدر أم يوم قدر

ومثل بيتى معاوية :

كأن الجبان يرى أنه
سيقتل قبل القضاء الاجل
(٨٥/ب) فقد يدرك الحدثان الجبان
ويسلم منها الشجاع البطل (١٤٣)

وأبيات الشجعان والابطال التى ذكرنا شيئا منها فيما تقدم من كتابنا •

ونذكر الايات التى حث الله بها المؤمنين على القتال ، وأوجبه بها عليهم ، وما أوعد به الفار من الزحف مثل قوله : (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (١٤٤) وقوله : (قاتلوهم يعذبهم الله

---

(١٤٠) ٤ / النساء : مدنية / ٧٨ .
(١٤١) ٣ / آل عمران : مدنية / ١٦٠ .
(١٤٢) (لثلثمائه) هكذا فى الاصل ، والصواب (لثلاثمائة) .
(١٤٣) عيون الاخبار مجلد ١ / ١٦٥ وكان يتمثل بالبيتين معاوية بن أبى سفيان .
(١٤٤) ٦١ / الصف : مدنية / ٤ .

بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) [١٤٥] فان فى تذكر هذه الايات فى المعارك والمواقف الصعبة تأييـــدا للقلوب علـــى مباشرة القتال ، وضربـــا من الفـــأل ، والفأل تحريك (للجـــدود) [١٤٦] ، وبشارة للنفوس ، وتقوية للقلوب ، وربما خطر ببال الملوك ، وأصحـــاب الجيوش ، وجرى على ألسنتهم فى تلك المواقف وغيرها من أوقات المخاوف والاخطار آية أو بيت أو كلام يتطير بها فتنكسر بذلك قلوب السامعيـــن ، وتضعف به منتهم ، ويكون سببا للضعف والخور والخذلان والفشل •ولقد ذكر المدائنى أن أبا مسلم صاحب الدعوة بينما هو يسير مع عيسى بـــن موسى [١٤٧] منصرفه الى أبى جعفر المنصور فى اليوم الذى قتل فيه ،اذ جرى على لسان عيسى فقـــال :

سيأتيك ما أفنى القرون التى مضـــت

وما حـــل فى أكناف عـــاد وجرهـــم

ومن كان أربى منك عـــزا ومفخـــرا

وانهد بالجيش اللهام العرمرم [١٤٨]

فقال أبو مسلم : ويحك هذا مع الامان الذى أعطيتنى ، فحلف عيسى أو اعتق ما يملكه من رقيق ، ان كان هذا الشىء من أمرك وما هو الا خاطر

---

(١٤٥) ٩ / التوبة : مدنية / ١٤ .

(١٤٦) الجدود : الحظوظ . مختار الصحاح : ٩٤ ، المصباح المنير ١:٩٢

(١٤٧) عيسى بن موسى بن محمد العباسى ، أبو موسى ، يلقب «شيخ الدولة » ، كان من الولاة القادة وهو ابن اخى السفاح ، مات سنة١٦٧هـ .تاريخ الطبرى ٨ : ١٦٧ ،الكامل فى التاريخ ٥ : ٦٩ ، دول الاسلام للذهبى ١ : ١١٢ فى وفيات ١٦٨ هـ ،وسير أعلام النبلاء ٧ : ٤٣٥ .

(١٤٨) أوردهما الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٦ : ٧١ ونسبهما الى صالح عم المنصـــور .

أبداه لسانى • فقال : بئس والله الخاطر ، اذن ، وظن أنه هالك ، وكان على مـــا ظـــن •

ولقد ذكر أن دعبل بن على الخزاعى (١٤٩) ورد على «محمد بن طاهر بن عبد الله» فطال عليه مجابه ، فجعل يسأل على بابه عن أحواله وأوقاتـــه حتى بلغه أنه يريد التفرغ للهو يوما فى بعض بساتينه وهناك نهى علـــى شفاه مجلسه ، فأخذ بطة وعلق على جناحها رقعة مكتوب فيهـــا :

يـــا أيهـــا الملـــك المسربـــل هيبـــة

لا تأمنـــــن بوائـــق الحدثـــــان

صاح الزمـــان بآل برمـــك صيحـــة

خـــروا لحينهـــا علـــى الاذقـــــان

(٨٦/أ) وثنى عليهم فاستباح حريمهم

وأتى الزمـــان على بنـــى هامـــان

هذا لعمـــرك قد شهـــدت وقوعـــه

والدهـــر رقب عن بنـــى ساســـان

وأرسلها فى الماء ، فأخذت ، وقرئت الرقعة ، فتنغص عليه سروره ، وتمكن ذلك من نفسه فما نسيه حتى حل به ما حل ، وطلب كاتبها فلم يقدر عليه ولا شعر به الا بعد حيـــن •

ولقد أخبرت أن يحيى بن خالد لما قرب زوال دولته رأى فى منامـــه كأن هاتفا يهتف به ويقول :

---

(١٤٩) دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، أبو على ، شاعر هجاء، اصله من الكوفة ، أقام ببغداد ، له أخبار ، وشعره جيد ، عمر قرابة قرن من الزمان ، مات سنة ٢٤٦ هـ . وفيات الأعيان ٢ : ٣٤ — ٣٨ ، وتاريخ بغـــداد ٨ : ٣٨٢ ، والشعر والشعراء ٨٥٣ ، طبقات الشعـــراء ٢٦٤ — ٢٦٨ •

وكأن لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس لـم يسمـر بمكـة سامـر

فأجابه يحيى وهو فى منامـه :

بلى نحن كنـا أهلهـا فأبـادنـا

صروف الليالى والجدود العواثـر

وجعل هذا البيت يتردد على لسانه حتى صار الامر الى ما قال .

وبلغنا أن أبا خالد الاعور لما لقى العرب من جيوش بنى أمية علـى قنطره السرحان ببلخ ، وكان (قدروا)[١٥٠] ما لقيه منهم أربعين ألف فارس من قواد العرب وأنجادها ووجوههم وأعيانهم ، وأبطالهم ، وفرسانهم ، وأبو داود فى عدد قليل فلما (التقيا)[١٥١] الفئتان صـاح منهم صـائح (نحن جميع منتصر) [١٥٢] فسمع ذلك أبو داود فقال مجيبا بما أجاب الله به أهل هذه الدعوة (سيهزم الجمع ويولون الدبر) [١٥٣] . فكان كما قال .

وهذا باب محكم والاخبار فيه كثيرة فيجب على صاحب الجيش أن يتعهده فلا يجرى على لسانه ، ولا يفعل ما يتطير به ، ويتعمد لمـا يتفاءل به ، «فان النبى ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة» [١٥٤] .

ولقد كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر وأكد عليه وأخبره أن الفرس

---

(١٥٠) هكذا فى الاصل ، والصواب (قدر).

(١٥١) هكذا فى الاصل ، والصواب (التقت) .

(١٥٣) ٥٤ / القمر : مدنيـة / ٤٥ .

(١٥٤) أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ٢ : ٣٣٢ والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى ٥ : ٤٠ .

أصحاب فأل فاستعمله معهم ، ووصف من ذلك أبوابا عدة وفنونا مذكورة •

والخامسة : أن يراقب حال جيشه ، ويتعهد أمر أصحابه فـان رأى منهم لا محالة ضعفا لا يمكن تقويته ، وخورا لا يستطيع تداركه باصلاح أو علتهم هزيمة لا حيلة فى ردها واحتال فى الرجوع سالمـا • ولا يهلـك نفسه لجاجا ، وبعد خروج الامر من اليد ، فان الحرب سجال ، والدنيـا ادبار واقبال ، وفى الايام دول والقاء النفس الى التهلكة خطأ ، وكم مـن ملك غلب ثم غلب ، وظفر به ثم ظفر،وهزم(٨٦/ب)ثم هزم، وليس مع فقد الحياة رجاء الظفر ، ولا مع بقائها يأس من تقلب الاحـوال •

والسادسة : هى حسن الظفر ان فتح الله عليه ، وكرم المقـدرة ان نصره الله ، وبذل العفو ان غلب ، واستعمال السنة فى أهل القبلة حتى لا يغرق فى اتباع المنهزمين ولا الاجهاز على جرحاهم ان وجدوا ، الا أن يكون كافرا لا يرجى ايمانه ولا يؤمل الخير فى ابقائه ، فان هذا من أدب الله الذى أدب به نبيه ﷺ حيث قال : (خذو العفو وأمـر بالعـرف واعرض عـن الجاهلين) (١٥٥) وقال : (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) (١٥٦) • واحتال النبى ﷺ يوم فتح مكـة بكل حيلة ليعفو فقال : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن» (١٥٧) • ومـن على عمه العباس ، وكذلك فعل الخلفاء بمن قدروا عليه حيا ، كفعل أبى بكر

---

(١٥٥) ٧ / الاعراف : مكيـة / ١٩٩ •
(١٥٦) ٤٧ / محمد : مدنيـة / ٤ •
(١٥٧) سبق تخريجه ص ٢٦٦ •

رحمه الله بقيس بن معد يكرب حين قوتل على الردة فأخذ ، وكذلك كانت السنة .

وبشر أمير المؤمنين «على» بن جرموز بالنار لما قتل الزبير مدبرا .

وقد قال أرسطاطاليس للاسكندر : (لا تقتل صريعا ولا تطلب منهزما أكثر من ليلة) .

والسابعة : أن يحذر كل الحذر كرة العدو عليه بعد الهزيمة بغدرة أو خبرة أو انتهاز فرصة ، وليجعل حذره من ذلك فى ثلاثة أبواب :

منها — أن لا يفرق جيشه فى اتباع المنهزمين وينفرد عنهم ، أو يبقى فى عدد قليل لا منعة لهم وفيهم .

ومنها — أن لا يدع أصحابه يشتغلون بأخذ الغنائم عن كرة تكون للعدو وساعة الهزيمة ، فانها احدى حيل الملوك وأصحاب الجيوش ، فكثيرا ما سمعنا من أمثال ذلك فى قديم الايام وحديثها أن اشتغل عسكر غالب هازم بأخذ الغنائم فكان فيه هلاكه ، وكم من صاحب جيش احتال بتسليم معسكره وخزائنه العامرة الوافرة وأمواله الجمة الكثيرة الى العدو ، وصب كثيرا مما معه من الصفراء والبيضاء والصوامت [١٥٨] والقيمات المضنون بها على طريق العدو الذى فى أثره ، فكان ذلك سببا لقوته أو ظفره .

ومنها — أن لا يبادر بالنزول ووضع السلاح قبل الامعان بأخذ (الحذر) [١٥٩] من العدو أو قتله أو بعده عنه بعدا لا يخاف كروره عليه وسرعة رجوعه اليه ، واقامة الطلائع على الطرق التى يخاف رجوعه منها (٨٧/أ) .

---

(١٥٨) الصوامت : الذهب والفضة . لسان العرب المحيط ٢ : ٤٧٢ .
(١٥٩) ساقطه من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

فهذه الخلال (الست)(١٦٠) التى ذكرناها • انها مما يجب أن يستعملها الملك اذا دفع الى القتال بنفسه ، ويتقدم بها الى صاحب جيشه ان تولى عنه الحــرب •

ثم العاشرة من التقسيم الاول هى أن يشكر الله ــ عز وجــل ــ اذ فتح عليه ونصره ، سرا وعلانية ، وفى الخلاء والملأ ، ويفوض الامر كله اليه ويتبرأ من الحول والقوة الا بالله ، ويحمــده فى كتبه الى الاوليــاء والاعداء فان الله عز وجل يقول : (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتــم ان عذابى لشديد)(١٦٠م) • وقديما ما قيل فى الشكور يزاد •

وقال الله : (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور)(١٦١) •

على أن ذلك لم يزل من عادة الانبياء والمؤمنين والملوك الاولين عند تجديد الله ــ عز وجل ــ لهم الفتوح ، واظهارهم على العدو ، ويشكــر أهل البلاء والكفاية والغناء والبسالة من أصحابه وخاصته وعامة أوليائه ويمدحهم فى مغيبهم ومشهدهم ، ويشهر باسم من صدق الوقعة واللقاء ، وبارز الاقران وانكمش (١٦٢) فى القراع ، ويجدد لهم العطايا والجوائــز والمبار ورفع المراتب لمن استحقها منهم • فان الله قد أدب بذلك خلقه وحث عليه فى قوله : (بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم بــه عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين • ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا

---

(١٦٠) هكذا فى الاصل ، والصحيح « السبــع » •
(١٦٠م) ١٤/ ابراهيم : مكية / ٧ •
(١٦١) ٣٤ / ســبأ : مكية / ١٦ •
(١٦٢) انكمش : أسرع وشمر عن ساعده . لسان العرب المحيط ٣:٢٩٥ •

كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (١٦٣) • وقال الله عز وجل :(وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) (١٦٤) • وقال الله فى عام من يتقرب اليه بطاعته أو يعصيه بمعصيته قلت أو كثرت (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (١٦٥) • وقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (١٦٦) • وجعل من دلائل حكمته وعدله ورأفته (أن من) (١٦٧) تقرب اليه بطاعته أوجب له جزاءين عاجلا وآجلا ، فالعاجل أن أمر المؤمنين بتعظيمه وتبجيله والثناء عليه والدعاء له وقبول شهادته والصلاة خلفه ثم أمده بتوفيقه وعصمته وتسديده ، وحبب اليه طاعته وبغض اليه معصيته (٨٧/ب) كما ذكر من ذلك فى كتابه حيث خاطب به المطيعين من عباده ، فقال : (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) (١٦٨) فى آيات كثيرة ودلائل حاضرة نشهد بما ذكرنا وتبين عما قلنا •

ثم يتعهد جيوشه بتفقد أحوالهم ، فيأمر بمداواة جرحاهم ، وتمريض مرضاهم ، ودفن قتلاهم ، وابدال ما ينفق من دوابهم ، ويضيع ويفسد من

---

(١٦٣) ٩ / التوبة : مدنية / ١٢٠ ، ١٢١ .

(١٦٤) ٤ / النساء : مدنية / ٩٥ ، ٩٦ .

(١٦٥) ٦ / الانعام : مكية / ١٦٠ .

(١٦٦) ٩٩ / الزلزلة : مدنية / ٧ ، وفى الاصل (ومن) بدلا من (فمن) .

(١٦٧) فى الاصل « من أن » وهو تحريف .

(١٦٨) ٤٩ / الحجرات : مكية / ٧ .

كراعهم وسلاحهم ، ويكفى ويعول ورثة قتلاهم وموتاهم ، فان ذلك ممـــا يحثهم على العود الى مثله من اظهار البلاء والغناء وتحمك المشقة والعناء، والاجتهاد فى التقدم فى المراتب •

فهذه الخلال تمام ما يستعان به على كسر الاعداء واذلالهم ، واعزاز الاولياء وانعاشهم ، وهى كلها من أوامر الله تعالى فى الديـــن ، وأفعـــال الائمة المهديين والخلفاء الراشدين • وبالله نستعين فانه خير موفق ومعين

من البيع والهبة والميراث والعوض من التعاون والتعاضد ، لما علم فى ذلك من فساد (٨٨/أ) العباد وهلاك البلاد .

ومنها ، أشياء خلقها لهم لضرب من ضروب المرافق ، ونوع من أنواع المنافع ، ونهاهم عن أن يعدلوا بها عن جهتها الى غير ما خلقها له ، جهلا بموضع النفع فيه ، ومكان الرفق به ، مثل السموم التى جعلها للادوية ، فربما جعلها بعضهم فى الاغذية وكان فيه هلاكه وهلاك غيـــره .

ومنها ، أشياء حظرها عليهم اقتصارا بهم على المقدار الذى يكـــون فيه كفايتهم ، وينسد به خلتهم ، وتنزاح به علتهم ، ثم يكون أرفق بهـــم وأفرغ لقلوبهم من دواعى البغى والكفران والتعدى والطغيان ، فنهاهم أن يتعدوا أطوارهم وتجاوزوا أقدارهم .

ومنها ، أشياء جعلها لهم فى أول الخلقة لضرب من الاستعمال ونهاهم عن استعمالها فى غيره تأديبا لهم . وتنظيفا كالميته التى حـــرم عليهـــم أكلها [٥] وأباح لهم عند أكثر العلماء الانتفاع باهابها (٦) وعظامها ، وجعل لحمها غذاء للسباع الارضية والهوائية من كلاب تحرسهم ، وتصطاد لهـــم وتؤنسهم ، وسباع جعـــل لهم فى عظام كثير منهـــا ومرارها وجلودهـــا وبراثنها [٧] وأنيابها مرافق مختلفة . فلم يحرم شيئا منها مـــن جهة الا بجعل عنه عوضا هو أنفع منه وأرفق بهم ، ثم أباحه لهم من جهة أخـــرى ليتم به المنفعة والغرض ، ويستحق به العبد على الطاعة من الله ـــ تبارك

---

(٥) الاجماع لابن المنذر تحقيقنا ص ١٢٥ وفيه:أن ما يقطع من الانعام وهى أحياء ميتة ، ويحرم أكل ذلك ، كما أجمعوا على اباحة الميتة عند الضرورة .

(٦) الاهاب : الجلود . المصباح المنـــير ١ : ٢٨ .

(٧) براثنها : جمع « برثن » وهو الظفر من صـــيد كالسباع والطـــير المصباح المنير ١ : ٤١ .

اسمه — العوض • فيجب على العبد اذا علم أن ذلك كذلك أن لا يتعدى حدود الله ، ولا ينتهك محارمه ، فيحرم حظه من العوض دنيا ، ويلتزم سمة الجهل دينا ، ويستحق من الله — جل وعز — العقوبة فى العقبى ، ومن العقلاء من المتدينين الذم فى الاولى •

ثم ان الاشياء تنقسم فى بابى التحليل والتحريم الى ثلاثة أقسام : حرام بين ، وحلال بين ، ومشتبه مكروه •

فأقل ما يجب من حق الله على المرء المسلم أن يتجنب الحرام ، ومن حق الورع أن يتجنب الشبهة ، فمن لم يفعل ذلك طلب فى الشبهة موضع تأويل يتأوله وحجة يعتمدها • ثم ينقسم هذا الباب قسمة ثانية ، وهى أن منها أشياء حرمها الله بالاجماع والاطلاق ، وأشياء أحلها وأباحها بالاتفاق ، وأشياء قد أختلف العلماء فيها • فالواجب على المقر بالله وبالشريعة ، والمعترف بحق التنزيل والديانة أن يجتنب الحرام المطلق بالاتفاق ، وينظر فى موضع الاختلاف ، فمن لم يفعل واقتصر على أحد أقاويل الامة وأئمة أهل الملة كان أوسع طريقا وأقرب الى الحق سبيلا •

ثم جعل الله — وله الحمد — الى استبانة المشكل واستيضاح المشتبه منها طرقا لائحة ، وسبلا واضحة ، وجعل (٨٨/ب) للهارب من الحرام الى الحلال سبلا معلومة ، وعن كل محرم بدلا يستكن اليه المتدين ، ويقنع به المستخرج •

طبقات الناس :

والناس فى هذا الباب على طبقات ثلاث :

فمنهم ، الناسك الورع الذى يدع كثيرا مما أحل الله له ، ويقنع من الدنيا بالقوت الذى (يزجى) [٨] به يومه ، رغبة عنها وزهدا فيها ، اذ عرفت

---

(٨) يزجى : أى يدفع الايام برفق . مختار الصحاح : ٢٦٩ .

وعاين سرعة زوال ما فى هذه الدار ووشك انتقالها من حال الى حال ، وكثرة غدرها بأهلها ؛ واذلالها لمن أعزها ، وقتلها لمن عمرها ، سموا بهمته البعيدة ونفسه الزكية الى نعيم لا زوال له ، ودار لا انتقال عنها ، فصار فى الدنيا ملكا بطيب الحياة ، وفى الاخرة ملكا بنيل المثوبات والمكرمات وبهذا كتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له : «ان أمكنك أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل ، فان من استوعب الحلال كله تاقت نفسه الى الحرام » (٩) .

ومنهم : المنتهك بمحارم الله ، الذى لا يفكر فى عاقبة ولا ينظر فى آخرة ، ولا يترفع فى الدنيا عن لؤم الاحدوثة وقبح المقالة ، ولا يعتبر بالعقوبات المؤلمة المعجلة ، فمن كانت هذه سبيله وطريقه فبعدا لهم وسحقا

ومنهم : من رغب من الدنيا فى لذة العيش وطيب الحياة ، ومن الاخرة فى نيل الاجر والثواب،فتوخى فيه الحلال واجتنب الحرام ، وتمتع بالدنيا، وقام بوظائف الدين ، وأمل أن يكون من الذين آتاهم الله فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة ، ومن الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعسى الله أن يتوب عليهم اذا تابوا ، ويغفر لهم اذا أنابوا .

فمن الواجب على الملك العاقل الفاضل اذا عرف ما قلنا : ان لم تطاوعه نفسه على رفض الدنيا حتى يلحق بمنزلة الزهاد الاخيار ، أن لا يرضى بمنزلة الفساق الفجار فيكتسب المآثم،ويدخل النار فيخسر الدنيا والاخرة، ذلك هو الخسران المبين .

---

(٩) نثر الدر للابى ٢ : ١٢٧ ، ١٢٩ .

مدى جواز العمل مــع الملــك الجائــر :

ثم قد اختلف العلماء فى تولى العمل للملك الجائر والسلطان الظالم فحرمه كثير منهم ، وكرهه طائفة ، وأجازه آخرون ، مالم يأمر السلطان العامل بالجور ولم يجبره على الظلم ، فاذا أمره بذلك حرم عليه تولــى عمله الا مضطرا كارها (٨٩/أ) خائفا على نفسه القتــل والضرب الــذى لا صبر له عليه وخالف كثير منهم بين هذه الاعمال فحرم منها بعضــا دون بعض وهو كل عمل يدخل فيه أخذ المال من غير حله ، أو اهراق دم فى غيــر حقه ، أو حبس أوتعذيب وأباحوا الكتابة ، والقضاء ، والحسبة و(الحجابة والهدى) [١٠] وأشباه هذه الاعمال .

واحتج المحرمون بقول الله عز وجل : (لا ينال عهدى الظالمين) [١١] وقوله : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) [١٢] . وبقول النبى ﷺ : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) [١٣] .

قالوا : فكيف يجوز مؤازرته ومعاضدته ، وليس له من الله ولاية ولا عهــــد ؟ .

وقال اخرون : اذا لم يأمره بالمعصية وأباح له الحكم بما أمره بــه فالمستحب له أن يفعل ذلك ليقيم حقا ، ويمضى حكما ، ويرد باطلا ، ويدفع ظلما ، فقد قال الله : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفســكم لا يضركم من

---

(١٠) غير واضحة فى الاصل ، والهدى : هو العمل على النصح والارشاد الى الطريق القويم . المصباح المنير ٢ : ٦٣٦ ، مختار الصحاح ٦٩٢ .

(١١) ٢ / البقرة : من الاية / ١٢٤ .

(١٢) ١٨ / الكهف : من الاية / ٥١ .

(١٣) سبق تخريجه ، انظر ص ٢٥٤ .

ضل اذا اهتديتم) (١٤) . قالوا : ولا قدوة أجل من يوسف النبى ﷺ حيث تقلد العملَ من تحت يد الريان بن الوليد وهو كافر ، وقومه كفار ، وهو نبى من الانبياء صلى الله عليهم وأن ذلك جائز أو واجبا لما علم فيه صلاحا ، ونوى فيه خيرا . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «ما أحد أعظم أجرا من وزير مع سلطان يأمره بذات الله » (١٥) . فعلى المتقلد أن ينوى الصلاح والخير ، ويأمر بالانصاف والعدل ، ولا يضره التقلد وان كان من يدى ظالم ، وقد روى عن النبى ﷺ : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو لامرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » (١٦) .

وكره كثير من المسلمين ماأحدثه الملوك من اقامة الحجاب والغلمان شده الحجاب ، وقالوا انه بدعة ودلالة على الخيلاء والتكبر ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من أحب أن يمثل له العبد قياما فليتبوأ مقعده من النار » (١٧) .

---

(١٤) ٥ / المائدة : من الاية / ١٠٥ .

(١٥) ورد هذا الحديث فى «قوانين الوزارة» للماوردى ص ٤٧ هكذا «ما من رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع امام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى» . والحديث ضعيف ، انظر مسند الشهاب للقضاعى بتحقيق الشيخ / حمدى عبد المجيد السلفى ٢ : ٢٤،٢٣ ، الحديثان رقما ٨٠٧ ، ٨٠٨ .

(١٦) سبق تخريجه انظر ص ٣٠٧ .

(١٧) حسن ، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى عن معاوية . الجامع الصغير ٢٩٥ أبو داود رقم ٥٢٢٩ فى الادب ، باب فى قيام الرجل للرجل ، والترمذى رقم ٢٧٥٦ فى الادب باب ما جاء فى كراهية قيام الرجل للرجل ، واسناده صحيح نقلا عن جامع الاصول ٦ : ٥٣٦ .

وأجازه آخرون اذا لم يقصد به هذه الاسباب ، وتوقى فيه الاحتياط لدينه والذب عن نفسه وحريمه ، واعزاز مملكة الاسلام سيما عند فساد الزمان وأهله ، وادبار الامور وتهافت الناس فى دور السلطان ، وتحارصهم على (صحبته) [١٨] مرة والغدر به تارة •

الملـــك وشراء العبيـــــد :

(٨٩/ب) ولذلك فلا بأس بشراء العبيد [١٩] لينصر بهم الدين ، ويذب عن حوذة المسلمين من غير ميل الى شهوة ، أو قصد الى محرم ، اذا جعل ذلك من خاصة ماله (فيكون)[٢٠] عبيـــده ، ولا خـــير فى الغلمان المزوقة والباسهم الملابس المكروهة فى الدين من الديباج والحرير الا ما رخص بمنه فى الوقعة والحرب وعندالطعن والضرب ، فان النبى ﷺ قدحرمهما على رجال أمته الا فى تلك الحـــال •

ثيـــاب الملـــك وســـلاحـــه :

ولا بأس بعد الحرير والديباج بلبس كل ثوب فاخر من الخـــزوز والبرود • وكره كثير من العلماء قياسا على الحرير والديباج كل ثوب نسج من الابريسم [٢١] الخالص ، ورجعوا فى الثياب التى سداها قطن ولحمتها

---

(١٨) فى الاصـــل : صحبتهم •

(١٩) الاسلام أقر الرق كضرورة وقتية ومعاملة للاعداء بالمثل ، وقد حـــرم العالم اليوم الرق مستضيئا بنور الاسلام ومقتبسا من روحه فالاسلام لا يبيـــح الدق وشراء العبيد فى العصر الحديث ، وقد قرر مجمع البحوث الاسلامية بالازهر عدم وجود رق فى أى جزء من أجزاء العالم يقره الاسلام . راجع رسالتنا للدكتوراه فى مبدأ المساواة فى الاسلام ، دراسة مقارنة ص ١٧٦ ، ١٧٧ •

(٢٠) هكذا فى الاصل ، والصحيح (فيكونوا) •

(٢١) الابرسيم : نوع من الحرير الخالص . لسان العرب «المعارف» : ٢٥٧ ، المزهر ١ : ٢٨٦ •

ابريسم مثل المسمط (٢٢) والملحم (٢٣) ، وكل ما لم يكن فيه ذب عن الحوزة وصعونة للامة وصيانة للملة ولا عدة للحرب ونصر لمنفعة فيه يثبت المال فهو حرام ، الا أن يفعل ذلك السلطان من خاصة ماله أو رزقه فى الديوان .

فأما سائر أنواع العدد والعتاد والسلاح من الطبول والاعلام ومعاون الاسلام فلا بأس به اذا نوى بها الخير الذى ذكرناه ، فقد كان للنبى ﷺ فرسان ونعلان وراية ودرع وسيف محلى وقضيب ورمح وترس (٢٤) وكان لاصحابه سلاح كثير ، وكان لعمر بن الخطاب — رضى الله عنه — ولعبد الله بن مسعود وعلى بن أبى طالب وغيرهم من الصحابة سيوف محلاة .

استعمال الاوانى الذهبية والفضيـــة :

وأما استعمال أوانى الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجوهر فان الدين قد حرمها كلها وأوعد النبى ﷺ على الشرب بآنية فضية أو ذهب وعيدا غليظا ؛ فلا يجوز للسلطان فى الاسلام ولا لغيره استعمالهـا أو صرف أموالله وأموال المسلمين وبيت مال المؤمنين اليها فان فيها سرفـا وتبذيرا ، وقد جعل الله الزجاج النظيف وأنواع الجواهر التى خلقهـا للالات بدلا من الذهب والفضة اللذين لم يخلقا للاوانى والشرب ، علـى ما فى ذلك من اضاعة الجيوش ، واغفار الجنود ، وفتنة الرعية ، والاجحاف بها ، وكل ذلك ايذان بزوال الملك والملكة ، ودلالة على الخيـلاء والشره والحرص المذموم فى الدين والعقل ووضع الشىء فى غير موضعـه .

---

(٢٢) المسمط : هو الخيط ما دام فيه الخرز ، وهو السيور أيضا . مختار الصحـــاح : ٣١٣ .

(٢٣) الملحم : الثوب الملحوم أى الذى ضم أجزاؤه فنقول : الحم الناسج الثوب . مختار الصحاح : ٥٩٤ .

(٢٤) انظر فى ذلك : تحرير الاحكام فى تدبير اهل الاسلام ١٢٩ — ١٣٤ .

على الملـــك اجتناب الفـــواحش :

فأما الفواحش المحرمة (٩٠/أ) فى الدين بالاتفاق والتى يقع فيها قطع النسل وفساد الانساب ، وابطال المواريث والاحساب فالملك أجل حالا وأرفع منزلة من التدنس به والتقذر ، بعاره وشناره [٢٥] ، بل الواجـــب عليه فى جلالة رتبته وشرف همته وعلو منزلته أن لا يخطره ببباله فضلا عن تناوله ، وليس يبعث عليه الا الشيطان وسوء العادة التى يتعودها الانسان وقد عوض الله عنه وأبدل منه ما هو أرفع منه ، وأطيب وأحمـــد عاقبـــة وأصوب ، وأعمل فى عمارة الدنيا ، وبقاء النسل وخيرة الذكر ، من تزوج النساء مثنى وثلاث ورباع ، واستبدال زوج مكان زوج الى ما لا غاية له ، وشراء الاماء وتسرى الجوارى الى ما تبلغ اليه الطاقة وتنتهى اليه الهمة .

وأما الشرب فقد أجمعت الامة ونطقت الاية بتحريم الخمر [٢٦] ، وهو عند العرب عصير العنب غير المطبوخ ، فلم تختلف الامة أن الله حرمها قليلها وكثيرها ، وحرم السكر من كل شراب لما ذكر الله فيه من أنواع الفساد من وقوع العداوة والبغضاء المؤديين الى خراب العالم وتضييع الصلاة والدين المؤدى الى أليم عذاب الله [٢٧] وشديد عقابه ، نعوذ بالله منـــه . واختلفوا فيما دون السكر مما دون الخمر من الاشربة ، مثل الباذق [٢٨] والنبيذ الزبيبى والتمرى فمنهم من حرم كل مســـكر الجنس ، ومنهم من

---

(٢٥) الشنـــار : العيب والعـــار . لسان العرب المحيط ٢ : ٣٦٧ .
(٢٦) الاجماع لابن المنـــذر ص ١١١ .
(٢٧) فى الاصل : عذاب اليم الله ، ولا يستقيم المعنى بهـــا .
(٢٨) الباذق : ما طبخ من عصير العنب أدنى الطبخ ، وهو مسكر ، وأصله فارسى . لسان العرب المحيط ١ : ١٨١ .

أباح بعضه دون بعض • ووردت الرخصة والروايات عن النبى ﷺ وأهل القدوة من الصحابة والتابعين والعلماء المتقدمين دلالة وتصريحا فى اباحة بعضه والزبيبى خاصة • فالاحوط فى الدين بكليتها ومجتنبتها بجملتها لما يتوقع فيها من الفساد • ومن لم يسلك هذا المسلك فالمختلف فيه أقرب من الحق وأشبه من المتفق على تحريمه •

قيجب على الملك أن لا يختار أفحش المذاهب وأبعدها من الدين •

مدى جواز سماع المزامر والمعازف :

وأما السماع من المزامر والطنابير والمعازف فان الناس قد اختلفوا فيه ، فحرمه كثير منهم ، وتحرج عنه عامة أهل الدين والورع والفضل • قالوا وذلك أنه لهو ولعب وصد عن سبيل الله ، وقد جاء الدين بتحريم هذه الابواب جملة وقد قال الله : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) (٢٩) وقال : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) (٣٠) • (٩٠/ب) وقال بعضهم ان ذلك مباح مالم يتغن فيه بكلام قبيح من حث على الزنى أو فاحشة أو كفر أو هجاء ، فان النبى ﷺ سن فى الدف(٣١) سنة عند العرس والزفاف ، ولقن فيه كلاما صدقا ، وهو مشهور بالحجاز ومكة الى يومنا هذا ، وقد كان مباحا بل ومأمورا به فى الشرائع المتقدمة • وعلى لسان داود عليه

---

(٢٩) ٦ / الانعام : مكية / ٧٠ •

(٣٠) ٢٣ / المؤمنون : من الاية ١١٥ •

(٣١) أخرجه الترمذى فى النكاح : باب ما جاء فى اعلان النكاح — عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف » ، الحديث رقم ١٠٨٩ ، وجامع الاصول ١١:٤٣٩ برقم ٨٩٧٥ •

الصلاة والسلام على ما جاءت به الروايات ولجلالة حال السماع عند الاوائل واباحته لهم بما ألفت الفلاسفة فيه كتاب الموسيقى وعنوا به العناية الشديدة ، وأما العرب فقد كانت لهم ضروب من الاغانى فى صدر الامة وقبله وبعده قد عرفت فيما بينهم فلم ينهوا عنه نهيا باتا ، وما ورد بالنهى الفاصل فيه كتاب محكم ولا خبر مجمع عليه ، والوجه فيه أن يتحرج من كثير منه ويكتفى من جميع السماع والاغانى بالقرآن فقد روى عن النبى ﷺ : «زينوا القرآن بأصواتكم» (٣٢) وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما أذن الله لشىء عما أذن لنبى يتغنى بالقرآن) (٣٣) . فان جاوز ذلك فراوية الاشعار العربية وغيرها مما يفيد المعانى الشريفة ويبعث على مكارم الاخلاق من الجود والشجاعة والكرم والسماحة والحلم والعفة والعلم والديانة ، وينتقى منها أجودها وأفصحها وأبلغها وأحكمها وتكون النية فى ذلك استفادتها واستعمالها (٣٤) .

واختلف الناس فيما يستعمله الملوك — فى الملة — من الركوب الى الصيد والصولجان والطبطابة (٣٥) وما أشبهها ، فحرمه قوم وكرهه قوم ،

---

(٣٢) أخرجه أبو داود رقم ١٤٦٨ فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى القراءة والنسائى ٢ : ١٧٩، ١٨٠ فى الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ، واسناده صحيح ، وأخرجه الدارمى ٢:٤٧٤ ، واحمد ٤:٢٨٣، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، وابن ماجه رقم ١٣٤٢ نقلا عن جامع الاصول ٢ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ برقم ٩٠٩ .

(٣٣) فتح البارى ٩:٦٠ ، ٦١ فى فضائل القرآن ، باب من لم يتغن بالقرآن ، مسلم ١ : ٥٤٥ برقم ٧٩٢ فى صلاة المسافرين ، باب استحبات تحسين الصوت ، وابو داود رقم ١٤٧٣ فى الصلاة ، باب استحباب الترتيل فى القراءة ، والنسائى ٢ : ١٨٠ فى الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ، وجامع الاصول ٢:٤٥٥ برقم ٩١٠ فى آداب التلاوة ، تحسين القراءة والتغنى بها .

(٣٤) انظر فى هذا الموضوع : نهاية الارب ٤ : ١٣٣ — ١٧٠ .

(٣٥) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة . المعجم الوسيط ٢:٥٥٥ لسان العرب المحيط ٢ : ٥٦٦ .

وزعموا أن ذلك من باب اللعب واللهو ، وفيه حمل على الدواب فوق طاقتها وافناء للعمر فيما لا فائدة فيه ، ولا معنى لـــه •

وأجازه آخرون واختاروا منها ما يخف على الدواب والافـــراس ، وأجازوا الاصطياد على نية الانتفاع والنفع به ودفع ضرر الحيوانـــات المؤذية عن المسلمين ، ورياضة الدواب والابدان بالفروسية للذب عن الملة وحماية الحوزة • قالوا : ولا بأس به اذا قصد هذا القصد ، وذهب الـــى هذا النحو ، وتجنب فيه الافراط ، فقد روى عن النبى ﷺ أنه كان يسابق بناقته العضباء (٣٦) ، وقل ما كانت تسبق •

قالوا : وكانوا يستبقون على الركاب وعلى الخيل وعلى أقدامهـــم • (٩١ / أ) •

قالوا : وكتب عمر بن الخطاب ـــ رحمه الله ـــ الى أهـــل حمص أن علموا أولادكم الفروسية والرمى ، واختلفوا بين الاغراض • وروى النزال بن سبرة (٣٧) ، قال : أتانا كتاب عمر بن الخطاب ـــ رحمه الله ـــ بثلاث : تعلموا الرمى ، واختتنوا ، وارفعوا الازر • وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ان الملائكـــة لا تحضر شيئا من لهوكـــم الا النضال والرهـــان » (٣٨)

---

(٣٦) أخرجه البخارى ٦ : ٥٥ فى الجهاد ، باب ناقة النبى ﷺ ، وأبو داود رقم ٤٨٠٢ فى الادب ، باب فى كراهية الرفعة فى الامور ، والنسائى ٦ : ٢٢٧ فى الخيل ، باب السبق ، جامع الاصول ٥ : ٤٠ رقم ٣٠٣٨ فى السبـــق •

(٣٧) النزال بن سبرة الهلالى ، ذكروه فيمن رأى النبى ﷺ وسمع منه قال ابن عبد البر : ولا أعلم له رواية عن على وابن مسعود ، وهو معروف فى كبار التابعين وفضلائهم الاستيعاب ١٥٢٤ •

(٣٨) لم أقف عليه بلفظه،وقد صح عنأبى هريرة عن رسول اللهﷺ قال: لا سبق الا فى خف أو حافر ، أو نصل ، صحيح الجامع الصغير ٦:١٩٢ رقـــم ٧٣٧٤ •

وليس بين هذه الابواب وبينها فرق • وقد كان للنبى ﷺ من المهاجريـــن والانصار فرسان أشداء مذكورون أبطال مشهورون : كالزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعباس بن مرداس السلمى(٣٩) ، وعبد الله بن رواحة الانصارى (٤٠) ، وكعب بن مالك (٤١) ودونهم ومعلوم ان مثل تلك الفروسية لا يبلغها الانسان الا بالرياضة الكثيرة والعناية الشديدة •

وأما الصيد فأصله مباح ،وهو حلال بالاتفاق مالم تقع فيه نيةفاسدة• فهذه جمل ما أردنا أن نذكره من الخصال التى يشـــتغل بها الملوك والامراء والرؤساء ، ويولعون بها ويستعملونها ؛ وقد شرحناها ، وبيناها ، وأوضحنا ما يجب أن يقدم فيها من نية صادقة أو يتـــأول لها من تأويـــل صحيـــح •

---

(٣٩) العباس بن مرداس السلمى ، يكنى ابا الفضل ، أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، وممن حسن اسلامه منهم ، وكـــان شاعـــرا محسنا شجاعا ، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية . الاستيعاب ٨١٧ــ٨٢٠، تهذيب الاسماء واللغات ١/٢ : ٤٩ .

(٤٠) هو عبد الله بن رواحة الثعلبى ، الانصار الخزرجى،يكنى ابا محمد وابا رواحة ، وليس له عقب ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ الا الفتح وما بعدها لانه قتل يوم مؤته شهيدا ،وهو أحد الامراء فى غزوة مؤته.الاستيعاب ٨٩٨ ، حلية الاولياء ١:١١٨ ــ ١٢١ ، تهذيب الاسماء واللغات ١:٢٦٥ سير اعلام النبلاء ١ : ٢٣٠ــ٢٤٢ ، تهذيب التهذيب ٥ : ١١٢ ، وامتاع الاسمـــاع ٢٧٥ .

(٤١) كعب بن مالك الخزرجى الانصارى السلمى،يكنى ابا عبد الله،شهد العقبة الثانية ، وكان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الاذى عنه وكان مجودا مطبوعا ، وهو أحد الثلاثة الانصار الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، فتاب الله عليهم ، وعذرهم ، وغفر له ، ونزل القرآن المتلوفى شأنهم ، توفـــى كعب فى زمن معاوية ، سنة خمسين . الاستيعاب ٣:١٣٢٤،سير أعلام النبلاء ٢ : ٥٢٣ ــ ٥٣٠ ، العبر ١ : ٥٦ ، وشذرات الذهب ١ : ٥٦ .

خـــاتمـــــة

خـــلال الملـــوك الاولييـــن والخلفـــاء الراشديـــن :

ورأينا أن نختم الكتاب بخصال مأثورة وخلال مذكورة عن الملوك الاولين والخلفاء الراشدين والحكماء المتقدمين ، وذوى التجارب والحجى والاحلام والنهى مما مدحوا بها وامتدحوا ، وفاخروا وافتخروا ، وعدوها أعمدة السلطان ، وأركان الدول ، وأساس السياسة ، وجمال الملك والخلافة وان كانت قد دخلت متفرقة فى خلال الابواب التى قد مناهـــا •

روينا عن النبى ﷺ أنه قال : «ايما راع بات ليلة واحدة غاشا لرعيته حرمت عليه الجنـــــة» (٤٢) •

قالوا : وتخاير غلامان الى الحسن بن على ـــ رضى الله عنهما ـــ فى خط قد كتباه فى لوح ، فقال على تثبت فيه يا بنى ، فانه حكم،الله سائلـــك عنه يوم القيامـــة (٤٣) •

قالوا : وكتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى بعد كلام له «باشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا، وقد بلغنى أنه فشا لك ولاهل بيتك هيئة فى لبـــاسك ومركبـــك ومطعمـــك

---

(٤١) أخرجه أحمد فى المسند ٥ : ٢٥ ، ٢٧ والبخارى ومسلم بلفظ « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » . فتح البارى ١٣ : ١١٢ فى الاحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ، ومسلم برقم ١٤٢ فى الايمان ، باب استحقاق الوالى الغاش لرعيته النار . جامع الاصول ٤ : ٥٤٠٥٣ برقم ٢٠٣١ فيما يجب على الامام والامير .

(٤٣) قارن عيون الاخبار ١ : ٧٥ ورد فيه « يأتى لمعلم الصبيان يوم القيامة، فان كان عدل بين الغلمان والا أقيم مع الظلمة » وينسبه الى مجاهد .

(٩١/ب) ليس مثلها • فاياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حتفها فى السمـــن » (٤٤)

وقال عامل من عمال عمر بن الخطاب له : عظنى ، قال : «أوصيـــك بتقوى الله ، ودعوتين ترجو احدهما وتخاف الاخرى ، دعوة لهفان تعينه بالشىء فيدعو لك ، ودعوة مظلوم وهى أوشك صعودا الى الله وأسرع كرة، ان الله أمر بالطاعة ، وأعان عليها ، ولم يجعل فى تركها عذرا ، ونهى عـــن المعصية وأغنى عنها ولم يجعل فى ركوبها حجة » •

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يقول : «والله لولا أنى أنعش سنة أو أميت بدعة لما سرنى أن أعيش فى الدنيا فواقا ، ولو ددت أنـــى كلمـــا أنعشت سنة أو أمت بدعة أن عضوا من أعضائى سقط » (٤٥) •

قالوا: وكتب عمر الى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (٤٦) «أن أنظر كل ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عم فاكتبه ، فانى قد خفت دروس العلم وأهلـــه » (٤٧) •

وقال : «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبـــــه » (٤٨) •

ورؤى عمر بن العزيز وهو يقول: «اللهم زد محسن أمة محمد احسانا، وأرجع مسيئهم الى التوبة » •

---

(٤٤) البيان والتبيين ٢:٢٩٣ ، نثر الدر للابى ٢:٣١ ، عيون الاخبار ١:٢٠٠

(٤٥) تاريخ الخلفاء ٢٤٠ ، طبقات ابن سعد ٥ : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٨٣ •

(٤٦) هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، قاضى المدينة ، ولاه الوليد بن عبد الملك المدينة حين عزل عمر ، وابقاه عمر واليا عليها . ولد حوالى سنة ٤٠هـ ومات سنة ١٢٠هـ دول الاسلام ١ : ٨٢ ، شذرات الذهب ١ : ٩٧ ، ١٥٧ •

(٤٧) الاموال لابى عبيد القاسم ٥٧٨ ، سنن الدارمى من ١:١٢٦ •

(٤٨) طبقات ابن سعد ٥ : ٣٧٢ ، حلية الاولياء ٥ : ٢٩٠ •

وقال : « باصبعه اللهم حط من أوزارهم برحمتك » (٤٩) .

قالوا : ووفد عمرو بن أمية الضمرى (٥٠) على النجاشى ، فدخل عليه فقال : انا وجدناك كأنك فى الرقة علينا منا ، وكأنا فى الثقة بك منك، لانا لم نردك لامر قط الا نلناه ولم نخفك عليه الا أمناه .

قالوا : ووفد وفد على سليمان بن عبد الملك،فدنا متكلمهم فقال:يا أمير المؤمنين انا والله ما أتيناك رغبة ولا رهبة،قال : فما جاء بك؟ لا جاء الله بك، فقال أما الرغبة فقد وصلت الينا فى رحالنا ، وأما الرهبة فقد أمناها بعد ذلك ، ولقد حببت الينا الحياة وهونت علينا الموت ، فانا نرجوك لمن نخلف من أعقابنا (٥١) .

وكتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : (من حسن التدبير أن يأمن أهل الورع والسلامة عقوبتك ، ويوطن أهل الريبة والذعارة أنفسهم على نزول نقمتك بهم)(٥٢) ولقد حسن فى هذا المعنى صريع(٥٣) حيث يقول فى يزيد بن مزيد (٥٤) (٩٢/أ) :

---

(٤٩) حلية الاولياء ٥ : ٢٣٩ .

(٥٠) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمرى ، نسبه الى ضمره، صحابى جليل من الشجعان ، عاش أيام الخلفاء الراشدين ، وشهد وقائع كثيرة علت بها شهرته فى لبسالة ، ومات بالمدينة فى خلافة معاوية نحو ٥٥ هـ . تاريخ الطبرى ٢ : ٣٤٣ ، ٥٤٢ — ٥٤٥ ، الاستيعاب ١١٦٢ ، الاعلام ٥ : ٢٣٨ .

(٥١) عيون الاخبار ١ : ١٠٦ .

(٥٢) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ١ : ٩٩ مع اختلاف يسير .

(٥٣) هو مسلم بن الوليد الانصارى ، المعروف بصريع الغوانى ،لقبه به الرشيد ، شاعر غزل ومدح الرشيد والبرامكة وغيرهم ، مات سنة ٢٠٨هـ تاريخ بغداد ١٣ : ٩٦ ، الشعر والشعراء ٨٣٦ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٦ ، الاغانى ١٩ : ٣١ — ٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ٨ : ٣٦٥ .

(٥٤) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى ، أبو خالد ، من القادة الشجعان الكرماء ، ولى اليمن ، ومات سنة ١٨٥ هـ . تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٤ ، وفيات الاعيان ٥ : ٣٧٠ ترجمة ٧٩١ ، المعارف ٤١٣ ، مرآن الجنان ١ : ٤٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٩ : ٧١ .

الزائديـــون قـــــوم فى رماحهـــــم

خوف المخوف وأمن الخائف الوجل (٥٥)

وفى كليلة ودمنة : «انما يؤتى السلطان من قبل ست : الحرمـــان ، والفتنة ، والفظاظة ، والهوى ، والزمان ، والخرق » •

أما الحرمان : فأن يحرم ست خصال أو يعطاها نواقص منها : صلح الوزراء ، والحياة ، والمـــال ، والبلد ، والجصون ، والرسل •

وأما الفتنة : فتهيج الاعوان ، وتشغب الجند ، وتحارب الناس •

وأما الفظاظة : فافراط الخشونة بارسال اللسان بالشتم ، واليـــد بالبسط فى غير موضعها •

وأما الهوى : فالاغرام بالنساء والشراب والملاهى والصيد ، حتى يستفرغ الفراغ فيه •

وأما الزمان : فما يصيب الناس فيه من السنين ، والموتان ، ونقص الثمرات ، والافات فى الحرث والنسل •

وأما الخرق : فسوء التدبير ، ومعاملة العدو فى حال السلم بالحرب ، وفى حال الحرب بالهدنة ، وأعمال الشدة فى موضع اللين ، واللين فى موضع الشـــدة (٥٥م) •

وقالوا ان الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يرهب المواثبة ان قرب ، والغارة ان بعد والكمين ان انكشف ، والاستطراد ان ولى ، والمكـــر ان

---

(٥٥) ديوان صريع الغوانى ص ٦٠ وفى الديوان «المخيف» بدلا من «المخوف»

(٥٥م) كليلة ودمنة ترجمة عبد الله المقفع ٧٠ تذكرة ابن حمدون ٤٤، ٤٥ مع اختلاف لفظـــي يسير واللبـــاب ٤٢ •

اتاه وحيدا ، ويكره القتال ما وجد منه بدا ، لان النفقة فيه من الانفس ، والنفقة فى غيره من المـــال (٥٦) .

وفيه : اذا كان الملك محصنا لسره ، بعيدا من أن يعرف ما فى نفسه ، متخيرا للوزراء ، مهيبا فى أنفس العامة ، متكافيا بحسن البلاء ، لا يخافه البرىء ولا يأمنه المريب ، مقدرا لما ينفق كان خليقا ببقاء ملكه (٥٧) .

قالوا : وقال الفضل بن سهل (٥٨) : وان كانت رسل الملوك الاطراف اذا جاءت بالهدايا يجعل اختلافها الى ، فيكون للجوابات ولما معهم من ذلك موضع من ديوانى . وكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظمائهم ، فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عرفه وجرد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، ولا يبهظ (٥٩) جنده ولا يحرج رعيته ، سهل النوال ، حزن (٦٠) البطال ، فالرجاء والخـــوف معقودان فى يده . قلت فكيف حكمه ؟ قال : يردع الظالم ويـــرد الظلم ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فهم اثنان راض ومغتبط قلت وكيف هيبتهم له ؟ قال : يتصور فى القلوب فتغضى له العيون (٩٢/ب) . قال : فنظر رســـول

---

(٥٦) كليلة ودمنة ١٢٨ ، عيون الاخبار ١ : ١١٢ ، ونهاية الارب ٣ : ٣٥٠

(٥٧) كليلة ودمنة ١٢٨ ، ١٢٩ مع اختلاف لفظى طفيف .

(٥٨) فى الاصل : الفضل بن مروان ، وهو خطأ ، لانه وزير المعتصـــم ، ومات الفضل ٢٥٠ هـ . بينما الفضل بن سهل ، هو وزير المامون وصاحب تدبيره ويلقب بذى الرئاستين (الحرب والسياسة) ، وقد ولد فى ٥٤هـ وقتل سنة ٢٠٢ هـ . انظر فى ترجمته : تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣٩ ، وســـير اعـــلام النبـــلاء ١٠ : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٥٩) يبهظ : يثقل ويشق عليه . مختار الصحاح : ٦٧ .

(٦٠) حزن : من الغلظة ، وهي خلاف السهولة . المصباح المنير ١ : ١٣٤

الحبشة الى اصغائى اليه واقبالى عليه ، فسأل ترجمانه ما الذى يقـــول ؟ قال : يصف ملكهم وسيرته • قال فكلم الترجمان بشىء فقال لى الترجمان انه يسألك أن تصغى اليه ، وتقبل بعينك عليه ليحدثك عن ملكهم ، ففعلت فكلم الترجمان طويلا ، ثم قال الترجمان : انه يقول ان ملكهم ذو أنـــاة عند المقدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام (٦١) ، وقد كسا رعيتـــه جميل نعمتـــه ، وقصد بهم تعنيف عقوبته ، يتراءونه ترائى الهلال جمالا ، ويخافونه مخافة المـــوت نكالا ، قد وسعهم عدلا ، وردعهم سوطه وكيله ، ولا تمتهنه مرحة ، ولا تؤنسه غفلة ، اذا أعطى أوسع ، واذا عاقب أوجع ، فالناس الثنان راج وخائـــف ، فلا الراجى خائب الامل ، ولا الخائف يفقد الاجل • قلت : فكيف هيبتهم له ؟ فقال : لا ترفع اليه العيون أجفانها ، ولا تتبعه الابصار انسانها كأن رعيته قطا فرقت عليه صقـــور •

قال فحدثت المأمون بهذين الحديثين ، فقال لى : كم قيمة (مقالة) (٦٢) الرجلين عندك ؟ قلت ألفا درهم يا أمير المؤمنين • قال : والله يا فضل ان قيمتها عندى أكثر من الخلافة • أما عرفت حديث أمير المؤمنين على ـــ رحمه الله ـــ وفيه : كل انسان وما يحسن ؟ أتعرف أحدا يحسن أن يصـــف بعض خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هاتين الصفتين ؟ قلت : لا • قـــال : فهذان قد أمرت لهما بعشرين ألف دينار ، وأنا مستزيد لهما فاخلع عليهما ، وأجعل العذر سدة بينى وبينهما فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما

---

(٦١) الاجترام اى عند معاقبة المجرمين والمذنبين . مختار الصحاح : ١٠٠ .
(٦٢) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونهـــا .

ما فى بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانـــه (٦٣) •

قاله الواقدى (٦٤) : توفى بعض رسل الملوك بدمشق زمن عبد الملك بن مروان ، فوجد فى جيبه لوح من ذهب فيه ثلاثة أسطر : اذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، واذ مات الاعتصام عاش الانتقام ، واذا ظهرت الخيانـات استخفت البركـات •

وذكر المدائنى أن مما وجد فى كتب الاولين من الخصال التى هـى أعمدة السلطان هذه الاحرف : ما أزيل الملك بمثل الاهمال ، ولا جوهد بمثل الرأى ، ولا استنبط الرأى بمثل المشاورة ، ولا قل العدو بمثل العدل ، ولا استنزل النصر بمثل الكف ، ولا حصنت النعمة بمثل المواساة (٩٣/أ) ولا كوفىء الاحسان بمثل النية ، ولا حليت الاشراف بمثل التواضـع ، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبـر •

---

(٦٣) ورد النص عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة لابـن هذيل بهامش غرر الخصائص الواضحة للوطواط ١٤٨ ، ١٤٩ وينسبه صوابا الى الفضل بن سهـل .

(٦٤) هو محمد بن عمر بن واقد السهمى الاسلمى ، يكنى ابا عبد الله الواقدى ، من اقدم المؤرخين فى الاسلام ، ومن أشهرهم ، ولد بالمدينـة ١٣٠هـ وكان حناطا (تاجر حنطه بها) وضاعت ثروته فانتقل الى العراق سـنة ١٨٠ هـ فى أيام الرشيد ، واتصل بيحيى بن خالد البرمكى ، فافاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة ، فولى القضاء ، وله من الكتب «المغازى النبوية» و «فتح افريقية» وفتح مصر والاسكندرية ، وتفسير القرآن ، وينسب اليه كتاب فتوح الشام ومات سنة ٢٠٧ هـ . تاريخ بغداد ٣ : ٣ — ٢١ ، وفيات الاعيان ٣ : ٤٧٠ ترجمة رقم ٦١٦ ، دول الاسلام ١ : ١٢٨ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٤٥٤ — ٤٦٩ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٤ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٨ .

وقال عبد الله بن المقفع [٦٥] : ينبغى للسلطان العاقل أن يعلـم أن عليه أربع خصال هن أعمدة السلطان وأركانه التى بها تقوم وعليها يثبت : الاجتهاد فى التخير ، والمبالغة فى التقدم ، والتعهـد الشديد ، والجـزاء العتيـد •

أما الاجتهاد للتخير : فانه التخير للعمال والوزراء ، فانه نظام الامور ، ووضع مؤونة البعيد المنتشر ، فانه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا ، لانه من كان من العمال خيرا ، فيتخير كما اختير ، ولعل عمال العامل ، وعمال عماله يبلغون عددا كثيرا ، فمن سن التخير فقد أخذ بركن وثيق ، ومن أسس أمره على غير ذلك لم يجد لبنائه قواما •

وأما التقدم والتوطيد : فانه ليس كل ذى لب وذى أصالة يعـرف وجوه الامر والاعمال ، ولو كان بذلك عارفا لم يكن صاحبه حقيقا أن يكل ذلك الى (عمله) [٦٦] دون توفيقه عليه ، وتنبيهه له ، والاحتجاج به عليه •

وأما التعهد الدائم : فان الوالى اذا فعل ذلك كان سميعا بصيرا ، فان العامل اذا فعل ذلك به كان متحصنا حريزا •

وأما الجزاء العتيد : فانه يثبت المحسن والراحة من المسىء •

---

(٦٥) عبد الله بن المقفع ، أصله من الفرس ، ولد فى العراق سنة ١٠٦ هـ ، وكان مجوسيا (مزدكيا) وأسلم على يد عيسى بن على « عم السفاح» وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى ، وترجم عن الفارسية كتاب «كليلة ودمنـة» وهو أشهر كتبه ، كما يعد كتابة الادب الكبير «ملخص لكتاب» الاوستـا وهـو الكتاب الدينى للزاردشتية ، ومات سنة ١٤٢ هـ . فهرست ابن النديم ١٧٨ ، الامالى للمرتضى ١ : ٩٤ ، الاعلام بمناقب الاسلام ٦٢ ، ١٦٠ ، الاعلام ٤ : ٢٨٣

(٦٦) فى الاصل (علـه) ، ولا يستقيم بها المعنـى •

وقال : «لا تستطاع الاعمال الا بالوزراء والاعوان ، ولا ينفـــع الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ، ولا تنفع المودة والنصيحة الا مع الرأى والعفاف » (٦٧) .

قال : وكتب قيصر الى أنوشروان يسأله عما ضبط به ملكه فكتب اليه «لم أهزل فى أمر ولا نهى قط ، ولم أخلف وعدا ولا وعيدا ، ووليت للغناء لا للهوى ، وعاقبت للادب لا للغضب ، وأودعت الرعية الرهبة من غيـــر صنيعة ، وأسكنت نفوسهم المحبة من غير جرأة ، وعممت بالقوت ومنعت الفضـــول (٦٨) .

وفى حكم الهند : لا ينبغى للسلطان اقصاء البعيد اذا نفع قربـــه ، فلا شىء ينفع أقرب من الجسد ، وربما دوى (٦٩) فكان يرؤه بالدواء يؤتى من بعيد ، والجرذجار مدان فلما ضر نفى ، والبازى بعيد وحشى فلما نفـــع أدنى واقتنـــى (٧٠) .

وفى كليلة ودمنة : وليس لصاحب الدنيا مال ولا صديق لعمل صالح فهو حقيق أن يجعل سعيه فيما يبقى ويعود نفعه ، ويرفض ما ســـواه ، وينزل المال بمنزلة المدر ، والنساء بمنزلة الافاعى والناس فيما يجب لهم

---

(٦٧) كليلة ودمنـــه ١٦٥ .

(٦٨) عيون الاخبار ١ : ١٠ ، العقد الفريد ١ : ١٧ ، نثر الدر للآبى ٤ : ٢٤١ ، عين الادب والسياسة ٢٧٧ ، تذكرة ابن حمدون ٩٤ ، وبهجة المجالس ١ : ٣٢٧

(٦٩) دوى : مريض . مختار الصحاح ٢١٧ .

(٧٠) قارن العقد الفريد ١ : ٥٢ قال : ورد فى كتاب الهند : ان السلطان لا يقرب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ، ولكن ينظر ما عند كل رجـــل منهم ، فيقرب البعيد لنفعه ، ويبعد القريب لضره . وشبهوا ذلك بالجرذ الذى هو فى البيت مجاور ، فمن أجل ضره نفى ، والبازى الذى هو وحشى ، فمن أجل نفعـــه اقتنـــى .

من الخير (٩٣/ب) ويكره لهم من الشر منزلة نفسه [٧١] • قال : وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات فى الحكم بين الكلام فصارت أعمدة وحكما: فقال كسرى : أنا على ما لم أقل أقدر منى على رد ما قد قلت•وقال قيصر: لا أندم على مالم أقل ، ولكنى أندم على ما قلت وقال ملك الصيـــن : اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم أملكها • وقال صاحب الهند : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ان ذكرت عنه ضرته ، وان لم تذكر عنه لم تنفعه[٧٢] •

وكان يقال : خصال من طبائـــع الجهال : الغضب من غير شـــىء ، والاعطاء فى غير حق ، واتعاب البدن فى الباطل ، وقلة معرفـــة الرجـــل بصديقه من عدوه ، ووضعه السر فى غير موضعه ، وثقته بمن لم يجربه ، وحسن ظنه بمن لا عقل له ، ولا وفاء ، وكثرة الكلام من غير نفـــع [٧٣] قال : وسأل معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال من ترك الفضول وأقبل على الايجاز • قال : فمن أسخى الناس ؟ قال : من ترك دنياه فى صلاح آخرتـــــه •

(الاحنف بن قيس قال)[٧٤] : قال لى عمر بن الخطاب يا أحنف لا تضحك ، فان من كثر ضحكه ذهبت هيبته ، ومن كثر مزاحه استخف به ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه

---

(٧١) كليلة ودمنة ١٣٢ ، ١٣٣ ، والمدر : واحدته مدرة وهو قطع الطين اليابس والحجارة .

(٧٢) كليلة ودمنة ١٦ ، ١٧ مع اختلاف فى الترتيب ، وتذكرة ابن حمدون ص ٧٥ ، ٧٦ وينسبه الى أبى بكر بن عياش .

(٧٣) الحكمـــة الخـــالدة ١٢ .

(٧٤) هكذا بالاصل ، والاصوب (وقال الاحنف بن قيس) .

قل ورعه ، ومن قل ورعه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه مات قلبه (٧٥) .

وفيما كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : قد يجب على الملك أن يكون كما أصف عظيم الهمة ، واسع الفكر ، جيد البحث ، مطلعا على العواقب رؤوفا رحيما اذا (غضب) (٧٦) لم ينفذ غضبه ، واذا تحركت الشهوة فيه ردها بعقله ، واذا وافق الصواب أنفذه ، غير لجوج (٧٧) ، وغير وقاح ، ولا بذخ ولا متهاون ، يعرف آثار من تقدمه ، وينزل الناس على أقدارهم واستحقاقهم ولا يضع مراتبهم ، ويتزين لهم بزينة محمودة ، وأخلاق جميلة ، ويكون متمسكا بالدين راغبا فى الخير والفضل .

وأجاب عن مسائل كتبها اليه الاسكندر يسأله عنها فقال : أى ملك تطاول على جنده وقواده لم يأمن الحيف . أى ملك ضيع الصغير من أمره لم يسلم عليه كبيره ، أى ملك نظر فى عواقب أموره عذب على ذلك حديث الرعية بفضله وامتداحه بعقله .

وقال : أنظر لضعفاء (٩٤/أ) أهل مملكتك يشكرك عليه أقوياء أصحابك وضعفاؤهم ، وتثاب عليه فى العاقبة ، ونظرك الاقوياء وتضييعك للضعفاء أمر لا يحمدك عليه الضعفاء ولا يمدحك به أهل المعرفة بالسير ، بل حقا أقول انك تنال بالعقوبة ، ومثلك فى الدنيا مثل صاحب البستان الذى يضيع أن يسقى الشجر المحتاج الى الماء ، ويصرف الماء الى مالا حاجة به اليه .

---

(٧٥) البيان والتبيين ٢:١٨٨ ، نثر الدر للابى ٢:٥١ .
(٧٦) (غضب) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .
(٧٧) الجوج : هو المتمادى فى الخصومة . مختار الصحاح : ٥٩٢ .

وفى بعض سياسة الهند ، واعلم أنك لم تفصل القضاء على من جارت عليه الخصوم ونكبك اذ حولت خصومته عليك ، ودخلت بينه وبين خصمه الذى جرت عليه ، وان عدل الله بعد ذلك ، من ورائه ووراءك حتى يستوفى له منك ، فلا تكتف بالعدل عليهم فيما بينهم دون أن تأخذهم من نفسك وتنصفهم منها ، وتعدل عليهم فيما ينوبهم من حقك وينوبك من حقهم قبلك فاذا أنت احرزت العدل باذن الله ، فاجمع الى عدلك على الرعية الرأفة بهم والرحمة والعفو عن جاهلهم ، وبث الاموال فى مساكينهم ؛ وليكن الجانب بعادتهم فان « البد » قال لبعض ملوكنا حين سأله عن العدل : اذا انزلت كل طفل من الولد ان لك ولدا ، وكل كبير من الرجال لك أبا ، وكل كبيرة من النساء لك أما ، وكل قرن من الرجال لك أخا [٧٨] ، وكل مثل ذلك من النساء أختا ، ثم بررتهم بر ذلك ، وجدت عليهم جود ذلك ، فقد عدلت وفى فصل له من هذا الكتاب آخر : « ان الدينار ربما أصيبت بغير حزم من الرأى ولا فضل من الدين ، فان فات حاجتك منها أو أدبرت عنك وأنت مصيب فلا يستخفنك ذلك على معاودة الخطأ ومجانبة الصواب ، فان صاحب الدنيا منها على غرور ، وصاحب الاخرة منها على يقين ، فلا يدرى صاحب الدنيا أى رأييه أنجح له فى حاجته ، أرأيه الحازم أم رأيه العاجز ، فهو من أمره فى لبس ، ومن رأيه على شبهة . فلا أحد أروح قلبا ولا أقرب بأخذ رأى من أمرىء عرف رضوان الله من سخطه ، ثم عمل بمعرفته ،فما

---

(٧٨) استشار عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — سالم بن عبد الله . فقال له سالم : اجعل الناس ابا واخا وابنا . فبر اباك ، واحفظ اخاك وارحم ابنك . العقد الفريد ١ : ٣٠ ، ونهاية الارب ٦ : ٤١ .

أتاه من الدنيا وهو على ذلك أتاه والله عنه راض ، وما أدبر عنه منها أدبر وهو الى الله معذور،وان كنت عالما برضوان الله من سخطه فامض رأيك وعلمك بذلك فى نفسك وفيمن وليت أمره ، وان كنت غير عالم بذلك (٩٤/ب) فليكن أول أمرك ابتغاء علم ذلك • أن تقيس الناس بنفسك فلا تضن عليهم بما ترغب فيه من رأيك ، ولا تأت اليهم ما تكره أن يؤتى اليـــك •

وفى بعض حكم العـــرب :

حصن عقلك من العجب ، وحياءك من الرخاوة ، وحلمك من التهاون ومصابك من العجلة ، وعقوبتك من الافراط ، وعفوك من تعطيل الحدود ، وصمتك من العى [٧٩] ، واستماعك من سوء الفهم ، واستئناسك من البذاء وخلواتك من الاضاعة ، وتعاهدك من استفراغ القوة ، وعزماتك من اللجاجة ويأسك من القنوط ، ورضاك من الفوت ، وتأنيك من البلادة ، ومرحك مـــن البطر ، وروغانك من الاستسلام ، وحذرك من الجبن [٨٠] •

وقرأنا فى سير ملوك العجم : أن الملك تطول مدته اذا كان فيه أربـــع خصـــــال :

احداها : أن لا يرضى لرعيته بما لا يرضى لنفسه •

والاخرى : أن لا يسوف [٨١] ما يخاف عاقبتـــــه •

والثالثة : أن يجعل ولى عهده من يرضاه لا من يهواه •

---

(٧٩) العى : هو العجز عن ابداء الامـــر والحجة عليـــه . المصبـــاح المنير ٢ : ٤٤١ .

(٨٠) لباب الاداب ٤٤ مع اختلاف لفظى يسير .

(٨١) يسوف : من التسويف وهو المطل . مختار الصحاح : ٣٢٢ .

والرابعة : أن يفحص من أسرار الرعية فحص المرضعة عن منـــام رضيعهـــا •

وقيل : لا يستغنى السلطان عن الكفاة ، ولا الكفاة عن الافضال ، ولا الافضال عن المادة ، ولا المادة عن العدل ، فالسلطان بغير الكفاية عاجز، والكفاة بغير الافضال مسلطون ، والافضال بغير المادة منقطع ، وأنمايقيم المواد ببسط العدل ، وفى العدل حياة الدين وبقاء الملك وصلاح العامـــة ، وصلاح العامة أعد من كثرة الجنـــد •

وبلغنا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين بينما هو يطوف ليـــلا اذ سمع قائلا يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد، وأرسل الى الرجل يدعوه ، فصلى ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع رســـول الامام فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر مـــن ظهور البغى والفساد وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقـــد حشوت مسامعى ما أرمضنى [٨٢] • فقال يا أمير المؤمنين أن أمنتنى علـــى نفسى أنبأتك بالامور من أصولها والا احتجزت منك واقتصرت على نفسى فغيبها لى شاغل ، قال : فأنت آمن على نفسك • فقال : ان الذى داخله الطمع حتى حال بينه وبين صلاح ما ظهر من البغى والفســـاد لانـــت • فقال (٩٥/أ) : ويحك • وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء بيدى ،

---

(٨٢) أمضنى : أوجعنى وآلمنى وأحـــرقنى • مختار الصحاح : ٢٥٧ ، والمصباح المنـــير ١ : ٢٣٨ •

والحلو والحامض عندى ؟ فقال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر ، وأبوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك منهم فيها ، وبعثت عمالك فى جباية الاموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر قد سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ، ولا أحد الا وله من هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استصلحتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت أن لا يحجبوا عنك ، تجنى الاموال وتجمعها ولا تقسمها • قالوا : هذا قد خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه ، وقد سخر لنا نفسه ، فائتمروا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس شىء الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا قصموه [٨٣] عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، عظمهم الناس وهابوهم ، فكانوا أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقروهم على ظلم من دونهم ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك ، وأنت غافل فاذا جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فاذا أراد رفع قصته اليك عند ظهورك (وجدوك) [٨٤] قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، فاذا جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك (سألوا) [٨٥] لصاحب

---

(٨٣) فى العقد الفريد ج١ ص٦٤ «خونوه» وفى عيون الاخبار ج٦ ص٣٤٤ قصبوه أى عابوه ، وفى تهذيب الرياسة ٣١٩ «أقصوه» .
وفى الاصل (قصموه) ، والاولى أن تكون (وصموه) .
(٨٤) هكذا فى الاصل ، والاصح أن تكون (وجدك) .
(٨٥) هكذا في الاصل ، والصحيح (قالوا) .

المظالم أن لا يرفع مظالمه اليك ، فان للمتظلم منه حرمة عندهم ، فأجابهم خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويتسكو ويلوذ ويستغيث ،وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا أجهد وأحرج وظهرت ، صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره •• وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعة فبكى يوما بكاء شديـــدا ، فحثه (٨٦) جلساؤه على الصبر • فقـــال : أما أنى لا أبكى للبلية النازلة ، ولكنى ابكى لمظلوم بالباب (٩٥/ب) يصرخ فلا أسمع صوته ، ثم قال :ان ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره ينظر هل يرى مظلوما ، فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه ﷺ لا يغلب بالمسلمين شح نفسك • فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله عبرة فى الطفل يسقط من بطن أمه ومالـــه فى الارض مال ، وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ، ولســـت بالذى تعطـــى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء ، وان قلت انما أجمع الامـــوال لتشديـــد السلطان فقد آراك الله عبرا فى بنى أميـــة ، ما أغنى عنهم ما جمعوا مـــن الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد ، وان قلت انما أجمع الاموال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى

---

(٨٦) فى الاصل : (فحـــداه) وهو تصحيف ، وانظر عيـــون الإخبار ٦:٢٣٥، والعقد الفريد ٦: ٣٢٥ .

أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك الا بخلاف ما أنت عليه ، يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ فقال المنصور : لا . فقال : كيف تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى العذاب الاليم . قد رأى ما عقد عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر اليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت اليه رجلاك ، هل يغنى عنك ما شححت عليه من طلب الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب ، على ما خولك ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتنى لم أخلق ! ويحك كيف أحتال لنفسى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ان للناس أعلاما يفزعون اليهم فى دينك فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك . قال : قد بعثت اليهم فهربوا منى ، قال : خافوا أن تحملهم على طريقك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم واقمع الظالم ، وخذ الفىء والصدقات مما حل وطاب ، وأقسمه بالحق والعدل على أهله وانا الضامن عليهم أن ياتوك ويساعدوك (٨٧) على صلاح الامة .

وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد الى مجلسه (٩٦/أ) وطلب الرجل فلم يوجد (٨٨) .

هذه موعظة جامعة تبين عن كثير من أصول فساد الممالك والاديان وصلاحها ، رأينا أن نختم به كتابتا هذا الذى جمعنا فيه جمل ما أوجب الله على ملوك أهل الملة وامرائها وائمتها وخلفائها ، وامتحنهم بها فى أنفسهم قد اسرف فيها وتعدى حدودها وعدل عن طريقها وقد اشبعت (٨٩) لهم الموعظة ، وبذلت لهم النصيحة وأديت اليهم الامانة دينا ودنيا

---

(٨٧) فى الاصل : ويسعدوك .

(٨٨) عيون الاخبار ٣ : ٣٣٣ — ٣٣٦ ، العقد الفريد ١ : ٣٦٤ — ٣٦٦ ، المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ١٣٤ — ١٣٦ ، وتهذيب الرياسة فى ترتيب السياسة ٣١٨ — ٣٢٠ .

(٨٩) هكذا بالاصل ، والاولى (اسبغت) .

وآخرة وأولى فلينظر ناظر وليتعظ متعظ ، وفقهم اللـــه وايانا للســـداد ، وهدانـــا واياهـــم ســـبل الرشـــاد .

تم كتاب نصيحة الملوك والحمد لله وحده والصلاة والســـلام علـــى مـــن لا نبـــى بعـــده .

ووافق الفراغ من نسخ هذه النسخة المباركة يوم الاحد المبـــارك رابع شهـــر صفر الخيـــر ١٠٠٧ هـ (٩٠) .

تـــم بحمـــد اللـــه

---

(٩٠) علقه بيده الفانية العبد الفقير الحقير المعترف بالذنـــب والتقصير اسماعيل بن سليمان بن اسماعيل البيجورى خادم نعال السادة الخلوتيـــــة ، غفر اللـــه للجميع .

ثم اورد : ترجمـــة المـــاوردى .

هو الامام العلامة أقضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيـــب الماوردى البصرى الشافعى ، مصنف كتاب «الحاوى» فى الفقه فى نحو عشرين مجلدا ليس له نظير فى المذهب . وله كتاب فى الفقه سماه «الاقناع» فيه فوائد وغرائب ليست فى غـــيره .

وله كتاب اسماه «أدب الدنيا والديـــن» .

وله تفسير القرآن العظيم سماه «النكـــت» .

وكان اماما فى الفقه (٩٦ / ب) والاصول والتفسير بصيرا بالعربيـــة ، ولي قضاء بلاد كثيرة ثم سكن بغداد ، وعاش رحمه الله تعالى ستا وثمانين سنة

الفهـــارس العامـــة

* الفهارس قاصرة على المتن دون الحواشى

* فى فهرس الايات اذا كان الشاهد جزء من آية اقتصرنا عليه وقدمناه بنقط هكـــذا (. . .)

* تكررت بعض الاحاديث ، فقتصرنا على تخريجها عند أول استدلال لها ، واحلنا اليه عند تكـــراره .

* فى فهرس القوافى رتبنا القافية على حرف الاول من اللفظـــة .

* فى فهرس الاعلام فى حالة ورود : أبو (أو) ابن وضع العلم بعد حذفهما فى مكانه من الحرف الهجائى ، فمثلا : أبو تمام وضعت فى حرف «التاء» وابـــو جعفر المنصور فى حرف «الجيـــم» وهكـــذا .

١ — فهرس شواهد القرآن الكريم

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
	سـورة الفـاتحة (١)	
٣	الرحمن الرحيم	٢٤٩
٤	مالك يوم الدين	٦٢
	سـورة البقـرة (٢)	
١٤	واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	٢٨٧
١٥	اللهيستهزىء بهم	٢٨٧
١٢٤	... لا ينال عهدى الظالمين	٢٤٤ ، ٣٧٥
١٥٢	... واشكروا لى ولا تكفرون	١٨١ ، ١٩٦
١٥٦	الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون	١٨٦
١٥٧	أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة	١٨٦
١٥٩	ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى	٤٣
١٦٨	يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا	٣٧١
١٧٧	... والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس	١٨٦
١٧٩	ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب	٢٣٠ ، ٣٢٤
١٨٨	ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	٢٩٤
١٩١	واقتلوهم حيث ثقفتموهم	٣٢٤
١٩٤	... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم	١٤٤ ، ٣٣٠
١٩٥	... ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة	١٨٨ ، ٣٢٤
٢٠١	ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة	١٩٢

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٢١٦	كتب عليكم القصاص وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهـو خير لـكم	٣٢٤،٦٠
٢٢٥	لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفـور رحيم	٣٢٩،١٧٤
٢٣٣	والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين	٢١٤،٢١٣
٢٣٥	... ان الله غفـور رحيم	١٧٤
٢٤٧	... ان الله قد بعث لكم طالوت ملـكا	٦٣
٢٥١	... وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة	٦٣
٢٦٢	الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا	٣٠٨
٢٦٣	قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى	٣٠٨
٢٦٤	يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى	٣٠٨
٢٦٥	ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله	٣٠٧
٢٧١	... وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم	٣٠٨
	سـورة آل عمـران (٣)	
٧	... وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم	١٥١
٩	... ان الله لا يخلف الميعـاد	١٧٩
١٤	زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين	٢٩٤
١٥	قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا	٢٩٤
١٨	شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة	١٥١
٢٦	قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشـاء	٦٣

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٩٢	لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	٧١
١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا	٩٥
١٠٥	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا	٩٥
١٠٨	... وما الله يريد ظلما للعالمين	٣٥٠
١١٩	ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم	٢٨٧
١٢٩	... والله غفور رحيم	١٧٤
١٣٢	وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون	١٤٨
١٣٥	والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم	١٤٠
١٣٦	أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم	١٤١
١٥٤	... قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل	٣٦٠
١٥٥	... ان الله غفور رحيم	١٧٤
١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر	١٩٠، ٢٤٩، ٢٩١
١٦٠	ان ينصركم الله فلا غالب لكم	٣٦١
١٧٨	ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير	١١٨
١٨٠	ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله	٢٩٨
١٨٦	لتبلون فى أموالكم وأنفسكم	٢٩٣
١٨٧	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب	٤٣
١٩١	الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم	١١٢

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
	سـورة النسـاء (٤)	
٢	ولا تأكلوا أموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا	٢٩٥
٥	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما	٢٩٣
١٠	ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما	٢٩٥
١٧	، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٧٠ ... وكان الله عليما حكيما	١٥١
١٩	.... فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا	٦٠
٢٥	.... والله غفـور رحيم	١٧٤
٢٩	.... ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما	٣٢٣
٣١	ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم	٢٢٩
٣٦	.... ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا	١٨٣
٣٧	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	٢٩٨
٤١	فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا	٢٠٥
٥٤	.... وآتيناهم ملكا عظيما	٦٢ ، ١٩٣
٥٩	يا أيها الذين آمنوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولى الامـر منـكم	٦٧ ، ٢٠١
٧٨	أينما تكونوا يدرككم المـوت	٣٦١
٩٢	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ	٣٣٠
٩٣	ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها	٣٣٤
٩٥	لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر..	٣٢ ، ١٦٦ ، ٣٦٨
٩٦	١٠٠ ، ١٥٣ .... وكان الله غفورا رحيما	١٧٥

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
١٠٢	واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصـــلاة	١٨٨
١٢٢	... ومن أصـــدق من الله قيـــلا	١٧٨
١٢٣	... من يعمـــل سوءا يجـــز به	٢٠١
١٢٥	... واتخـــذ الله ابراهيم خليـــلا	٢٠٤
١٣٥	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط	٢٥٠
١٤٧	... وكان الله شـــاكرا عليما	١٨١
١٦٥	رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة	١٣٧، ٣٣٩
١٧٢	لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله	٢٠٤
	ســـــورة المـــــائدة (٥)	
٨	... ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا	٢٤٩
١٢	ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل	٢٣٥
٢٠	... اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا	٦٢
٣٣	انما جزاء الذين يحاربون الله ورســـوله	٣٢٨
٣٤	... فاعلموا أن الله غفور رحيم	٢٤٩
٣٦	... لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه	١٣٨
٣٨	والسارق والســـارقة فاقطعوا أيديهما	٣٣١
٤٥	وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين	٣٣٠
٦٧	... والله يعصمك من الناس	١٩٠!
٧٨	لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل ...	٢٣٦
٧٩	كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه	٢٣٦

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٩٨	اعلموا أن الله شـــديد العقاب	٢٥٩
١٠٥	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفســكم	٣٧٦،٩٩
١١٩	قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم	١٧٨
	ســورة الانعــام (٦)	
٣٢	وما الحياة الدنيا الا لعب ولهــو	١٦٤
٣٨	... ما فرطنا فى الكتاب من شىء	٢٠٠
٤٤	حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة	١٣٠
٦٨	واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعــرض عنهم حــتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعــد بعــد الذكــرى	١٦٤
٧٠	وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهــوا	٣٨٠،١٦٤
١٢٤	... الله أعلم حيث يجعل رسالته	٢٠٤
١٥١	.... ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن	٢٠١،٢٠٠
	ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق	٣٢٤
١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن	٢٩٥
١٥٢	... وبعهــد الله أوفــوا	١٨٠
١٥٣	وان هــذا صراطى مستقيما فاتبعوه	٩٥
١٦٠	من جاء بالحسنة فــله عشر أمثالها	٣٦٨
	ســورة الاعــراف (٧)	
٣٢	كل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده	٣٧١

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٣٣	قل انما حـــرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن	١٨٢
٥٦	••• أن رحمة الله قريب من المحسنين	١٤٠
١٤٤	•• يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى	٢٣٥
١٤٥	••• وأمر قومك يأخذوا بأحسنها	٢٠٦
١٥٥	واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا	٢٣٥
١٦٨	•••• وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون	٢٩٠
١٨٠	ولله الاسماء الحسنى فادعـــوه بهـــا	٢١١
١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين	٣٦٥،٢٢٨
	ســـورة الانفـــال (٨)	
٦٥	يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال	٣٤٨،٣٤٠
٧٥	••• ان الله بـــكل شىء عليم	١٥١
	ســـــورة التـــوبة (٩)	
٥	••• فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم	٣٣٣،٣٢٥
٦	وان أحد من المشركين استجارك فأجره	٣٢٥
٧	كيف يكون للمشركين عهـــد	٣٢٥
١٤	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديـــكم	٣٦٢
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر	٣٢٥
٣٣	هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	٣٤٩
٣٤	••• والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله	٣٠٣

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٣٥	يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم	٣٠٣
٣٦	.... وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة	٣٣٤
٣٨	... أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخـــرة	٢٩٤
٤٠	... وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا	٣٤٩
٤٢	... وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم	٢٨٧
٤٣	عفا الله عنك لم أذنت لهم	١٧٦
٦٠	انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها	٣١٧
٩٤،١٠٥	... عالم الغيب والشهادة	١٥١
٧١،٢٩٣،٣٣٥	ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم	
١١٤	... ان ابراهيم لاواه حليم	١٧٤
١١٥	... ان الله بكل شىء عليم	١٥١
١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	١٧٨
١٢٠	... بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة ...	٢٣٧،٣٦٧
١٢١	ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة	٢٣٧،٣٦٧
١٢٨	... حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم	٢٤٩
	ســـــورة يونـــس (١٠)	
٢٤	.... حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت	١١٩
	ســـــورة هـــود (١١)	
١٠٥	يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه ..	١٣٧
١٠٦	فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق	١٣٧

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
١٠٧	خالدين فيها ما دامت السموات والارض	١٣٧
	ســـــورة يوســف (١٢)	
٥	••• لا تقصص رؤياك على أخــوتك	١٧٦
٥٥	••• اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم	٢٠٥
	ســـــورة الرعــد (١٣)	
٩	عالم الغيب والشهــادة	١٥١
١١	••• ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم	٦٩
٢١	والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل	٢٢٢
٣١	••• أن الله لا يخلــف الميعــاد	١٧٩
	ســـــورة ابراهيم (١٤)	
٥	وذكـــرهم بأيام الله	١١١
٧	•• لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد	٣٦٧،١٨١،٦٩
٣٣	وسخر لكم الشمس والقمر دائبين •••	٦١
٣٤	وآتاكم من كل ما ســألتموه	٦١
	ســـورة الحجــر (١٥)	
٤٧	••• اخوانا على سرر متقابلين	١٣٨
٤٨	لا يمسهم فيهــا نصب	١٣٨
	ســـــورة النحــل (١٦)	
٣١	••• لهم فيها ما يشــاؤون	١٣٨

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٣٣	... وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون	٢٥٠
٧٧	... وما أمر الساعة الا كلمح البصر	١٣٠
٨٩	... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء	٢٠٠
٩٠	ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى	١٨٢، ٢٠٠، ٢٤٩
٩١	وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم	١٨٠، ٣٢٥
٩٣	... ولتسألن عمـــا كنتم تعملون	١٣٥
١١١	يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها	١٣٦
١١٤	... واشكروا نعمـــة الله	٣٧١
١٢٥	أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	١١١
١٢٨	ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون	١٤٤
	ســـورة الاسراء (١٧)	
١٦	... ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا	٢٢٩
٢٥	... فانه كان للاوابين غفـــورا	١٤٠
٢٦	... ولا تبذر تبـــذيرا	٢٩٦
٢٧	ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين	٢٩٦
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك	١٩١
٣٣	... فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا	٣٢٤
٣٤	وأوفوا بالعهد ان العهـــد كان مسئولا	١٨٠
٣٧	ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض	١٨٣
٧٠	ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر	٦١

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا	٢١١
	ســـورة الكهــف (١٨)	
٤٦	المال والبنون زينة الحياة الدنيـــا	٢٩٣،٢٩٤
٤٩	... ما لهــذا الكتاب لا يغـــادر صـــغيرة ولا كبيرة الا أحصـــاها	٢٧٦،٢٢٨،٧٧
٥١	... وما كنت متخذ المضلين عضدا	٣٧٥
١١٠	... فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا	٣٠٧
	ســـورة مـــريم (١٩)	
٣٠	... وجعلنى نبيـــا	٢٠٥
٣١	وجعلنى مبـــاركا أينما كنت وأوصـــانى بالصـــلاة والزكاة ما دمت حيـــا	٢٠٥
٣٢	وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شـــقيا	٢٠٥
٥٥	وكان يأمر أهله بالصـــلاة والزكاة	٢٠٦
٧٢	ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا	١٤٤
	ســـورة طـــه (٢٠)	
٧	... فانه يعـــلم السر وأخفى	٢٢٩
١٣	وأنا اخترتك فاستمـــع لمـــا يوحى	٢٠٤
١١٤	فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبـــل أن يقضى اليك وحيـــه	١٩٤،٦٢
١٣١	ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم	٢٩٤

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
١٣٢	وأمر أهلك بالصـــلاة واصطبر عليها	٢٠٦
١٣٤	ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله	٣٣٩
	ســـورة الانبيـــاء (٢١)	
٢٠	يسبحون الليل والنهار لا يفترون	٢٠٤
٣٥	... ونبلوكم بالشر والخير فتنـــة	١٣٥،٢٩٠
٤٧	ونضع الموازين القســـط ليـــوم القيامة	١٣٥،٢٥٠
٩٤	فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه	٢٠١
	ســـورة الحـــج (٢٢)	
٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس	٢٣٥
٧٧	... وافعلوا الخير لعلكم تفلحون	٢٠٠
	ســـورة المؤمنون (٢٣)	
٥١	يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا	٣٧١
٧١	ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض	٥١،١٨٢
٩٦	ادفع بالتى هى أحسن الســـيئة	٢٩١
١٠٨	.. اخسئوا فيها ولا تكلمون	١٣٧
١١٥	أفحسبتم أنمـــا خلقناكم عبثا	١٦٤،٣٨٠
١١٦	فتعـــالى الله الملك الحـــق	٦٢
	ســـورة النـــور (٢٤)	
٢	الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفـــة في دين الله	٢٥٩،٣٣٠

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٣	الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة	٢٠٩
٤	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء	٣٣١
١٧	يعظكم الله أن تعودوا لمثـــله أبدا	١١١
٢٢	وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لـــكم	٢٢٨
٣١	وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن	٢٠٩
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات	١٧٩
	ســـورة الفرقان (٢٥)	
٣٧	وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا	١١٤
٣٨	وكلا ضربنا له الامثـــال	١١٤
٦٧	والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا	١٩٣، ٢٩٧
	ســـورة الشـــعراء (٢٦)	
٨٤	واجعل لى لسان صدق فى الآخرين	١٩٧
٨٥	واجعلنى من ورثة جنـــة النعيم	١٩٧
٢١٤	وأنذر عشـــيرتك الاقربين	٢٠٦
٢١٥	واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين	٢٦٥
٢٢٧	... وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون	٧٧
	ســـورة النمـــل (٢٧)	
٢١	لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه	٦٦
٢٣	انى وجـــدت أمرأة تملـــكهم	٦٦

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
	ســـــورة القصص (٢٨)	
٢٦	••• ان خير من استأجرت القوى الامين	٣٠٤
٤١	وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون	
٤٢	واتبعناهم فى هــذه الدنيا لعنة	١٣٩
٧٦	•• وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة	١١٩
٧٧	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخــرة	١١٩
٧٨	قال انمــا أوتيته على عــلم عنــدى	١٢٠
٨١	فخســفنا به وبداره الارض	١٢٠
٨٣	تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض	١٤١
	ســـــورة العنكبوت (٢٩)	
٦٢	ان الله بــكل شىء عليم	١٥١
	ســـــورة الروم (٣٠)	
٦	وعد الله لا يخلف الله وعــده	١٧٩
٨	أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض	١١٢
٩	••• وعمروها أكثر ممــا عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات	١١٣
	ســـــورة لقمان (٣١)	
٦	ومن الناس من يشترى لهــو الحديث	٢١٦
١٧	••• واصــبر على ما أصــابك	١٨٦
١٨	ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا	١٨٣، ١٩٢

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
	ســـــورة الســـــجدة (٣٢)	
٦	... عالم الغيب والشهـــادة	١٥١
٢٤	وجعلنا منهم أئمـــة يهدون بأمرنا لمـــا صبروا	١٣٩
	ســـــورة الاحـــــزاب (٣٣)	
٥،٥٠،٥٩،٧٣	... وكان الله غفورا رحيما	١٧٥
٦	... وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض	٢٢٢
١٩	... ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت	٢٨٨
٣٣	... ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى	٢٠٩
٤٣	... وكان بالمـــؤمنين رحيما	٢٤٩
٥١	... وكان الله عليما حليما	١٧٤
	ســـــورة ســـــبأ (٣٤)	
١٦	... وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل ...	٣٦٧،٦٩
١٧	ذلك جـــزيناهم بمـــا كفـــروا	٣٦٧،٦٩
	ســـــورة فاطـــــــر (٣٥)	
٥	... فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور	١١٥
٦	ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عـــدوا	١١٥
١٨	ولا تزر وازرة وزر أخـــرى	٩٨
٣٥	... ولا يمســـنا فيهـــا لغـــوب	١٣٩
٣٦	... لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها	١٣٧
٣٧	... أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر	٣٣٩،١٣٧،١١٨

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة	٢٢٩
	سـورة يـس (٣٦)	
٥٢	...وصـدق المرسـلون	١٧٨
	سـورة الصافات (٣٧)	
١٥٦	أم لكم سـلطان مبين	٦٥
١٥٧	فأتوا بكتابكم ان كنتم صـادقين	٦٥
	سـورة ص (٣٨)	
٢٦	يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض	٢٦٢
٢٨	أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين	١٤٠
٢٩	كتاب أنزلناه اليك مباركا ليدبروا آياته	١٤٠
	سـورة الزمـر (٣٩)	
٩	... هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٢٦٦،٣٢١
١٧	... فبشر عبـاد	١١٢
١٨	الذين يستمعون القـول فيتبعون أحسنه	١١٢
٥٣	... يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم	١٤١
٥٤	وأنيبوا الى ربكـم وأسـلموا له	١٤١
	سـورة غافـر (٤٠)	
٧	... ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما	١٤٠
١٦	... لمن الملك اليوم لله الواحـد القهار	٦٢
١٩	يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصـدور	٢٢٩

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٨٢	افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبـــة الذين من قبلهم	١١٣

ســـورة فصـــلت (٤١)

٣٤	ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عـــداوة كأنـــه ولى حميم	٢٩١
٤٦	••• وما ربك بظلام للعبيـــد	٢٥٠

ســـورة الشـــورى (٤٢)

٢٥	وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات	١٤٠
٣٨	وأقاموا الصـــلاة وأمرهم شورى بينهم	١٩٠

ســـورة الزخـــرف (٤٣)

٣٢	••• نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا	٦٢
٥٥	فلما آســـفونا انتقمنا منهم	٢٢٩
٦٨	يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون	١٣٩
٧١	••• وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين	١٣٨

ســـورة الجـــاثية (٤٥)

١٣	وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه	٦١
٢١	أم حسب الذين اجترحوا السيئات	١٤٠، ٢٦٦

ســـورة محمـــد صلى الله عليه وسلم (٤٧)

٤	••• فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها	٣٦٥
٣١	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين	١٣٥

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٣٦	انمـــا الحياة الدنيا لعب ولهـــو	١٦٤
٣٨	ومن يبخل فانمـــا يبخل عن نفســـه	٣٩٨
	ســـورة الفتـــح (٤٨)	
١٨	لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة	٢٠٧
٢٦	وكان الله بكل شيء عليما	١٥١
٢٩	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار	٢٠٧،٢٤٩
	ســـورة الحجـــرات (٤٩)	
٦	أن جاءكم فاســـق بنبأ فتبينوا	١٩٤
٧	••• ولكن الله حبب اليكم الايمـــان وزينه فى قلوبكم	٣٦٨
٩	وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	٣٢٦
١٠	انمـــا المؤمنون أخـــوة	٢٥٢،٣٢٦
	ســـورة ق (٥٠)	
١٧	عن اليمين وعن الشمال قعيـــد	٢٢٨
١٨	ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد	٢٢٨،٢٧٧
٣٥	لهم ما يشاءون فيها ولدينـــا مـــزيد	١٣٨
	ســـورة الذاريات (٥١)	
٥٥	وذكر فان الذكرى تنفـــع المؤمنين	١١١
	ســـورة الطـــور (٥٢)	
٢٤	ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون	١٣٨

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
	سـورة القمـر (٥٤)	
٤٤	... نحن جميـع منتصر	٣٦٤
٤٥	سيهزم الجمع ويولون الدبر	٣٦٤
	سـورة الرحمن (٥٥)	
٥٦	فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان	٢٠٩
٧٢	حور مقصـورات في الخيـام	٢٠٩
	سـورة الواقعـة (٥٦)	
٢٢	وحـور عين	٢٠٩،١٣٨
٢٣	كأمثال اللؤلؤ المكنون	٢٠٩،١٣٨
٢٤	جـزاء بمـا كانوا يعملون	١٣٨
٣٥	انا أنشأناهن انشـاء	٢٠٩
٣٦	فجعلناهن أبـكارا	٢٠٩
٣٧	عـربا أترابا	٢٠٩
	سـورة الحـديد (٥٧)	
١٠	... لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل	٢٦٥
٢٠	انمـا الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة	١٦٤
٢٣	لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم	١٨٤
٢٥	وأنزلنا الحـديد فيه بأس شـديد	١٧٣
	سـورة المجـادلة (٥٨)	
٧	... وما يكون من نجـوى ثلاثة الا هو رابعهم	٢٢٩

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٧	... ان الله بكل شىء عليم	١٥١
	سـورة الحشر (٥٩)	
٧	ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى	٣١٧
٧	... وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	٢٠١،١٤٨
١٢	لئن أخرجوا لا يخرجون معـكم	٢٨٧
٢٠	لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة	٢٦٦
	سـورة الصـف (٦١)	
٢	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون	١٨٠
٣	كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون	١٨٠
٤	ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صـفا	٣٦١
٩	هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	٣٤٩
	سـورة المنافقون (٦٣)	
٤	واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم	٢٨٧
	سـورة التغـابن (٦٤)	
١٦	فاتقـوا الله ما استطعتم	١٩٢
١٧	... والله شـكور حليم	١٨١
	سـورة الطـلاق (٦٥)	
٢	... ومن يتق الله يجعل له مخـرجا	١٤٤
٣	ويرزقه من حيث لا يحتسب	١٤٤
٤	... ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا	١٤٤

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٥	ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته	١٤٤
	سـورة التحريم (٦٦)	
٥	عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن	٢٠٩
٦	يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا	٢٠٦
	سـورة الملك (٦٧)	
٢	الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا	١٣٥
	سـورة القـلم (٦٨)	
٤	وانك لعلى خلـق عظيم	٢٠٥، ٣٥٥
٣٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين	١٤٠
٣٦	مالكم كيف تحكمون	١٤٠
	سـورة المعـارج (٧٠)	
٦	انهم يرونه بعيـدا	١٣٠
٧	ونراه قـريبـا	١٣٠
١١	... يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه	١٣٨
١٢	وصاحبته وأخيـه	١٣٨
١٣	وفصـيلته التى تؤيه	١٣٨
١٤	ومن فى الارض جميعـا ثم ينجيه	١٣٨
١٥	كـلا	١٣٨
	سـورة الجن (٧٢)	
٢٦	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـدا	١٧٦

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
٢٧	الا من ارتضى من رســـول	١٧٦
	ســـورة القيامـــة (٧٥)	
١٤	بل الانســـان على نفســـه بصيرة	١٣٧، ٣٣٨
١٥	ولو ألقى معـــاذيره	٣٣٨
	ســـورة الانســـان (٧٦)	
١٣	لا يرون فيهـــا شمسا ولا زمهريرا	١٣٨
	ســـورة النازعات (٧٩)	
٣٧	فأما من طغى	١٣٧
٣٨	وآثر الحيـــاة الدنيـــا	١٣٧
٣٩	فان الجحيم هى المـــأوى	١٣٧
٤٠	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	١٣٧، ١٨٢
	ســـورة عبس (٨٠)	
١٥	بأيدى ســـفرة	٢٠٤
١٦	كـــرام بررة	٢٠٤
	ســـورة التكوير (٨١)	
١٩	انه لقـــول رســـول كـــريم	٢٠٤
٢٠	ذى قـــوة عنـــد ذى العرش مكين	٢٠٤
٢١	مطاع ثم أمين	٢٠٤
	ســـورة الانفطار (٨٢)	
١٢	كـــراما كاتبين	١١٦، ٢٠٤
١٣	يعلمـــون ما تفعـــلون	٢٠٤

رقم الاية	السورة ورقمها	الصفحة
	سـورة الغاشـية (٨٨)	
١٧	أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت	٣٣٨
١٨	والى السماء كيف رفعت	٣٣٩
١٩	والى الجبـال كيف نصبت	٣٣٩
٢٠	والى الارض كيف سطحت	٣٣٩
	سـورة الفجـر (٨٩)	
٦ـ١٤	ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفسـاد فصب عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد	١١٣
	سـورة الضحى (٩٣)	
١١	وأما بنعمة ربك فحـدث	١٩٦
	سـورة الشرح (٩٤)	
٤	ورفعنا لك ذكـرك	١٩٦
	سـورة الزلزلة (٩٩)	
٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره	٣٦٨
	سـورة العاديات (١٠٠)	
٨	وانه لحب الخير لشـديد	٢٩٣
	سـورة التكاثر (١٠٢)	
٨	ثم لتسألن يومئذ عن النعيم	١٣٦
	سورة الهمـزة (١٠٤)	
٢ـ٤	جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن فى الحطمة	٣٠٣

٢ ــ فهــرس شواهد الحديث النبوى

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
	(أ)	
ــ اتقوا المظالم فان الظلم هى الظلمات يوم القيامة		٢٧٠
ــ أحب الاسماء الى الله عبد الله وأمثاله		٢١٢
ــ أحب الاسماء عبد الله وعبد الرحمن		٢١٢
ــ احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما		١٩٣
ــ أخوف ما أخاف على أمتى : الهوى وطول الامل		١٨٢،٥١
ــ ادرؤا الحــدود بالشبهات		٣٣٢،٢٢٩
ــ اذا أتاكم كــريم قــوم فأكرموه		٢٦٦
ــ اذا أردت أمــرا فتدبر عاقبته		١٩٥
ــ اذا بويع الاميرين فاقتلوا آخرهمــا		٢٤٧
ــ اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب		١٩٨
ــ استعينوا على قضــاء الحوائج بالكتمان		٣٥٢،١٧٧
ــ أصحابى كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتــديتم		٢٠١
ــ اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس هو أهــله		٣١١
ــ أطيعوا الامام ولو كان عبدا حبشيا ما أطاع الله فيكم		٦٧
ــ اعقلهــا وتوكــل		١٨٩
ــ اعلمهم أن الله قــد أوجب عليهم زكاة		٣١٧
ــ اقتــدوا باللذين من بعــدى أبى بكر وعمــر		٢٠١
ــ اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم		٢٦٦

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
ـ أكـرم المـوت الشهادة		٣٦١
ـ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله		٣٣٣،٢٥٢
ـ أنا أحـق من أوفى بذمتـه		٣٣٣،٣٢٥
ـ أنا أكـرم الشركاء		٣٠٧
ـ أنا أولى بـكل مؤمن من نفسـه		٢٣٨
ـ انفـذوا جيش أسـامة		٣٥٨
ـ ان استخلفهم أبا بكر وجـدتموه قـويا فى دينـه		٢٣٥
ـ ان الارض لا تخلو من حجة		٦٦
ـ ان الاكثرين هم الاخسرون يوم القيامة		٣٠٥
ـ ان حسن العهـد لمن الايمـان		١٨٠
ـ ان الدنيـا حـلوة خضرة		١٣٥
ـ ان الصـدق يهـدى الى البر		١٧٩
ـ ان فى مالك شركاء ثلاثة		٢٩٩
ـ ان لقريش عليكم حقـا ما ان استرحموا رحمـوا		٢٥٤
ـ ان الله بعثنى بين يدى السـاعة		٣٣٩
ـ ان الملائكة تضـع أجنحتها لطالب العـلم		١٥١
ـ ان الملائكة لا تحضر شيئا من لهوكم الا النضال والرهان		٣٨٢
ـ ان من البيـان لشـعرا		٢١٧
ـ ان من الشـعر لحكمـة		٢١٧
ـ ان هذا الدين متين فأوغلوا فيـه برفق		١٩٢

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
ــ ان النبى كان يحب الفأل ويكره الطيرة		٣٦٤
ــ انك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك ونهكت نفسك		١٩٢
ــ انمـــا الاعمـــال بالنيـــات		٣٠٧،٣٧٦
ــ انمـــا الدين النصيحـــة		٤٣
ــ انمـــا الطاعـــة فى المعـــروف		٢٥٥
ــ انمـــا الكبر والعظمة ردائى		١٨٤
ــ انمـــا مثلى ومثل الدنيا كراكب سار فى صائف		١٣٠
ــ اياكم والحســـــد		١٩٤
ــ اياكم وخضراء الدمن		٢١٠
ــ ايمـــا راع بات ليلة واحـــدة غاشا لرعيته		٣٨٤
	(ب)	
ــ بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة		٤٤
ــ بلو أرحامـــكم ولو بالســـلام		٢٢٢
	(ت)	
ــ تخيروا لنطفـــكم		٢١٠
ــ تقتلك الفئـــة الباغيـــة		٣٢٦
ــ تنكح المـــرأة : لمالهـــا ومسيمها		٢١٠
	(ح)	
ــ حبـــك الشىء يعمى ويصم		١١٩
ــ حاسبوا أنفســـكم قبل أن تحاسبوا		١٣٩

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
ـ حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهـوات		٧١
ـ الحـرب خـدعة		٣٥٣
	(خ)	
ـ خير النـاس النمـط الاوسـط		١٩٢
ـ الخير عادة والشر لجـاجـة		٧٥
	(د)	
ـ دعـوه فان لصـاحب الحـق يدا ولسـانا		٢٦٩
	(ر)	
ـ رحم الله من ترك المراء وان كان محقـا		٩٥
	(ز)	
ـ زينـوا القـرآن بأصـواتكم		٣٨١
	(س)	
ـ السلطان ظل الله فى الارض		٦٣
	(ش)	
ـ الشـعر ديوان العـرب		٢١٧
	(ص)	
ـ صله الرحم زيادة فى العمـر		٢٢٢
ـ صلة الرحم وبر الوالدين		٢٢٢
ـ الصـلاة وما ملكت ايمانـكم		٢٠٧

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
	(ع)	
ــ العجلة من الشيطان والتأنى من الله		١٩٤
ــ عدل ســاعة خير من عبادة ستين ســنة		٢٥٥
ــ علموا أولادكم الصلاة اذا بلغوا سبعا		٢٠٧
ــ العلماء ورثة الانبيــاء		١٥١
ــ قال الله أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت		١٣٩
	(ك)	
ــ كان اذا أراد سفر أورى بغيره		٣٥٢
ــ كان يســابق بناقتــه العضــباء		٣٨٢
ــ كل الصيد فى جـــوف الفــرا		٢٦٦
ــ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته		٢٥٢
ــ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر ســبيل		١٣١
ــ الكيس من دان نفســه وعمل بما يرضى الله		١٣٩
	(ل)	
ــ لا أحد أصبر على الاذى ــ يسمعه ــ من الله		١٨٦
ــ لا تجتمع أمتى على ضــلالة		٢٠١
ــ لا تختلفوا فى الصفوف فتختلف قــلوبكم		٩٥
ــ لا ترضع لكم الحمقاء فان اللبن يفسد النسب		٢١٣
ــ لا ترفــع عصــاك عن أهلك		٢٠٦
ــ لا تكون الصنيعة صنيعة الا عند ذى حسب أو دين		٣١٠
ــ لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا		٩٩

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
ـ لا دين لمن لا عهـد له		١٨٠
ـ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار		١٩٦
ـ لا طاعة لمخـلوق فى معصـية الخـالق		٢٥٥،٣٧٥
ـ لا يترك فى الاسـلام مقـدح		٣٢٠
ـ لا يعـدن أحـدكم أخاه عـدة ثم لا ينجـزها		١٨٠
ـ لا يقتـل مسـلم لكافر		٣٢٥
ـ لتأمرن بالمعـروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم شراركم		٢٣٦
ـ لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقـذة		٨٥
ـ لثلاثمائة ضربة بالسيف أهـون من موت على الفراش		٣٦١
ـ للشهيد نوران ، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار		٣٢٦
ـ لن تبرح قدما عبد يوم القيامة حتى يسـأل		٢٩٥
ـ لو استخلف أحدا من غير مشاورة لاستخلف ابن أم عبد		١٩٠
ـ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة		٩١
ـ لى وزيران فى السماء ووزيران فى الارض		١٩٠
	(م)	
ـ ما أحب أن لى مثل أحد ذهبـا		٣٠٥
ـ ما أحـد أعظم أجرا من وزير مع سلطان يأمره بذات الله		٣٧٦
ـ ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن		٣٨١
ـ ما ازداد أحد علما فازداد به على الدنيا حرصـا		٢٦٢
ـ ما بال أحـدكم اذا وليناه أمرا من أمور المسلمين		٩١

مطلع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
ـ ما ترون هذه هانت على أهلها حتى رموا بها		٩١
ـ ما الدنيا فى الآخرة الا كرجل أدخل إصبعه فى اليم		١٣٠
ـ ما عبد الله بمثل الفقه فى الدين		١٥٢
ـ ما من ساعة تمر على ابن آدم لا يذكر الله فيها		١٢٥
ـ ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى		٢٣٦
ـ ما من وال يلى جماعة الا جاء يوم القيامة		٢٥٠
ـ ما من وال يلى ولاية الا جاء يوم القيامة		١٣٧
ـ ما من قوم مشوا الى السلطان ليذلوه		٦٧
ـ مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع يقيمها الريح مرة		١١٨
ـ المرء على دين خليله		١٦٤
ـ المرء مع من أحب		١٦٥
ـ من أحب أن يمثل له العبد قياما فليتبؤا مقعده من النار		٣٧٦
ـ من أهان سلطان الله فى الارض أهانه الله تعالى		هـ ٦٧
ـ من بدل دينه فاقتلوه		٣٣٢
ـ من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالى وعلى		٣٢٠
ـ من تواضع لله رفعه		١٨٤
ـ من دخل دار أبى سفيان فهو آمن		٣٦٥،٢٦٦
ـ من روى عنى أربعين حديثا بعث فيها عالما		٢١٨
ـ من سره أن ينظر الى الدنيا بحذافيرها		٦١
ـ من سعى الى سلطان ليذله أذله الله		٦٧

مطلـــع الحديث	الحرف الهجائى	الصفحة
ــ من سن ســنة حسنة كان له أجرها		١٤٩
ــ من غشنا فليس منـــا		٥٥
ــ من غصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين		٢٧٠
ــ من قتـــل وأخـــذ المـــال صـــلب		٣٢٩
ــ من كان عنـــده علم فكتمه		٤٣
ــ من لم يبال من حيث كسب المال لم يبال الله من حيث أدخله النار		٢٩٥
ــ المؤمن أخـــو المؤمن لا يخذله ولا يظلمه		٢٥٢
ــ المؤمن مرآة أخيـــه المؤمن		٥٣
ــ المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضـــا		٢٥٢
	(ن)	
ــ الناس رجلان : عالم ومتعلم وما سوى ذلك همج		١٥١
ــ نصف العقل ــ من الله ــ بعد الايمان مدارة الناس		٢٩١
	(ى)	
ــ يا بنى عبـــد منـــاف ، انقذوا أنفســـكم من النار		٢٠٦
ــ يســـير العـــلم خير من كثير العبـــادة		١٥١

٣ — فهرس القوافى

صدر البيت	القافيـــة	اســـم الشاعر	عـدد الأبيات	الصفحة
		(الهمـــزة)		
إمام يخاف الله	مساء	أبو نواس	١	١٠٤
كانت قناتى	الامساء	للنمرين تولب	٢	١٢٣
		(الألف المقصـــورة)		
تصول على الأدنى	يا يحيى	بعض قرابات يحيى ابن خالـــد	٢	٢٢٤
		(ب)		
إذا قلت فى شىء	واجب	لابن أبى حازم أو أبى الأسود الدؤلى	١	١٨١
ولا تحسبون الخير	لازب	النابغة الذبيانى	١	١٨٦
خليفة الله كافأ	والحسب	أبو تمام	٢	٧٣، ١٠٦
ما يأكل الناس شيئا	الغضب	———	٢	٢٠٢
لعمرى لقد أوفيت	صعب		٣	٧٢
ولقد نصحتك	ويوهب		١	٥٦
كم رأينا من	مهيب	صالح بن عبد القدوس	٨	١١٦
سأغسل عنى العار	جالبا	سعد بن ناشب	١	٣٣٦
جفانى الأمير ومغيرة مثله	جانبـــه	بشر بن المغيرة	٤	٢٢٣
إذا اعتصم الوالى	جاجبه	محمود الوراق	٥	٢٨٠

صدر البيت	القافيـــة	الشاعـر	عدد الأبيات	الصفحة
		(ت)		
فإن املت	الخاليات	صالح بن عبدالقدوس	٥	١١٦
ان الشباب والفراغ	مفسدة	لأبي العتاهية	١	٢٣٢
ما أعجب الدهر	دولتـــه		٢	١٢٣
		(ج)		
أخلق بذى الصبر	يلجلجا	محمد بن يسير	٢	١٨٧
		(ح)		
أخاك أخاك	سلاح	مسكين الدارمى	٢	٢٢٣
قد عذب الحب	صحبا		٢	٧٢
		(د)		
فإن غايات الأمور	الأوساد	العتـــابى	١	٧٣
ياخير منتصف يهدى له	البلـــد	أمرأة تشكوللمأمون	٣	٢٧٤
إذا كان ذو القربى	بعيـــد	الشافعى	٢	٢٢٤
ولست أرى السعادة	السعيد	الحطيئة	٣	١٤٥
ألا كل من يتقى	لسعيد		١	١٤٥
فى دون ما قلت	الكبـد	المـأمون	٥	٢٧٥
أرى الناس قد ملوا	الموارد		٢	٣١٤
لايصلح الناس فوضى	سادوا	الأفوه الأودى	١	٨٢
إذا أنت لم ترحل	تزودا	الأعشى	٢	١٤٥
نفسك عندك	جاهدا		٣	٣٠١

صدر البيت	القافية	للشاعر	عددالابيات	الصفحة
احسن ثم احسن	فعادا		٣	٣١٥
عن المرء لا تسأل	مقتدى	عدى بن زيد	١	١٦٦

(ر)

هواك فلا تكذب	أسير		٢	١٣٢
قوم إذا حاربوا	باظهار	الأخطل	١	٣٤٤
وتفكر رب الخورنق	تفكير	عدى بن زيد	١	٦٤
ركوبك الهول	تغرير	عبد الله بن طاهر	٥	٣٥١
أى يومى من الموت	قدر	على بن أبى طالب	١	٣٦١
ولقد رأيت بباب دارك	تكدير		٢	٢٨١
وإذا اغنيت	الدهر	عثمان بن عفان	٢	١٨٥
وكأن لم يكن بين الحجون سامر		يحيى بن خالد	٢	٣٦٤
يد المعروف غنم	شكور	عبدالله بن المبارك	٢	٣١١
ما هى إلا ليلة	شهر		٣	١٢٦
بنيت بما خنت الأنام	الصبر	لأبى نواس	٢	٣٠٩
تعودت مس الضر	الصبر	لأبى العتاهية	٢	٧٥
بلى نحن كنا أهلها	العواثر	يحيى بن خالد	١	٣٦٤
نار ولا عار	النار	الليث بن رافع	١	٣٣٧
الموت خير من ركوب	النار	الحسين بن على	١	٣٣٧
وكنت إذ احللت	عارا	جرير	١	٣٣٨
تغنى اللذاذة	والعار	على بن أبى طالب	٢	٣١٦

صدر البيت	القافيـــة	الشاعـر	عـــدد الأبيات	الصفحة
فقلنا له ما الاسم	عمرا	لأبى نواس	٣	٢١٢
وعاجز الرأى مضياع	القدرا	الرياشى	١	٣٤١
لا تحقرن من الأمور	كبارا		٢	٢٨٨
	(س)			
ولو صلح الناس	اساس		١	٦٥
والناس جسم	رأس	على بن جبلة (العكوك)	١	٦٥
إذا لم يكن صدر	المجالس		٢	٨٢
كانوا إذا غرسوا	اساسا		٢	٣١٤
ان البر امكة الكرام	الناس	العطوى	٢	٧٤
دع المكارم لا ترحل	الكاسى	الحطيئة	١	٢٣٣
	(ض)			
سأمنح مالى لكل	القرض	اعرابى	٢	٣١١
شاع فى الفناء	فعضوا		٢	١٢٥
	(ع)			
أمن خوف نقر تعجلته	تجمع		٢	٣٠٤
ولا أنا	جازع	لبيـد	١	١٨٥
ستبلغ عذرا	راكع	النابغة الذبيانى	١	٦٤
إنى وجدت من المكارم	وتشبعوا	عبدالرحمن بن حسان	٢	٢٣٣
	(ف)			
الحب ظهر أنت راكبه	انصرفا		١	٧٢

صدر البيت	القافيـــة	الشاعـر	عددالأبيات	الصفحة
	(ق)			
وأخفت أهل الشرك	تخلـــق	لأبى نواس	١	١٠٤
إذا امتحن الدنيا	صديق	لابى نواس	١	١٣٤
يا جامعا مانعا والدهر يرمقـــه	فتطرقه	العطـــوى	٥	٣٠١
	(ك)			
سأترك بابا أنت	المسالك		٢	٢٨٢
	(ل)			
كأن الجنان يزى	الأجل	معاوية	٢	٣٦١
ما نلت شيئا من الدنيا	الأجل		١	١٢٤
إذا كنتم للناس	البذل	لأبى معاذ	٤	٢٦٨
كم أسير شهوة	الجميل		٢	١٣٢
الصبر أوله	العسل		١	١٨٨
إذا ركبوا الأعواد	فعـــل		١	٧٦
اصبر الناس	المحتال	عبيد بن الأبرص	١	١٨٨
لابد للشاة من راع	وال	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٢	٨١
الزائدون قوم	الوجل	مسلم بن الوليد	١	٣٨٧
فقولا له	هابل	لبيد بن ربيعة	٣	١١٥
فاضحى كأحلام النيام	يزايل	لبيد بن ربيعة	١	١٣١
يريد الفتى طول السلامة	يفعل	نمر بن تولب	١	١٢٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	الصفحة
يسرى الفتى	قاتله		١	١٤٤
سأترك هذا الباب	قليلا	محمود الوراق	٣	٢٨١
رأيت التقى	ناقلا	زهير بن أبى سلمى	٢	١٤٥
اتطمع أن تخلد	تنالك	لأبى العتاهية	٥	٥٨
	(م)			
غضبت لغضبتك	الإسلام	لأبى محمد التيمى	٢	٢٥٨
لن يبلغ المجد أقواما	الأقوام	لابن عائشة	٢	٧٣
إذا تم أمرا	تم	على بن أبى طالب	٣	١٢١
أرى خلل الرماد	ضرام	لأبى مريم البجلى	٦	٢٨٨
لولا أميمة لم أجزع	الظلم		٣	٢٣٨
ما بكيتم السر	مكتوم	الحسين بن عبيد الله	٢	١٧٧
هو السبيل	النوم		٢	١٣١
سيأتيك ما أفنى القرون	وجرهم	عم المنصور	٢	٣٦٢
من يجعل المعروف	ينسدم	زهير بن أبى سلمى	١	٣١٠
خنازير ناموا	ينم	محمود الوراق أو محمد بن عروس		٨٢
أناة فإن لم تغن	عزائمه		١	٢٩١
أرى صاحب الدنيا	انعما		١	١٢٢
أرى بصرى قد رابنى	تسقما	حميد بن ثور الهلالى	١	١٢٢
وان يدا بالداء قد طال سقمها	يتقدما		٢	٢٣٠

صدر البيت	القافيـــة	الشاعـر	عددالأبيات	الصفحة
	(ن)			
الحرص عون للزمان	الأزمانْ	قيس بن الخطيم	٣	١٨٧
فى كل عام غزوة	الأقران		٤	١٠٤
إذا كنت جماعا لمالك	أمـــين	لثعلب	٢	٣٠١
هو صاحب	بالقـــرين		١	١٦٦
يا أيها الملك المسربل	الحدثان	دعبل الخزاعى	٤	٣٦٣
ترك الأمور	دين	الزبير بن العوام	٢	٣٣٧
إذا جاور الإثنين	ضمـــين		٢	١٧٨
خليلى ليس الرأى	ما ترايان	عطارد بن تران	٢	١٩١
إذا كنت ذا مال	واغنانى	الخزيمى	٦	٣٠٢،٣٠٣
فانك لن ترى طرد	الهوان		٢	٣١٣
وما من شيمتى	يرتجينى	حاتم الطائى	١٠	٢٢٣

٤ — فهـــرس الأعـلام

(أ)
ابراهيم بن العباس (الكاتب) ٢٩٠ .
ابرويز بن هرمز (كسرى فارس) ٤٥ ، ١٨٩ .
أحمد بن أبي خالد (وزير المأمون) ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
الأحنف بن قيس (الحكيم) ٣٩٣ .
اردشير بن بابك (كسرى فارس) ٥٤ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٩٠ ، ٣٥٦ .
ارسطوطاليس (الفيلسوف) ٥٥ ، ٥٨ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ .
أسامة بن زيد (الصحابي) ٣٥٨ .
اسحاق بن أحمد السامانى (والى بخرسان) ١٠٧ .
الاسكندر المقدونى (القائد اليونانى) ٥٨ ، ٥٩ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ .
اسماعيل السامانى (الماضى — أمير خراسان) ١٠٧ .
الأعشى (ميمون بن قيس — الشاعر) ١٤٤ .
الأعمش (سليمان بن مهران — الراوى) ٨٣ .
أفلاطون (الحكيم اليونانى) ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٨٢ .
انشروان (كسرى فارس) ١٠٨ ، ١٧٢ ، ١٨٩ ، ٢٤٣ ، ٣٩٢ .

(ب)
البد (زعيم الهند) ٧٨ ، ٣٩٥ .
بزرجمهر (وزير وحكيم فارس) ١٥٢ ، ١٥٣ .
أبو بكر الصديق (الخليفة الراشد) ٩٥ ، ١٥٦ ، ٢٣٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥
أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم (القاضى) ٣٨٦ .
بهرام جور (كسرى فارس) ١٨٩ ، ٢٧٣ .

(ت)
أبو تمام (حبيب الطائى — الشاعر) ٧٣، ١٠٦ .
(ث)
ثمامة بن أشرس (المعتزلى) ٧١ .
(ج)
جالوت (ملك قديم) ٦٢ .
الجاحظ (عمرو بن بحر — الأديب) ١٩٩ .
جرير بن عبد الله (الصحابى) ٤٤ .
جعفر بن محمد (التابعى) ٣١١ ، ٣١٢ .
جعفر بن يحيى (الوزير) ١٩٥ .
أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسى) ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٩ ، ١٠٣ ، ٢٧٨ ، ٣٦٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ .
(ح)
حاتم الطائى (الجواد) ٢١٧ .
الحارث بن كلدة (الطبيب العربى) ٢١٦ .
الحجاج الثقفى (الوالى الأموى) ١٢٥ ، ١٧٦ .
الحسن البصرى (التابعى — الزاهد) ١٢٤ ، ١٣٤ ، ٢٥٧ ، ٣٠٠ ، ٣٣٦ .
الحسن بن سهل (وزير المأمون) ٣١٢ .
الحسن بن على (سبط الرسول) ٣٨٤
الحسين بن على (سبط الرسول) ٣٣٧
حميد بن عبد الحميد (قائد حربى للمأمون) ٦٥ .
(ح)
أبو خالد الأعور (الخارجى) ٣٦٤.
خالد بن عبد الله القسرى (والى عراق) ٢٨٠ ، ٣١٣ .
خالد بن الوليد (الصحابى — القائد الحربى) ٣٥٨ ، ٣٨٣ .
الخريمى (اسحاق بن حسان — الشاعر ٣٠٢ .
(د)
داود (النبى) ٦٢ ، ١٠٠ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ .
أبو داود (القائد حربى) ٣٦٤ .
أبو الدرداء (الصحابى) ١١٤ .
دعبل بن على الخزاعى (الشاعر) ٣٦٣ .
(ذ)
ذو القرنين (ملك عادل) ١٠٠ .
أبو ذر (الصحابى) ٢٢٢ .
(ر)
رستم بن فرخزاد (القائد الحربى الفارسى) ١٧٢ ، ٣٤٩ .
(ز)
الزبير بن العوام (حوارى رسول الله) ١٥٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٨٣
زهير بن أبى سلمى (الشاعر الجاهلى) ١٤٥ .

زياد بن أبيه (الوالى الأموى) ٢٧٧ ، ٢٧٩ .

(س)

سابتر م (ملك الهند) ١٦١ ، ١٨٣ .
سابور بن اردشير (كسرى فارس) ٥٤ ، ٧٨ ، ١٠٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٢
سفيان الثورى (التابعى — المحدث) ٥٦ ، ٣١٢ .
سلمان الفارسى (الصحابى) ٩٥ .
سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموى) ٢٣٨ ، ٣٨٦ .
سليمان بن داود (النبى) ١٠٠ ، ١٢٣
ابن السماك (الزاهد) ٥٧ .

(ش)

الشافعى (الإمام) ٢٢٤ .
شريح بن الحارث (القاضى) ٢٧٠ .
شفيق بن سلمة (الراوى) ٨٣ .
الشهيد (أحمد بن نصر السامانى) ١٠٨ .

(ص)

صالح بن عبد القدوس (الشاعر) ١١٦ .
صريع الغوانى (مسلم بن الوليد — الشاعر) ٢٤٠ .

(ط)

طرفة بن العبد (الشاعر) ١٦٦ .
طلحة الطلحات (الجواد) ٣١٤ .
طلحة بن عبيد الله (المشهود له بالجنة) ١٥٦ ، ٣٤٠ .

(ع)

العباسى بن المأمون (ابن الخليفة الأموى) ٢٧٥ .
العباس بن مرداس (الشاعر) ٣٨٣ .
ابن عباس (الصحابى) ١٨٥ ، ٣١١ ، ٣١٢ .
أبو العباس (السفاح) ١٠٣ .
عبد الحميد بن عبد الرحمن (الوالى الأموى) ٣٢٠ .
عبد الرحمن بن عوف (المشهود له بالجنة) ٨٦ .
عبد الصمد بن عبد الأعلى (المؤدب الأموى) ٢٢٠ .
عبد الله بن الأهتم (البخيل) ٣٠٠ .
عبد الله بن رواحة (الصحابى) ٣٨٣
عبد الله بن طاهر (الوالى العباسى) ٢٤٢ ، ٢٧٨ ، ٣٥١ .
عبد الله بن عمرو بن العاصى (الصحابى) ١٩٢ .
عبد الله بن مسعود (الصحابى) ٣٧٨
عبد الله بن المعتز (الشاعر) ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٩١ .
عبد الله بن المقفع (الأديب) ٣٩١ .
عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموى ٧٦ ، ٢١٧ ، ٢٧٨ ، ٣٩٠ .
العتابى (الشاعر) ١٢٩ .
عتبة بن أبى سفيان (الخطيب الأموى) ٢٢٠ .

عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ١٨٥ ، ٣٢٠ ، ٣٥٨ .
عدى بن زيد (الشاعر الجاهلى) ٦٤ .
العطوى (الشاعر العباسى) ٧٤ ، ٣٠١ .
على بن أبى طالب (الخليفة الراشد) ٧٨ ، ١٢٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٥ ، ٢٧٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ .
عمار بن ياسر (الصحابى) ٣٢٦ .
عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٥٥ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٥٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٣ .
عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموى الراشد) ١٠١ ، ١٧٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٧٤ ، ٣٨٥ .
عمرو بن أمية الضمرى (الصحابى) ٣٨٦ .
عمرو بن العاص (الصحابى) ٣٥٨ ، ٣٩٣ .
عمرو بن عبيد (المعتزلى — الزاهد) ٥٧ ، ٧١ ، ٧٩ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ٢١١ ، ٣٠٩ .
عنترة العبسى (الشاعر الجاهلى) ٢١٧
عيسى بن رستم (الراوى) ٣٢٠ .
عيسى بن مريم (النبى) ٢٠٥ ، ٢٠٦
عيسى بن موسى (الوالى العباسى) ٣٦٢ .

(ف)

الفضل بن سهل السرخسى (وزير المأمون) ٣٨٨ .

(ق)

القاسم بن عبد الرحمن (المحدث) ٢٥١ .
قثم بن جعفر بن سليمان (الراوى) ١٩٥ .
قطبة بن حميد (الراوى) ٢٧٤ .
قيس بن عاصم (الصحابى) ٢٦٦ .
قيس بن معد (مرتد) ٣٦٦ .

(ك)

كعب بن مالك (شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٣٨٣ .

(ل)

لبيد بن ربيعة (الشاعر الجاهلى الحكيم) ١١٥ ، ١٣١ ، ١٨٥ ، ٢١٧ .
الليث بن رافع (الأديب) ٣٣٧ .

(م)

المأمون (الخليفة العباسى) ٧١ ، ١٠٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣١٢ ، ٣٨٩ .
مجمع بن أبى رجاء (الراوى) ٣١٩

محمد بن الحنفية (التابعى) ٢١١ .
محمد بن طاهر بن عبد الله (الوالى العباسى) ٣٦٣ .
أبو محمد التيمى (الشاعر العباسى) ٢٥٨ .
محمود الوراق (الشاعر الحكيم) ٢٨٠
المدائنى (الراوى — المؤرخ) ٣٩٠ .
مروان بن محمد (آخر ملوك بنى أمية فى الشام) ٣٤٣ .
أبو مسلم الخرسانى (صاحب الدعوة ٣٦٢ .
مصعب بن الزبير (التابعى) ٨١ .
معاذ بن جبل (الصحابى) ٣١٧ .
معاوية بن أبى سفيان (الخليفة الأموى) ١٥٧ ، ١٧٥ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٦١ ، ٣٩٣ .
ابن المعتز (الأديب) ٢٩٩ .
المعتصم (الخليفة) ٧٣ ، ١٠٥ .
أبو موسى الأشعرى (الصحابى) ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٣٨٤ .
موسى بن عمران (النبى) ١٠١ .
المهلب بن أبى صفرة (الوالى الأموى) ١٧٥ .

(ن)

النابغة الذبيانى (الشاعر الجاهلى) ٦٤ ، ١٠٥ ، ١٨٥ .
النزال بن سبرة (التابعى) ٣٨٢ .
نصر بن أحمد (صاحب خراسان) ١٠٧ .
النعمان بن المنذر (الملك العربى الجاهلى) ٦٤ .
أبو نواس (شاعر الخمر) ١٠٤ ، ٢١٢ .

(هـ)

هارون الرشيد (الخليفة العباسى) ٥٧ ، ١٠٣ ، ١٩٥ ، ٢٥٨ ، ٣٥٤ .
أبو هريرة (الصحابى) ٢٥١ ، ٢٥٥ .
الهيثم بن عدى (الراوى) ٢٨٠ .

(و)

الواثق بالله (الخليفة العباسى) ١٠٦ .
الواقدى (المؤرخ) ١٥٣ ، ٣٩٠ .

(ى)

يحيى بن أكثم (القاضى) ٢٧٥ .
يحيى بن خالد (مؤدب الرشيد) ٢٢٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .
يزدجرد (الملك الفارسى) ١٨٩ ، ٢٧٢ .
يزيد بن ثابت (الصحابى) ٢٧٠ .
يزيد بن مزيد (القائد) ٣٨٦ .
يزيد بن الوليد (الناقص — الخليفة الأموى) ١٠١ :
يعقوب (النبى) ١٧٦ .
يوسف بن يعقوب (النبى) ١٠٠ ، ١٧٦ ، ٢٠٥ .
يوشع بن نون (النبى) ١٠١ .

٥ ــ فهرس مصادر التحقيق والتعليــق

ــ القــرآن الكريـــم

ــ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، اعداد : محمد فؤاد عبد الباقـــى

(أ)

ــ آثار الاول فى ترتيب الدول : للحسن بن عبد الله بن محمد ، من علماء القرن الثامن الهجرى ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٥ هـ .

ــ الاجماع : للامام ابن المنذر ، المتوفى ٣١٨هـ ، تحقيق الدكتــور فؤاد عبد المنعم ، تقديم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ، مطبوعــات رئاسة المحاكم الشرعية ، دولة قطر ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

ــ أحكام القرآن : لابن العربى ، الفقيه المالكى ، المتوفـــى ٥٤٣هـ ، تحقيق على البجاوى ، ٤ أجزاء ، مطبعة الحلبى ، القاهــرة ، ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م .

ــ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ــ لابى الحسن الماوردى ، المتوفى ٤٥٠هـ ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦ م .

ــ الاحكام السلطانية : لابى يعلى الفراء ، الفقيه الحنبلى ، المتوفى ٤٥٨هـ ، صححه وعلق عليه الشيخ محمد حامد الفقى ، مطبعة الحلبـــى ، القاهرة ١٣٥٧هـ ــ ١٩٣٩م .

ــ أخبار القضاة : لوكيع ، محمد بن خلف بن حيان ، المتوفى ٣٠٦ هـ ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغى ، مطبعــة السعــادة ، مصر ، ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧م .

ــ أدب الدنيا والدين : للماوردى المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق مصطفى

السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

— أساس البلاغة : للزمخشرى ، محمود بن عمر ، المتوفى ٥٣٨ هـ من مطبوعات كتاب الشعب ، القاهـرة .

— الاستيعاب فى معرفة الاصحاب : لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله الاندلسى المالكى ، المتوفى ٤٦٣هـ ، تحقيق على محمد البجاوى مطبعة نهضة مصر .

— أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لعز الدين بن الاثير ، المتوفـى ٦٣٠هـ ، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ، ومحمد أحمـد عاشـور ، ومحمود عبد الوهاب فايد ، كتاب الشعب ، مصر ، ١٩٧٠ .

— الاعلام (قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء مـن العـرب والمستعربين والمستشرقين) : لخير الدين الزركلى . المتوفـى ١٣٩٧هـ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

— الاغانى : لابى الفرج الاصبهانى ، على بن الحسين ، المتوفـى ٣٥٦هـ من مطبوعات تراثنا ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

— الافصاح عن المعانى الصحاح : للوزير ابن هبيرة ، يحيى بن محمد المتوفى ٥٦٠هـ ، جزءان ، مطبعة الكيلانى ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م

— أمالى المرتضى : الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى المتوفى ٤٣٦هـ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥هـ .

— الامثال : لابى عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى ٢٢٤هـ ، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، من مطبوعات مركز البحث العلمى واحيـاء التراث الاسلامى بمكة المكرمة ، **دار المأمون للتراث** ، دمشـق ، ١٤٠٠هـ

— ١٩٨٠ م •

— الامثال والحكم : للماوردى ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م •

— الام : للامام الشافعى ، محمد بن ادريس ، المتوفى ٢٠٤ هـ ، المطبعة الاميرية ، مصر ، ١٣٢٤هـ •

— الاموال : لابى عبيد القاسم بن سلام ، المتوفى ٢٢٤هـ ، تحقيق محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م •

— الايجاز والاعجاز : للثعالبى ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، المتوفى ٤٢٩هـ ، مكتبة دار البيان ، بيروت ، دون تاريخ •

(ب)

— البخلاء : للخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على ، المتوفى ٤٦٣هـ ، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب مع الدكتورة خديجة الحديثى وأحمد ناجى القيس ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م •

— بدائع السلك فى طبائع الملك : لابى عبد الله بن الازرق ، المتوفى ٨٩٦هـ ، تحقيق وتعليق الدكتور على سامى النشار ، مطبوعات وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٧٧م •

— بداية المجتهد ونهاية المقتصد : لابن رشد ، محمد بن أحمد ، المتوفى ٥٩١هـ ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م •

— بهجة المجالس ، وأنس الجالس وشحذ الذاهن والهاجس : للامام ابن عبد البر ، المتوفى ٤٦٣هـ ، تحقيق الدكتور محمد مرسى الخولى وراجعه عبد القادر القط ، جزءان ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢م •

— البيان والتبيين : للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، المتوفى ٢٥٥ هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م .

(ت)

— تاج العروس من جواهر القاموس : لعيسى السيد محمد المرتضى الزبيدى ، المتوفى ١٢٠٥ هـ ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ .

— التاج فى أخلاق الملوك : للجاحظ — المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق فوزى عطوى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

— تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبرى) : لابن جرير الطبرى — المتوفى ٣١١هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م .

— تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) : للخطيب البغدادى ،المتوفى، ٤٦٣هـ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، مصورة عن طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٤٩هـ — ١٩٣١م .

— تاريخ الخلفاء : للسيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر المتوفى ٩١١هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بمصر الطبعة الرابعة ، ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م .

— تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء وعليهم الصلاة والسلام : لحمزة بن حسين الاصفهانى ، المتوفى ٣٥١هـ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م .

— تاريخ القضاء فى الاسلام : للشيخ محمود عرنوس ، المتوفى ١٣٧٤هـ ، مصر ، ١٩٣٥ م .

ـ تاريخ ابن الوردى (تتمه المختصر فى أخبار البشر) : لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى ٧٤٩هـ ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، المطبعة المحمدية ، النجف ، العراق ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م •

ـ التبر المسبوك فى نصيحة الملوك : للامام أبى حامد الغزالى ، المتوفى ٥٠٥هـ ، مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨ م •

ـ تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام : للامام بدر الدين بن جماعة ، المتوفى ٧٣٣هـ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم وتقديم الشيخ عبد الله بن زيد ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية ، دولة قطر ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م •

ـ تحفة الادباء وسلوه الغرباء : للخيارى ، ابراهيم بن عبد الرحمن الخيارى ، المتوفى ١٠٨٣هـ تحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائى ، الجزء الثالث ، وزارة الاعلام العراقية ، ١٩٨٠م •

ـ تذكرة ابن حمدون (السياسة والآداب الملكية) : بهاء الدين محمد بن أبى سعد الحسن ، المتوفى ٥٦٢هـ ، مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م •

ـ التذكرة السعدية فى الاشعار العربية : لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدى (من رجال القرن الثامن الهجرى) ، تحقيق عبد الله الجبورى المكتبة الاهلية ، بغداد ، العراق ، ١٩٧٢م •

ـ الترغيب والترهيب : لزكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، المتوفى ، ٦٥٦هـ ، الطبعة المنيرية ، مصر •

ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر (فى أخلاق الملك وسياسة الملك) للماوردى ، على بن محمد ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق محيى هلال السرحان

ومراجعة وتقديم الدكتور حسن الساعاتى ، دار النهضة المصرية ، بيروت ١٩٨١ م •

— التعريفات : للجرجانى ، السيد الشريف على بن محمد بن على ، المتوفى ٨١٦هـ الحلبى ، القاهرة ، ١٩٣٨م •

— تفسير القرآن العظيم : لاسماعيل بن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ ، تحقيق عبد العزيز غنيم مع محمد أحمد عاشور ، ومحمد ابراهيم البنا ، طبعة كتاب الشعب ، مصر ، ١٣٩٠هـ — ١٩٧١م •

— تفسير الماوردى (النكت والعيون) للماوردى ، المتوفى ٤٥٠ هـ ، تحقيق خضر محمد خضر ، ومراجعة الدكتور عبد الستار أبو غدة مطبوعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، بالكويت ، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م •

— التمثيل والمحاضرة : لابى منصور الثعالبى ، المتوفى ٤٢٩هـ ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٨١هـ — ١٩٦١م •

— تهذيب الاسماء واللغات : للنووى ، أبو زكريا محى الدين بن شرف النووى ، المتوفى ٦٧٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مصورة عن الطبعة المنيرية بمصر •

— تهذيب تاريخ ابن عساكر : لعبد القادر بن بدران ، المتوفى ١١٤٣هـ ، ٧ أجزاء ، طبع فى دمشق ، ١٣٢٩هـ — ١٣٥١هـ •

— تهذيب الرياسة وترتيب السياسة : للقلعى ، محمد بن على ، المتوفى ٦٣٠هـ تحقيق ابراهيم يوسف مصطفى ، مكتبة المنار ، الاردن ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م •

ـ تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلانى ، المتوفى ٨٥٢هـ ، ١٢جزء مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٢٧هـ .

ـ جامع الاصول فى أحاديث الرسول : لابن الاثير ، المتوفى ٦٠٦هـ ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، مكتبات الحلوانى والملاح والبيان بدمشق ١١جزء ، ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ .

ـ الجامع الصحيح (وهو سنن الترمذى) : لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، المتوفى ٢٧٩هـ ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر وآخرين طبعة دار احياء الكتب العربية ، الحلبى ، القاهرة ، ١٩٣٧ ـ ١٩٦٥م

ـ وأخرى ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، المطبعة الوطنية ، سوريا ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م .

ـ الجامع الصغير : لجلال الدين السيوطى ، المتوفى ٩١١هـ ، دار القلم ، مصر ، ١٩٦٦م

ـ الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبى) : لابى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى ، المتوفى ٦٧١هـ ، دار الكتاب (العربى) مصر ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

ـ جمهرة أشعار العرب : لابى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى المتوفى فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، طبع فى مصر .

ـ جمهرة الامثال : لابى هلال العسكرى ، المتوفى ٣٩٥هـ ، على هامش مجمع الامثال للميدانى ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣١٠هـ .

ـ الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع من حكم الامام الشافعى المنظومة والمنثورة ، لحسين بن عبد الله باسلامة ، المتوفى ١٣٥٦هـ ، مطبعة

كردستان العلمية ، مصر ، ١٣٢٦هـ .

(ح)

ـ أبو الحسن الماوردى (من أعلام الاسلام) : للدكتور فؤاد عبد المنعم مع الدكتور محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

ـ الحسن البصرى : لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧هـ ، طبعة الخانجى مصر ، ١٩٢٩ .

حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء : لابى محمد عبد الله بن محمد العبد لكانى الزوزنى ، المتوفى سنة ٤٣١ هـ ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٣ م

ـ حكم الاسلام فى القضاء الشعبى (بحث مقارن) للدكتور فؤاد عبد المنعم مطبعة الاسكندرية ، ١٩٧٣ م .

ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : لابى نعيم الاصبهانى ، المتوفى ٤٣٠هـ ، ١٠ مجلدات ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ .

ـ الحيوان : للجاحظ ، المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، المجمع العلمى العربى الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م .

(خ)

ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادى المتوفى ١٠٩٣هـ ، أربع مجلدات ، طبع مصر ، ١٢٩٩هـ .

ونسخة أخرى محققة للاستاذ عبد السلام هارون ، ٩ أجـزاء ، دار الكاتب العربى والخانجى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ــ ١٩٨١ م •

(د)

ـ دستور معالم الحكم (من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب) لابى عبد الله محمد القضاعى ، المتوفى ٤٥٤هـ ، طبع مصر •

ــ دول الاسلام للذهبى ، المتوفى ٧٤٨هـ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٤م •

ــ ديوان جرير بن عطية بن حذيفة ، المتوفى ١١٠هـ ، طبع فى مصر ، جـــزءان •

ــ ديوان الحطيئة ، جرول بن أوس ، مات نحـو ٤٥هـ ، الحلبـى ، ١٩٥٨ م •

ــ ديوان حميد بن ثور الهلالى ، المتوفى ، تحقيق عبد العزيز الميمنى مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ ــ ١٩٥١ م •

ــ ديوان على بن أبى طالب (الامام) المتوفـى ٤٠هـ ، مصر ، دون تاريـــخ •

ــ ديوان أبى العتاهية المتوفى ٢١٣هـ ، بيروت ، ١٩١٤م •

ــ ديوان عمرو بن قيمئه . المتوفى نحـو ٥٦٤م ، تحقيـق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفى ، مجلة معهد المخطوطات العربية ــ مصر ، ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م •

ــ ديوان أبى نواس ، المتوفى ١٩٩هـ ، دار بيـروت ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م •

(ذ)

ـ ذيل الامالى : لابى على اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى ، المتوفى ٣٥٦هـ : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م .

(ر)

ـ رسائل الجاحظ ، لابى عثمر عمرو بن بحر ، المتوفى ٢٥٥هـ ،تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، مصر ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

ـ روضة الطالبين : للنووى ، يحيى بن شرف ، المتوفى ٦٧٦هـ ، ١٢ جزءا المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٦هـ ـ ١٣٩٥هـ .

ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : لابى حاتم محمد بن حيان البستى ، المتوفى ٣٥٤هـ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ٤ مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

(ز)

ـ زاد المسير فى علم التفسير : لابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على ، المتوفى ٥٩٧هـ ، ٩ أجزاء ، المكتب الاسلامى ، دمشق ، ١٣٨٤هـ .

ـ الزهد : للامام أحمد بن حنبل ، المتوفى ٢٤١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

ـ زهر الاداب وثمر الالباب : لابى اسحاق الحصرى القيروانى ، المتوفى ٤٥٣هـ ، تحقيق الدكتور زكى مبارك ، المكتبة التجارية ، مصر ، ١٩٢٥ م .

(س)

ـ سراج الملوك : لابى بكر الطرطوشى ، الفقيه المالكى ، المتوفـى ٥٢٠هـ ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ ، وأخرى بالمطبعة المحمودية ، مصر ، ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م •

ـ سفيان الثورى : للدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الازهـر ، طبعة دار المعارف ، مصر ،

ـ سلسلة الاحاديث الصحيحة وشىء من فقهها وفوائدها : لمحمـد ناصر الالبانى ، جزءان ، المكتب الاسلامى ، بيروت •

ـ سلسلة الاحاديث الضعيفة واثرها السىء فى الامة ، لمحمد نـاصر الالبانى ، المجلد الاول والثانى ، المكتب الاسلامى ، بيروت •

ـ سلوك المالك فى تدبير الممالك : لشهاب الدين أحمد بن محمـد بن أبى الربيع ، المتوفى ٢٧٢ هـ ، مصر ، ١٣٨٦ هـ •

ـ سنن الدارقطنى ، للحافظ على بن عمر الدارقطنـى ، المتوفـى ٣٨٥هـ ، ٤ أجزاء ، دار المحاسن ، مصر ، ١٣٨٦هـ •

ـ سنن أبى داود : للحافظ سليمان الاشعث السجستانى ، المتوفى ٢٧٥هـ ، تحقيق عزت الدعاس ، دار الحديث ، حمـص ، سوريا ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م •

ـ سنن الدارمى : لابى محمد عبد الله بن عبـد الرحمن الدارمى ، المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت •

ـ سنن ابن ماجه : لابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، المتوفى

٢٧٥هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه القاهرة ، ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م •

— سنن النسائى : لابى عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، المتوفى ٣٠٣هـ بشرح جلال الدين السيوطى ، وحاشية السندى ، المطبعة العصرية ، الازهرية ، ١٣٤٨هـ — ١٩٣٠م ، عيسى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٩٧٣م

— السياسة لابن سينا ، المتوفى ٤٢٨هـ ، (ضمن مجموع فى السياسة) تحقيقنا ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٤٠٢ هـ •

— سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧ هـ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، دون تاريخ •

— سيرة عمر بن عبد العزيز : لابى محمد عبد الله بن عبد الحكم ، المتوفى ٢١٤هـ ، تحقيق أحمد عبيد ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ — ١٩٥٤ م •

— سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزى المتوفى ٥٩٧ هـ تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المؤيد ، مصر ، ١٣٣١ هـ •

(ش)

— الشاهنامة : للفردوسى ، جزءان ، ترجمة البندارى وتحقيق عبد الوهاب عزام ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٣٢م •

— شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : لابى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، المتوفى ١٠٨٩هـ ، مطبعة المقدسى ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ •

— شرح ديوان ابى تمام : لايليا الحاوى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٨١م •

— شرح السنة : للامام البغوى ، الحسين بن مسعود الفراء ،

المتوفى ٥١٠هـ ، تحقيق وتعليق شعيب الارنؤوط ومحمد زهير الشاويشى ، ١٦ جزءا ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٩هـ — ١٤٠٣هـ •

— شرح القصائد التسع المشهورات : لابى جعفر النحاس ، المتوفى ٣٣٨هـ ، تحقيق أحمد خطاب ، العراق ، ١٩٧٣ •

— شرح المضنون به على غير أهله : الاصل : الابيات التى انتخبها عز الدين عبد الوهاب بن ابراهيم الخزرجى ، والشرح لعبيد اللا بن الكافى ، مكتبة دار البيان بغداد ، ودار صعب ، بيروت •

— شعر العطوى ، محمد بن عبد الرحمن (المتوفى نحو ٢٥٠هـ) جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد ، مجلة المورد العراقية ، المجلد الاول ، العدد الاول والثانى •

— شعر على بن جبلة (الملقب بالعكوك) ، المتوفى ٢١٣هـ ، جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢ م •

— شعر النمر بن تولب : صنعه الدكتور نورى حمودى القيسى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٩ م •

— الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، المتوفى ٢٧٦هـ جزءان ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م •

— شفاء الغليل (فيما فى كلام العرب من الدخيل) : لشهاب الدين أحمد الخفاجى ، من علماء القرن الحادى عشر ، صححه السيد محمد بدر الدين الفعسانى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥هـ •

— الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ، لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧هـ تحقيقنا ، دار الحرمين ، قطر ، ١٤٠٣هـ •

(ص)

ـ صحيح البخارى : للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى ٢٥٦هـ،طبعة دار الشعب،مصر ، دون تاريخ،مصورة عن طبعة ١٣١٠هـ ـ ١٨٩٧م ـ وأخرى بتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار القلم ودار الامام البخارى ، دمشق ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م •

ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر الدين الالبانى ، ٦ أجزاء ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م •

ـ صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ، المتوفى ٢٦١هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م •

ـ صفة الصفوة : لابن الجوزى ، المتوفى ٥٩٧هـ ، تحقيق محمود فاخورى ، وخرج أحاديثه الدكتور محمد رواس قلعة جى ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م •

(ض)

ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر الدين الالبانى ، ٦ أجزاء ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م •

(ط)

ـ طبقات الاطباء والحكماء : لابن جلجل ، أبى داود سليمان بن حسان الاندلسى ، المتوفى ٣٧٧هـ تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م •

ـ طبقات الامم : لصاعد بن أحمد الاندلسى ، المتوفى ٤٦٣هـ ، طبع مصر ، دون تاريخ •

ـ طبقات الشافعية الكبرى : للسبكى ، تاج الدين أبى النصر عبد الوهاب بن على ، المتوفى ٧٧١هـ ، ١٠ أجزاء ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى ، الحلبى ، القاهرة من ١٩٦٤ ـ ١٩٧٦م •

ـ طبقات الشعراء : لابن المعتز ، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتضم المقتول ٢٩٦هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٨ •

ـ طبقات فحول الشعراء : لمحمد بن سلام الجحمى ، المتوفى ٢٣١هـ تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٩٧٤ م •

ـ الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد ، المتوفى ٢٣٠هـ ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م

ـ الطبقاب الكبرى : لعبد الوهاب الشعرانى ، المتوفى ٩٧٣ هـ مكتبة محمد صبيح ، القاهرة ، دون تاريخ •

(ع)

ـ العبر فى خبر من غبر : للامام الذهبى ، المتوفى ٧٤٨هـ ، ٥ أجزاء الجزء الاول والرابع والخامس تحقيق صلاح الدين المنجد ، والثانى والثالث تحقيق فؤاد السيد ، مطبوعات التراث العربى ، الكويت ١٩٦٠ الى ١٩٦٦م •

ـ العقد الفريد : لابى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى ، المتوفى ٣٢٨هـ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية القاهرة ، ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣م •

ـ العقد الفريد للملك السعيد : لابى سالم محمد بن طلحة (الوزير) المتوفى ٦٥٢هـ ، مطبعة الوطن ، القاهرة ، ١٣١٨هـ •

ـ العمدة فى صناعة الشعر ونقده : لابن رشيق القيروانى ، المتوفى ٣٦٣هـ ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م •

ـ عمر بن عبد العزيز : للامام ابن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ تعليق أحمد الشرباصى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهـرة •

ـ عهد أردشير ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م •

ـ عيون الاخبار : لابى محمد عبد الله بن مسـلم ، المتوفى ٢٧٦هـ ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣م •

ـ عيون الانباء فى طبقات الاطبـاء : لابن أبى أصيبعة ، المتـوفى ٦٦٨هـ ، ٣ أجزاء ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

(ف)

ـ الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية : لان طباطبا • محمد بن على ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، ١٣١٧هـ •

ـ فصل المقال شرح كتاب الامثال (أمثال أبى عبيد القاسم) لابـى عبيد البكرى ، المتوفى ٤٨٧هـ ، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتـور عبد المجيد عابدين ، دار الامانة ومؤسسة الرسالة ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م •

ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : لابى القاسم البلخى (المتوفى ٣١٩هـ) ، والقاضي عبد الجبار (المتوفى ٤١٥هـ) والحاكـم الجشمـى

(المتوفى ٤٩٤هـ) تحقيق فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٤م •

ـ الفهرست : لابن النديم ، محمد بن اسحق ، المتوفى ٣٨٥هـ ، المكتبة التجارية ، مصر ، دون تاريخ •

ـ فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبى ، المتوفى ٧٦٤هـ ، تحقيق احسان عباس ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م •

(ق)

ـ قصص الانبياء : لابن كثير ، المتوفى ٧٧٤هـ ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م •

ـ قوانين الوزارة : للماوردى ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم والدكتور محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م •

(ك)

ـ الكامل فى التاريخ لابن الاثير ، لابى الحسن على بن محمد الكريم المتوفى ٦٣٠هـ ، الطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٥٣هـ •

ـ كتاب سيبويه : لابى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، المتوفى ١٨٠هـ تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٥ أجزاء ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م •

ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس : للعجلونى ، اسماعيل بن محمد ، المتوفى ١١٦٢هـ ، تحقيق أحمد القلاش ، مكتبة التراث الاسلامى ، حلب ، بدون تاريخ •

— كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق : للمناوى ، محمد بن عبد الرؤوف ، المتوفى ١٠٣١ هـ ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ، ١٣٠٥ هـ •

— كليلة ودمنة : لبيدبا الفيلسوف الهندى ، ترجمة عبد الله بن المقفع المتوفى ١٤٢هـ ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٣٤٤هـ — ١٩٢٥م •

(ل)

— لباب الاداب : لابن منقذ ، الامير أسامة بن مرشد ، المتوفى ٥٨٤هـ ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥م •

— لسان العرب المحيط : لابن منظور ، جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم المتوفى ٧١١هـ ، اعداد يوسف الخياط ، دار لسان العرب بيروت ، دون تاريخ • وأخرى بعنوان لسان العرب ، طبعة المعارف ، مصر، ١٩٧٧ م •

— لسان الميزان : لابن حجر العسقلانى ، المتوفى ٨٥٢هـ ، ٧ أجزاء مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ — ١٩٧١م •

— اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : (تجميع) محمد فؤاد عبد الباقى ، راجعه الدكتور عبد الستار أبو غده ، وزارة الاوقاف الاسلامية ، الكويت ، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م •

(م)

— مبدأ المساواة فى الاسلام (بحث من الناحية الدستورية ، مع المقارنة بالديمقراطيات الحديثة) : للدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، رسالة دكتوراة ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢م •

ـ المجرد للغة الحديث : للبغدادى ، موفق الدين عبد اللطيف ، المتوفى ٦٢٩هـ ، تحقيق فاطمة حمزة الراضى ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م •

ـ المحبر : لابى جعفر محمد بن حبيب ، المتوفى ٢٤٥هـ ، تحقيق د• ايلزة ليختن ، المكتب التجارى ، بيروت ، دون تاريخ •

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمى ، فور الدين على بن أبى بكر ، المتوفى ٨٠٧هـ ، دار الكتاب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م •

ـ المحاسن والمساوى : للبيهقى ، ابراهيم بن محمد ، المتوفى ٤٥٨ هـ صححه السيد محمد بدر الدين النعسانى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٦م •

ـ محاضرات الادباء : للاصبهانى ، لابى القاسم حسين بن محمد ، المتوفى ٥٠٢هـ ، المطبعة العامرة الشرقية ، مصر •

ـ مختار الحكم ومحاسن الكلم : لابى الوفا مبشر بن فاتك المدعو بالامير ، المتوفى ٤٨٧هـ ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م •

ـ مختار الصحاح : للرازى ، محمد بن أبى بكر ، المتوفى ٦٦٦هـ ، تحقيق السيد محمد خاطر ، الطبعة السابعة ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٣م •

ـ المختار من شعر بشار ، اختيار الخالدين وشرحه لابى الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي المشهور بالبرقي ، المتوفى نحو

٤٤٥هـ ، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوى ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٤م •

ــ مختصر صحيح مسلم : للمنذرى ، المتوفى ٦٥٦ هـ ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الالبانى وزارة الاوقاف الكويتية ، ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٩ م •

ــ مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع : لابن عبد الحق ، صفى الدين بن عبد المؤمن ، المتوفى ٧٣٩ هـ ، ٣ اجزاء تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م •

ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: لليافعى ، عبد الله بن سعد اليمنى ، المتوفى ٧٦٨هـ ، منشورات الاعلى للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ •

ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمسعودى ، أبو الحسن عن بن حسن ، المتوفى ٣٤٦هـ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، كتاب التحرير ، مصر ، ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م •

ــ المستدرك على الصحيحين : للحاكم النيسابورى ، المتوفى ٤٠٥هـ ، مطبعة النصر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية •

ــ المستطرف فى كل فن مستظرف : لشهاب الدين محمد الابشيهى ، المتوفى ٨٥٠هـ ، المطبعة البهية ، مصر ، ١٣٠٠هـ •

ــ المسند : للامام أحمد بن حنبل ، المتوفى ٢٤١هـ ، الاجزاء المحققة للشيخ أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، وأخرى دون تحقيق ، المكتب الاسلامي ، ودار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م •

ـ مسند الشهاب : للقضاعى ، أبى عبد الله محمد بن سلامة ، المتوفى ٤٥٤هـ ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، جزءان ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م •

ـ مشاهير علماء الامصار : لابن حبان البستى ، المتوفى ٣٥٤هـ ، لجنة التأليف والنشر ، مصر ، ١٩٥٩م •

ـ المصباح المضىء فى دولة المستضىء : للامام ابن الجوزى ، تحقيق ناجية ابراهيم ، جزءان ، وزارة الاوقاف العراقية ، بغداد ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م •

ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : للمقرى الفيومى ، أحمد بن محمد بن على ، المتوفى نحو ٧٧٠هـ ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، طبعة المعارف ، مصر ، ١٩٧٧م •

ـ المصنف : لابى بكر عبد الرازق بن همام الصنعانى المتوفى ٢١١هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٩٢هـ •

ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : لابن حجر العسقلانى ، المتوفى ٨٥٢هـ ، وزارة الاوقاف ، الكويت ، ١٣٩١هـ •

ـ المعارف : لابن قتيبة ، أبى محمد عبد الله بن مسلم ، المتوفى ٢٧٦هـ ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م •

ـ معجم الادباء : لياقوت الحموى ، المتوفى ٦٢٦هـ ، تحقيق مارجليوت ، الطبعة الثانية ، المطبعة الهندية ، القاهرة ، ١٩٢٣م •

ـ معجم البلدان : لياقوت الحموى ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م •

ـ المعجم الصغير : للطبرانى ، أبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، المتوفى ٣٦٠هـ ، جزءان ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية، المـدينة المنورة ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م •

ـ المعجم الكبير : للطبرانى ، المتوفى ٣٦٠هـ ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، ٨ أجزاء ، احياء التراث الاسلامى ، وزارة الاوقاف العراقية ، بغداد ، ١٣٩٧هـ الى ١٤٠١هـ •

ـ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بمصر (قام باخراجه ابراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار) ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م •

ـ المعرب من الكلام الاعجمى : لابى منصور الجواليقى ، المتـوفى ٥٤٠هـ ، تحقيق أحمـد شاكر ، الدار القومية ، مصر ، ١٩٦٩م •

ـ المفتى : لابن قدامة الحنبلى ، المتوفى ٦٢٠هـ ، دار الكتاب العربى، بيروت ، دون تاريخ •

ـ مفردات غريب القرآن : للراغب الاصفهانى ، المتوفى ٥٠٢هـ ، تحقيق سيد محمد كيلانى ، الحلبى ، مصر ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م •

ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم : لابى بكر الخوارزمى ، المتوفى ٣٨٣هـ، الشئون الدينية ، قطر ١٤٠٠هـ •

ـ مكارم الاخلاق : للطبرانى ، المتوفى ٣٦٠هـ ، تحقيق الدكتور فاروق حماده ، طبعة المغرب ، ١٤٠٥ هـ •

ـ ملامح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدكتور عماد الدين خليل ، الدار العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م

ـ المنهج المسلوك فى سياسة الملوك : للشيرازى ، جمال الدين عبد الرحمن بن نصر ، المتوفى ٥٨٩هـ ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ١٣٢٦هـ •

(ن)

ـ نثر الدر : للوزير الكاتب أبى سعيد منصور بن الحسين الآبى ، المتوفى سنة ٤٢١هـ ، تحقيق محمد على قرنة ، ٤ أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ الى ١٩٨٥م •

ـ النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة : لابن تغرى بردى ، المتوفى ٨٧٤هـ ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر •

ـ نزهة الارواح وروضة الافراح فى تاريخ الحكماء : للشهرزودى ، شمس الدين محمد بن محمود ، المتوفى نحو ٦١٢هـ ، تحقيق السيد خورشيد أحمد ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م •

ـ نزهة الالباء : للانبارى ، أبى البركات عبد الرحمن بن محمد ، المتوفى ٥٧٧هـ ، طبع فى مصر ، ١٢٩٤هـ •

ـ نهاية الارب فى فنون الادب : لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، المتوفى ٧٣٣هـ ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣م •

ـ نهج البلاغة (الجامع لخطب ورسائل أمير المؤمنين بن أبى طالب رضى الله عنه) : جمعه الامام اللغوى محمد بن أحمد الحسينى الملقب بالشريف الرضى ، المتوفى ٤٠٦ هـ ، تحقيق محمد حسن نائل المرصفى ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر •

(و)

ـ الوحشيات : لابى تمام ، حبيب بن أوس الطائى ، المتوفى ٢٣١هـ ،

تحقيق الميمنى ومحمود شـــاكر ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م •

ـــ الوزراء والكتاب : للجهشيارى ، أبى عبد الله محمد بن عبد ، المتوفى ٣٣١هـ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، طبعة الحلبى ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ـــ ١٩٣٨ م •

ـــ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ، لابى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ، المتوفى ٦٨١هـ ، تحقيق محمـــد محيى الدين عبد الحميد ، ٦ أجزاء ، مكتبة النهضـــة المصرية ، ١٣٦٧هـ ـــ ١٩٤٨م •

ـــ الولاة والقضاة : لابى عمر محمد بن يوســـف الكندى ، المتـــوفى ٣٥٠هـ ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م •

(هـ)

ـــ هداية البارى الى ترتيب أحاديث البخارى : للسيد عبـــد الرحيم الطهطاوى ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٣هـ •

ـــ هدية العارفين : لاسماعيل (باشا) البغدادى ، ملحق بذيل كشف الظنون لحاجى خليفة ، طبعة المثنى بغداد ، مصورة من طبعـــة استامبول ١٩٥١م •

٦ ــ فهـــــرس المضمون

ــ تقـــــديم	٤٠٣
ــ مقـــدمة التحقيق والدراســـة	٥ــ٣٣
• مـــدى نسبة نصيحة الملوك للماوردى	٥
• أهميـــة البحث	٥
• حاجى خليفة ونصيحـــة الملوك	٧
• كتب المـــاوردى الفقهية	٨ــ١٢
الاقنـــــاع	٨
• الاحـــكام الســـلطانيـــة	٩
• الحـــــاوى	١٠
• الكافى شرح مختصر المزنى	١٢
• بحث مقارن بين الاحكام الفقهية الواردة فى كتـــاب النصيحة وكتب الماوردى الفقهية	١٣ــ٣٣
• المطلب الاول : سهم المؤلفة قلوبهم	١٤ــ١٦
ــ المطلب الثانى : مقدار ما يعطى للعاملين على الزكاة	١٧ــ١٩
ــ المطلب الثالث : مدى تخميس الفىء	٢٠ــ٢٤
ــ المطلب الرابع : حـــد الســـكر	٢٥ــ٢٨
المطلب الخامس : قدر نصاب القطع فى السرقة	٢٩ــ٣١
• لمن نصيحة الملوك	٣٢
• منهـــج التحقيق	٣٣
• لوحات المخطـــوط	٣٥ــ٤٠

• النـص المحقـق ٤١

• المقـدمة ٤٣

• دواعى تأليف الكتاب ٤٣

• منهج المـؤلف ٤٦

• خطة وأبواب الكتاب ٤٧

البـاب الاول

الحث على قبول النصائح ٤٩—٦٠

ـ علل نصـح الملوك ٤٩

ـ تقريب الملوك لنصائحهم ٥٣

ـ من نصائح الحكام والحكماء ٥٤

البـاب الثـانى

فى فضائل الملوك وعلو مراتبهم وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم ٦١—٨٣

ـ علو مرتبة المـلوك ٦٢

ـ طاعة الرعيـة للملوك ٦٧

ـ طاعـة الملوك لله سبحانه ٦٨

ـ واجب الملك حيـال نفسـه ٦٩

البـاب الثـالث

فى الخلال التى من جهتها يعرض الفساد فى الممالك والملك ٨٥—١٠٩

ـ الدين القويم أسـاس الملك ٨٥

ـ أسـباب فسـاد الملك ٨٦

ـ الراشـدون وحمـاية الدين ٩٠

ـ الملوك وسير السـابقين ٩٢

ـ الملك وأصحـاب الهـواء ٩٣

ـ الملك ووحـدة أمتـه ٩٤

ـ حسـم أطمـاع العـدو ٩٧

ـ وجـوه التحرز من الفسـاد ٩٨

البـاب الرابـع

فى فصول من المواعظ ينتفع بها ويعالج بها قساوة القلب ١١١ـ١٤١

فصل ـ الوعظ فـريضة ١١١

فصل آخر ـ عـدم الامان للايام ١١٨

فصل آخر ـ الوقت وصالح العمل ١٢٤

فصل آخر ـ غرور الانسان وضعفه ١٢٧

فصل آخر ـ التخلى عن الشهـوات ١٣٠

فصل آخر ـ الدنيا عدو فى ثيـاب صـديق ١٣٣

فصل آخر ـ محـاسبة الله للملوك ١٣٥

البـاب الخـامس

فى سياسـة النفس وزياضتها ١٤٣ـ٢٠٢

ـ الملوك وتقـوى الله ١٤٣

ـ فى معنى التقـوى ١٤٦

ـ الملوك واقامـة الدين ١٤٩

ـ الملوك والفضـائل الواجبـة ١٥٠

ـ فى فضـل العـلم ١٥١

ـ أقسـام العلوم الدينيـة	١٥٤
ـ تقـديم علم الدين	١٥٥
ـ تحصـيل العلوم الدينية	١٦١
ـ فى شـكر الله على نعمـه	١٨١
ـ فى وجـوب التواضـع	١٨٣
ـ فى الصـبر	١٨٦
ـ فى الحـزم	١٨٩
ـ فى التوسـط	١٩١
ـ فى الحسـد	١٩٣
ـ فى التأنى والتـدبر	١٩٤
ـ فى بقـاء الذكـر	١٩٦
ـ فى المـدح والثنـاء	١٩٩
ـ اشتغـال الملوك بعظائم الامـور	١٩٩
ـ الالتزام بالكتاب والسنة والاجماع	٢٠٠

البـاب السـادس

فى سياسة الخاصة من الاهل والولد والقرابة والخـدم والجنـد

	٢٠٣—٢٤٧
ـ الملك وأخـلاق خاصـته	٢٠٢
ـ فى تأديب الخاصـة	٢٠٦
ـ طبقـات خاصـة الملك	٢٠٨
ـ حـق الولد على أبيـه	٢٠٩
ـ ذو الارحام والاقارب	٢٢١
ـ الخـدم والحشـم	٢٢٤

ـ تقـــويم الخاصـــة ٢٢٥

ـ فى شروط معـــاونو الملك ٣٣٨

ـ فى تقـــويم معاونى الملك ٢٤١

البـــاب الســابع

فى سياسة العامة وتدبير أهل المملكة ٢٤٩ـ٢٩١

ـ بالرحمـــة والعـــدل ٢٤٩

ـ خصـــال تحقق الصـــلاح ٢٥٧

ـ الحـــدود والحبس ٢٦٠

ـ اختيـــار القضـــاة ٢٦١

ـ مراعاة مراتب النـــاس ٢٦٤

ـ دفـــع الظـــلم عن العـــامة ٢٦٩

ـ رصـــد أخبـــار العـــامة ٢٧٦

ـ تسهيـــل الحجـــاب ٢٧٨

ـ معـــرفة الحقائق وقضـــاء الحقوق ٢٨٢

ـ السياسة بين اللين والشـــدة ٢٨٩

ـ خطـــر رياســـة العامى ٢٩١

البـــاب الثـــامن

فى تدبير الاموال ، جمعها وتفريقها ٢٩٣ـ٣٢١

ـ المـــال بين الحلال والحرام ٢٩٤

ـ البخـــل والتبذير ٢٩٧

ـ حسن تدبير المـــال ٣٠٦

ـ المـــال العـــام ٣١٦

البـــاب التاســـع

فى تدبير الاعداء وأهل الجنايات ٣٢٣ــ٣٦٩

ـ الاعـــداء على الحقيقـــة ٣٢٤

ـ البـــاغـــون ٣٢٥

ـ قطّاع الطـــرق ٣٢٨

ـ الجنايات والعقـــوبات ٣٢٩

ـ درأ الحـــدود بالشبهات ٣٣٢

ـ خصـــال تدبير الاعـــداء ٣٣٤

ـ الوعيـــد والوعـــد ٣٣٨

ـ اليقظـــة ٣٤٠

ـ تعهـــد العســـكر ٣٤٤

ـ مواضـــع المقارنة مع العـــدو ٣٤٧

ـ تحصـــين الاسرار ٣٥٢

ـ الحيـــلة قبـــل القـــوة ٣٥٣

ـ الرســـل الى الاعـــداء ٣٥٥

ـ الملك والحـــــرب ٣٥٧

البـــــاب العـــاشر

فىتقـــد يم النيات وطلب التأولات ٣٧١ــ٣٨٣

ـ الخلـــق لنفـــع العبـــاد ٣٧١

ـ طبقـــات النـــاس ٣٧٣

ـ مدى جواز العمل مع الملك الجائر ٣٧٥

ـ الملك وشراء العبيـــد ٣٧٧

ـ ثيـــاب الملك وســـلاحه ٣٧٧

ـ استعمال الاوانى الذهبية والفضية ٣٧٨

ـ على الملك اجتناب الفـــواحش ٣٧٩

ـ مدى جواز سماع المزامر والمعازف ٣٨٠

خاتمـــــة

ـ خلال الملوك الاولين والخلفاء الراشدين ٤٠١

ـ الفهـــــارس العـــامة ٤٠٣

طبـــع بمطابـــع السفـــير